المواهب اللدنية

بالمنح المحمدية

تأليف

العلامة أحمد بن محمد القسطلاني

(٨٥١ - ٩٢٣هـ)

الجزء الثاني

تحقيق

صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)

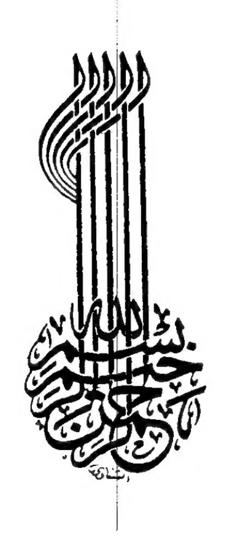
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧

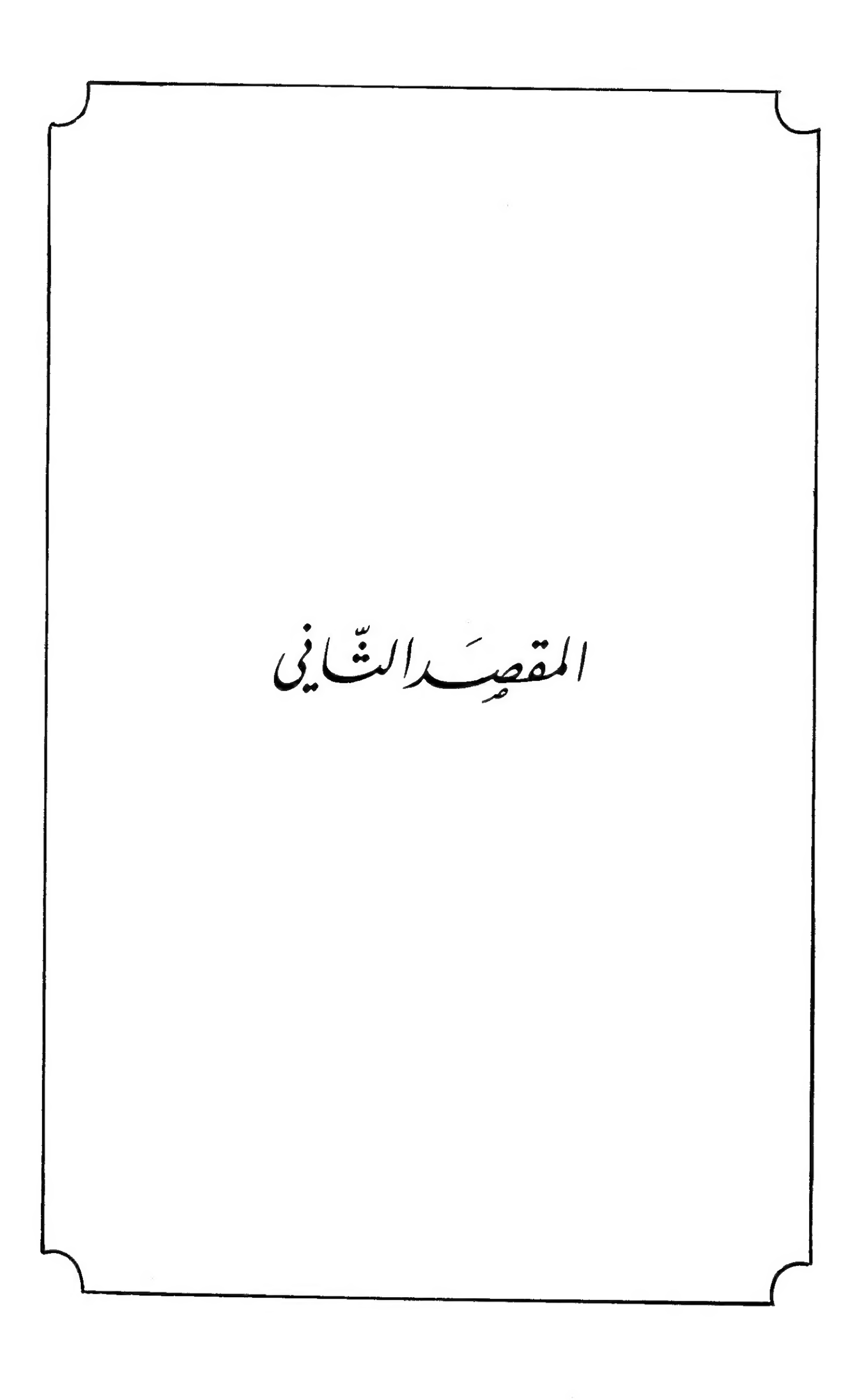
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

المواهب اللدنية

بالمنح المحمدية

الجزء الثاني





المقصد الثّاني



[محتوى المقصد الثاني]

المقصد الثاني:

- في ذكر[1] أسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة.
- وذكر أولاده الكرام الطاهرين.
- وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين.
- وأعمامه وعماته وإخوته من الرضاعة وجداته.
- وخدمه ومواليه وحرسه.
- وكتابه وكتبه إلى أهل الإسلام بالشرائع والأحكام، ومكاتباته إلى الملوك وغيرهم من الأنام.
- ومؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه.
- وآلات حروبه.
- ودوابه.
- والوافدين إليه صلى الله عليه وسلم.

وفيه عشرة فصول.

---

(١) في ط: حكم.



الفصل الأول

في ذكر أسمائه الشريفة
المنبئة عن كمال صفاته المنيفة

[التعريف بـ«الاسم»]

اعلم أن الأسماء جمع اسم، وهو كلمة وضعتها العرب بإزاء مسمى، متى أطلقت فهم منها ذلك المسمى، فعلى هذا لا بد من مراعاة أربعة أشياء: الاسم والمسمى - بفتح الميم - المسمي - بكسرها - والتسمية.

فالاسم: هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها أو تخصيصها عن غيرها كلفظ: زيد.

والمسمَّى: هو الذات المقصود تمييزها بالاسم، كشخص زيد.

والمسمِّي: هو الواضع لذلك اللفظ.

والتسمية: هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات.

والوضع: تخصيص لفظ بمعنى إذا أطلق أو أُحِسَّ فهم ذلك المعنى.

[الاسم والمسمى]

واختلفوا، هل الاسم عين المسمى أو غيره؟ وهي مسألة طويلة تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً.

فذهب قوم إلى أن الاسم عين المسمى. واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾(١) والتسبيح إنما هو للرب جل وعلا، فدل على أن اسمه هو هو.

وأجيب، بأنه أشرب معنى سبح «اذكر» فكأنه قال: اذكر اسم ربك [الأعلى](٢)، كقوله تعالى: ﴿**واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا**﴾(٣) وقد أشرب معنى اذكر «سبح»، عكس الأول. قال تعالى: ﴿**واذكر ربك**﴾(٤) أي سبح ربك. والإشراب جار في لغتهم/، يشربون معنى فعل فعلا.

٩٤/ب

واستشكل على معنى كونه هو المسمى إضافته إليه، فإنه يلزم منه إضافة الشيء إلى نفسه. وأجيب: بأن الاسم هنا بمعنى التسمية، والتسمية غير الاسم، لأن التسمية هي اللفظ بالاسم، والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا.

واحتج من قال بأن الاسم عين المسمى أيضاً بقوله تعالى: ﴿**بغلام اسمه يحيى**﴾(٥) ثم قال: ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**﴾(٦)، فنادى الاسم فدل على أنه المسمى.

---

(١) سورة الأعلى، الآية ١ .
(٢) في (ط، ش).
(٣) سورة الإنسان، الآية ٢٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية ٤١.
(٥) سورة مريم، الآية ٠٧.
(٦) سورة مريم، الآية ١٢ .

وجوابه: أن المعنى: يا أيها الغلام الذي اسمه يحيى، ولو كان الاسم عين المسمى لكان من قال: النار، احترق لسانه، ومن قال: العسل، ذاق حلاوته.

[أسماء وردت بها النصوص]

وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وقد سمى الله تعالى نبينا ﷺ بأسماء كثيرة في القرآن العظيم وغيره من الكتب السماوية، وعلى ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام[1].

ثم إن أشهر أسمائه ﷺ : محمد، وبه سماه جده عبد المطلب وذلك أنه لما قيل له: ما سميت ولدك؟ فقال: محمداً، فقيل له: كيف سميته باسم ليس لأحد من آبائك وقومك؟ فقال: لأني أرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم. وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب ـ كما ذكر حديثها علي القيرواني العابر[2] في كتابه «البستان» ـ قال: كان عبد المطلب قد رأى في المنام كأن سلسلة من فضة قد خرجت من ظهره، لها طرف في السماء، وطرف في الأرض، وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة، على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها. فقصها، فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب، ويحمده أهل السماء و[أهل][3] الأرض، فلذلك سماه محمداً، مع ما حدثته به أمه آمنة حين قيل لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وضعتيه فسميه محمداً.

(١) وأكثرها صفات. قال ابن عبد البر: الأسماء والصفات هنا سواء.
(٢) اسم فاعل من عبر الرؤيا مخففاً.
(٣) في ط.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لما ولد النبي ﷺ عق عنه عبد المطلب وسماه محمداً فقيل له: يا أبا الحارث، ما حملك على أن سميته محمداً، ولم تسمه باسم آبائه؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء، ويحمده الناس في الأرض(١).

وعن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب) رواه الشيخان(٢).

وقد روي: (على قدمي) بتخفيف الياء وبالإفراد، وبالتشديد على التثنية. قال النووي في شرح مسلم: معنى الروايتين: يحشرون على أثري وزماني ورسالتي.

وفي رواية نافع بن جبير عند البخاري في تاريخه الصغير والأوسط، والحاكم في مستدركه وصححه(٣)، وأبي نعيم في الدلائل وابن سعد: أنه دخل على عبد الملك بن مروان، فقال: أتحصي أسماء رسول الله ﷺ التي كان جبير بن مطعم يعدها؟ قال: نعم، هي ستة، فذكر الخمسة التي ذكرها محمد بن جبير، وزاد: الخاتم.

وفي حديث حذيفة (أحمد، ومحمد، والحاشر، والمقفي ونبي الرحمة)(٤).

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب.

(٢) عند البخاري برقم ٣٥٣٢ و٤٨٩٦ وعند مسلم برقم ٢٣٥٤

(٣) في ط (وصححه أبو نعيم) وهو غلط، فأصل النص في فتح الباري ٦/٥٥٥ كما ذكر في النسخ.

(٤) رواه البخاري في التاريخ والترمذي وابن سعد.

ولفظ رواية أبي نعيم (هي ستة: محمد، وأحمد، وخاتم، وحاشر، وعاقب، وماح، فأما الحاشر، فبعث مع الساعة نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد، وأما العاقب: فإنه أعقب الأنبياء[١]، وأما ماح: فإن الله عز وجل محا به سيئات من اتبعه).

وذكر بعضهم: أن العدد ليس من قول النبي ﷺ، وإنما ذكره الراوي بالمعنى.

وفيه نظر: لتصريحه في الحديث: (إن لي خمسة أسماء). والذي يظهر أنه أراد إن لي[٢] خمسة أسماء أختص بها لم يتسم بها أحد قبلي، أو مشهورة في الأمم/ الماضية لا أنه[٣] أراد الحصر فيها، وبهذا يجاب /٩٥ عن الاستشكال[٤] الوارد، وهو أن المقرر في علم المعاني أن تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، ولكن ورود الروايات بما هو أكثر يدل على أنه ليس حصراً مطلقاً، فالطريق في ذلك أن يحمل على حصر مقيد كما ذكر والله أعلم.

وروى النقاش[٥] عنه عليه الصلاة والسلام: لي في القرآن سبعة أسماء: محمد، وأحمد ويس، وطه، والمزمل، والمدثر، وعبدالله.

---

(١) أي جاء عقبهم فلا نبي بعده.
(٢) (إن لي) سقطت من ط.
(٣) في ط (إلا أنه) وهو خطأ لتناقض الكلام والصواب ما في النسخ وكذلك في فتح الباري ٥٥٦/٦.
(٤) في ط: الإشكال.
(٥) الحافظ أبو بكر محمد بن الحسن البغدادي المقرئ المفسر، أحد الأعلام صاحب التصانيف، وهو متروك في الحديث مع جلالته قال البرقاني: كل حديثه منكر. مات سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.

[عدد أسمائه ﷺ]

وقد جاءت من ألقابه ﷺ وسماته[1] في القرآن عدة كثيرة، و[قد][2] تعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عدداً مخصوصاً. فمنهم من بلغ تسعة وتسعين، موافقة لعدد أسماء الله الحسنى الواردة في الحديث.

قال القاضي عياض: وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسماً.

وقال ابن دحية في كتابه «المستوفى»[3]: إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وفَّى الثلاثمائة، انتهى[4].

ورأيت في كتاب «أحكام القرآن» للقاضي أبي بكر بن العربي: قال بعض الصوفية: لله تعالى ألف اسم وللنبي ﷺ ألف اسم، انتهى.

والمراد الأوصاف: فكل الأسماء التي وردت أوصاف مدح، وإذا كان كذلك، فله ﷺ من كل وصف اسم، ثم إن منها ما هو مختص به أو الغالب عليه، ومنها ما هو مشترك، وكل ذلك بين بالمشاهدة لا يخفى، وإذا جعلنا له من كل وصف من أوصافه اسماً بلغت أوصافه ما ذكر، بل أكثر، والذي رأيته في كلام شيخنا[5] في «القول البديع»، والقاضي عياض في «الشفا» وابن العربي في «القبس»[6]، والأحكام

---

(١) لغة في الأسماء، وفي ط: أسمائه.

(٢) في (ب، ط، د).

(٣) اسم كتاب أفرده في الأسماء الشريفة.

(٤) قال في الفتح: وغالبها صفات له صلى الله عليه وسلم.

(٥) الحافظ السخاوي.

(٦) كتاب: القبس على موطأ مالك بن أنس.

له، وابن سيد الناس، وغيرهم، يزيد على الأربعمائة[1]، وقد سردتها مرتبة على حروف المعجم، وهي:

[الأسماء مرتبة على حروف المعجم]

(أ) الأبر بالله، الأبطحي[2]، أتقى الناس، الأجود، أجود الناس، الأحد، الأحسن وأحسن الناس، أحمد، أحيد ـ بضم أوله وكسر المهملة ثم ياء تحتانية ـ، الآخذ بالحجزات، آخذ الصدقات، الآخر، الأخشى لله، أذن خير، أرجح الناس عقلاً، أرحم الناس بالعباد، الأزهر: وهو النير المشرق الوجه، أشجع الناس، الأصدق في الله، أطيب الناس ريحاً، الأعز، الأعلى، الأعلم بالله، أكثر الناس تبعاً، الأكرم، أكرم الناس، أكرم ولد آدم، آلمص، إمام الخير، إمام الرسل، إمام المتقين، إمام النبيين، الإمام، الآمر والناهي[3]، الآمن، أمنة أصحابه، الأمين، الأمي، أنعُم الله، الأول، أول شافع، أول المسلمين، أول المؤمنين، أول من تنشق عنه الأرض.

---

(١) ورد في هذا الجمع غرائب يعجب الإنسان من إيراد المصنف لها، ولا مجال للتعليق على كل منها، ولذا أكتفى بما أورده الشارح إذ قال: «ونقل الغزالي الاتفاق ـ وأقره في الفتح ـ على أنه لا يجوز لنا أن نسميه ﷺ باسم لم يسمه به أبوه ولا سمى به نفسه». انتهى.
قال الشارح: أي لا يجوز أن نخترع له علماً وإن دل على صفة كمال. ولا يرد على الاتفاق وجود الخلاف في أسمائه تعالى: لأن صفات الكمال كلها ثابتة له عز وجل. والنبي ﷺ إنما يطلق عليه صفات الكمال اللائقة بالبشر، فلو جوز ما لم يرد به سماع لربما وصف بأوصاف تليق بالله دونه على سبيل الغفلة فيقع الواصف في محظور وهو لا يشعر». [المحقق].

(٢) نسبة إلى أبطح مكة. وهو مسيل واديها.

(٣) «والناهي» في (أ، ش).

(ب) البر، البارقليط، الباطن، البرهان، بَشَر، بشرى عيسى، البشير، البصير، البليغ، بالغ البيان[1]، البينة.

(ت) التالي، التذكرة، التقي، التنزيل، التهامي.

(ث) ثاني اثنين.

(ج) الجبار، الجد[2]، الجواد، جامع[3].

(ح) حاتم، حزب الله، الحاشر، الحافظ، الحاكم بما أراه[4] الله، الحامد، حامل لواء الحمد، الحائد لأمته عن النار، الحبيب، حبيب الرحمن، حبيب الله، الحجازي، الحجة البالغة، حجة الله على الخلائق، حرز الأميين، الحرمي، الحريص على الإيمان، الحسيب، الحفيظ، الحق، الحكيم، الحليم، حماد[5]، حمطايا أو قال حمياطا، حمعسق، حفي، الحمد، الحنيف، الحي[6].

(خ) الخبير، خاتم النبيين، خاتم المرسلين، الخاتم، الخازن لمال الله، الخاشع، الخاضع، الخالص، خطيب الأنبياء، خطيب الأمم، / خطيب الوافدين على الله، الخليل، خليل الرحمن[7]، خليل الله، الخليفة، خير الأنبياء، خير البرية، خير خلق الله، خير العالمين طراً، خير الناس، خير هذه الأمة، خيرة الله.

٩٥/ب

---

(١) في ش البالغ البيان.

(٢) بفتح الجيم وضمها: العظيم القدر.

(٣) في (ب، ش) الجامع.

(٤) في ط: أراده.

(٥) صيغة مبالغة من الحمد.

(٦) في (أ، ش).

(٧) سقطت من ش.

(د) دار الحكمة، الداعي إلى الله، دعوة إبراهيم، دعـوة النبيين، دليل الخيرات.

(ذ) الـذاكر، الـذكر، ذكـر الله، ذو الحـوض المـورود، ذو الخلق العظيم، ذو الصراط المستقيم، ذو القوة، ذو مكانة، ذو عزة، ذو فضل، ذو المعجزات، ذو المقام المحمود، ذو الوسيلة.

(ر) الراضع، الـراضي، الراغب، الـرافع، راكب الـبراق، راكب البعير، راكب الجمل، راكب الناقة، راكب النجيب، الرحمة، رحمة الأمة، رحمة العالمين، رحمة مهـداة، الرحيم، الـرسول، رسول الراحة، رسول الرحمة، رسـول الله، رسول المـلاحم، الرشيد، الرفيع الذكر، رافع الرتب، رفيع الدرجات، الرقيب، روح الحق، روح القدس، الرؤوف، ركن المتواضعين.

(ز) الـزاهـد، زعيم الأنبيـاء، الـزكي، الـزمـزمي، زين من وافى القيامة.

(س) السابق، السابق بالخيرات، سابق العرب، الساجد، سبيل الله، السراج المنـير، السراط المستقيم، السعيد، سعـد الله، سعـد الخـلائق، السميع، السـلام، السيد، سيـد ولـد آدم، سيـد المرسلين، سيد الناس، سيد الكونين، سيد الثقلين، سيف الله المسلول.

(ش) الشـارع، الشافـع، الشاكر، الشـاهـد، الشكـور، الشكـار، الشمس، الشهيد.

(ص) الصـابر، الصـاحب، صاحب الآيـات، صاحب المعجـزات، صاحب البراهـين، صاحب البيـان، صاحب التـاج، صاحب الجهاد، صاحب الحجة، صاحب الحـطيم، صاحب الحـوض المـورود، صاحب الخـاتم، صاحب الخـير، صاحب الـدرجـة

العالية[١] الرفيعة، صاحب الرداء، صاحب الأزواج الطاهرات، صاحب السجود للرب المحمود[٢]، صاحب السرايا[٣]، صاحب السلطان، صاحب السيف، صاحب الشرع، صاحب الشفاعة الكبرى، صاحب العطايا، صاحب العلامات الباهرات، صاحب العلو والدرجات، صاحب الفضيلة، صاحب الفَرَج، صاحب القضيب، صاحب القضيب الأصغر[٤]، صاحب قول لا إله إلا الله، صاحب القدم، صاحب الكوثر، صاحب اللواء، صاحب المحشر، صاحب المدينة، صاحب المغفر، صاحب المغنم، صاحب المعراج، صاحب المظهر المشهود، صاحب المقام المحمود، صاحب المنبر، صاحب المئزر، صاحب النعلين، صاحب الهراوة، صاحب الوسيلة، الصادع بما أمر، الصادق، الصبور، الصدق، صراط الله، صراط الذين أنعمت عليهم، الصراط المستقيم، الصفوح، الصفوح عن الزلات، الصفوة، الصفي، الصالح.

(ض) الضارب بالحسام المثلوم[٥]، الضحاك، الضحوك.

(ط) طاب طاب، الطاهر، الطبيب، طسم، طس، طه، الطيب.

(ظ) الظاهر، الظفور، من الظفر وهو الفوز[٦].

(ع) العابد، العادل، العظيم، العافي[٧]، العاقب، العالم، عَلَم

---

(١) في ط العلية.

(٢) في ط المعبود.

(٣) في ط السراي.

(٤) سقطت من ش.

(٥) في ش: الملثوم، وفي ط المتكوم.

(٦) في الأصل زيادة (من الظفر) بعد كلمة الفوز.

(٧) في ط: العاني وهو غلط.

الإيمان، علَم اليقين، العالم بالحق، العامل، عبدالله، العبد، العدل، العربي، العروة الوثقى، العزيز، العفو، العطوف، العليم، العلي، العلامة، عين العز[1]، عبد الكريم، عبد الجبار، عبد الحميد، عبد المجيد، عبد الوهاب، عبد القهار، عبد الرحيم، عبد الخالق، عبد القادر، عبد المهيمن، عبد القدوس، عبد الغياث، عبد الرزاق، عبد السلام، عبد المؤمن، عبد الغفار.

(غ) الغالب، الغفور، الغني[2]، الغني بالله، الغوث، الغيث، الغياث.

(ف) الفاتح، الفارقليط ـ وقيل بالباء، وتقدم ـ، الفارق، فاروق[3]، الفتاح، الفجر، الفرط، الفصيح، فضل الله، فواتح النور.

(ق) القاسم، القاضي، القانت، قائد الخير، قائد الغر المحجلين، القائل، القائم، القتال، القتول، قثم، القثوم، قدم صدق، القرشي، القريب، القمر، القيم: ومعناه: الجامع الكامل، وصوابه بالمثلثة بدل الياء، القوي.

(ك) كافة الناس، الكفيل، الكامل في جميع أموره، الكريم، كهيعص.

(ل) اللسان.

(م) الماجد، ماذْماذُ، المؤمل، الماحي، المأمون، / المانح، الماء المعين، المبارك، المبتهل، المبرأ، المبشر، مبشر اليائسين، المبعوث بالحق، المبعوث، المبلغ، المبيح، المبين، المتين، المتبتل، المتبسم، 1/96

---

(١) في ط: العزى.

(٢) سقطت من ش.

(٣) في (ش، د) الفاروق.

المـتربص، المتضرع، المتقي، المتلو عليه، المتهجـد، المتوسط، المتوكل، المتثبت، مجاب، مجيب، المجتبى، المجبر، المحرض، المحرم، المحفوظ، المحلل، محمد، المحمود، المخـبر، المختار، المخصوص بالشرف، المخصوص بالعـز، المخصوص بـالمجد، المخلص، المـدثر، المـدني، مدينـة العلم، المذكـر، المذكـور، المرتضى، المرتل، المرسل، المرتجى، المرحوم، المرتفع الدرجات، المرء ـ وهو الرجل الكامل المروءة ـ، المزكي، المزمل، المسبح، المستغفر، المستغني، المستقيم، المسري به، المسعـود، المسلِّم، المسلَّم، المشاور، المشفع، المشفوع، المشفح، المشهود، المشير، المصباح، المصارع، المصافح، مصحح الحسنات، المصـدوق، المصطفى، المصلح، المصلى عليه، المطاع، المطهر، المظهر، المطلع، المطيـع، المظفـر، المعزز، المعصـوم، المعقب، المعلِّم، معلم أمته، المعلَّم، المعلن، المعلى، المفضال، المفضل، المفتاح، مفتاح الجنة، المقتصد، المقتفى: يعنى قفا النبيين، المقدَّس، المقـري، المقسط، المقسم، المقصـوص عليـه، المقفى، وقيـل بزيادة تاء بعد القاف كما تقدم، مقيل العثرات، مقيم السنة بعد الفـترة، المكـرم، المكتفي، المكـين، المكي، المـلاحمي، ملقى القـرآن، الممنوح، المنـادى، المنتظر، المنجي، المنـذر، المنـزل عليه، المنحمنا، المنصف، المنصـور، المنيب، المنير، المهـاجر، المهتـدي، المهدي، المهـداة، المهيمن، المؤتى جـوامـع الكلم، الموحى إليه، الموصل، الموقر، المولى، المؤمن المؤيَّد، الميسِّر.

(ن) النابذ، الناجز، الناس لقولـه تعالى: ﴿أم يحسـدون الناس﴾[1] المفسر به عليه السلام، الناسخ، الناشر، الناصح، النـاضر،

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٤.

الناطق بالحق، الناهي، نبي الأحمر، نبي الأسود، نبي التوبة، نبي الحرمين، نبي الراحة، نبي الرحمة، النبي الصالح، نبي الله، نبي المرحمة، نبي الملحمة، نبي الملاحم، النبي، النجم، النجم الثاقب، نجي الله، النذير، النسيب، نصيح، ناصح، النعمة، نعمة الله، النقيب، النقي، النور، نور الأمم أي الهادي لها الذي أوصلها نور الله الذي لا يطفأ.

(هـ) الهادي، هدى، هدية الله، الهاشمي(١).

(و) الوجيه، الواسط، الواسع، الواصل، الواضح، الواعد، الواعظ، الورع، الوسيلة، الوفي، الوافي، ولي الفضل، الولي.

(ي) اليثربي، يّس.

[كنيته ﷺ]

وكنيته المشهورة أبو القاسم، كما جاء في عدة أحاديث صحيحة.

ويكنى بأبي إبراهيم، كما جاء في حديث أنس في مجيء جبريل إليه عليهما الصلاة والسلام، وقوله السلام عليك يا أبا إبراهيم(٢).

وبأبي الأرامل، فيما ذكره ابن دحية.

وبأبي المؤمنين، فيما ذكره غيره.

[شرح اسمي «محمد» و«أحمد»]

واعلم أنه لا سبيل لنا أن نستوعب شرح جميع هذه الأسماء

---

(١) في ط: الهاشم.

(٢) رواه البيهقي.

الشريفة، إذ في ذلك تطويل[1] يفضي بنا إلى العدول عن غرض الاختصار، فلنذكر من ذلك ما يفتح الله تعالى به مما يدل على سواه. وبالله تعالى أستعين[2].

فأول ذلك ما له عليه الصلاة والسلام من معنى الحمد الذي هو اسمه المنبئ عن ذاته، الذي سائر أسماء أوصافه راجعة إليه، وهو في المعنى واحد، وله في الاشتقاق صيغتان:

- الأسم المبني صيغته على صيغة «أفعل» المنبئة عن الانتهاء إلى غاية ليس وراءها منتهى، وهو اسمه «أحمد».
- والاسم المبني على صيغة «التفعل» المنبئة عن التضعيف والتكثير إلى عدد لا ينتهي له الإحصاء وهو اسمه «محمد».

قال السهيلي: «محمد» منقول من الصفة، فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمداً بعد حمد، ولا يكون «مفعَّل» مثل: مضرب، وممدح، إلا لمن تكرر منه الفعل مرة/ بعد أخرى. ٩٦/ب

وأما «أحمد» وهو اسمه عليه الصلاة والسلام الذي سمي به على لسان عيسى وموسى، فإنه منقول أيضاً من الصفة التي معناها التفضيل، فمعنى «أحمد» أحمد الحامدين لربه، وكذلك هو في المعنى، لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله، فيحمد ربه بها، ولذلك يعقد له لواء الحمد.

قال: وأما «محمد» فمنقول من صفة أيضاً، وهو في معنى «محمود»، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار، فالمحمد هو الذي حمد مرة

---

(١) عبارة ش: لأن في ذلك تطويلاً.

(٢) في ط، والله تعالى أستعين، وفي د: وبالله تعالى التوفيق.

بعد مرة، كما أن المكرَّم من أكرم مرة بعد أخرى، وكذلك الممدح ونحو ذلك. فاسم «محمد» مطابق لمعناه، والله سبحانه وتعالى سماه به قبل أن يُسمى به، عَلَم من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام، إذ كان اسمه صادقاً عليه، فهو ﷺ محمود في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرر معنى الحمد، كما يقتضيه اللفظ.

ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد، حمد ربه فنبأه وشرفه، فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد، فذكره عيسى فقال (اسمه أحمد)[1]، وذكره موسى حين قال له ربه: تلك أمة أحمد، فقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد. فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد، لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له، فلما وجد وبعث كان محمداً [أيضاً][2] بالفعل. وكذلك في الشفاعة، يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الحامدين لربه، ثم يشفع فيُحمد على شفاعته.

فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذكر والوجود، وفي الدنيا والآخرة، تلح لك الحكمة الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين. انتهى.

وقال القاضي عياض: كان عليه الصلاة والسلام أحمد قبل أن يكون محمداً، كما وقع في الوجود، لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمداً وقعت في القرآن، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس. انتهى.

---

(١) سورة الصف، الآية ٦.

(٢) في ط.

وهذا موافق لما قال السهيلي، وذكره في فتح الباري وأقره عليه، وهو يقتضي سبقية اسمه أحمد، خلافاً لما ادعاه ابن القيم.

وذكر ابن القيم في اسمه «أحمد» أنه قيل فيه إنه بمعنى «مفعول» ويكون التقدير: أحمد الناس، أي أحق الناس وأولاهم أن يحمد، فيكون محمداً[1] في المعنى، لكن الفرق بينهما: أن محمداً هو الكثير الخصال التي يحمد عليها، وأحمد: هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره، فمحمد في الكثرة والكمية، وأحمد في الصفة والكيفية، فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره، أي أفضل حمد حمده البشر، فالاسمان واقعان على المفعول.

قال: وهذا أبلغ في مدحه وأكمل معنى، فلو أريد معنى الفاعل لسمي «الحماد» أي الكثير الحمد، فإنه ﷺ كان أكثر الناس حمداً لربه، فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الأولى به الحماد، كما سميت بذلك أمته[2]. وأيضاً فإن هذين الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائله[3] المحمودة التي لأجلها استحق أن يسمى محمداً وأحمد[4].

وقال القاضي عياض ـ في باب تشريفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بما سماه به من أسمائه الحسنى ـ: أحمد بمعنى أكبر، من حَمِد، وأجل: من حُمِد.

[خصائص اسم «محمد»]

ثم إن في اسمه «محمد» خصائص:

---

(١) في ش: كمحمد.
(٢) أي: بالحمادين.
(٣) في ط وخصاله.
(٤) زاد المعاد ١/٩٣.

منها: كونه على أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى اسم محمد، فإن عدد الجلالة على أربعة أحرف كمحمد.

ومنها: أنه قيل: إن مما أكرم الله به الآدمي أن كانت صورته على شكل كتب هذا اللفظ، فالميم الأول رأسه، والحاء جناحاه، والميم سرته والدال رجلاه. قيل: ولا يدخل النار من يستحق دخولها ـ أعاذنا الله منها ـ إلا ممسوخ الصورة إكراماً لصورة اللفظ.

حكاهما ابن مرزوق[1]، والأول[2]: ابن العماد في كتاب كشف الأسرار.

ومنها: أنه تعالى اشتقه[3] من اسمه «المحمود» كما قال حسان ابن ثابت:

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله من نور يلوح ويشهد
/ وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

1/97

وأخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال: كان أبو طالب يقول:

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بألفي ألف عام، كما ورد من حديث أنس بن مالك، من طريق أبي نعيم في مناجاة موسى.

---

(١) وفيهما تكلف شديد لا دليل عليه [المحقق].
(٢) أي كونه على أربعة أحرف.
(٣) في ط: اشتق اسمه.

وروى ابن عساكر عن كعب الأحبار قال: إن الله أنزل على آدم عصياً بعدد الأنبياء والمرسلين. ثم أقبل على ابنه شيث فقال: أي بني، أنت خليفتي من بعدي، فخذها بعمارة التقوى، والعروة الوثقى، وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد، فإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش، وأنا بين الروح والطين، ثم إني طفت السماوات فلم أر في السماوات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه، وإن ربي أسكنني الجنة فلم أرَ في الجنة قصراً ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوباً عليه، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحور الحور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة، وعلى ورق شجرة طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى، وعلى أطراف الحجب، وبين أعين الملائكة، فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها.

بدا مجده من قبل نشأة آدم ... فأسماؤه في العرش من قبل تكتب

وروينا في جزء الحسن بن عرفة[1] من حديث أبي هريرة عنه ﷺ قال: لما عرج بي إلى السماء ما مررت بسماء إلا وجدت - أي علمت - اسمي فيها مكتوباً: محمد رسول الله، وأبو بكر خلفي[2].

[أخبار تفتقر إلى الصحة][3]

ووجد على الحجارة القديمة مكتوب: محمد تقي مصلح أمين. ذكره في الشفاء.

1/98

(١) الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي، أبو علي البغدادي الصدوق، المتوفى سنة سبع وخمسين ومائتين وقد جاوز المائة.

(٢) رواه أبو يعلى والطبراني والبزار بأسانيد ضعيفة.

(٣) هذه جملة أخبار عجيبة تفتقر إلى الصحة والإثبات، وقد ذكرها المصنف استطراداً، وهي لا تمت إلى موضوع الفصل بصلة تذكر [المحقق].

وعلى الحجر بالخط العبراني: باسمك اللهم، جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكتبه موسى بن عمران. ذكره ابن ظفر في «البشر» عن معمر عن الزهري.

وشوهد ـ كما ذكره في الشفاء ـ في بعض بلاد خراسان مولود ولد على أحد جبينيه مكتوب: لا إله إلا الله، وعلى الآخر: محمد رسول الله.

وببلاد الهند ورد أحمر مكتوب عليه بالأبيض: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وذكر العلامة ابن مرزوق عن عبدالله بن صوحان: عصفت بنا ريح، ونحن في لجج بحر الهند، فأرسينا في جزيرة، فرأينا فيها ورداً أحمر زكي الرائحة طيب الشم وفيه مكتوب بالأبيض، لا إله إلا الله محمد رسول الله، ووردا أبيض مكتوب عليه بالأصفر: براءة من الرحمن الرحيم إلى جنات نعيم، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وفي تاريخ ابن العديم عن علي بن عبدالله الهاشمي الرقي: أنه وجد ببعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء، عليها مكتوب بخط أبيض: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق. قال فشككت في ذلك وقلت: إنه معمول، فعمدت إلى وردة لم تفتح فكان فيها مثل ذلك، وفي البلد منه شيء كثير وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة، لا يعرفون الله تعالى.

وقال عبدالله بن مالك: دخلت بلاد الهند، فسرت إلى مدينة يقال لها: نميلة ـ أو ثميلة ـ فرأيت شجرة كبيرة تحمل ثمراً كاللوز، له قشر، فإذا كسرت ثمرته خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأهل الهند يتبركون بها

ويستسقون بها إذا منعوا الغيث. **حكاه القاضي أبو البقاء بن الضياء** في منسكه.

٩/ب وفي كتاب روض الرياحين/ لليافعي[1] عن بعضهم أنه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمراً كاللوز، له قشر إذا كسر خرجت منه ورقة خضراء طرية مكتوب فيها بالحمرة: لا إله إلا الله محمد رسول الله. كتابة جلية وهم يتبركون بها. قال: فحدثت بذلك أبا يعقوب الصباء فقال: ما أستعظم هذا، كنت صياداً على نهر الأبلة فاصطدت سمكة، على جنبها الأيمن: لا إله إلا الله، وعلى جنبها الأيسر: محمد رسول الله، فلما رأيتها قذفتها في الماء احتراماً لها.

وعن بعضهم ـ مما ذكره ابن مرزوق في شرحه لبردة الأبوصيري ـ أنه أتي بسمكة فرأى في إحدى شحمتي أذنها لا إله إلا الله، وفي الأخرى: محمد رسول الله.

وعن جماعة: أنهم وجدوا بطيخة صفراء فيها خطوط شتى بالأبيض خلقة، ومن جملة الخطوط كتب بالعربي في أحد جنبيها: الله، وفي الآخر: عز أحمد، بخط بين لا يشك فيه عالم بالخط.

وأنه وجد سنة تسع أو قال: سنة سبع ـ بالموحدة ـ وثمانمائة حبة عنب مكتوب فيها بخط بارع بلون أسود: محمد.

وفي كتاب «النطق المفهوم» لابن طغربك السياف، عن بعضهم أنه رأى في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة، مكتوب فيه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله

---

(١) الإمام القدوة عبدالله بن أسعد عفيف الدين اليمني ثم المكي، ولد بعدن قبيل السبعمائة وبرع بالعلم مات بمكة سنة ثمان وستين وسبعمائة.

بقدرته، في الورقة ثلاثة أسطر، الأول: لا إله إلا الله، والثاني: محمد رسول الله، والثالث: إن الدين عند الله الإسلام.

[اسم «محمد» في الجاهلية]

قال ابن قتيبة: ومن أعلام نبوته ﷺ أنه لم يسم قبله أحد باسمه «محمد»، صيانة من الله تعالى لهذا الاسم، كما فعل بيحيى، إذ لم يجعل له من قبل سميا، وذلك أنه تعالى سماه به في الكتب المتقدمة، وبشر به الأنبياء، فلو جعل اسمه مشتركاً فيه لوقعت الشبهة، إلا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه سمى قوم أولادهم بذلك رجاء أن يكون هو هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته:

ما كل من زار الحمى سمع الندا   من أهله أهلا بذاك الزائر

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد عدهم القاضي عياض: ستة، ثم قال: لا سابع لهم.

وذكر أبو عبدالله بن خالويه[1] في كتاب «ليس»، والسهيلي في «الروض»: أنه لا يعرف في العرب من تسمى محمداً قبل النبي ﷺ إلا ثلاثة.

قال الحافظ بن حجر: وهو حصر مردود، والعجب أن السهيلي متأخر الطبقة عن عياض، ولعله لم يقف على كلامه.

قال: وقد جمعت أسماء من تسمى بذلك في جزء مفرد فبلغوا

(١) أبو عبدالله، الحسين بن أحمد بن خالويه، الإمام المشهور، أحد أفراد الدهر، صاحب التصانيف المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة.

نحو العشرين، مع تكرير في بعضهم، ووهم في بعض، فيتلخص منهم خمسة عشر نفساً:

وأشهرهم: محمد بن عدي بن ربيعة بن سواءة بن جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي.

ومنهم: محمد بن أحيحة - بضم الهمزة وفتح المهملة - ابن الجلاح - بضم الجيم وتخفيف اللام آخره مهملة - الأوسي.

ومحمد بن أسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر.

ومحمد بن البراء - وقيل: البر - بن طريف بن عتوارة بن عامر ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة البكري العتواري.

ومحمد بن الحارث بن حديج بن حويص.

ومحمد بن حرماز بن مالك اليعمري.

ومحمد بن حمران بن أبي حمران، ربيعة بن مالك الجعفي المعروف بالشويعر.

ومحمد بن خزاعي بن علقمة بن حرابة السلمي، من بني ذكوان.

ومحمد بن خولى الهمداني.

ومحمد بن سفيان بن مجاشع.

ومحمد بن اليحمد الأزدي.

ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة.

ومحمد بن الأسيدي.

ومحمد الفقيمي.

ولم يدركوا الإسلام إلا الأول ففي سياق خبره ما يشعر بذلك، وإلا الرابع فهو صحابي جزماً[1].

(١) محمد بن البراء عده في الإصابة فيمن ذكر غلطاً في الصحابة، قال الشارح =

وفيمن ذكره عياض: محمد بن مسلمة الأنصاري. وليس ذكره بجيد، فإنه ولد بعد النبي ﷺ بأزيد من عشرين سنة، لكنه قد ذكر تلو كلامه المتقدم: محمد بن يحمد ـ الماضي ـ فصار من عنده/ ستة لا سابع لهم. انتهى[1].

1/98

[شرح بعض الأسماء]

● وأما اسمه عليه الصلاة والسلام «محمود» فاعلم أن من أسماء الله تعالى الحميد، ومعناه: المحمود، لأنه تعالى حمد نفسه، وحمده عباده، وقد سمى الرسول ﷺ بمحمود، وكذا وقع اسمه في زبور داود.

● وأما «الماحي» ففسر في الحديث بمحو الكفر، ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي ﷺ، فإنه بعث وأهل الأرض[2] كلهم كفار، ما بين عابد أوثان ويهود ونصارى ضالين وصابئة ودهرية لا يعرفون ربا ولا معاداً، وبين عباد الكواكب وعباد النار، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها، فمحاها برسوله[3]، حتى أظهر دينه على كل دين، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار، ولما كانت البحار هي الماحية للأدران كان اسمه عليه الصلاة والسلام فيها الماحي.

● وأما «الحاشر» ففسر أيضاً في الحديث بأنه الذي يحشر الناس

= تعليقاً على قوله: جزماً، ولم أر هذا في الفتح الذي نقل المصنف عنه.
أقول: انظر فتح الباري ٥٥٥/٦ ـ ٥٥٨ ففيه ما يؤيد قول الشارح [م].

(١) عن فتح الباري ٥٥٦/٦.

(٢) في ش: والأرض.

(٣) في ط: برسول الله.

على قدمه، أي يقدمهم وهم خلفه، وقيل على سابقته، وقيل: قدامه وحوله، أي يجتمعون إليه في القيامة. وقد كان حشره لأهل الكتاب: إخراجه لهم من حصونهم وبلادهم. من دار هجرته إلى حيث أذاقهم الله من شدة الحشر ما شاء في دار الدنيا إلى ما اتصل لهم بذلك في برزخهم.

وهو أول من تنشق عنه الأرض فيحشر الناس على أثره، وإليه يلجؤون في محشرهم، وقيل: على سببه.

● وأما «العاقب» فهو الذي جاء عقب الأنبياء، فليس بعده نبي، لأن العاقب هو الآخر، أي: عقب الأنبياء، وقيل: وهو اسمه عليه الصلاة والسلام في النار، فإذا جاء ـ لحرمة شفاعته ـ خمدت النار وسكنت، كما روي أن قوماً من حملة القرآن يدخلونها فينسيهم الله تعالى ذكر محمد ﷺ حتى يذكرهم جبريل، فيذكرونه فتخمد النار وتنزوي عنهم.

● وأما «المقفي» فكذلك، أي: قفا آثار من سبقه من الرسل، وهي لفظة مشتقة من «القفو» يقال: قفاه يقفوه إذا تأخر عنه، ومنه قافية الرأس، وقافية البيت، فالمقفي: الذي قفا من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم.

● وأما «الأول» فلأنه أول النبيين[١] خلقاً ـ كما مر ـ وكما أنه أول في البدء فهو أول في العود، فهو أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يدخل الجنة، وهو أول شافع وأول مشفع، كما كان في أوليات[٢] البدء

---

(١) في ش: الأنبياء.

(٢) في ش: أول.

في عالم الذر أول مجيب، إذ هو أول من قال: بلى، إذ أخذ ربه الميثاق على الذرية الآدمية، فأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم. فهو ﷺ الأول في ذلك كله على الإطلاق.

• وأما «الآخر» فلأنه آخر الأنبياء في البعث كما في الحديث[1].

• وأما «الظاهر» فلأنه ظهر على جميع الظاهرات ظهوره، وظهر على الأديان دينه، فهو الظاهر في وجوه الظهور كلها.

• وأما «الباطن» فهو المطلع على بواطن الأمور بواسطة ما يوحيه الله تعالى إليه.

• وأما «الفاتح الخاتم» ففي حديث الإسراء عن أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس قوله تعالى له: (وجعلتك فاتحاً وخاتماً). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً وفي الإسراء، قوله ﷺ: وجعلني فاتحاً وخاتماً. فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجاً، وفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وفتح أمصار الكفر، وفتح به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح، والدنيا والآخرة، والقلوب والأسماع والأبصار والإبصار[2].

وقد يكون المراد: المبدأ المقدم في الأنبياء، والخاتم لهم، كما قال

---

(١) الحديث: كنت أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً. أخرجه ابن أبي حاتم. قال في أسنى المطالب: فيه بقية الوليد مدلس وسعيد بن بشير ضعيف [م].

(٢) في (أ، ب، د) الأمصار، وسقطت من ط، وما أثبته في ش وهو الأنسب لتكرر الأمصار.

عليه الصلاة والسلام: كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث[1].

٩٨/ب

● وأما «الرؤوف الرحيم» ففي القرآن **﴿لقد جاءكم/ رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾**[2]، وهو فعول من الرأفة، وهي أرق من الرحمة، قاله أبو عبيدة[3]، والرحيم فعيل من الرحمة، وقيل رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين.

● وأما «الحق المبين» فقال تعالى: **﴿حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾**[4]، وقال تعالى: **﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾**[5]، وقال تعالى **﴿قد جاءكم الحق من ربكم﴾**[6] وقال تعالى: **﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم﴾**[7]، قبل [المراد[8]]: محمد عليه السلام، وقيل القرآن، ومعناه هنا ضد الباطل، والمتحقق صدقه وأمره، والمبين البين أمره ورسالته، أو المبين عن الله ما بعثه به، كما قال تعالى: **﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾**[9].

---

(١) رواه ابن سعد وغيره، وفيه بقية الوليد مدلس، وسعيد بن بشير ضعيف. كما مر [المحقق].
(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨.
(٣) في (أ، د) أبو عبيد وهو غلط إذ المقصود الإمام اللغوي معمر بن المثنى.
(٤) سورة الزخرف. الآية ٢٩.
(٥) سورة الحجر، الآية ٨١.
(٦) سورة يونس. الآية ١٠٨.
(٧) سورة الأنعام. الآية ٥.
(٨) في ش.
(٩) سورة النحل. الآية ٤٤.

● وأما «المؤمن» فقال تعالى: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن، قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾[1] أي يصدق، وقال ﷺ: (أنا أمنة لأصحابي)[2] فهذا بمعنى المؤمن.

● وأما «المهيمن» فقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾[3] قال ابن الجوزي - في زاد المسير - إن ابن نجيح روى عن مجاهد (ومهيمناً عليه) قال: محمد مؤتمن على القرآن، قال: فعلى قوله في الكلام تقدير محذوف، كأنه قال: وجعلناك يا محمد مهيمناً عليه، وسماه العباس بن عبد المطلب في شعره مهيمناً في قوله:

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

وروي: ثم اغتدى بيتك المهيمن، قيل أراد: يا أيها المهيمن، قاله القتبي[4] والإمام أبو القاسم القشيري.

● وأما «العزيز» فمعناه: جلالة القدر، أو الذي لا نظير له، أو المعز لغيره، وقد استدل القاضي عياض لهذا الاسم بقوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله﴾[5] أي فجائز أن يوصف النبي ﷺ بالعزيز والمعز، لحصول العز له[6][7]. ولقائل أن يقول: هذا اللفظ أيضاً

(١) سورة التوبة. الآية ٦١.
(٢) رواه البيهقي.
(٣) سورة المائدة، الآية ٤٨.
(٤) هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.
(٥) سورة المنافقون، الآية ٨.
(٦) في ش: العزّ به.
(٧) هذه الجملة من قوله: أي فجائز... سقطت من ط.

للمؤمنين لشمول العطف إياهم، فلا اختصاص للنبي ﷺ، والغرض اختصاصه، قال اليمني[1]: وعجبت من القاضي كيف خفي عليه مثل هذا. ويجاب: باختصاصه عليه الصلاة والسلام برتبة من العزة ليست لغيره والله أعلم.

● وأما «العالم» و«العليم» و«العلم» و«معلم أمته» فقد قال تعالى: ﴿**وعلمك ما لم تكن تعلم**﴾[2] وقال: ﴿**ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون**﴾[3].

● وأما «الخبير» فمعناه: المطلع على كنه الشيء، العالم بحقيقته، وقيل: المخبر، قال الله تعالى: ﴿**الرحمن فاسأل به خبيراً**﴾[4]. قال القاضي بكر[5] بن العلاء[6] - فيما ذكره في الشفاء -: المأمور بالسؤال غير النبي ﷺ، والمسؤول الخبير هو النبي ﷺ. وقال غيره: بل السائل النبي ﷺ والمسؤول الله عز وجل، فالنبي ﷺ خبير بالوجهين المذكورين، قيل لأنه عليه الصلاة والسلام عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه، وعظيم معرفته، مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به. انتهى.

---

(١) أي محشي الشفاء.

(٢) سورة النساء، الآية ١١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٥١.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٥٩.

(٥) في (أ، ط) أبو بكر، والصواب بكر كما ورد في الشفاء وفي شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي [المحقق]

(٦) بكر بن محمد بن العلاء القشيري أبو الفضل، من ولد عمران بن حصين، أحد كبار الفقهاء المالكية وعلماء الحديث صاحب التصانيف، مات بمصر سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وقد جاوز الثمانين.

● وأما «العظيم» فقال الله تعالى في شأنه: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[1] ووقع في أول سفر من التوراة عن إسماعيل: وسيلد عظيماً لأمة عظيمة. فهو ﷺ عظيم وعلى خلق عظيم.

● وأما «الشاكر» و«الشكور» فقد وصف ﷺ نفسه بذلك فقال: ﴿**أفلا أكون عبداً شكوراً**﴾[2] أي: أأترك تهجدي فلا أكون عبداً شكوراً؟! والمعنى: أن المغفرة سبب لكون التهجد شكراً، فكيف أتركه؟ وعلى هذا فتكون «الفاء» للسببية. وقال القاضي عياض: شكوراً أي: معترفاً بنعم ربي، عالماً بقدر ذلك، مثنياً عليه، مجهداً نفسي في الزيادة من ذلك، لقوله تعالى: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾[3].

● وأما «الشكار» فهو أبلغ من شاكر، وفي حديث ابن ماجه أنه ﷺ كان من دعائه: (رب اجعلني لك شكاراً).

● وأما «الكريم» و«الأكرم» و«أكرم ولد آدم» فسماه الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿**إنه لقول رسول/ كريم**﴾[4]أي محمد ﷺ، وليس المراد به جبريل، لأنه تعالى لما قال: ﴿**إنه لقول رسول كريم**﴾ ذكر بعده أنه ليس بقول شاعر ولا كاهن، والمشركون لم يكونوا يصفوا[5] جبريل بذلك، فتعين أن يكون المراد بالرسول الكريم هنا محمداً ﷺ، 1/99

---

(١) سورة القلم، الآية ٤.
(٢) متفق عليه.
(٣) سورة إبراهيم، الآية ٧.
(٤) سورة الحاقة، الآية ٤٠.
(٥) كذا في النسخ بحذف النون للتخفيف، والأولى إثباتها.

كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه في مقصد آي التنزيل. وقال عليه السلام: (أنا أكرم ولد آدم)[1].

● وأما «الولي» و«المولى» فقال عليه الصلاة والسلام: (أنا ولي كل مؤمن)[2].

● وأما «الأمين» فقد كان عليه الصلاة والسلام يعرف به، وشهر به قبل النبوة وبعدها، وهو أحق العالمين بهذا الاسم، فهو أمين على وحيه ودينه، وهو أمين من في السماء والأرض.

● وأما «الصادق» و«المصدوق» فقد ورد في الحديث تسميته بهما[3]، ومعناهما غير خفي، وكذلك «الأصدق». وروي أنه عليه الصلاة والسلام لما كذبه قومه حزن فقال له جبريل: إنهم يعلمون أنك صادق[4].

● وأما «الطيب» و«ماذ ماذ» ـ بميم ثم ألف ثم ذال معجمة منونة، ثم ميم ثم ألف ثم ذال معجمة ـ كذا رأيته لبعض العلماء، ونقل العلامة الحجازي[5] في حاشيته على الشفاء عن السهيلي: ضم الميم وإشمام الهمزة ضمة بين الواو والألف ممدود، وقال: نقلته عن رجل أسلم من علماء بني إسرائيل، وقال معناه: طيب طيب، ولا

---

(١) ورد في الصحيح (أنا سيد ولد آدم).

(٢) رواه البخاري.

(٣) قال ابن مسعود: حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق. أخرجه البخاري وغيره.

(٤) قال السيوطي في تخريجه: لم أجده.

(٥) أحمد بن محمد بن علي الحجازي الأنصاري الأديب الشاعر صاحب التصانيف. مات سنة خمس وسبعين وثمانمائة.

ريب أنه ﷺ أطيب الطيبين، وحسبك أنه كان يؤخذ من عرقه ليتطيب بـه، فهو ﷺ طيب الله الـذي نفحه[1] في الـوجـود، فتعـطرت بـه الكائنات وسمت، واغتذت به القلوب فطابت، وتنسمت به الأرواح فنمت.

● وأما «الطاهر» و«المطهر» و«المقدس» أي المطهر من الذنوب، كما قال تعالى: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾[2]، أو الذي يُتطهر به من الذنوب، ويتنزه بأتباعه عنها، كما قال الله تعالى: ﴿**ويزكيهم**﴾[3] وقال: ﴿**ويخرجهم من الظلمات إلى النـور**﴾[4]، أو يكون مقدساً بمعنى مطهراً من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنية.

● وأما «العفو» و«الصفوح» فمعناهما واحد، وقـد وصفه الله تعالى بهما في القرآن والتوراة والإنجيـل، كما في حـديث عبدالله بن عمرو بن العاصي عند البخاري (ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح) وأمره تعالى بالعفو فقال: ﴿**خذ العفو**﴾[5] وقال: ﴿**فاعف عنهم واصفح**﴾[6].

● وأمـا «العطوف» فهـو الشفوق، وسمي بـه عليـه الصـلاة والسلام لكثرة شفقته على أمته، ورأفته بهم.

---

(١) نفحه: بالحاء المهملة: نشره.
(٢) سورة الفتح، الآية ٢.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٩.
(٤) سورة المائدة، الآية ١٦.
(٥) سورة الأعراف، الآية ١٩٩.
(٦) سورة المائدة، الآية ١٣.

● وأما «النور» فقال تعال: **﴿قد جاءكم من الله نور﴾**[1] قيل: محمد ﷺ وقيل القرآن، فهو نور الله الذي لا يطفأ.

● وأما «السراج» فسماه الله تعالى به في قوله: **﴿وسراجاً منيراً﴾**[2] لوضوح أمره، وبيان نبوته، وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به، فهو نيّر في ذاته منير لغيره، فهو السراج الكامل في الإضاءة، ولم يوصف بالوهاج كالشمس، لأن المنير الذي ينير من غير إحراق بخلاف الوهاج.

● وأما «الهادي» فبمعنى الدلالة والدعاء، قال الله تعالى: **﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾**[3] وقال تعالى فيه: **﴿وداعياً إلى الله بإذنه﴾**[4].

● وأما «البرهان» فقال تعالى: **﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾**[5] قيل: هو محمد ﷺ، وقيل معجزاته وقيل القرآن.

● وأما «النقيب» فروي أنه ﷺ لما مات نقيب بني النجار أبو أمامة أسعد بن زرارة وجد عليه ﷺ ولم يجعل عليهم نقيباً بعده، وقال: أنا نقيبكم فكانت من مفاخرهم، والنقيب هو شاهد القوم وناظرهم وضمينهم.

● وأما «الجبار» فسمي به في مزامير داود، في قوله في مزمور أربعة وأربعين. تقلد أيها الجبار سيفك، فإن ناموسك وشرائعك

---

(١) سورة المائدة، الآية ١٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٦.

(٣) سورة الشورى، الآية ٥٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٤٦.

(٥) سورة النساء الآية ١٧٤.

مقرونة بهيبة يمينك،/ لأنه الجبار الذي جبر الخلق بالسيف على الحق، ٩٩/ب
وصرفهم عن الكفر جبراً. قال القاضي عياض: وقد نفى الله تعالى عنه جبرية التكبر التي لا تليق به فقال: ﴿**وما أنت عليهم بجبار**﴾[١].

[وهذا الاسم من أسمائه تعالى، وحظ العبد منه أن يحصل درجة الاستتباع بالرفع عن الأتباع، ويجبر الخلق ـ بهيبته ـ على الاقتداء به في سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد، ولم يحظ بهذا على التحقيق إلا المصطفى، قال ﷺ (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي)[٢]][٣].

• وأما «الشاهد» و«الشهيد» فسماه الله بهما في قوله: ﴿**إنا أرسلناك شاهداً**﴾[٤] أي على من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم، ونجاتهم وضلالهم. وقوله: ﴿**ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾[٥] روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالبهم الله ببينة التبليغ ـ وهو أعلم بهم ـ إقامة للحجة على المنكرين، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون، فتقول الأمم: من أين عرفتهم؟ فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد ﷺ فيسأل عن حال أمته، فيشهد بعدالتهم، وهذه الشهادة وإن كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على أمته عدى بـ«على» وقدمت

---

(١) سورة ق، الآية ٤٥.
(٢) جاء في تفسير ابن كثير في الآية ٨١ من آل عمران قال الحافظ أبو يعلى.. عن جابر قال قال رسول الله ﷺ:(لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء... وإنه والله لوكان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني) [المحقق].
(٣) هذه الفقرة في الأصل فقط.
(٤) سورة الأحزاب، الآية ٤٥.
(٥) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم. قاله البيضاوي.

● وأما «الناشر» فسمي به لأنه نشر الإسلام وأظهر شرائع الأحكام.

● وأما «المزمل» فأصله المتزمل، فأدغمت التاء في الزاي وسمي به، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام كان يفرق من جبريل ويتزمل بالثياب أول ما جاءه، وقيل: أتاه وهو في قطيفة، وقال السدي معناه: يا أيها النائم، قال: وكان متلففاً في ثياب نومه، وعن ابن عباس: يعني المتزمل بالقرآن، وعن عكرمه بالنبوة.

وقيل من الزمل، بمعنى الحمل، ومنه الزاملة، أي: المتحمل بأعباء النبوة، وعلى هذا يكون التزمل مجازاً.

وقال السهيلي: ليس «المزمل» باسم من أسمائه يعرف به، وإنما هو مشتق من حالته التي كان التبس بها حالة الخطاب، والعرب إذا قصدت الملاطفة بالمخاطب بترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه ـ وقد نام ولصق جنبه بالتراب ـ قم أبا تراب إشعاراً بأنه ملاطف له، فقوله: ﴿**يا أيها المزمل**﴾ فيه تأنيس وملاطفة.

وأما ما روي عن عائشة أنها قالت: كان متزملاً مرطا طوله أربعة عشر ذراعاً، نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه، فكذب صراح، لأن نزول يا أيها المزمل بمكة في أول مبعثه، ودخوله بعائشة كان بالمدينة.

● وأما «المدثر» فأصله: المتدثر، فأدغمت التاء في الدال. روي

أنه ﷺ قال: كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي. فلم أر شيئاً، فنظرت فوقي فإذا هو على عرش بين السماء والأرض - يعني الملك الذي ناداه - فرعبت فرجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني، فنزل جبريل وقال: يا أيها المدثر[1]. وعن عكرمة: يا أيها المدثر بالنبوة وأثقالها قد تدثرت هذا الأمر فقم به.

وقيل: ناداه بالمزمل والمدثر في أول أمره، فلما شرع خاطبه الله تعالى بالنبوة والرسالة.

• وأما «طه» فروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام: لي في القرآن سبعة أسماء فذكر منها طه. وقيل: هو اسم الله، وقيل معناه: يا رجل، وقيل: يا إنسان. وقيل: يا طاهر يا هادي يعني النبي ﷺ، وهو مروي عن الواسطي[2]، وقيل معناه: يا مطمع الشفاعة للأمة، ويا هادي الخلق إلى الملة، وقيل: الطاء/ في الحساب بتسعة والهاء بخمسة وذلك أربعة عشر فكأنه قال: يا بدر، وهذه من محاسن التأويل، لكن المعتمد أنهما من أسماء الحروف.

١٠٠/أ

• وأما «يس» فحكى أبو محمد مكي أنه روى عنه ﷺ أنه قال: لي عند ربي عشرة أسماء ذكر منها «يس». وقد قيل معناه: يا إنسان بلغة طيء، وقيل بالحبشية، وقيل بالسريانية، وأصله كما قاله البيضاوي وابن الخطيب وغيرهما: يا أنيسين: فاقتصر على شطره لكثرة النداء به وقيل ياسين. لكن تعقب بأنه لا يعلم أن العرب قالوا في

---

(١) الحديث في الصحيحين عن جابر.

(٢) أبو بكر، محمد بن موسى الواسطي، الإمام العارف، من كبار أتباع الجنيد، له تكلم في أصول التصوف حسن، توفي بمرو بعد العشرين وثلاثمائة.

تصغيره أنيسين، وأن الذي نقل عنهم في تصغيره أنيسيان، بياء بعدها ألف، وبأن التصغير من التحقير الممتنع في حق النبوة لنصهم على أن التصغير لا يدخل في الأسماء المعظمة شرعاً. ويأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله تعالى في الفصل الرابع من النوع الخامس من أنواع المقصد السادس. وعن ابن الحنفية[1]: معناه يا محمد، وعن أبي العالية: يا رجل، وعن أبي بكر الوراق: يا سيد البشر، وعن جعفر الصادق: يا سيد مخاطبة له عليه الصلاة والسلام، وفيه من تعظيمه على تفسير أنه يا سيد[2] ما فيه.

● وأما «الفجر» فقال ابن عطاء[3] في قوله تعالى: ﴿**والفجر وليال عشر**﴾[4]، الفجر محمد ﷺ، لأن منه تفجر الإيمان.

وهو تأويل غريب لم يـر لغيره، والصواب أنه الفجر المفسر بالصبح في قوله تعالى: ﴿**والصبح إذا تنفس**﴾[5].

● وأما «القوي» فقال الله تعالى: ﴿**ذي قوة عند ذي العرش مكين**﴾[6] قيل محمد، وقيل جبريل عليهما الصلاة والسلام، وسيأتي في المقصد السادس ما في ذلك.

---

(١) محمد بن علي بن أبي طالب، الثقة العالم المدني، المتوفى بعد الثمانين، من رجال الستة، اشتهر بأمه.

(٢) في (أ) سيد بغير ياء النداء.

(٣) أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء، أبو العباس، الزاهد البغدادي، صحب الجنيد، مات سنة تسع وثلاثمائة.

(٤) سورة الفجر، الآية ١ ـ ٢.

(٥) سورة التكوير، الآية ١٨.

(٦) سورة التكوير، الآية ٢٠.

وأما ما قاله ابن عطاء في قوله تعالى: ﴿ق والقرآن المجيد﴾[1] أقسم بقوة قلب حبيبه محمد ﷺ حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله، فلا يخفى ما فيه.

• وأما «النجم» فعن جعفر بن محمد بن الحسين في تفسير قوله تعالى: ﴿والنجم﴾[2] أنه محمد ﷺ ﴿إذا هوى﴾ إذا نزل من السماء ليلة المعراج. وحكى السلمي في قوله تعالى: ﴿والسماء والطارق، وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب﴾[3] أن النجم هنا أيضاً محمد ﷺ.

والصحيح: أن المراد به النجم على ظاهره، وسمي به عليه السلام لأنه يهتدى به في طرق الهدى كما يهتدى بالنجم.

• وأما «الشمس» فسمي بها ﷺ لكثرة نفعه، وعلو رفعته، وظهور شريعته، وجلالة قدره وعظم منزلته، لأنه لا يحاط بكماله، حتى لا يسع الرائي له أن ينظر إليه ملء عينيه إجلالاً له، كما أن الشمس في الرتبة أرفع من غالب الكواكب لأنها في السماء السادسة، والانتفاع بها أكثر من غيرها، كما لا يخفى، ولا يدركها البصر لكبر جرمها، وأيضاً فلما كان سائر الكواكب تستمد من نورها ناسب تسميته عليه الصلاة والسلام بها، لأن نور الأنبياء مستمد من نوره[4].

• وأما «النبي» و«الرسول» فمن خصائصه عليه الصلاة والسلام أنه خاطبه تعالى بهما في القرآن دون سائر أنبيائه.

ثم إن النبوءة بالهمز مأخوذة من النبأ، وهو الخبر، وقد لا يهمز

(١) سورة ق، الآية ١.

(٢) سورة النجم، الآية ١.

(٣) سورة الطارق، الآيات ١ ـ ٣.

(٤) هذه الجملة لم تذكر في ش.

تسهيلاً. أي أن الله أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه، فيكون نبياً منبأ، أو يكون مخبراً عما بعثه الله به ومنبئاً بما أطلعه الله عليه. وبغير الهمزة يكون مشتقاً من النبْوة وهو ما ارتفع من الأرض، أي أن له رتبة شريفة ومكانة عند الله منيفة. قال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح البردة: وكان نافع[1] يقرأ: النبيء - بالهمز - في جميع القرآن. والاختيار تركه.

وهو لغة النبي ﷺ، وقد جاء في الحديث أن رجلاً قال: يا نبيء الله - يعني بالهمز - فقال له: لست نبيء الله، ولكني نبي الله/ ١٠٠/ب فأنكر الهمز لأنه لم يكن من لغته عليه الصلاة والسلام.

وقال الجوهري[2] والصاغاني[3]: إنما أنكر لأن الأعرابي أراد: يا من خرج من مكة إلى المدينة، يقال: نبأت من أرض إلى أرض إذا خرجت منها إلى أخرى.

وتكلم جماعة من القراء في هذا الحديث: وقد رواه الحاكم في المستدرك عن أبي الأسود عن أبي ذر، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وفيما قاله نظر، فإن فيه حسيناً الجعفي، كذا قاله بعضهم[4] وليس من شرطهما. ورواه أبو عبيد: حدثنا محمد[5] بن

---

(١) نافع بن عبد الرحمن، القارئ المدني، صدوق ثبت القراءة، توفي سنة تسع وستين ومائة.

(٢) الإمام المشهور أبو نصر إسماعيل بن حماد.

(٣) الحسن بن محمد، العلامة الشهير، ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة ومات سنة خمسين وستمائة.

(٤) تبرأ من هذا القول لأنه ثقة عابد أخرج له الستة كما في التقريب فلا يصح قوله: ليس من شرطهما.

(٥) في ش أبو محمد.

سعد عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين أن رجلاً... الحديث[1]، وهذا منقطع.انتهى.

والرسول: إنسان بعثه الله إلى الخلق بشريعة مجددة يدعو الناس إليها.

[الفرق بين النبي والرسول]

واختلف هل هما بمعنى أو بمعنيين؟

فقال بالأول قوم مستدلين بقوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي**﴾[2] فأثبت لهما معاً الإرسال. وعلى هذا فلا يكون النبي إلا رسولاً، ولا الرسول إلا نبياً.

وقال آخرون بالثاني، وأنهما يجتمعان في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوة أو الرفعة بمعرفة ذلك وحوز[3] درجتها، وافترقا في زيادة الإرسال. وحجتهم من الآية نفسها: التفريق بين الاسمين، إذ لو كانا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ، ويكون المعنى: وما أرسلنا من نبي إلى أمة، أو نبي ليس بمرسل إلى أحد.

وذهب آخرون: إلى أن الرسول: من جاء بشرع مبتدأ، ومن لم يأت به نبي غير رسول وإن أمر بالإبلاغ والإنذار.

والصحيح: أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً،

---

(١) قال الذهبي: إنه حديث منكر وفي سنده حمران بن أعين وليس بثقة.

(٢) سورة الحج، الآية ٥٢.

(٣) في ط: جواز وهو غلط.

نعم نوزع في هذا بأنه كلام يطلقه من لا تحقيق عنده، فإن جبريل عليه الصلاة والسلام رسول، وغيره من الملائكة المكرمين بالرسالة رسل لا أنبياء. فالانفصال عنه: بأن يقيد الفرق بين الرسول والنبي، بالرسول البشري.

ثم إن النبوة والرسالة ليستا ذاتاً للنبي ﷺ[1]، ولا وصف ذات[2] بل تخصيص الله إياه بذلك خلافاً للكرامية.

وقال القرافي، كما نقله عنه ابن مرزوق: يعتقد كثير أن النبوة مجرد الوحي، وهو باطل، لحصوله لمن ليس بنبي كمريم وليست نبية على الصحيح، مع أنه تعالى يقول[3]: **﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾** الآية[4] و**﴿إن الله يبشرك﴾**[5]. وفي مسلم: بعث الله تعالى ملكاً لرجل على مدرجته وكان خرج في زيارة أخ له في الله تعالى، وقال له: إن الله يعلمك أنه يحبك لحبك لأخيك في الله، وليس بنبوة، لأنها عند المحققين: إيحاء الله لبعض بحكم إنساني يختص به كقوله: **﴿اقرأ باسم ربك﴾**[6] فهذا تكليف يختص به في الوقت، فهذه نبوة لا رسالة، فلما نزل **﴿قم فأنذر﴾**[7] كانت رسالة لتعلق هذا التكليف بغيره أيضاً، فالنبي كلف بما يخص به، والرسول بذلك، وتبليغ غيره، فالرسول أخص مطلقاً، انتهى.

---

(١) أي لازماً لماهيته لا ينفك عنه.
(٢) أي وصفاً لازماً للذات لا ينفك عنها.
(٣) في ط: مع قوله تعالى.
(٤) سورة مريم، الآية ١٧.
(٥) آل عمران، الآية ٤٥.
(٦) سورة العلق، الآية ١.
(٧) سورة المدثر، الآية ٢.

وهل نبينا ﷺ رسول الآن؟

قال أبو الحسن الأشعري: هو ﷺ في حكم الرسالة، وحكم الشيء يقوم مقام أصل الشيء، ألا ترى أن العدة تدل على ما كان من أحكام النكاح، ويأتي لذلك مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

[تتمة شرح بعض الأسماء]

- وأما «المذكر» فقال تعالى: **﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾**[1].

- وأما «البشير» و«المبشر» و«النذير» و«المنذر» فقال تعالى: **﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾**[2] أي مبشراً لأهل طاعته بالثواب، وقيل بالمغفرة، ونذيراً لأهل معصيته بالعذاب، وقيل: محذراً من الضلالات.

- وأما «المبلغ» فقال تعالى: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾**[3].

- وأما «الحنيف» فقال تعالى: **﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾**[4] كذا قاله بعضهم[5].

- وأما «نبي التوبة» فلأن الأمم رجعت لهدايته عليه السلام بعدما تفرقت بها الطرق/ إلى الصراط المستقيم.

١٠١/أ

(١) سورة الغاشية، الآية ٢١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٥.
(٣) سورة المائدة، الآية ٦٧.
(٤) سورة الروم، الآية ٣٠.
(٥) سقطت هذه الجملة من ش.

● وأما «رسول الرحمة» و«نبي الرحمة» و«نبي المرحمة» فقال الله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾[2] فبعثه تعالى رحمة لأمته، ورحمة للعالمين وروى البيهقي مرفوعاً (إنما أنا رحمة مهداة)[3]، فرحم الله تعالى به الخلق مؤمنهم وكافرهم، وهذا الاسم من أخص أسمائه.

وقد كان حظ آدم من رحمته سجود الملائكة له تعظيماً له إذ كان في صلبه، ونوح: خروجه من السفينة سالماً، وإبراهيم: كانت النار عليه برداً وسلاماً إذ كان في صلبه، فرحمته عليه الصلاة والسلام في البدء والختام والدوام لما أبقى الله له من دعوة الشفاعة، ولما كانت نبوته رحمة دائمة مكرّرة مضاعفة اشتق له من الرحمة اسم الرحمة.

● وأما «نبي الملحمة والملاحم» وهي الحروب، فإشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف، ولم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد ﷺ وأمته، والملاحم التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله، فإن أمته يقاتلون الكفار في الأقطار على تعاقب الأعصار حتى يقاتلون[4] الأعور الدجال.

● وأما «صاحب القضيب» فهو السيف، كما وقع مفسراً به في الإنجيل قال: معه قضيب من حديد يقاتل به، وأمته كذلك. وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

(٣) قال الحاكم، على شرطهما وأقره الذهبي.

(٤) كذا في النسخ، قال الشارح: وفي نسخة بحذف النون. وما وجه به (حتى يقول الرسول) بالرفع والنصب يأتي هنا.

● وأما «صاحب الهراوة» فهي في اللغة: العصا، وقد كان ﷺ يمسك في يده القضيب كثيراً، وكان يمشى بين يديه بالعصا، وتغرز له في الأرض فيصلي إليها، قال القاضي [عياض][1]: وأراها العصا المذكورة في حديث الحوض: أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن[2]. أي لأجلهم ليتقدموا، فلما كان ﷺ راعياً للخلق سائقاً لجميعهم إلى مواردهم كان صاحب الهراوة يرعى بها أهل الطواعية، وصاحب السيف يقد به من لا تزيده الحياة إلا شراً.

● وأما «الضحاك» ـ بالمعجمة ـ فهو الذي يسيل دماء العدو في الحروب لشجاعته.

● وأما «صاحب التاج» فالمراد به العمامة، ولم تكن حينئذٍ إلا للعرب، والعمائم تيجانها.

● وأما «صاحب المغفر» فهو ـ بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء ـ زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، كان ﷺ يلبسه في حروبه.

● وأما «قدم صدق» فقال قتادة والحسن وزيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿**وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم**﴾[3] هو محمد ﷺ يشفع لهم، وعن أبي سعيد الخدري: هي شفاعة نبيهم محمد ﷺ هو شفيع صدق عند ربهم، وعن سهل بن عبدالله: هي سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) في ط وهامش ب.

(٢) رواه مسلم في الفضائل برقم ٢٣٠١ ونصه (إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفضَّ عليهم) [المحقق].

(٣) سورة يونس، الآية ٢.

● وأما «نعمة الله» فقال سهل في قوله تعالى: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾[1] قال: نعمته بمحمد ﷺ، وقال: ﴿**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**﴾[2] يعني يعرفون أن محمداً نبي ثم يكذبونه، وهذا مروي عن مجاهد والسدي وقال به الزجاج[3].

● وأما «الصراط المستقيم» فقال أبو العالية والحسن البصري في تفسير سورة الفاتحة: هو رسول الله وخيار أهل بيته وأصحابه. حكى الماوردي ذلك في تفسير ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾[4] عن عبد الرحمن بن زيد.

● وأما «العروة الوثقى» فحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿**فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾[5] الآية أنه محمد صلى الله عليه وسلم.

● وأما «ركن المتواضعين» فلأنه عمادهم، وقد ظهر عليه ﷺ من التواضع ما لم يظهر على غيره، فكان يرقع / القميص، ويخصف النعل، ويقم البيت[6].

١٠١/ب

ووقع فيما ترجموه من كتاب شعياء[7] مما يدل صريحاً في البشارة

---

(١) سورة النحل، الآية ١٨.
(٢) سورة النحل، الآية ٨٣.
(٣) أبو إسحاق، إبراهيم بن السري الزجاج، الإمام الشهير المتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.
(٤) سورة الفاتحة، الآية ٦.
(٥) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.
(٦) أي يكنس البيت ويجمع قمامته.
(٧) في (ش، د) سعيا.

برسول الله ﷺ: ولا يميل إلى الهوى، ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة[1]، بل يقوي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفأ.

● وأما «قثم» و«قثوم» - بالقاف والمثلثة - ففسره القاضي عياض بالجامع للخير، وقال ابن الجوزي مشتق من القثم، وهو الإعطاء، يقال: قثم له من العطاء، يقثم، إذا أعطاه، وقد كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق ندى وأسخاهم يداً.

● وأما «البارقليط» و«الفارقليط» - بالموحدة. وبالفاء بدلها، وفتح الراء والقاف. وبسكون الراء مع فتح القاف. وفتح الراء مع سكون القاف. وبكسر الراء وسكون القاف. غير منصرف للعجمة والعلمية - فوقع في إنجيل يوحنا، ومعناه: روح الحق. وقال ثعلب[2]: الذي يفرق بين الحق والباطل، وفي نهاية ابن الأثير، في صفته عليه السلام، أن اسمه في الكتب السالفة «فارق ليطا»[3] أي يفرق بين الحق والباطل، قال: ومنه الحديث: محمد فرق بين الناس، أي يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه.

● وأما «حمطايا» - فبفتح الحاء المهملة وسكون الميم - قال الهروي: أي حامي الحرم، وقال ابن الأثير في حديث كعب أنه قال في أسماء النبي ﷺ في الكتب السالفة: محمد وأحمد وحمياطا - يعني بالحاء المهملة ثم ميم ساكنة فمثناة تحتية فألف فطاء مهملة فألف -. قال أبو

---

(١) في ش جاءت جملة (الذين هم كالقصبة الضعيفة) بعد كلمة (الصديقين).

(٢) أحمد بن يحيى البغدادي، الإمام المشهور.

(٣) كذا في الأصل ليشير إلى الوجهين، وفي (ب، د) فارق ليطا، وفي (ط، ش) بارقليطا.

عمرو: سألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال: معناه يحمي الحرم من الحرام، ويوطئ الحلال.

● وأما «أحيد» ـ وهو بهمزة مضمومة ثم حاء مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم دال مهملة. كذا وجدته في بعض نسخ الشفاء المعتمدة. والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وبفتح المثناة التحتية، وفي نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون المثناة ـ فقال النووي في كتابه تهذيب الأسماء واللغات: عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: (اسمي في القرآن محمد، وفي الإنجيل أحمد، وفي التوراة أحيد، وإنما سميت أحيد لأني أحيد عن أمتي نار جهنم)[1].

● وأما «المنحمنا» وهو بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة وكسر الميم وتشديد النون الثانية المفتوحة، مقصور، وضبطه بعهضهم بفتح الميمين، فمعناه بالسريانية محمد.

● وأما «المشفح» ـ وهو بضم الميم وبالشين المعجمة وبالفاء المشددة المفتوحتين ثم حاء مهملة، وروي بالقاف بدل الفاء ـ ففي كتاب شعيا[2] في البشارة به عليه السلام: يفتح العيون العور، والآذان الصم ويحيي القلوب، وما أعطيه لا أعطيه أحداً، مشفح يحمد الله حمداً جديداً، وهو بلغتهم السريانية[3] الحمد.

● وأما «مقيم السنة» ففي كتاب الشفاء: قال داود عليه الصلاة والسلام: اللهم ابعث لنا محمداً يقيم السنة بعد الفترة.

---

(١) أخرجه ابن عدي وابن عساكر.

(٢) في ط: الشفاء، وهو غلط.

(٣) كذا في الأصل، وفي (ب، ط، د)، وهو بلغتهم الحمد، وفي ش: وهو بالسريانية الحمد.

● وأما «المبارك» فمبدأ الكون ونماؤه كائن من بركته المستمدة من بركة الله، ومن كمال بركته نبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام القليل ببركته حتى أشبع الجيش الكثير، وغير ذلك مما لمسه أو باشره، كما سيأتي ذلك إن شاء الله تعالى في مقصد معجزاته.

● وأما «المكين» فهو ﷺ المكين بعلو مكانته عند ربه تعالى، ومن ذلك أن قرن سبحانه ذكره بذكره [واسمه باسمه][1] فما أذن/ 1/102 باسم أحد سواه، ولا قرن اسم أحد مع اسمه إلا إياه، فأعلن له في السابقة على ساق العرش[2] وأذن به في اللاحقة على منار الإيمان[3].

● وأما «الأمي» فهو من أخص أسمائه، وقال تعالى: ﴿**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا**﴾[4]، فهو تعالى يقرئه ما كتبه بيده، وما خطته أقلامه العلمية في ألواح قدسه الأقدسية[5]، فيغنيه بذلك عن أن يقرأ ما تكت الخلق.

● وأما «المكي» فقد كان بداية ظهوره عليه الصلاة والسلام في الأرض في مكة، التي هي حرم الله، وهي مدد البركة ومنشأ الهدى، فهو ﷺ مكي الإقامة ومبدأ النبوة، ومكي الإعادة، وكان من آية ذلك توجهه لها حيث ما توجه، فهو ﷺ المكي الذي لم يبرح وجوداً وقصداً، والمرء حيث قصده لا حيث جسمه، حتى كان من شرعه أن يوجه الميت للكعبة، ومن أومأ لشيء فهو لما أومأ إليه، ولذلك صحت الصلاة إيماء.

---

(١) في ط.
(٢) حيث كتب اسمه على ساق العرش.
(٣) حيث يذكر اسمه في كل أذان.
(٤) سورة الشورى، الآية ٥٢.
(٥) (الأقدسية) ليست في الأصل.

● وأما «المدني» فلأن المدينة دار هجرته وإقامته لا رحلة له عنها، وخصت تربتها بأن ضمت أعضاءه المقدسة.

● وأما «عبد الكريم» فذكر الحسين بن محمد الدامغاني في كتابه «شوق العروس وأنس النفوس» نقلاً عن كعب الأحبار أنه قال: اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد الحميد، وعند سائر الملائكة عبد المجيد، وعند الأنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القهار، وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال عبد الخالق، وفي البر عبد القادر وفي البحر عبد المهيمن، وعند الحيتان عبد القدوس، وعند الهوام عبد الغياث، وعند الوحوش عبد الرزاق، وعند السباع عبد السلام، وعند البهائم عبد المؤمن، وعند الطيور عبد الغفار، وفي التوراة موذ موذ، وفي الإنجيل طاب طاب، وفي الصحف عاقب، وفي الزبور فاروق، وعند الله طَه ويَس، وعند المؤمنين محمد ﷺ ، وكنيته أبو القاسم لأنه يقسم الجنة بين أهلها.

● وأما «عبدالله» فسماه الله تعالى به في أشرف مقاماته فقال: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فائتوا بسورة من مثله﴾[1] وقال: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾[2]، وقال: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾[3] فذكره بالعبودية في مقام إنزال الكتاب عليه والتحدي بأن يأتوا بمثله. وقال تعالى: ﴿وأنه لما قام عبدالله يدعوه﴾[4] فذكره في مقام الدعوة

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٢) سورة الفرقان، الآية ١.

(٣) سورة الكهف، الآية ١.

(٤) سورة الجن، الآية ١٩.

إليه، وقال تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً**﴾[1]، وقال: ﴿**فأوحى إلى عبده**﴾[2]، ولو كان له اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالات العلية.

ولما رفعه الله تعالى إلى حضرته السنية، ورقاه إلى أعلى المعالي العلوية، ألزمه ـ تشريفاً له ـ اسم العبودية، وقد كان ﷺ يجلس للأكل جلوس العبد، وكان يتخلى عن وجوه الترفعات كلها في ملبسه ومأكله ومبيته ومسكنه إظهاراً لظاهر العبودية فيما يناله العيان، صدقاً عما في باطنه من تحقق العبودية لربه تحقيقاً لمعنى ﴿**والذي جاء بالصدق وصدق به**﴾[3].

ولما خير بين أن يكون نبياً ملكاً، أو نبياً عبداً، اختار أن يكون نبياً عبداً، فاختار ما هو الأتم، وكان ﷺ يقول كما في الصحيح: (**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى، ولكن قولوا/ عبدالله ورسوله**)، فاستثبت[4] ما هو ثابت له، وأسلم لله ما هو له لا لسواه، وليس للعبد إلا اسم العبد، ولذا كان «عبدالله» أحب الأسماء إلى الله تعالى.

١٠٢/ب

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١.

(٢) سورة النجم، الآية ١٠.

(٣) سورة الزمر، الآية ٣٣.

(٤) في ش فأثبت.

الفصل الثاني

في ذكر أولاده الكرام
عليه وعليهم الصلاة والسلام

[الأولاد المتفق عليهم]

اعلم أن جملة ما اتفق عليه منهم ستة: القاسم وإبراهيم، وأربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وكلهن أدركن الإسلام وهاجرن معه.

[الخلاف في غيرهم]

واختلف فيما سوى هؤلاء:

فعند ابن إسحاق: الطاهر والطيب أيضاً فتكون على هذا ثمانية، أربعة ذكور وأربع إناث.

وقال الزبير بن بكار[1]: كان له ﷺ سوى إبراهيم والقاسم عبدالله، مات صغيراً بمكة، ويقال له: الطيب والطاهر، ثلاثة أسماء.

---

(١) الزبير بن بكار بن عبدالله الأسدي المدني، ثقة حافظ، علامة بالنسب، مات سنة ست وخمسين ومائتين.

وهو قول أكثر أهل النسب، قاله أبو عمر، وقال الدارقطني: هو الأثبت.

وسمي عبدالله بالطيب والطاهر لأنه ولد بعد النبوة. فعلى هذا تكون جملتهم سبعة، ثلاثة ذكور.

وقيل: عبدالله غير الطيب والطاهر، حكاه الدارقطني وغيره. فتكون جملتهم على هذا تسعة، خمسة ذكور.

وقيل: كان له الطيب والمطيب، ولدا في بطن، والطاهر والمطهر، ولدا في بطن، ذكره صاحب الصفوة[1]، فيكونون على هذا أحد عشر.

وقيل: ولد له ولد قبل المبعث يقال له عبد مناف، فيكونون على هذا اثني عشر، وكلهم سوى هذا ولد في الإسلام بعد المبعث. وقال ابن إسحاق: كلهم غير إبراهيم قبل الإسلام. ومات البنون قبل الإسلام وهم يرتضعون، وقد تقدم من قول غيره أن عبدالله ولد بعد النبوة ولذلك سمي بالطيب والطاهر.

فتحصل من جميع الأقوال ثمانية ذكور: اثنان متفق عليهما: القاسم وإبراهيم، وستة مختلف فيهم: عبد مناف، وعبدالله، والطيب، والمطيب، والطاهر، والمطهر.

والأصح أنهم ثلاثة ذكور والأربع بنات متفق عليهن وكلهم من خديجة بنت خويلد إلا إبراهيم.

---

(١) هو ابن الجوزي.

[القاسم]

فأما القاسم فهو أول ولد ولد له عليه الصلاة والسلام قبل النبوة، وبه كان يكنى.

وعاش حتى مشى، وقيل عاش سنتين، وقال مجاهد مكث سبع ليال، وخطأه الغلابي[1] في ذلك وقال: الصواب أنه عاش سبعة عشر شهراً. وقال ابن فارس: بلغ ركوب الدابة ومات قبل المبعث. وفي مستدرك[2] الفرياني[3] ما يدل على أنه توفي في الإسلام.

وهو أول من مات من ولده عليه الصلاة والسلام.

[زينب]

وأما زينب فهي أكبر بناته بلا خلاف إلا ما لا يصح، وإنما الخلاف فيها وفي القاسم أيهما ولد أولاً.

وعند ابن إسحاق أنها ولدت في سنة ثلاثين من مولد النبي ﷺ، وأدركت الإسلام، وهاجرت، وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ـ وابن خالتها ـ أبي العاص لقيط وقيل مهشم[4] بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس.

وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه، وردها النبي ﷺ إليه

---

(١) المفضل بن غسان الغلابي، نسبة إلى جده، شيخ ابن أبي الدنيا.

(٢) في ش: مسند.

(٣) جعفر بن محمد الفرياني، أبو بكر، العلامة الحافظ قاضي الدينور صاحب التصانيف، الثقة المأمون، قال الخطيب: كان من أوعية العلم وأهل المعرفة، ولد سنة سبع ومائتين ومات سنة إحدى وثلاثمائة.

(٤) في ش: مقسم، قال: وفي قول مهشم: وهو قول في اسمه.

بالنكاح الأول بعد سنتين، وقيل بعد ست سنين وقيل قبل[1] انقضاء العدة، فيما ذكره ابن عقبة. وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع.

وولدت له علياً، مات صغيراً وقد ناهز الحلم، وكان رديف النبي ﷺ على ناقته يوم الفتح، وولدت له أيضاً أمامة التي حملها ﷺ في صلاة الصبح على عاتقه، وكان إذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه من السجود أعادها[2]، وتزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة.

[رقية]

وأما رقية فولدت سنة ثلاث وثلاثين من مولده ﷺ. وذكر الزبير بن بكار وغيره أنها أكبر بناته ﷺ وصححه الجرجاني النسابة. والأصح الذي عليه الأكثرون/ كما تقدم، أن زينب أكبرهن. /١٠٣

وكانت رقية تحت عتبة بن أبي لهب، وأختها أم كلثوم تحت أخيه عتيبة، فلما نزلت ﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾[3] قال لهما أبوهما ـ أبو لهب ـ رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد، ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما.

فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة، وهاجر بها الهجرتين إلى أرض الحبشة، وكانت ذات جمال رائع. وذكر الدولابي أن تزويجه بها كان في الجاهلية، وذكر غيره ما يدل على أنه كان بعد إسلامه.

---

(١) في ش، بعد، وعليه فهو حاصل القولين قبله.
(٢) أخرجه الشيخان.
(٣) سورة المسد، الآية ١.

وتوفيت والنبي ﷺ ببدر. وعن ابن عباس: لما عزي ﷺ برقية قال: الحمد لله، دفن البنات من المكرمات[1] أخرجه الدولابي[2].

[أم كلثوم]

وأما أم كلثوم فلا يعرف لها اسم، إنما تعرف بكنيتها، وكانت تحت عتيبة بن أبي لهب ـ كما قدمته ـ ففارقها قبل الدخول.

ويروى أن عتيبة لما فارق أم كلثوم جاء إلى النبي ﷺ فقال: كفرت بدينك، وفارقت ابنتك، لا تحبني ولا أحبك. ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجراً. فقال ﷺ : أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه، وفي رواية: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك[3]، وأبو طالب حاضر فوجم لها وقال: ما كان أغناك عن دعوة ابن أخي، فخرج في تجر[4] من قريش حتى نزلوا مكاناً من الشام يقال له الزرقاء ليلاً، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول: يا ويل أمي، هو والله آكلي، كما دعا علي محمد، أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام، فعدا عليه الأسد من بين القوم فأخذ برأسه ففدغه. وفي رواية: فجاء الأسد فجعل يتشمم وجوههم، ثم ثنى ذنبه فوثب فضربه ضربة واحدة فخدشه، فقال: قتلني ومات. وفي رواية:

---

(١) لو صح هذا الحديث فإنه ورد مورد التسلية عن المصيبة وحاشاه أن يقوله كراهة للبنات كما يظنه الجهلة. كذا قال بعض العلماء.

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وابن عدي والقضاعي كلهم بسند ضعيف. قال في «اسنى المطالب» حكم ابن الجوزي بوضعه. وقال الدكتور الصباغ في تحقيق مختصر المقاصد الحسنة: الحديث موضوع [م].

(٣) قال الحاكم: صحيح الإسناد من حديث أبي نوفل.

(٤) من جموع: تاجر.

أن الأسد أقبل يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه، ذكره الدولابي.

ولما توفيت رقية خطب عثمان ابنة عمر حفصة فرده[1]، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: يا عمر، أدلك على خير لك من عثمان، وأدل عثمان على خير له منك؟ قال: نعم يا نبي الله، قال: تزوجني ابنتك، وأزوج عثمان ابنتي، خرجه الخجندي.

وكان تزويج عثمان بأم كلثوم سنة ثلاث من الهجرة. وروي أنه ﷺ قال له: والذي نفسي بيده لو أن عندي مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة، زوجتك أخرى [بعد أخرى][2]، هذا جبريل أخبرني أن الله يأمرني أن أزوجكها. رواه الفضائلي.

وماتت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة، وصلى عليها ﷺ ونزل في حفرتها علي والفضل وأسامة ابن زيد. وفي البخاري (جلس ﷺ على القبر وعيناه تذرفان وقال: هل فيكم أحد لم يقارف الليلة فقال أبو طلحة: أنا، فقال: انزل قبرها فنزل).

وقد روي نحو ذلك في رقية، وهو وهم، فإنه ﷺ لم يكن حال دفنها حاضراً، بل كان في غزوة بدر كما قدمته.

وغسلتها أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب، وشهدت أم عطية غسلها، وروت قوله ﷺ: اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً، أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك، بماء وسدر، واجعلن في

---

(١) هذا معارض لما ورد في الحديث المتفق عليه من أن عمر عرض على عثمان أن يزوجه حفصة.. وهو عند البخاري برقم ٥١٢٩ و٥١٤٥ [المحقق].

(٢) في (ط، د).

الآخرة كافوراً، فإذا فرغتن فآذنني، فلما فرغنا آذناه فألقى إلينا حقوه وقال: أشعرنها إياه، قالت ومشطناها ثلاثة قرون وألقيناها خلفها[1].

و«الحقو»: الإزار، و«أشعرنها» أي اجعلنه شعارها الذي يلي جسدها، وذلك هو الشعار/ وما فوقه الدثار. ١٠٣/ب

[فاطمة الزهراء]

وأما فاطمة الزهراء البتول فولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، قاله أبو عمر، وهو مغاير لما رواه ابن إسحاق: أن أولاده ﷺ كلهم ولدوا قبل النبوة إلا إبراهيم، وقال ابن الجوزي: ولدت قبل النبوة بخمس سنين، أيام بناء البيت.

وروي مرفوعاً: إنما سميت فاطمة، لأن الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة، أخرجه الحافظ الدمشقي[2]. وروى الغساني [والخطيب][3] مرفوعاً: لأن الله فطمها ومحبيها عن النار.

وسميت بتولاً لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً، وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله، قاله ابن الأثير.

وتزوجت بعلي بن أبي طالب في السنة الثانية، وقيل بعد أحد، وقيل بعد بنائه عليه السلام بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجها بسبعة أشهر ونصف، وقيل في صفر في السنة الثانية، وبنى بها في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً.

---

(١) متفق عليه.

(٢) هو ابن عساكر.

(٣) في ش، قال الشارح: وقال الخطيب: فيه مجاهيل.

وكان تزويجها بأمر الله ووحيه[1]. وتزوجت ولها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف[2] ولعلي إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر، وقيل غير ذلك. وتقدم مزيد لذلك في المغازي والسير من المقصد الأول.

قال أبو عمر: وفاطمة وأم كلثوم أفضل بنات النبي ﷺ، وكانت فاطمة أحب أهله إليه ﷺ، وكان يقبلها في فيها ويمصها لسانه، وإذا أراد سفراً يكون آخر عهده بها، وإذا قدم أول ما يدخل عليها.

وقال ﷺ: (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني) رواه البخاري[3]. وقال لها: (أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين) رواه مسلم[4]، وفي رواية أحمد (أفضل نساء أهل الجنة).

وتوفيت بعده ﷺ بستة أشهر، ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة، وهي ابنة تسع وعشرين سنة، قاله المديني. وقيل توفيت بعده بثمانية أشهر وقيل غير ذلك، والأول أصح كذا قالوه فيما رأيته، وهو غير منتظم مع السابق فليتأمل.

وروي أنها قالت لأسماء بنت عميس: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة، فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة ما أحسن هذا،

---

(١) في الحديث (إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي) رواه الطبراني برجال ثقات.

(٢) هذا بناء على القول بأن ولادتها كانت في السنة الأولى من النبوة.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٧٦٧).

(٤) رواه البخاري برقم (٦٢٨٥، ٦٢٨٦) ومسلم (٢٤٥٠).

تعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا مت فاغلسيني أنت وعلي، ولا يدخل علي أحد، الحديث خرجه أبو عمر.

وفي حديث أم رافع سلمى[1] أنها لما اشتكت اغتسلت ولبست ثياباً جدداً واضطجعت في وسط البيت، ووضعت يدها اليمنى تحت خدها، ثم استقبلت القبلة وقالت: إني مقبوضة الآن فلا يكشفني أحد ولا يغسلني، ثم قبضت مكانها، ودخل علي فأخبر بالذي قالت، فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك، ولم يكشفها ولا غسلها أحد. رواه أحمد في المناقب والدولابي وهذا لفظه مختصراً، وهو مضاد لخبر أسماء المتقدم.

قال أبو عمر: فاطمة أول من غطي نعشها من النساء على الصفة المذكورة في خبر أسماء المتقدم، ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك أيضاً.

وولدت لعلي: حسناً وحسيناً ومحسناً، فمات محسن صغيراً، وأم كلثوم وزينب.

[ذرية فاطمة الزهراء]

ولم يكن لرسول الله ﷺ عقب إلا من ابنته فاطمة رضي الله عنها فانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين الحسن والحسين فقط. ويقال للمنسوب لأولهما: حسني، ولثانيهما: حسيني.

وقد يضم للحسيني من يكون من ذرية إسحاق بن جعفر

(١) في (ا، ب): أم سلمى، وهو غلط فالذي في مسند أحمد وغيره: أم رافع واسمها سلمى وهي مشهورة باسمها وكنيتها.

الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي/ بن ١/١٠٤ أبي طالب الإسحاقي، فيقال: الحسيني الاسحاقي.

وإسحاق هذا، هو زوج السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي، وله منها: القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا.

وتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت فاطمة، فولدت له: زيداً ورقية، ولم يعقبا. ثم تزوجت أم كلثوم بعد موت عمر بعون بن جعفر، ثم تزوجت بعد وفاته بأخيه محمد بن جعفر ثم مات عنها فتزوجت بأخيهما عبدالله بن جعفر ثم ماتت عنده ولم تلد لواحد من الثلاثة سوى للثاني ابنة صغيرة فليس لها عقب.

ثم تزوج عبدالله بن جعفر أختها زينب بنت فاطمة، فولدت له عدة من الأولاد، منهم: علي وأم كلثوم.

وتزوج أم كلثوم ـ هذه ـ ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر ابن أبي طالب فولدت له عدة من الأولاد منهم: فاطمة زوج حمزة بن عبدالله بن الزبير بن العوام، وله منها عقب.

وبالجملة: فعقب عبدالله بن جعفر انتشر من علي وأخته أم كلثوم ابني زينب بنت الزهراء. ويقال لكل من ينتسب لهؤلاء جعفري، ولا ريب أن لهؤلاء شرفاً.

وأما الجعافرة المنسوبون لعبدالله بن جعفر فلهم أيضاً شرف، لكنه يتفاوت، فمن كان من ولده من زينب بنت الزهراء فهم أشرف من غيرهم[1]، مع كونهم لا يوازون شرف المنسوبين للحسن والحسين لمزيد شرفهما، وكذا يوصف العباسيون بالشرف لشرف بني هاشم.

---

(١) في ط وردت هذه الجملة وما بعدها بصيغة الإفراد: فهو أشرف من غيره..

قال الحافظ ابن حجر في الألقاب: وقد لقب به ـ يعني بالشريف ـ كل عباسي ببغداد وعلوي بمصر. وفي شيوخ ابن الرفعة شخص يقال له الشريف العباسي.

[عبدالله]

وأما عبدالله ابن النبي ﷺ فقيل مات صغيراً بمكة، فقال العاصي بن وائل: قد انقطع ولده فهو أبتر، فأنزل الله تعالى: ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾[(١)].

واختلف: هل ولد قبل النبوة أو بعدها؟ وهل هو الطيب والطاهر؟ والصحيح: أنهما لقبان له، كما تقدم.

[إبراهيم]

وأما إبراهيم فمن مارية القبطية، وسيأتي ذكرها في سراريه عليه السلام إن شاء الله تعالى في الفصل التالي لهذا في أمهات المؤمنين.

وولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، وقيل ولد بالعالية، ذكره الزبير بن بكار، وكانت سلمى زوج أبي رافع مولاة رسول الله ﷺ قابلته، فبشر أبو رافع به النبي ﷺ فوهب له عبداً، وعق عنه يوم سابعه بكبشين، وحلق رأسه أبو هند، وسماه النبي ﷺ يومئذٍ، وتصدق بزنة شعره ورقا على المساكين، ودفنوا شعره في الأرض.

وفي البخاري: من حديث أنس بن مالك، أنه ﷺ قال: ولد لي الليلة غلام سميته باسم أبي إبراهيم، ثم دفعه إلى أم سيف، امرأة

---

(١) سورة الكوثر، الآية ٣.

قين بالمدينة يقال له أبو سيف، الحديث، وفيه: أنه بقي عندها إلى أن مات، والقين: الحداد.

ويجمع بينهما: بأن التسمية كانت قبل السابع، كما في حديث أنس هذا ثم ظهرت فيه، وأما حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - عند الترمذي مرفوعاً - أنه أمر بتسمية المولود يوم سابعه، فيحمل على أنها لا تؤخر عن السابع، لا أنها لا تكون إلا فيه، بل هي مشروعة من الولادة إلى السابع.

قال الزبير بن بكار: وتنافست الأنصار فيمن ترضع إبراهيم عليه السلام، فإنهم أحبوا أن يفرغوا مارية له عليه السلام، فأعطاه لأم بردة بنت المنذر بن زيد الأنصاري، زوجة البراء بن أوس، فكانت ترضعه بلبن ابنها في بني مازن بن النجار وترجع به إلى أمه. وأعطى ﷺ/ أم بردة قطعة نخل. ١٠٤/ب

وقد تقدم أنه أعطاه أم سيف وبقي عندها إلى أن مات، فيحتمل أن يكون أعطاه أولاً أم بردة ثم أعطاه أم سيف وبقي عندها إلى أن توفي، لكن قد روي أنه توفي عند أم بردة، فيرجع في الترجيح إلى الصحيح[١].

وعن أنس بن مالك قال: ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت وكان ظئره قيناً، فيأخذه فيقبله ثم يرجع. الحديث رواه أبو حاتم[٢].

---

(١) في (ا، ب) التصحيح.

(٢) وكذا رواه مسلم في صحيحه.

وفي حديث جابر: أخذ ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف، فأتى به النخل فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه، فأخذه ﷺ فوضعه في حجره ثم ذرفت عيناه، ثم قال: إنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب. خرجه بهذا السياق أبو عمرو ابن السماك، ومعناه في الصحيح.

وتوفي وله سبعون يوماً ـ فيما ذكره أبو داود ـ في ربيع الأول يوم الثلاثاء لعشر خلون منه، وقيل: بلغ ستة عشر شهراً وثمانية أيام، وقيل: سنة وعشرة أشهر وستة أيام.

وحمل على سرير صغير، وصلى عليه النبي ﷺ بالبقيع وقال: ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون. وروي أن عائشة قالت: دفنه ﷺ ولم يصل عليه[1]، فيحتمل أن يكون لم يصل عليه بنفسه وأمر أصحابه أن يصلوا عليه، أو لم يصل عليه في جماعة.

وروي أن الذي غسله أبو بردة، وروي الفضل بن العباس، ولعلهما اجتمعا عليه.

ونزل قبره الفضل وأسامة، والنبي ﷺ على شفير القبر، ورش قبره وعلم بعلامة. قال الزبير: وهو أول قبر رش.

وانكسفت الشمس يوم موته فقال الناس: إنما كسفت لموت إبراهيم، فقال ﷺ: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد) رواه الشيخان. قيل: الغالب أن الكسوف يكون يوم الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين، فكسفت يوم موت إبراهيم في العاشر، فلذلك قالوا: كسفت لموته.

---

(١) رواه أحمد والبزار وأبو يعلى.

وقال ﷺ : إن له مرضعاً في الجنة، رواه ابن ماجه[1].

وقد روي من حديث أنس بن مالك أنه قال: لو بقي - يعني إبراهيم بن النبي ﷺ - لكان نبياً، ولكن لم يبق لأن نبيكم آخر الأنبياء. أخرجه أبو عمر.

قال الطبري: وهذا إنما يقوله أنس عن توقيف يخص إبراهيم، وإلا فلا يلزم أن يكون ابن النبي نبياً، بدليل ابن نوح عليه السلام.

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: وأما ما روي عن بعض المتقدمين: لو عاش إبراهيم لكان نبياً فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات، ومجازفة وهجوم على عظيم. انتهى.

قال شيخنا في كتابه «المقاصد الحسنة»: ونحوه قول ابن عبد البر في تمهيده: لا أدري ما هذا، فقد ولد نوح غير نبي، ولو لم يلد النبي إلا نبياً لكان كل أحد نبياً، لأنهم من ولد نوح. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: ولا يلزم من الحديث المذكور ما ذكره الطبري لما لا يخفى، وكأنه سلف النووي، وقال أيضاً عقب كلام النووي: إنه عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة، قال: وكأنه لم يظهر له وجه تأويله، فقال في إنكاره ما قال.

وجوابه: أن القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع، ولا يظن بالصحابي الهجوم على مثل هذا بالظن.

قال شيخنا: والطرق الثلاثة:

أحدها: ما أخرجه ابن ماجه وغيره من حديث ابن عباس: لما

(١) هذه الفقرة من حديث ابن ماجه هي عند البخاري برقم ٦١٩٥.

مات إبراهيم بن النبي ﷺ، صلى عليه وقال: «إن له مرضعاً في الجنة، لو عاش لكان صديقاً نبياً، ولو عاش/ لأعتقت أخواله من القبط، وما استرق قبطي». وفي سنده أبو شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطي، وهو ضعيف، ومن طريقه أخرجه ابن منده في المعرفة وقال: إنه غريب.

١٠٥/أ

ثانيها: ما رواه إسماعيل[1] السدي عن أنس قال: كان إبراهيم قد ملأ المهد، ولو بقي لكان نبياً، الحديث.

ثالثها: ما عند البخاري من طريق محمد بن بشر عن إسماعيل ابن أبي خالد قال: قلت لعبدالله بن أبي أوفى: «رأيت إبراهيم بن النبي ﷺ؟ قال: مات صغيراً، ولو قضى بعد محمد نبي عاش ابنه إبراهيم، ولكن لا نبي بعده»[2].

وأخرجه[3] أحمد عن وكيع عن إسماعيل سمعت ابن أبي أوفى يقول: لو كان بعد النبي ﷺ نبي ما مات ابنه. انتهى.

---

(١) في ش، وفي النسخ إبراهيم.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦١٩٤.

(٣) سقطت الواو من قوله «وأخرجه» وهي مذكورة في نسخة الشرح.

الفصل الثالث

في ذكر أزواجه الطاهرات
وسراريه المطهرات

[أمهات المؤمنين]

قال الله تعالى: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم**﴾[1] أي أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين، سواء من مات عنها أو ماتت عنه وهي تحته. وذلك في تحريم نكاحهن، ووجوب احترامهن، لا في نظر وخلوة.

ولا يقال بناتهن أخوات المؤمنين، ولا آباؤهن وأمهاتهن أجداد وجدات، ولا إخوتهن ولا أخواتهن أخوال وخالات.

قال البغوي[2]: كن أمهات المؤمنين دون النساء، روي ذلك عن عائشة رضي الله عنها [ولفظها ـ كما في البيضاوي ـ: لسنا أمهات

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٦.

(٢) محمد بن الحسين بن مسعود، الحافظ الفقيه الإمام، صاحب التصانيف، كان من العلماء الربانيين، ذا عبادة ونسك وقناعة باليسير، مات سنة ست عشرة وخمسمائة عن ثمانين سنة.

النساء][1] وهو جار على الصحيح عند أصحابنا وغيرهم من أهل الأصول: أن النساء لا يدخلن في خطاب الرجال.

قال: وكان ﷺ أبا للرجال والنساء. ويجوز أن يقال أبو المؤمنين في الحرمة.

وفضلت زوجاته ﷺ على النساء، وثوابهن وعقابهن مضاعفان، ولا يحل سؤالهن إلا من وراء حجاب. وأفضلهن خديجة وعائشة رضي الله عنهما، وفي أفضلهما خلاف يأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى قريباً.

[عددهن وترتيبهن]

واختلف في عدة أزواجه ﷺ وترتيبهن، وعدة من مات منهن قبله، ومن مات عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل بها، ومن خطبها ولم ينكحها، ومن عرضت نفسها عليه.

والمتفق عليه: أنهن إحدى عشرة امرأة، ست من قريش:

- خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.
- وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.
- وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح[2] ابن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي.

---

(١) زيادة في ش قال الشارح: عن مسروق: أن امرأة قالت لعائشة يا أمه فقالت: لست لك بأم، إنما أنا أم رجالكم.

(٢) في النسخ: عبد العزى بن عبدالله بن قرط بن رياح بن رزاح، والمثبت أعلاه هو ما جاء في نسخة الشرح، قال الشارح: يقع في بعض النسخ =

- وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.
- وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي.
- وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي.

وأربع عربيات:

- زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة.
- وميمونة بنت الحارث الهلالية.
- وزينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين.
- وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية.

وواحدة غير عربية من بني إسرائيل وهي صفية بنت حيي من بني النضير.

ومات عنده ﷺ منهن اثنتان: خديجة وزينب أم المساكين، ومات ﷺ عن تسع، ذكر أسماءهن الحافظ أبو الحسن بن الفضل المقدسي نظماً فقال:

تــوفي رســول الله عن تسـع نـسـوة إليهـن تعـزى المكـرمـات وتنسب
فـعـائـشـة مـيـمـونـة وصـفـيـة وحـفـصـة تـتلوهـن هنـد[1] وزيـنب

= تأخير رياح عن قرط وهو غلط. فالذي عليه أهل النسب وهو الذي في الفتح وشرح المصنف وغيرهم أن رياحاً والد عبد العزى وأن أباه عبدالله ابن قرط.

(١) هي أم سلمة.

جـويـريـة مـع رملة[1] ثم سـودة ثـلاث وسـت ذكـرهـن مـهـذب

١/ب ولا خـلاف في أن أول امرأة تـزوج بها منهن/ خـديجـة بنت خويلد، وأنه ﷺ لم يتزوج عليها حتى ماتت.

وهذا حين الشروع في ذكرهن على الترتيب:

[خديجة]

فأما أم المؤمنين خديجة ـ وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم ـ فكانت تدعى في الجاهلية «الطاهرة»، وكانت تحت أبي هالة النباش بن أبي زرارة[2] فولدت له هنداً وهالة وهما ذكران.

ثم تزوجها عتيق بن عـائذ[3] المخـزومي، فولـدت له جـارية اسمها هند، وبعضهم يقدم عتيقاً على أبي هالة.

ثم تزوجها رسول الله ﷺ، ولها يومئذٍ من العمر أربعون سنة وبعض أخرى، وكان سنـه ﷺ إحدى وعشرين سنـة، وقيل خمسـاً وعشرين، وعليه الأكثر، وقيل ثلاثين.

وكانت عرضت نفسها عليه، فذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه منهم حمزة، حتى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها ﷺ وأصدقها عشرين بكرة. وزاد ابن إسحاق من طريق آخر: وحضر أبو طالب ورؤساء مضر: فخـطب أبو طـالب. وقد قـدمت خطبتـه في

---

(١) هي أم حبيبة.

(٢) في ش النباش بن زرارة.

(٣) في (ب، ش) عابد.

المقصد الأول عند ذكر تزويجها له ﷺ. وذكر الدولابي وغيره أن النبي ﷺ أصدق خديجة اثنتي عشرة أوقية ذهباً.

وقد كانت خديجة ـ كما قدمته ـ أول من آمن من الناس، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «أن جبريل قال للنبي ﷺ يا محمد، هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه طعام ـ أو إدام أو شراب ـ فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب» والقصب: اللؤلؤ المجوف.

قال ابن إسحاق: كان ﷺ لا يسمع شيئاً [يكرهه][(١)] من رد عليه وتكذيب له عليه السلام، فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت.

وعن عبد الرحمن بن زيد قال: قال آدم عليه السلام: إني لسيد البشر يوم القيامة، إلا رجلاً من ذريتي نبياً من الأنبياء، يقال له أحمد، فضل علي باثنتين: زوجته عاونته فكانت له عوناً، وكانت زوجتي علي عوناً، وأعانه الله على شيطانه فأسلم، وكفر شيطاني. خرجه الدولابي، كما ذكره الطبري[(٢)].

وخرج الإمام أحمد عن ابن عباس أنه ﷺ قال: أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة ابنة محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون.

قال الشيخ ولي الدين العراقي: خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار، وقيل: عائشة. انتهى.

(١) في ش، وهو عند ابن إسحاق. سيرة ابن هشام ١/٢٤٠.
(٢) قال الشارح: هذا حديث مقطوع لبعضه شواهد.

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري[1] في شرح بهجة الحاوي، عند ذكر أزواجه ﷺ : وأفضلهن خديجة وعائشة وفي أفضلهما خلاف، صحح ابن العماد تفضيل خديجة، لما ثبت أنه ﷺ قال لعائشة، حين قالت له: قد رزقك الله خيراً منها فقال: «لا والله ما رزقني الله خيراً منها، آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس»[2].

وسئل ابن داود[3] أيهما أفضل؟ فقال: عائشة أقرأها النبي ﷺ السلام من جبريل، وخديجة أقرأها جبريل من ربها السلام على لسان محمد، فهي أفضل. قيل له: فمن أفضل خديجة أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني» فلا أعدل ببضعة رسول الله ﷺ أحداً.

ويشهد له قوله ﷺ لها: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم.

واحتج من فضل عائشة بما احتجت به من أنها في الآخرة مع النبي ﷺ في الدرجة، وفاطمة مع علي فيها.

وسئل السبكي عن ذلك فقال: الذي نختاره، وندين الله به، أن فاطمة بنت/ محمد أفضل من أمها خديجة، ثم أمها خديجة، ثم عائشة، ثم استدل لذلك بما تقدم بعضه. ١٠٦/أ

(١) زكريا بن أحمد الأنصاري، العلامة المحدث الفقيه الصوفي صاحب التصانيف، شهرته تغني عن تعريفه، عمر نحو مائة، توفي سنة نيف وعشرين وتسعمائة.

(٢) قال الشارح رواه الطبراني وأصله في الصحيحين مختصراً، وهو في المسند ١١٨/٦.

(٣) الإمام أبو بكر ابن الإمام المجتهد الحافظ داود بن علي الظاهري.

وأما خبر الطبراني: خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد، ثم فاطمة بنت محمد، ثم آسية امرأة فرعون. فأجاب عنه ابن العماد: بأن خديجة إنما فضلت فاطمة باعتبار الأمومة، لا باعتبار السيادة.

واختار السبكي: أن مريم أفضل من خديجة لهذا الخبر، وللاختلاف في نبوتها، انتهى.

وقال أبو أمامة بن النقاش: إن سبق خديجة، وتأثيرها في أول الإسلام وموازرتها ونصرها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها، لم يشركها فيه أحد، لا عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين. وتأثير عائشة في آخر الإسلام، وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من الأحاديث ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها، مما تميزت به عن غيرها، انتهى.

وماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل بأربع، وقيل بخمس، ودفنت في الحجون، وهي ابنة خمس وستين سنة، ولم يكن يومئذٍ يصلى على الجنازة، وكانت مدة مقامها مع النبي ﷺ خمساً وعشرين سنة، وقيل أربعاً وعشرين سنة.

[سودة بنت زمعة]

وأما سودة بنت زمعة ـ وأمها الشموس بنت قيس ـ فأسلمت قديماً، وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو ـ أخو سهيل ابن عمرو ـ أسلم معها قديماً، وهاجرا جميعاً إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، فلما قدما مكة مات زوجها، وقيل إنه مات بالحبشة.

وتزوجها ﷺ بمكة بعد موت خديجة قبل أن يعقد على عائشة،

هذا قول قتادة وأبي عبيدة[1]، ولم يذكر ابن قتيبة غيره، ويقال تزوجها بعد عائشة. ويجمع بين القولين: بأنه ﷺ عقد على عائشة قبل سودة، ودخل بسودة قبل عائشة، والتزويج يطلق على كل منهما، وإن كان المتبادر إلى الفهم العقد دون الدخول.

ولما كبرت سودة أراد ﷺ طلاقها[2]، فسألته أن لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فأمسكها.

---

(١) في ط: عبيد.

(٢) جاء في الصحيحين عن عائشة (أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة)، ونص مسلم (لما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة) البخاري برقم ٥٢١٢ ومسلم برقم ١٤٦٣ وعند البخاري أيضاً برقم ٢٥٩٣ (.. تبتغي بذلك رضى رسول الله ﷺ).
قال ابن حجر: وعند أبي داود (... ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وخافت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله يومي لعائشة) ففيها وأشباهها نزلت ﴿**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً**﴾ النساء ١٢٨، وتابعه ابن سعد.. ورواه سعيد بن منصور، وعند الترمذي من حديث ابن عباس موصولاً نحوه، وكذا قال عبد الرزاق عن معمر بمعنى ذلك. فتواردت هذه الروايات على أنها خشيت الطلاق فوهبت. (الفتح ٣١٣/٩).
قال الشارح أخرج ابن سعد عن عائشة من طرق في بعضها أنه بعث إليها بطلاقها.. والطريقان مرسلان لكن صحح الدمياطي وتلميذه اليعمري أنه لم يطلقها.
أقول: إن نص الآية الكريمة «خافت» ونصوص أكثر الروايات ـ كما أشار صاحب الفتح ـ «خافت» أو «خشيت» وهذا يعني أن الطلاق لم يقع، ولو كان وقع لما كان التعبير بلفظ الخوف: الذي هو توقع حدوث أمر مكروه، فالذي يغلب على الظن أن سودة قدرت الموقف فخافت أن يحدث الطلاق فبادرت قبل ذلك. وأكبر الظن أن الرسول ﷺ ما كان ليفعل ذلك. [المحقق].

وتوفيت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين. وروى البخاري في تاريخه بإسناد صحيح إلى سعيد بن أبي هلال: أنها ماتت في خلافة عمر، وجزم الذهبي في التاريخ الكبير بأنها ماتت في آخر خلافة عمر، وقال ابن سيد الناس: إنه المشهور.

[عائشة]

وأما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـ وأمها أم رومان ابنة عامر ابن عويمر بن عبد شمس، من بني مالك بن كنانة ـ فكانت مسماة على جبير بن مطعم، فخطبها النبي ﷺ وأصدقها ـ فيما قاله ابن إسحاق ـ أربعمائة درهم، وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين، ولها ست سنين، وأعرس بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهراً، ولها تسع سنين. وقيل بعد سبعة أشهر من مقدمه عليه الصلاة والسلام.

وخرج الشيخان عن عائشة أنها قالت: (تزوجني رسول الله ﷺ وأنا ابنة ست سنين فقدمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فوعكت فتمزق شعري، فأتتني أمي ـ أم رومان ـ وإني لفي أرجوحة مع صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها، ما أدري ما تريد مني، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وأنا أنهج، حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: على الخير والبركة، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه، وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين). / ١٠٦/ب

وأخرجه أبو حاتم بتغيير بعض ألفاظه.

قال أبو عمر: كان نكاحه ﷺ لعائشة في شوال، وابتنى بها في شوال، وكانت تحب أن يدخل النساء من أهلها وأحبتها في شوال على أزواجهن.

وكانت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه، وكانت إذا هويت الشيء تابعها عليه، وفقدها عليه السلام في بعض أسفاره فقال: واعروساه. خرجه أحمد.

وقال لها ﷺ - كما في الصحيحين -: (رأيتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فأقول: إن يكن من عند الله يمضه) والسَرَقَة: شقة الحرير أو البيضاء[1].

وفي الترمذي أن جبريل جاءه عليه الصلاة والسلام بصورتها في خرقة حرير خضراء وقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة. وفي رواية عنده: قال جبريل: إن الله قد زوجك بابنة أبي بكر، ومعه صورتها.

وكانت مدة مقامها معه ﷺ تسع سنين، ومات عنها ﷺ ولها ثماني عشرة سنة[2] ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت فقيهة عالمة فصيحة، كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ ، عارفة بأيام العرب وأشعارها، روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، وكان ﷺ يقسم لها ليلتين، ليلتها وليلة سودة بنت زمعة، لأنها وهبت ليلتها لما كبرت لها - كما تقدم - ولنسائه ليلة ليلة، وكان يدور على نسائه ويختم بعائشة.

وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين. وقال الواقدي: ليلة الثلاثاء

(١) أي هي شقة الحرير أيا كان لونها، أو الحرير الأبيض خاصة. والحديث عند البخاري برقم ١٨٢٠ ومسلم ٢٤٣٨.

(٢) كذا في الشرح وهو الصواب، وفي النسخ: ثمانية عشر سنة.

لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين، وهي ابنة ست وستين سنة، وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلاً، وصلى عليها أبو هريرة، وكان يومئذٍ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية بن أبي سفيان.

وكانت عائشة تكنى أم عبدالله، يروى أنها أسقطت من النبي ﷺ سقطاً، ولم يثبت والصحيح أنها كانت تكنى بعبدالله بن الزبير، ابن أختها، فإنه عليه الصلاة والسلام تفل في فيه لما ولد، وقال لعائشة: هو عبدالله وأنت أم عبدالله، قالت: فما زلت أكنى بها وما ولدت قط. خرجه أبو حاتم.

[حفصة بنت عمر]

وأما أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما - وأمها زينب بنت مظعون - فأسلمت وهاجرت. وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت خنيس - بضم المعجمة وفتح النون وبالسين المهملة - ابن حذافة السهمي، هاجرت معه، ومات عنها بعد غزوة بدر.

فلما تأيمت ذكرها عمر على أبي بكر وعثمان[1] فلم يجبه واحد منهما إلى زواجها، فخطبها رسول الله ﷺ فأنكحه إياها في سنة ثلاث من الهجرة، وطلقها تطليقة واحدة، ثم راجعها، نزل عليه الوحي: راجع حفصة فإنها حوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة[2].

وروى عنها جماعة من الصحابة والتابعين. وماتت في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية، وقيل سنة إحدى وأربعين، وهي ابنة ستين سنة، وقيل إنها ماتت في خلافة عثمان.

(١) هذا في الصحيح عند البخاري برقم ٥١٢٩ و٥١٤٥.
(٢) أخرجه ابن سعد والطبراني برجال الصحيح من مرسل قيس بن سعد.

[أم سلمة]

وأما أم المؤمنين أم سلمة هند، وقيل رملة والأول أصح ـ وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة، وليست عاتكة بنت عبد المطلب ـ فكانت قبل رسول الله ﷺ تحت أبي سلمة/ بن عبد الأسد، وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى أرض الحبشة، فولدت له بها زينب، وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة، وقيل هي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة، وقيل غيرها، ومات أبو سلمة سنة أربع وقيل سنة ثلاث من الهجرة.

١٠٧/أ

وكانت أم سلمة سمعته ﷺ يقول: (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها)[1] قالت: فلما مات أبو سلمة قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ فأرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له.

وفي رواية: فخطبها أبو بكر فأبت، وخطبها عمر فأبت، ثم أرسل إليها رسول الله ﷺ فقالت: مرحباً برسول الله، إن في خلالا ثلاثاً: أنا امرأة شديدة الغيرة، وأنا امرأة مصبية وأنا امرأة ليس لي ها هنا أحد من أوليائي فيزوجني. فغضب عمر لرسول الله ﷺ أشد مما غضب لنفسه حين ردته، فأتاها رسول الله ﷺ فقال: أما ما ذكرت من غيرتك فإني أدعو[2] الله أن يذهبها عنك، وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله سيكفيهم، وأما ما ذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهني. فقالت لابنها: زوج رسول الله ﷺ فزوجه. قال

(١) رواه أبو داود والنسائي عن أم سلمة.
(٢) في ش: أرجو.

صاحب «السمط الثمين»[1] رواه بهذا السياق هدبة بن خالد «وصاحب الصفوة» وخرج أحمد والنسائي طرفاً منه، ومعناه في الصحيح.

وفيه دلالة على أن الابن يلي العقد على أمه، وعندنا[2] أنه إنما زوجها بالعصوبة لأنه ابن ابن عمها، لأن أبا سلمة عبدالله بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله، وأم سلمة هند بنت سهيل بن المغيرة بن عبدالله، ولم يكن أحد من عصبتها حاضراً غيره.

وكانت أم سلمة من أجمل النساء، وتزوجها رسول الله ﷺ في ليال بقين من شوال من السنة التي مات فيها أبو سلمة.

وماتت سنة تسع وخمسين وقيل سنة اثنتين وستين، والأول أصح، ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة، وقيل سعيد بن زيد، وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة.

[أم حبيبة]

وأما أم المؤمنين أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب، وقيل اسمها هند، والأول أصح - وأمها صفية بنت أبي العاصي [بن أمية عمة عثمان بن عفان][3] - فكانت تحت عبيدالله بن جحش، وهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، ثم تنصر وارتد عن الإسلام ومات هناك، وثبتت أم حبيبة على الإسلام.

واختلف في وقت نكاح رسول الله ﷺ إياها، وموضع العقد، فقيل: إنه عقد عليها بأرض الحبشة سنة ست، فروي أنه ﷺ بعث

---

(١) هو المحب الطبري.

(٢) أي الشافعية.

(٣) زيادة في ش.

عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها عليه، فزوجها إياه، وأصدقها عنه أربعمائة دينار، وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حسنة.

وروي أن النجاشي أرسل إليها جاريته «أبرهة» فقالت: إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجك منه، وأنها أرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاصي فوكلته وأعطت أبرهة سوارين وخواتم من فضة سروراً بما بشرتها به، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا، فخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ/ وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار ذهباً، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم. فتكلم خالد بن سعيد فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسوله ﷺ فيها. ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا. خرجه صاحب الصفوة كما قال الطبري. وكان ذلك سنة سبع من الهجرة.

١٠٧/ب

قال أبو عمر: واختلف فيمن زوجها، فروي أنه سعيد بن العاصي، وروي عثمان بن عفان وهي ابنة عمته. وذكر البيهقي أن الذي زوجها خالد بن سعيد بن العاصي وهو ابن ابن عم أبيها، لكن

إن صح التاريخ المذكور فلا يصح أن يكون عثمان هو الذي زوجها، فإنه كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة.

وكان أبو سفيان أبوها حال نكاحها بمكة مشركاً محارباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد قيل إن عقد النكاح عليها كان بالمدينة بعد رجوعها من أرض الحبشة والمشهور الأول.

وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين وقيل: سنة اثنتين وأربعين.

[زينب بنت جحش]

وأما أم المؤمنين زينب بنت جحش ـ وأمها أميمة[1] بنت عبد المطلب بن هاشم ـ فكان رسول الله ﷺ زوجها من زيد بن حارثة، فمكثت عنده مدة ثم طلقها ـ كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الخصائص ـ فلما انقضت عدتها منه قال ﷺ لزيد بن حارثة اذهب فاذكرني لها، قال: فذهبت إليها، فجعلت ظهري إلى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما كنت لأحدث شيئاً حتى أؤامر ربي عز وجل، فقامت إلى مسجد لها، فأنزل الله تعالى: **﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾**[2] فجاء رسول الله فدخل عليها بغير إذن. أخرجه مسلم.

وقال المنافقون: حرم محمد نساء الولد، وقد تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى: **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾** الآية[3].

(١) في ط أمية.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

وكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن آباؤكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات، رواه الترمذي وصححه.

وكان اسمها «برة» فسماها ﷺ زينب.

وعن أنس: لما تزوج ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو ﷺ يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام وقام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم انطلقوا. فجاء حتى دخل فذهبت لأدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي**﴾ الآية[1].

وكان تزويجها له ﷺ في سنة خمس من الهجرة، وقيل سنة ثلاث. وهي أول من مات من أزواجه بعده. وقالت عائشة في شأنها: ولم تكن امرأة خيراً منها في الدين، وأتقى لله وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به إلى الله. رواه مسلم.

١/١٠٨ وماتت بالمدينة/ سنة عشرين، وقيل سنة إحدى وعشرين، ولها ثلاث وخمسون سنة، وصلى عليها عمر بن الخطاب، وهي أول من جعل على جنازتها نعش[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٣.

(٢) بالنسبة للزوجات وإلا فإن فاطمة بنت رسول الله ﷺ هي أول من غطي نعشها.

[زينب أم المساكين]

وأما أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية، وكانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم، فكانت تحت عبدالله ابن جحش في قول ابن شهاب، قتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث، ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة وتوفيت في حياته ﷺ ، وقيل مكثت عنده ثمانية أشهر، ذكره الفضائلي.

وقيل كانت قبله ﷺ تحت الطفيل بن الحارث، ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث وقتل عنها يوم أحد شهيداً، فخلف عليها رسول الله ﷺ، والأول أصح.

وتوفيت في ربيع الآخر سنة أربع ودفنت بالبقيع [على الطريق][1] قال الطبري: كذا ذكره الفضائلي، وإنما يكون هذا على ما حكاه من أنها مكثت عنده عليه السلام ثمانية أشهر، أما على ما حكاه أبو عمر فلا يصح، إذ العقد كان في سنة ثلاث، ومدتها عنده ﷺ شهران أو ثلاثة فلا يصح أن تكون وفاتها في ربيع الآخر، انتهى، فليتأمل.

[ميمونة بنت الحارث]

وأما أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ـ وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن حمير ـ فتزوجها ﷺ لما كان بمكة معتمراً سنة سبع بعد غزوة خيبر، وكانت أختها أم الفضل لبابة الكبرى تحت العباس بن عبد المطلب، وأختها لأمها أسماء بنت عميس تحت جعفر، وسلمى بنت عميس تحت حمزة، وكانت جعلت أمرها إلى

(١) في ش.

العباس فأنكحها النبي ﷺ وهو محرم، فلما رجع بنى بها بسرف حلالا، ذكره أبو عمر[1].

وفي الصحيح من أفراد مسلم، عنها أنه ﷺ تزوجها وهو حلال، زاد البرقاني بعد قوله تزوجها حلالاً : وبنى بها حلالاً وماتت بسرف.

فيحمل قوله: وهو محرم، أي داخل في الحرم، ويكون العقد وقع بعد انقضاء العمرة، ثم خرج بها إلى سرف وابتنى بها فيه، وهو على عشرة أميال من مكة، كذا قاله الطبري. وسيأتي في مقصد المعجزات في ذكر الخصائص مزيد بيان لذلك إن شاء الله تعالى.

وكانت ميمونة قبل عند أبي رهم بن عبد العزى، ويقال: بل عبدالله بن أبي رهم، وقيل: بل عند حويطب بن عبد العزى، وقيل: بل فروة بن عبد العزى.

قال ابن إسحاق: ويقال: إنها وهبت نفسها للنبي ﷺ وذلك أن خطبته ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله. وقيل: الواهبة نفسها غيرها.

وتوفيت ميمونة بسرف في الموضع الذي بنى بها فيه رسول الله ﷺ ، وذلك سنة إحدى وخمسين، وقيل ست وخمسين وقيل ثلاث وستين، وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها.

[جويرية بنت الحارث]

وأما أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ـ بكسر

(١) في ط: عمرو، وهو خطأ. إذ هو ابن عبد البر.

الضاد المعجمة وتخفيف الراء - فكانت تحت مسافح - بالسين المهملة والفاء - ابن صفوان المصطلقي. وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق[1]، في سنة خمس وقيل سنة ست، فكاتبته على نفسها، ثم جاءت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث وكان من أمري ما لا يخفى عليك، ووقعت في سهم ثابت بن قيس ابن شماس وإني كاتبت نفسي، فجئت أسألك في كتابتي، فقال رسول الله ﷺ فهل لك إلى ما هو خير؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك. قالت: قد فعلت. فتسامع الناس أن رسول الله/ ﷺ قد تزوج جويرية فأرسلوا ما في أيديهم من السبي، ١٠٨ فأعتقوهم وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قالت عائشة: فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق، خرجه أبو داود من حديث عائشة.

وقال ابن هشام: ويقال اشتراها ﷺ من ثابت بن قيس وأعتقها وتزوجها وأصدقها أربعمائة درهم.

وعن ابن شهاب: سبى ﷺ جويرية بنت الحارث يوم المريسيع فحجبها وقسم لها، وكانت ابنة عشرين سنة، وكان اسمها «برة» فحوله ﷺ وسماها جويرية. وقد تقدم مثل ذلك في زينب بنت جحش.

وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة في ربيع الأول سنة خمسين، وقيل سنة ست وخمسين.

---

(١) هذه الجملة والتي قبلها ليستا في ش.

[صفية بنت حيي]

وأما أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية ـ بفتح السين وسكون العين المهملتين وبالياء المثناة التحتية ـ ابن ثعلبة بن عبيد من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه الصلاة والسلام. وأمها ضرة ـ بفتح الضاد المعجمة وتشديد الراء ـ بنت سموءل ـ بفتح السين المهملة وفتح الميم وسكون الواو وفتح الهمزة وباللام ـ. فكانت تحت كنانة بن أبي الحقيق ـ بضم الحاء المهملة وفتح القاف الأولى وسكون المثناة التحتية ـ فقتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة.

قال أنس: لما افتتح ﷺ خيبر وجمع السبي، جاءه دحية فقال يا رسول الله أعطني جارية [من السبي][1]، فقال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك، قال: ادعوه بها، فجاء بها، قال: فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذ جارية من السبي غيرها، قال: وأعتقها وتزوجها. قال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: نفسها، أعتقها وتزوجها. حتى إذا كان الطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل، فأصبح ﷺ عروساً، فقال: من كان عنده شيء فليجىء به، قال: فبسط نطعاً، قال: فجعل الرجل يجيء بالأقط، وجعل الرجل يجيء بالتمر، وجعل الرجل يجيء بالسمن، فحاسوا حيساً فكانت وليمة رسول الله ﷺ.

وفي رواية: فقال الناس لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد، قالوا: إن حجبها فهي امرأته وإن لم يحجبها فهي أم ولد، فلما أراد أن

---

(١) في ط.

يركب حجبها.

وفي رواية: فانطلقنا حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا إليها، فدفعنا مطايانا، ودفع رسول الله ﷺ مطيته، قال: وصفية خلفه قد أردفها، قال: فعثرت مطية رسول الله ﷺ فصرع وصرعت، فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها حتى قام رسول الله ﷺ فسترها. قال: فدخلنا المدينة، فخرج[1] جواري نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها. رواه الشيخان وهذا لفظ مسلم[2].

وروي عن جابر أنه ﷺ أتي بصفية يوم خيبر، وأنه قتل أباها وأخاها، وأن بلالاً مر بها بين المقتولين، وأنه ﷺ خيرها بين أن يعقتها فترجع إلى من بقي من أهلها، أو تسلم فيتخذها لنفسه، فقالت: أختار الله ورسوله. خرجه في الصفوة.

وأخرج تمام[3] في فوائده من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال لها: هل لك فيَّ؟ قالت: يا رسول الله لقد كنت أتمنى ذلك في الشرك، فكيف إذ أمكنني الله في الإسلام.

١٠٩/ وأخرج أبو حاتم من حديث ابن عمر: رأى ﷺ/ بعين صفية خضرة فقال: ما هذه الخضرة؟ فقالت: كان رأسي في حجر ابن الحقيق وأنا نائمة، فرأيت قمراً وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني وقال: تمنين ملك يثرب. وبنى بها ﷺ بالصهباء.

وماتت في رمضان سنة خمسين في زمن معاوية، وقيل غير ذلك.

---

(١) كذا في ش وفي صحيح مسلم. وفي النسخ: خرجن.

(٢) رقمه عند مسلم ٨٨ من كتاب النكاح.

(٣) الإمام الحافظ محمد بن عبدالله بن جعفر المروزي ثم الدمشقي، الثقة المتوفى سنة ست عشرة وأربعمائة.

فهؤلاء أزواجه اللاتي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين أهل السير والعلم بالأثر.

[زوجات لم يدخل بهن]

وقد ذكر أنه ﷺ تزوج نسوة غير من ذكر، وجملتهن اثنتا عشرة امرأة:

● **الأولى**: الواهبة نفسها له ﷺ، واختلف من هي، فقيل أم شريك القرشية العامرية، واسمها: غزية ـ بضم الغين المعجمة وفتح الزاي وتشديد المثناة التحتية ـ بنت جابر بن عوف، من بني عامر بن لؤي. وقيل بنت دودان بن عوف، وطلقها النبي ﷺ واختلف في دخوله بها.

وقيل هي أم شريك غزية الأنصارية من بني النجار، وفي الصفوة: هي أم شريك غزية بنت جابر الدوسية. قال: والأكثرون على أنها التي وهبت نفسها له ﷺ فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت.

وذكر ابن قتيبة في المعارف عن أبي اليقظان، أن الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمي، ويجوز أن يكونا وهبتا أنفسهما من غير تضاد.

وقال عروة بن الزبير: كانت خولة بنت حكيم، من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل، فلما نزلت: ﴿**ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء**﴾[1] قالت عائشة: يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك. رواه الشيخان.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥١.

وهذه خولة هي زوجة عثمان بن مظعون، ولعل ذلك وقع منها قبل عثمان.

● **الثانية**: خولة بنت الهذيل بن هبيرة. تزوجها ﷺ فهلكت قبل أن تصل إليه.

● **الثالثة**: عمرة بنت يزيد بن الجون - بفتح الجيم - الكلابية، وقيل: عمرة بنت يزيد بن عبيد بن أوس بن كلاب الكلابية. قال أبو عمر: وهذا أصح.

تزوجها ﷺ فتعوذت منه حين أدخلت عليه، فقال لها: لقد عذت بمعاذ، فطلقها وأمر أسامة بن زيد فمتعها بثلاثة أثواب، قال أبو عمر: هكذا روي عن عائشة.

وقال قتادة: كان ذلك في امرأة من سليم. وقال أبو عبيدة: إنما ذلك لأسماء بنت النعمان بن الجون، وهكذا ذكره ابن قتيبة. وسيأتي وقال في عمرة هذه: إن أباها وصفها للنبي ﷺ ثم قال وأزيدك: أنها لم تمرض قط فقال ﷺ: ما لهذه عند الله من خير فطلقها.

● **الرابعة**: أسماء بنت النعمان بن الجون - بفتح الجيم - ابن الحارث الكندية وهي الجونية. [قال أبو عمر][1]: أجمعوا أن رسول الله ﷺ تزوجها واختلفوا في سبب فراقه لها، فقال قتادة وأبو عبيدة: إنه ﷺ لما دعاها قالت: تعال أنت وأبت أن تجيء، وقال بعضهم: قالت: أعوذ بالله منك، فقال: عذت بمعاذ، ولقد أعاذك الله مني، وقيل: إن نساءه ﷺ علمنها ذلك فإنها كانت أجمل الناس فخفن أن تغلبهن عليه، فقلن لها إنه يحب إذا دنا منك أن تقولي: أعوذ بالله

---

(١) في ش.

منك، فقال: قد عذت بمعاذ وطلقها، ثم سرحها إلى أهلها وكانت تسمى نفسها الشقية.

وقال الجرجاني: قلن لها: إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله منه، فقالت ذلك فولى وجهه عنها. وقيل المتعوذة غيرها، قال أبو عبيدة: ويجوز أن تكونا تعوذتا، وقال آخرون: كان بأسماء وضح فقال لها الحقي بأهلك، وقد قيل في اسمها/ أميمة، وقيل: أمامة. ١٠٩/ب

● **الخامسة**: مليكة بنت كعب الليثية، قال بعضهم: هي التي استعاذت من النبي ﷺ، وقيل دخل بها، وماتت عنده، والأول أصح، ومنهم من ينكر تزويجه بها أصلاً.

● **والسادسة**: فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي، تزوجها بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير، فاختارت الدنيا ففارقها عليه الصلاة والسلام فكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول هي الشقية اختارت الدنيا، هكذا رواه ابن إسحاق.

لكن قال أبو عمر: هذا عندنا غير صحيح، لأن ابن شهاب يروى عن عروة عن عائشة، أنه ﷺ حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله، وتابع أزواج النبي ﷺ على ذلك.

وقال قتادة وعكرمة: كان عنده ﷺ عند التخيير تسع نسوة وهن اللاتي توفي عنهن.

وقيل إنه ﷺ تزوجها سنة ثمان، وقيل إن أباها قال: إنها لم تصدع قط، فقال عليه الصلاة والسلام: لا حاجة لي بها.

● **السابعة**: عالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف، تزوجها ﷺ

وكانت عنده ما شاء الله، ثم طلقها، وقل من ذكرها، وقال أبو سعد: طلقها حين أدخلت عليه صلى الله عليه وسلم.

● **الثامنة**: قتيلة ـ بضم القاف وفتح المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية ـ بنت قيس أخت الأشعث بن قيس الكندي، زوجه إياها أخوها في سنة عشر، ثم انصرف إلى حضرموت فحملها فقبض ﷺ سنة إحدى عشرة قبل قدومها عليه، وقيل تزوجها عليه السلام قبل وفاته بشهرين، وقال قائلون: إن رسول الله ﷺ أوصى بأن تخير، فإن شاءت ضرب عليها الحجاب، وكانت من أمهات المؤمنين، وإن شاءت الفراق فلتنكح من شاءت، فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: هممت أن أحرق عليها بيتها، فقال له عمر رضي الله عنهما: ما هي من أمهات المؤمنين، ما دخل بها رسول الله ﷺ ولا ضرب عليها الحجاب.

وقال بعضهم: لم يوص فيها عليه السلام بشيء، ولكنها ارتدت حين ارتد أخوها. وبذلك احتج عمر على أبي بكر رضي الله عنهما: أنها ليست من أمهات المؤمنين بارتدادها.

● **التاسعة**: سنا بنت أسماء بن الصلت السلمية، تزوجها ﷺ ومات قبل أن يدخل بها، وعند ابن إسحاق: طلقها قبل أن يدخل بها.

● **العاشرة**: شرف ـ بفتح الشين المعجمة وتخفيف الراء وبالفاء ـ بنت خليفة الكلبية، أخت دحية بن خليفة الكلبي، تزوجها رسول الله ﷺ فماتت قبل دخوله عليه السلام بها.

● **الحادية عشر**: ليلى بنت الخطيم ـ بفتح الخاء المعجمة وكسر

الطاء المهملة ـ أخت قيس تزوجها ﷺ وكانت غيوراً فاستقالته فأقالها فأكلها الذئب، وقيل هي التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم.

● **الثانية عشر**: امرأة من غفار تزوجها ﷺ فأمرها فنزعت ثيابها فرأى بكشحها بياضاً فقال: ألحقي بأهلك، ولم يأخذ مما آتاها شيئاً، أخرجه أحمد.

فهؤلاء جملة من ذكر من أزواجه ﷺ، وفارقهن في حياته، بعضهن قبل الدخول وبعضهن بعده ـ كما ذكرناه ـ فيكون جملة من عقد عليهن ثلاثاً وعشرين امرأة دخل ببعضهن/ دون بعض. مات منهن عنده بعد الدخول خديجة وزينب بنت خزيمة، ومات منهن قبل الدخول اثنتان: أخت دحية، وبنت الهذيل باتفاق.

١١٠/ا

واختلف في مليكة وسنا، هل ماتتا أو طلقهما، مع الاتفاق على أنه ﷺ لم يدخل بهما.

وفارق بعد الدخول باتفاق بنت الضحاك، وبنت ظبيان، وقبله باتفاق: عمرة وأسماء والغفارية.

واختلف في أم شريك: هل دخل بها؟ مع الاتفاق على الفرقة. والمستقيلة التي جهل حالها، فالمفارقات بالاتفاق سبع، واثنتان على خلاف. الميتات في حياته باتفاق أربع، ومات ﷺ عن عشر، وواحدة لم يدخل بها.

[المخطوبات]

وروي أنه ﷺ خطب عدة نسوة:

● الأولى منهن: امرأة من بني مرة بن عوف بن سعد، خطبها

ﷺ إلى أبيها فقال: إن بها برصاً، وهو كاذب، فرجع فوجد البرص بها، ويقال: إن ابنها شبيب بن البرصاء بن الحارث بن عوف. ذكره ابن قتيبة، كما قاله الطبري، وعند ابن الأثير في جامع الأصول: جمرة بنت الحارث بن عوف خطبها ﷺ فقال أبوها: إن بها سوءاً، ولم يكن بها شيء، فرجع إليها أبوها وقد برصت، قال: وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر.

● الثانية: امرأة قرشية يقال لها سودة، خطبها ﷺ وكانت مصبية، فقالت: أخاف أن تضغو صبيتي - أي يصيحوا ويبكوا - عند رأسك، فدعا لها وتركها.

● الثالثة: صفية بنت بشامة - بفتح الموحدة وتخفيف الشين المعجمة - كان أصابها في سبي فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها، فلختارت زوجها.

● الرابعة: ولم يذكر اسمها، قيل إنه ﷺ خطبها، فقالت: أستأمر أبي، فلقيت أباها فأذن لها، فعادت إلى النبي ﷺ فقال لها: قد التحفنا لحافاً غيرك.

● الخامسة: أم هانئ، فاختة بنت أبي طالب أخت علي، خطبها ﷺ فقالت: إني امرأة مصبية واعتذرت إليه، فعذرها.

● السادسة: ضباعة - بضم الضاد المعجمة وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة - بنت عامر بن قرط - بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة - خطبها ﷺ إلى ابنها سلمة بن هشام فقال: حتى أستأمرها، فقيل للنبي ﷺ: إنها قد كبرت، فلما عاد ابنها - وقد أذنت له - سكت عنها ﷺ فلم ينكحها.

● السابعة: أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب، عرضت عليه ﷺ فقال: هي ابنة أخي من الرضاعة.

● الثامنة: عزة بنت أبي سفيان، عرضتها أختها أم حبيبة عليه ﷺ فقال: إنها لا تحل لي لمكان أختها أم حبيبة تحت النبي ﷺ.

● وقيل: تزوج ﷺ الجندعية ـ بضم الجيم وسكون النون وضم الدال وبالعين المهملة ـ امرأة من جندع، وهي ابنة جندب بن ضمرة، ولم يدخل بها. وأنكره بعض الرواة.

فهؤلاء النساء اللاتي ذكر أنه ﷺ تزوجهن أو خطبهن أو دخل بهن، أو لم يدخل بهن أو عرضن عليه.

[السراري]

وأما سراريه فقيل إنهن أربعة:

● مارية القبطية بنت شمعون ـ بفتح الشين المعجمة ـ أهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر والاسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين ـ بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء وبالنون/ آخرها ـ، وخصيا يقال له: مأبور، وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً ليناً من قباطي مصر، وبغلة شهباء وهي دلدل، وحماراً أشهب وهو عفير ويقال: يعفور، وعسلاً من عسل بنها، فأعجب النبي ﷺ العسل ودعا في عسل بنها بالبركة. قال ابن الأثير: وبنها ـ بكسر الباء وسكون النون ـ قرية من قرى مصر، بارك النبي ﷺ في عسلها، والناس اليوم يفتحون الباء، انتهى.

١١٠/ب

ووهب ﷺ سيرين لحسان بن ثابت وهي أم عبد الرحمن بن

حسان، ومارية أم إبراهيم بن النبي ﷺ . وماتت مارية في خلافة عمر سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع.

● وريحانة بنت شمعون من بني قريظة، وقيل من بني النضير، والأول أظهر، وماتت قبل وفاته ﷺ مرجعه من حجة الوداع سنة عشر، ودفنت بالبقيع، وكان ﷺ وطئها بملك اليمين، وقيل أعتقها وتزوجها ولم يذكر ابن الأثير غيره.

● وأخرى: وهبتها له زينب بنت جحش.

● الرابعة: أصابها في بعض السبي.

الفصل الرابع

في أعمامه وعماته وإخوته من الرضاعة وجداته

[أعمامه عليه السلام]

قال صاحب «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى»[1]: كان له ﷺ اثنا عشر عماً بنو عبد المطلب، أبوه ـ عبدالله ـ ثالث عشرهم: الحارث، وأبو طالب واسمه عبد مناف، والزبير ويكنى أبا الحارث، وحمزة، وأبو لهب واسمه عبد العزى، والغيداق، والمقوم، وضرار، والعباس، وقثم، وعبد الكعبة، وجحل ـ بتقديم الجيم، وهو السقاء الضخم، وقال الدارقطني بتقديم الحاء وهو القيد والخلخال ـ ويسمى المغيرة.

وقيل كانوا أحد عشر فأسقط: المقوم، وقال هو عبد الكعبة، وقيل عشرة، فأسقط الغيداق وجحلاً، وقيل تسعة فأسقط قثم.

[حمزة رضي الله عنه]

فأما حمزة، فأمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، ويكنى أبا عمارة وأبا يعلى، كنيتان له بابنيه عمارة ويعلى، [وكان يدعى

(١) هو الحافظ المحب الطبري.

أسد الله وأسد رسوله][1] وفي معجم البغوي أنه ﷺ قال: والذي نفسي بيده إنه لمكتوب عند الله عز وجل في السماء السابعة: حمزة أسد الله وأسد رسوله.

وكان إسلامه في السنة الثانية من المبعث، وقيل في السادسة بعد دخوله ﷺ دار الأرقم، وقيل قبل إسلام عمر بثلاثة أيام.

وشهد بدراً، وقتل بها عتبة بن ربيعة مبارزة، قاله موسى بن عقبة، وقيل: بل قتل شيبة بن ربيعة مبارزة، قاله ابن إسحاق.

وأول راية عقدها ﷺ لأحد من المسلمين كانت لحمزة، وأول سرية بعثها، وقال ﷺ: خير أعمامي حمزة، رواه الحافظ الدمشقي.

وروى ابن السري مرفوعاً: سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب[2].

وذكر السلفي[3] عن بريدة في قوله تعالى: ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة**﴾[4] قال: حمزة بن عبد المطلب، وعن ابن عباس ﴿**فمنهم من قضى نحبه**﴾[5] قال: حمزة.

واستشهد في وقعة أحد، قتله وحشي. وعن سعيد بن المسيب

---

(١) في الأصل.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم، والخطيب، والضياء المقدسي، والديلمي.

(٣) أحمد بن محمد الأصبهاني السلفي، الحافظ العلامة، كان أوحد زمانه في الحديث وأعلمهم بقوانين الرواية، حافظا متقناً ديناً، مات سنة ست وسبعين وخمسمائة.

(٤) سورة الفجر، الآية ٢٧.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

كان يقول: كنت أعجب لقاتل حمزة كيف ينجو، حتى إنه مات غريقاً في الخمر. رواه الدارقطني على شرط الشيخين. وقال ابن هشام: بلغني أن وحشياً لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان[1]، فكان عمر يقول: لقد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة.

١١١/أ ولما رأى النبي ﷺ/ حمزة قتيلاً بكى، فلما رأى ما مثل به شهق. وعن أبي هريرة: وقف ﷺ على حمزة - وقد قتل ومثل به - فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه منه. رواه أبو عمر، والمخلص[2]، وصاحب الصفوة.

وعند ابن هشام أنه ﷺ قال: لن أصاب بمثلك أبداً، ما وقفت موقفاً قط أغيظ لي من هذا.

وعند ابن شاذان من حديث ابن مسعود: ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب، وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكاء يقول: يا حمزة يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله، يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا حمزة يا ذاباً عن وجه رسول الله[3].

---

(١) أي ديوان الجند المعدين للقتال مع أن له قوة ومعرفة بالحرب.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن العباس، أبو الطاهر الذهبي البغدادي، الثقة المكثر الصالح.

(٣) جاء في صحيح البخاري قوله ﷺ: (إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه) رقم الحديث ١٣٠٤.

وفي مسند أحمد في قصة موت سعد بن معاذ قالت عائشة: (فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر.. قلت أي أمه: فكيف =

والنشغ: الشهيق حتى يبلغ به الغشي.

وكان ﷺ إذا صلى على جنازة كبر عليها أربعاً، وكبر على حمزة سبعين تكبيرة، رواه البغوي في معجمه(١).

وقد روى أنس بن مالك أن شهداء أحد لم يغسلوا ودفنوا بدمائهم ولم يصل عليهم. خرجه أحمد وأبو داود(٢).

فيحمل أمر حمزة على التخصيص، ومن صلى عليه غيره على أنه جرح حال الحرب ولم يمت حتى انقضت الحرب(٣).

وكان سن حمزة يوم قتل تسعاً وخمسين سنة، ودفن هو وابن أخته عبدالله بن جحش في قبر واحد.

[العباس رضي الله عنه]

وأما العباس وكنيته أبو الفضل، فأمه نتله(٤)، ويقال نتيله بنت جناب بن كلب بن النمر بن قاسط، ويقال: إنها أول عربية كست البيت الحرام الديباج وأصناف الكسوة، لأن العباس ضل وهو صبي، فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت.

وكان العباس جميلاً وسيماً أبيض، له ضفيرتان، معتدلاً، وقيل

= كان رسول الله ﷺ يصنع قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته) المسند ١٤٢/٦.

(١) هذا يعارضه الحديث بعده.

(٢) وهو عند البخاري أيضاً برقم ١٣٤٣ و١٣٤٧.

(٣) يلجأ إلى ذكر التخصيص إذا صح الحديث، وإلا فلا حاجة لذلك.

(٤) في أ نثله بالمثلثة.

كان طوالاً، وولد قبل الفيل بثلاث سنين، وكان أسن من النبي ﷺ بسنتين أو ثلاث، وكان رئيساً في قريش، وإليه عمارة المسجد الحرام.

وكان مع النبي ﷺ يوم العقبة يعقد له البيعة على الأنصار، وكان عليه السلام يثق به في أمره كله[١]. ولما شدوا وثاقه في أسرى بدر سهر ﷺ تلك الليلة، فقيل: ما يسهرك يا رسول الله؟ قال: لأنين العباس، فقام رجل فأرخى وثاقه، وفعل ذلك بالأسرى كلهم، ذكره أبو عمر، وصاحب الصفوة.

وقيل: كان يكتم إسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر فقال ﷺ من لقي العباس فلا يقتله فإنه خرج مستكرهاً[٢]، فأسره كعب بن عمرو، ففادى نفسه ورجع إلى مكة.

وقيل: إنه أسلم يوم بدر ثم أقبل إلى المدينة مهاجراً، فاستقبل النبي ﷺ يوم الفتح بالأبواء وكان معه في فتح مكة، وبه ختمت الهجرة. وقال أبو عمر: أسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم إسلامه ويسره ما يفتح الله على المسلمين، وأظهر إسلامه يوم فتح مكة، وشهد حنيناً والطائف وتبوك.

ويقال: إن إسلامه كان قبل بدر، وكان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان المسلمون بمكة يثقون به[٣]، وكان يحب القدوم على رسول الله ﷺ، فيكتب إليه ﷺ إن مقامك بمكة خير لك. وقال أبو مصعب إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت

---

(١) هذه الجملة ليست في ش.

(٢) في ش: وخرج مع المشركين مستكرهاً. باختصار العبارة السابقة.

(٣) كذا في (أ، ب) وفي النسخ: يتقون به من الوقاية، أي كان عوناً للمسلمين المستضعفين.

حدثنا أبو حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: استأذن العباس رضي الله عنه النبي ﷺ في الهجرة فكتب إليه/: يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه، فإن الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة. رواه أبو يعلى والهيثم[1] بن كليب - في مسنديهما[2] - والطبراني في الكبير.

١١١/ب

وأبو مصعب متروك، لكن يعتضد بقول عروة بن الزبير: كان العباس قد أسلم وأقام على سقايته ولم يهاجر، رواه الحاكم في مستدركه.

وذكر السهمي[3] في الفضائل أن أبا رافع لما بشر النبي ﷺ بإسلام العباس أعتقه.

وكان ﷺ يكرم العباس بعد إسلامه ويعظمه، ووصفه عليه السلام فقال: أجود الناس كفاً، وأحناه عليهم. رواه الفضائلي. وفي معجم البغوي: العباس عمي وصنو أبي، من آذاه فقد آذاني، وفي الترمذي نحوه، وقال: حسن صحيح.

وذكر السهمي في الفضائل: أن العباس أتى النبي ﷺ فلما رآه قام إليه، وقبل ما بين عينيه، ثم أقعده عن يمينه ثم قال: هذا عمي، فمن شاء فليباه بعمه، فقال العباس: نعم القول يا رسول الله، قال ولم لا أقول هذا، أنت عمي وصنو أبي وبقية آبائي ووارثي وخير من أخلف من أهلي. وقال له ﷺ يا عم لا ترم منزلك أنت وبنوك غداً حتى آتيكم فإن لي فيكم حاجة، فلما أتاهم اشتمل عليهم بملاءة ثم قال: يا رب، هذا عمي وصنو

(١) في ط: الهيثمي.
(٢) ليست في ط.
(٣) حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي، الإمام الحافظ صنف وجرح وعدل وصحح وعلل، مات سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه قال: فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت: آمين آمين آمين. رواه ابن غيلان، وأبو القاسم حمزة[1]، والسهمي، ورواه ابن السري وفيه: فما بقي في البيت مدرة ولا باب إلا أمن. ورواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ فألبسنا كساء ثم قال: اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً، اللهم احفظه في ولده. وقال حسن غريب[2].

وعند ابن عبد الباقي[3] من حديث أبي هريرة: اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن أحبهم.

وفي تاريخ دمشق من حديث ابن عباس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له في فتح مكة اللهم انصر العباس وولد العباس قالها ثلاثاً ثم قال: يا عم أما علمت أن المهدي من ولدك[4].

وروى الحاكم في مستدركه والبغوي في معجمه عن سعيد بن المسيب أنه قال: العباس حبر هذه الأمة، ووارث النبي ﷺ وعمه. قال الذهبي سنده صحيح. قال: ويتكلف لتأويله إن كان قوله خير ـ بالمعجمة والتحتية ـ.

---

(١) أبو القاسم حمزة، في الأصل فقط.

(٢) قال النجار في تخريج أحاديث الوفا لابن الجوزي: حديث التأمين رواه البيهقي وابن ماجه في سننه عن عبدالله بن عثمان الوقاصي، قال عنه ابن معين: لا أعرفه، وقال أبو حاتم يروي أحاديث مشبهة. وأقول: هذا الحديث وما بعده، كلها أحاديث ضعيفة أو شديدة الضعف وبعضها موضوع، نبه المصنف على بعضها وسكت الشارح عن الجميع [المحقق].

(٣) محمد بن أحمد بن عبد الباقي الإمام الحافظ العلامة في الأدب المتوفى سنة تسع وثمانين وأربعمائة.

(٤) قال في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة حديث (المهدي من ولد العباس عمي) موضوع. [المحقق].

وفي الأفراد للدارقطني عن جابر الأنصاري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول من لم يحب العباس بن عبد المطلب وأهل بيته فقد برئ من الله ورسوله، وفي سنده عمر بن راشد الحارثي. وهو ضعيف جداً. لكن يشهد له ما رواه محمد بن حسين الأشناني ثم أبو بكر بن عبد الباقي في أماليه ومن طريقهما المنذري من طريق منصور عن مسلم بن صبيح بن الضحى عن مسروق عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ من لم يحب عمي هذا ـ وأخذ بيد العباس فرفعها ـ لله عز وجل ولقرابته لي فليس بمؤمن.

وللترمذي وقال: حسن، عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب/ أن رسول الله ﷺ قال للعباس: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان ما لم يحبكم لله ولرسوله ثم قال: يا أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فإنما عم الرجل صنو أبيه. ١١٢

وروى البغوي أنه عليه الصلاة والسلام قال له: لك يا عم من الله حتى ترضى.

وروى السهمي في الفضائل أنه عليه السلام قال للعباس: إن الله عز وجل غير معذبك ولا أحد من ولدك.

وفي المعجم الكبير للطبراني عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ اللهم اغفر للعباس، وأبناء العباس وأبناء أبناء العباس. وفي سنده عبد الرحمن بن حاتم المرادي المصري وهو متروك.

وفي تاريخ دمشق ـ مما هو شديد الوهي ـ عن أبي هريرة مرفوعاً: اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمحبي ولد العباس وشيعتهم.

وفي المناقب للإمام أحمد بسند لا بأس به، أن العباس قال: كنت

عند النبي ﷺ ذات ليلة فقال: انظر هل ترى في السماء نجماً، قلت: نعم قال: ما ترى؟ قلت: الثريا، قال: أما إنه يلي هذه الأمة بعددها من صلبك.

وروى السهمي[1] من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال له: ألا أبشرك يا عم، قال: بلى بأبي أنت وأمي فقال عليه السلام: إن من ذريتك الأصفياء ومن عترتك الخلفاء.

ومن حديث أبي هريرة: فيكم النبوة والمملكة.

ومن حديث ابن عباس عن أبيه: هذا عمي أبو الخلفاء أجود قريش كفاً وأجملها وإن من ولده السفاح والمنصور والمهدي.

وذكر ابن حبان والملاء من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا بكر هذا العباس قد أقبل وعليه ثياب بيض وسيلبس ولده من بعده السواد.

وعن جابر بن عبدالله سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليكونن في ولده ـ يعني العباس ـ ملوك، يكونون أمراء أمتي، يعز الله بهم الدين. قال الحافظ أبو الحسن الدارقطني: هذا حديث غريب من حديث عمرو بن دينار عن جابر، خرجه الأصفهاني[2].

وتوفي العباس رضي الله عنه في خلافة عثمان رضي الله عنه قبل مقتله بسنتين بالمدينة، يوم الجمعة لاثنتي عشرة ـ وقيل لأربع عشرة ـ خلت من رجب، وقيل من رمضان سنة اثنتين وقيل ثلاث وثلاثين، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وقيل سبع وثمانين سنة، أدرك منها في الإسلام اثنتين

---

(١) في ط البيهقي.

(٢) انظر التعليق السابق عن هذه الأحاديث ص١٠٨ ح٢ [المحقق].

وثلاثين سنة ودفن بالبقيع، ودخل قبره ابنه عبدالله.

وكان[1] عظيماً جليلاً، وكان يسمى ترجمان القرآن، وهو أبو الخلفاء.

ويروى أن أمه أم الفضل لما وضعته أتت به النبي ﷺ فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وقال: اذهبي بأبي الخلفاء. رواه ابن حبان وغيره[2].

وقد ملأ عقبه الأرض حتى قيل إنهم بلغوا في زمن المأمون ستمائة ألف. واستبعد والله أعلم.

وكان العباس أصغر أعمامه ﷺ ولم يسلم منهم إلا هو وحمزة. وأسنهم الحارث.

[عماته عليه السلام]

وأما عماته ﷺ بنات عبد المطلب بن هاشم، فجملتهن ست: عاتكة، وأميمة، والبيضاء وهي أم حكيم، وبرة، وصفية، وأروى، ولم يسلم منهن إلا صفية أم الزبير بلا خلاف.

واختلف في أروى وعاتكة، فذهب/ أبو جعفر العقيلي إلى إسلامهما، وعدهما في الصحابة، وذكر الدارقطني: عاتكة في جملة الإخوة والأخوات، ولم يذكر أروى. وأما ابن إسحاق فذكر أنه لم يسلم منهن غير صفية.

١١٢/ب

(١) أي عبدالله بن عباس.

(٢) هذا الحديث موضوع، إذ من المعلوم ـ كما قال في الإصابة ـ أن عبدالله ولد بمكة، وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث، ولم يكن يومئذ أذان ولا إقامة حيث لم يشرعا [المحقق].

[صفية]

فأما صفية فأسلمت باتفاق، كما ذكرته، وشهدت الخندق، وقتلت رجلاً من اليهود، وضرب لها ﷺ بسهم، وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، شقيقة حمزة والمقوم وحجل، وكانت في الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ثم هلك فخلفه عليها العوام بن خويلد أخو خديجة أم المؤمنين، فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة، وتوفيت بالمدينة في خلافة عمر رضي الله عنه سنة عشرين، ولها ثلاث وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع.

[عاتكة]

وأما عاتكة المختلف في إسلامها فأمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ، فتكون شقيقة عبدالله أبي النبي ﷺ وأبي طالب والزبير وعبد الكعبة، وهي صاحبة الرؤيا في قصة بدر[1].

[أروى]

وأما أروى المختلف أيضاً في إسلامها، فأمها صفية بنت جندب، فهي شقيقة الحارث بن عبد المطلب، وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد الدار بن قصي، فولدت له طليباً، ثم خلفه عليها كلدة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. وأسلم طليب وكان سبباً في إسلام أمه، كما ذكره الواقدي.

---

(١) وملخصها: أن راكباً مثل علي أبي قبيس وصرخ يالغدر انفروا لمصارعكم ثم أخذ صخرة فأرسلها فهوت وتفتت فما بقي بيت من بيوت مكة إلا دخله قطعة منها. [سيرة ابن هشام ١/٦٠٧] [المحقق].

[أم حكيم]

وأما أم حكيم، البيضاء، فهي شقيقة عبدالله أبي النبي ﷺ.

[برة]

وأما برة فأمها فاطمة أيضاً، وكانت عند أبي رهم بن عبد العزى العامري، ثم خلفه عليها عبد الأسد بن هلال المخزومي، فولدت له أبا سلمة بن عبد الأسد الذي كانت عنده أم سلمة قبل النبي ﷺ.

[أميمة]

وأما أميمة فأمها فاطمة، وكانت تحت جحش بن رئاب، فولدت له عبدالله وعبيدالله وأبا أحمد وزينب وأم حبيبة وحمنة، أولاد جحش ابن رئاب.

[جداته عليه السلام]

وأما جداته عليه الصلاة والسلام من أبيه:

- فأم عبدالله - أبيه - هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.
- وأم عبد المطلب، سلمى ابنة عمرو من بني النجار، وكانت قبل هاشم تحت أحيحة بن الجلاح فولدت له عمرو بن أحيحة، وهو أخو عبد المطلب لأمه.
- وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج[1] بن ذكوان من بني سليم.

---

(١) في ط فاتج.

● وأم عبد مناف عاتكة بنت فالج[1] بن [مليك بن][2] ذكوان من بني سليم.

● وأم قصي فاطمة بنت سعد من أزد الشراة.

● وأم كلاب، نعم بنت سرير بن ثعلبة بن مالك بن كنانة.

● وأم مرة وحشية بنت شيبان بن محارب من فهم.

● وأم كعب، سلمى بنت محارب من فهم.

● وأم لؤي، وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناف من كنانة.

● وأم غالب، سلمى بنت سعد من هذيل.

● وأم فهر، جندلة بنت الحارث الجرهمي.

● وأم مالك: هند بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان.

● وأم النضر، برة بنت مرة، أخت تميم بن مرة.

ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف كما حكاه الطبري عنه وقال: فالجدة الأولى [قرشية][3] مخزومية، والثانية نجارية، والثالثة سليمية[4] والرابعة سليمية أيضاً، وقيل خزاعية والخامسة أزدية، والسادسة كنانية، والسابعة فهمية والثامنة فهمية أيضاً أو فهرية - والخط في الأصل يوهم - والتاسعة كنانية، والعاشرة هذلية، والحادية عشر جرهمية، والثانية عشر قيسية، والثالثة عشر مرية.

وأما جداته عليه الصلاة والسلام من أمه:

● فأم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، برة

(١) في ط فاتج.

(٢) في (أ، ب، د).

(٣) زيادة في ش.

(٤) كذا في ش، وفي النسخ: سلمية، وكذا التي بعدها.

بنت عبد العزى [بن عثمان بن عبد الدار][1] بن قصي بن كلاب بن مرة، وأم أبيها وهب: عاتكة بنت الأوقص/ بن مرة بن هلال بن فالج[2] بن ذكوان من بني سليم، ذكره ابن قتيبة.

1/113

وقال أبو عمر: ويعرف أبوها بأبي كبشة الذي كان ينسب إليه رسول الله ﷺ فيقال: ابن أبي كبشة، ونسب إليه لأنه كان يعبد «الشعرى» ولم يكن أحد من العرب يعبدها غيره، فلما جاءهم ﷺ بخلاف ما كانت عليه العرب قالوا: هذا ابن أبي كبشة، ولم يقصدوا ذمه ﷺ بذلك. وقيل: بل نسب إلى وهب أخي أمه كان يدعى بها، وقيل: كان يدعى بها أبوه من الرضاعة: الحارث بن عبد العزى زوج حليمة فنسب إليه.

● وأم برة هي أم حبيب، قاله ابن قتيبة وقال أبو سعد[3]: أم سفيان بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة [بن كعب][4].

● وأم أم حبيب هي برة بنت عوف بن عبيد بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب.

● وأم برة بنت عوف، قلابة بنت الحارث بن صعصعة بن عائذ بن لحيان بن هذيل.

---

(١) في ش قال ويقع في بعض النسخ النسبة إلى الجد الأعلى أي عبد العزى بن قصي.
(٢) في ط فاتج.
(٣) في ش: أبو سعيد.
(٤) في (ش، ب).

● وأم قلابة، هند بنت يربوع من ثقيف. قاله ابن قتيبة، وقال ابن سعد: أمها بنت مالك بن عثمان من بني لحيان.

فالجدة الأولى والثانية والثالثة من أمهات أمه ﷺ قرشيات، وأم أبي أمه سلمية والرابعة لحيانية هذلية، والخامسة ثقفية، ففي كل قبيلة من قبائل العرب له ﷺ علقة نسب.

[إخوته من الرضاعة]

وأما إخوته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة:

فحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد، أرضعتهما معه ﷺ ثويبة جارية أبي لهب بلبن ابنها مسروح بن ثويبة.

وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أرضعته ورسول الله ﷺ حليمة السعدية، وعبد الله وآسية وجدامة - وتعرف بالشيماء - الثلاثة أولاد حليمة.

وقد روي(١) أن خيلاً له ﷺ أغارت على هوازن، فأخذوها في جملة السبي، فقالت: أنا أخت صاحبكم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالت له: يا محمد، أنا أختك، فرحب بها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه، وقال ﷺ: إن أحببت فأقيمي عندي مكرمة محببة، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك وصلتك. قالت: بل أرجع إلى قومي، فأسلمت، وأعطاها رسول الله ﷺ ثلاثة أعبد وجارية ونعماً وشاء. ذكره أبو عمر وابن قتيبة.

وأما أمه من الرضاعة، فحليمة بنت أبي ذؤيب من هوازن،

---

(١) رواه ابن سعد.

وهي التي أرضعته حتى أكملت رضاعه، وجاءته ﷺ يوم حنين فقام إليها وبسط رداءه لها، فجلست عليه. وكذا ثويبة جارية أبي لهب أيضاً، واختلف في إسلامها كما اختلف في إسلام حليمة وزوجها، فالله أعلم.

وكانت ثويبة تدخل عليه ﷺ بعد أن تزوج خديجة، فكانت تكرمها. وأعتقها أبو لهب، وكان ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر. ذكره أبو عمر.

وكانت حاضنته ﷺ أم أيمن، بركة بنت ثعلبة بن حصن بن مالك، غلبت عليها كنيتها، وكنيت باسم ابنها أيمن الحبشي، وهي أم أسامة بن زيد، تزوجها زيد بعد عبيد، فولدت له أسامة، ويقال: إنها مولاة رسول الله ﷺ. هاجرت الهجرتين إلى أرض الحبشة وإلى المدينة. وكانت لعبدالله بن عبد المطلب، فورثها النبي ﷺ. وقيل كانت لأمه عليه السلام. وكان ﷺ يقول: أم أيمن أمي بعد أمي.

وكانت الشيماء بنت حليمة السعدية تحضنه أيضاً مع أمها حليمة السعدية.

الفصل الخامس

في خدمه وحرسه ومواليه ومن كان على نفقاته/ وخاتمه ونعله وسواكه ومن يأذن عليه ومن كان يضرب الأعناق بين يديه

١١٣/ب

[خدمه عليه السلام]

أما خدمه:

• فمنهم أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا حمزة، خدم النبي ﷺ تسع سنين أو عشر سنين، ودعا له ﷺ فقال: اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة. وقال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ منه. وتوفي سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة اثنين وقيل سنة إحدى وتسعين وقد جاوز المائة.

• ومنهم ربيعة بن كعب الأسلمي، صاحب وضوئه، وتوفي سنة ثلاث وستين.

• ومنهم: أيمن ابن أم أيمن[1]، صاحب مطهرته ﷺ، استشهد يوم حنين.

• ومنهم عبدالله بن مسعود بن غافل ـ بالمعجمة والفاء ـ ابن حبيب الهذلي، أحد السابقين الأولين، شهد بدراً والمشاهد، وكان

---

(١) هو أيمن بن عبيد، وهو ابن أم أيمن.

صاحب الوسادة والسواك والنعلين والطهور وكان يلي ذلك من النبي ﷺ، وكان إذا قام النبي ﷺ ألبسه نعليه، وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم. وتوفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين، وقيل سنة ثلاث.

● ومنهم عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني، وكان صاحب بغلته يقود به ﷺ في الأسفار، روينا عنه أنه قال: بينما أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب إذ قال لي رسول الله ﷺ: اركب يا عقبة، قال فأجللت رسول الله ﷺ أن أركب مركبه ثم أشفقت أن يكون معصية قال: فركبت هنيهة ثم نزلت، ثم ركب النبي ﷺ وقدت به، فقال لي: يا عقبة ألا أعلمك من خير سورتين قرأ بهما الناس فقلت: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال: **﴿قل أعوذ برب الفلق﴾** و **﴿قل أعوذ برب الناس﴾** الحديث رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

ولأحمد: فقال يا عقبة، ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم، قال: قلت بلى، قال: **فأقرأني ﴿قل هو الله أحد﴾** و**﴿قل أعوذ برب الفلق﴾** و**﴿قل أعوذ برب الناس﴾**.

وكان عقبة عالماً بكتاب الله وبالفرائض فصيحاً شاعراً مفوهاً، ولي مصر لمعاوية سنة أربع وأربعين ثم صرفه بمسلمة بن مخلد، وتوفي بها سنة ثمان وخمسين.

● ومنهم أسلع بن شريك صاحب راحلته. وفي الطبراني عن الربيع بن بدر قال: حدثني أبي عن أبيه عن رجل يقال له أسلع قال كنت أخدم النبي ﷺ وأرحل له، فقال لي ذات يوم: يا أسلع، قم

فأرحل، فقلت: يا رسول الله أصابتني جنابة، فسكت رسول الله ﷺ وأتاه جبريل فنزل بآية الصعيد فقال رسول الله ﷺ: قم يا أسلع فتيمم، قال: فقمت، ثم رحلت له ثم سار حتى مر بماء ثم قال لي يا أسلع: مسَّ أو أمسَّ هذا جلدك، قال: فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين انتهى[1].

● ومنهم: سعد مولى أبي بكر، وقيل سعيد، ولم يثبت،وروى عنه ابن ماجه.

● ومنهم: أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، أسلم قديماً، وتوفي بالربذة سنة إحدى وثلاثين، وصلى عليه عبدالله بن مسعود ثم مات بعده في ذلك اليوم، قاله ابن الأثير في «معرفة الصحابة»، وفي التقريب للحافظ ابن حجر سنة اثنتين وثلاثين.

● ومنهم: مهاجر مولى أم سلمة.

● ومنهم: حنين والد عبدالله، مولى عباس[2]، كان يخدم النبي ﷺ، ثم وهبه لعمه العباس[3].

● ومنهم: نعيم بن ربيعة الأسلمي/ 1/114

● ومنهم: أبو الحمراء، مولاه ﷺ وخادمه، واسمه هلال بن الحارث، أو ابن ظفر، نزل حمص وتوفي بها.

● ومنهم: أبو السمح خادمه ﷺ واسمه إياد.

---

(١) الأول من رواة هذا الحديث متروك والثاني والثالث مجهولان. وفي الصحيح من حديث عائشة أن سبب نزول الآية إقامته ﷺ على التماس قلادتها التي سقطت في بعض أسفاره.

(٢) في (ب، د) ابن عباس.

(٣) روى البخاري في التاريخ أن حنيناً كان غلاماً للنبي فوهبه لعمه العباس فأعتقه فكان يخدم النبي ﷺ.

ومن النساء:

- بركة أم أيمن الحبشية، وهي والدة أسامة بن زيد ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه.
- وخولة جدة حفص.
- وسلمى أم رافع، زوج أبي رافع.
- وميمونة بنت سعد.
- وأم عياش مولاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم.

[مهمات أخرى]

وكان يضرب الأعناق بين يديه: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، والضحاك بن سفيان.

وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة.

وكان بلال على نفقاته.

ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي على خاتمه.

وابن مسعود على سواكه ونعله، كما تقدم.

وأبو رافع واسمه أسلم ـ وقيل غير ذلك ـ قبطي، كان على ثقله[1].

وأذن عليه ﷺ في المشربة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رباح النوبي.

---

(١) أي متاعه.

[حراسه عليه السلام]

وأما حراسه:

● فمنهم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، سيد الأوس، أسلم بين العقبتين على يد مصعب بن عمير، وشهد بدراً وأحداً والخندق، فرمي فيه بسهم فعاش شهراً ثم انتقض جرحه فمات. حرس النبي ﷺ يوم بدر حين نام في العريش.

● ومنهم: محمد بن مسلمة الأنصاري، حرسه يوم أحد.

● ومنهم: الزبير بن العوام حرسه يوم الخندق.

● ومنهم: بلال، المؤذن، أسلم قديماً، وعذب في الله، وسكن الشام أخيراً، ولا عقب له، وتأتي وفاته إن شاء الله تعالى، وكان يحرس النبي ﷺ بوادي القرى.

● وكان أبو بكر الصديق يوم بدر في العريش شاهراً سيفه على رأسه ﷺ لئلا يصل إليه أحد من المشركين. رواه ابن السمان في الموافقة.

● ووقف المغيرة بن شعبة على رأسه بالسيف يوم الحديبية.

● وكان يحرسه ﷺ أيضاً عباد بن بشر.

فلما نزل ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾[1] ترك ذلك.

[مواليه عليه السلام]

وأما مواليه ﷺ :

● أسامة وأبوه زيد بن حارثة، حب رسول الله ﷺ ، أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة.

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧.

وكان زيد قد أسر في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة، فاستوهبه النبي ﷺ منها، ذكر قصته محمد بن إسحاق في السيرة، وأن أباه وعمه أتيا مكة فوجداه، فطلبا أن يفدياه، فخيره النبي ﷺ بين أن يدفعه لهما أو يبقى عنده ﷺ، وفي رواية الترمذي قال: يا رسول الله، لا أختار عليك أحداً أبداً.

واستشهد زيد في مؤته، ومات ابنه أسامة بالمدينة أو بوادي القرى سنة أربع وخمسين.

● ومنهم: ثوبان، لازم رسول الله ﷺ ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين.

● وأبو كبشة، أوس، ويقال سليم من مولدي مكة وشهد بدراً.

● وشقران ـ بضم الشين المعجمة وسكون القاف ـ واسمه صالح الحبشي، ويقال: فارسي، شهد بدراً وهو مملوك، ثم عتق، قاله الحافظ ابن حجر وقال: أظنه مات في خلافة عثمان.

● ورباح ـ وهو بفتح الراء وبالموحدة ـ الأسود، وكان يأذن عليه أحياناً إذا انفرد، وهو الذي أذن لعمر بن الخطاب في المشربة، كما تقدم.

● ويسار، الراعي، وهو الذي قتله العرنيون.

● وزيد وهو أبو يسار ـ وليس زيد بن حارثة والد أسامة ـ ذكره ابن الأثير.

● ومدعم ـ بكسر الميم وفتح العين المهملة ـ عبد أسود، كان لرفاعة بن زيد الضبيبي ـ بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة الأولى ـ فأهداه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

● وأبو رافع، واسمه: أسلم القبطي، وكان/ للعباس فوهبه ١١٤

للنبي ﷺ ، فلما بشر النبي ﷺ بإسلام العباس أعتقه، توفي قبل قتل عثمان بيسير.

● ورفاعة بن زيد الجذامي.

● وسفينة، واختلف في اسمه، فقيل: طهمان، وقيل: كيسان، وقيل: مهران، وقيل غير ذلك، وسماه رسول الله ﷺ سفينة لأنهم كانوا حملوه شيئاً كثيراً في السفر[١].

● ومأبور القبطي، وهو من جملة من أهداه المقوقس للنبي ﷺ .

● وواقد، أو أبو واقد.

● وأنجشة الحادي، ويأتي ذكره في حداته ﷺ إن شاء الله تعالى.

● وسلمان الفارسي، أبو عبدالله، ويقال له سلمان الخير، أصله من أصبهان، وقيل من رام هرمز، أول مشاهده الخندق، مات سنة أربع وثلاثين، يقال بلغ ثلاثمائة سنة.

● وشمعون بن زيد، أبو ريحانة. قال الحافظ ابن حجر: حليف الأنصار، ويقال مولى رسول الله ﷺ ، شهد فتح دمشق وقدم مصر، وسكن بيت المقدس.

● وأبو بكرة، نفيع بن الحارث بن كلدة، جد القاضي الجليل بكار بن قتيبة الحنفي قاضي مصر المدفون بها.

ومن النساء: أم أيمن الحبشية، وسلمى أم رافع زوج أبي رافع، ومارية وريحانة وقيسر أخت مارية وغير ذلك.

قال ابن الجوزي: مواليه ثلاثة وأربعون، وإماؤه إحدى عشرة.

---

(١) رواه الإمام أحمد عنه: كنا في سفر، وكان كلما أعيى رجل ألقى علي ثيابه، ترساً أو سيفاً، حتى حملت من ذلك شيئاً كثيراً فقال ﷺ: احمل فإنما أنت سفينة، فلو حملت يومئذٍ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ما ثقل علي.

الفصل السادس

في أمرائه ورسله وكتابه وكتبه إلى أهل الإسلام في الشرائع والأحكام، ومكاتباته إلى الملوك وغيرهم من الأنام

[كتّابه عليه السلام]

أما كتابه فجمع كثير وجم غفير ذكرهم بعض المحدثين في تأليف له بديع استوعب فيه جملاً من أخبارهم، ونبذاً من سيرهم وآثارهم، وصدر فيه بالخلفاء الأربعة الكرام، خواص حضرته عليه الصلاة والسلام.

● فأولهم في التقديم أبو بكر الصديق، وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، وفي الإسلام عبدالله، وسمي بالصديق لتصديقه النبي ﷺ، وقيل إن الله صدقه، ويلقب عتيقاً لجماله، أو لأنه ليس في نسبه ما يعاب به، وقيل لأنه عتيق من النار.

ولي الخلافة سنتين ونصفاً[1]، وسنه سن المصطفى ﷺ. وتوفي مسموماً[2].

---

(١) في (ط، ب) سنتين وستة أشهر وأربع ليال.

(٢) روى ابن سعد أن أبا بكر والحارث بن كلدة أكلا خزيرة أهديت لأبي بكر ـ وكان الحارث طبيباً ـ فقال ارفع يدك فوالله إن فيها لسم سنة، فلم يزالا =

وأسلم أبوه أبو قحافة يوم الفتح، وتوفي بعد ولده[١] في خلافة عمر، وأسلمت أمه أم الخير سلمى بنت صخر قديماً في دار الأرقم.

● وعمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، استخلفه أبو بكر فأقام عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال، وقتله أبو لؤلؤة، فيروز غلام المغيرة بن شعبة.

● وعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً، ثم قتل يوم الدار شهيداً.

وروي عن عائشة، مما ذكره الطبري في فضائله من كتابه «الرياض» إن رسول الله ﷺ لمسند ظهره إلي، وإن جبريل ليوحي إليه القرآن، وإنه ليقول له: اكتب يا عثيم. رواه أحمد.

وروى البيهقي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره وعثمان بين يديه، وكان كاتب سر[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم.

● وعلي بن أبي طالب، وأقام في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام، وتوفي شهيداً على يد عبد الرحمن بن ملجم، واختص علي بكتابة الصلح يوم الحديبية.

= عليلين حتى ماتا عند انقضاء السنة في يوم واحد. وفي فتح الباري: سمته يهودية في خزيرة أو غيرها.

(١) هذه الجملة سقطت من الأصل.

(٢) أي الأمورالتي يريد إخفاءها عن الناس.

• وطلحة بن عبيدالله [التيمي][1]، أحد العشرة، استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين سنة.

• والزبير بن العوام بن خويلد [الأسدي ابن عمته وحواريه][2]، أحد العشرة أيضاً، قتل سنة ست وثلاثين، يوم الجمل، قتله عمرو بن جرموز، بوادي السباع غيلة وهو نائم.

• وسعيد بن العاص، أخو خالد وأبان.

• وسعد بن أبي وقاص.

• وعامر بن فهيرة [مولى أبي بكر رضي الله عنه][3].

• وعبدالله بن الأرقم القرشي الزهري، كان يكتب الرسائل عن رسول الله ﷺ إلى الملوك وغيرهم، وكتب بعده لأبي بكر، ثم لعمر من بعده، رضي الله عنهم، واستعمله عمر على بيت المال مدة ولايته ثم عثمان من بعده، إلى أن استعفى عثمان من الولاية وبقي عاطلاً، وكان أمير المؤمنين عمر يقول: ما رأيت أحداً أخشى لله منه، مات في خلافة عثمان.

• وأبي بن كعب ـ بضم الهمزة وفتح الموحدة ـ من سُبّاق الأنصار، كان يكتب الوحي له ﷺ ، وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهده ﷺ[4] وأحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهده

---

(١) في (ب، ش، د).

(٢) في (ب، ش، د).

(٣) في (ب، ش، د).

(٤) وبقية الستة من الأنصار: زيد بن ثابت، وأبو زيد، ومعاذ، وأبو الدرداء وسعد بن عبادة رواه الطبراني والبيهقي. وأخرج الشيخان عن أنس: جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت، قال قتادة قلت لأنس من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي.

عليه السلام، توفي بالمدينة سنة تسع عشرة. وقيل سنة عشرين، وقيل غير ذلك، وهو الذي كتب الكتاب إلى ملكي عمان «جيفر» و«عبد» ابني الجلندى، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

١٠/أ

● وثابت بن قيس بن شماس/، استشهد باليمامة، وهو الذي كتب كتاب قطن بن حارثة العليمي، كما سيأتي إن شاء الله.

● وحنظلة بن الربيع الأسيدي[١] الذي غسلته الملائكة حين استشهد[٢].

● وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي.

● وابنه معاوية، ولي لعمر الشام، وأقره عثمان. قال ابن إسحاق: وكان أميراً عشرين سنة، وخليفة - أمير المؤمنين - بعد [نزول][٣] الحسن بن علي سبط سيد المرسلين عشرين سنة.

وروينا في مسند الإمام أحمد من حديث العرباض قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم علم معاوية الكتاب والحساب، وقه العذاب.

وهو مشهور بكتابة الوحي.

---

(١) نسبة إلى أسيد، جده الأعلى، وفي ط: الأسدي، وهو غلط، انظر مسلم الحديث (٢٧٥٠).

(٢) قال الشارح: كذا في النسخ وهو غلط فاضح فإن غسيل الملائكة هو حنظلة ابن أبي عامر، ولعله كان في الأصل غير الذي غسلته الملائكة فسقط لفظ (غير). قال في الإصابة: ويقال له حنظلة الكاتب وهو ابن أخي أكثم بن صيفي.

(٣) في ط.

أسلم يوم فتح مكة ومات في العشر الأخير من رجب سنة تسع وخمسين، وقيل سنة ستين وقد قارب الثمانين. وقال ابن عبد البر عن اثنتين وثمانين سنة والله أعلم.

• وأخوه يزيد بن أبي سفيان بن حرب، أمره عمر على دمشق حتى مات بها سنة تسع عشرة بالطاعون، فوليها بعده أخوه معاوية حتى رقي منها إلى الخلافة، وكان يزيد رضي الله عنه من سروات الصحابة وساداتهم، أسلم يوم الفتح أيضاً وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية وزنها له بلال رضي الله عنه.

• وزيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري النجاري، مشهور بكتب الوحي، مات سنة خمسين أو ثمان وأربعين، وقيل بعد الخمسين. وكان أحد فقهاء الصحابة، وهو أحد من جمع القرآن في خلافة أبي بكر، ونقله إلى المصحف في خلافة عثمان.

• وشرحبيل بن حسنة، وهي أمه، وهو أول كاتب للنبي ﷺ.

• والعلاء بن الحضرمي.

• وخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، سيف الله، أسلم بين الحديبية والفتح، مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين.

• وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، فاتح مصر في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أسلم عام الحديبية وولي إمرة مصر مرتين، وهو الذي فتحها، ومات بها سنة نيف وأربعين وقيل بعد الخمسين.

• والمغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم قبل الحديبية، وولي إمرة البصرة ثم الكوفة، مات سنة خمسين على الصحيح.

• وعبدالله بن رواحة الخزرجي الأنصاري أحد السابقين، شهد بدراً واستشهد بمؤتة.

• ومعيقيب ـ بقاف وآخره موحدة، مصغر ـ ابن أبي فاطمة الدوسي، من السابقين الأولين، وشهد المشاهد ومات في خلافة عثمان أو علي.

• [وكتب له خالد بن سعيد بن العاص كتاب ثقيف كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الوفود][1].

• وحذيفة بن اليمان، من السابقين، صح في مسلم أنه ﷺ أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، وأبوه صحابي أيضاً استشهد بأحد، ومات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين.

• وحويطب بن عبد العزى العامري، أسلم يوم الفتح، عاش مائة وعشرين سنة، ومات سنة أربع وخمسين.

وله كتاب أخر سوى هؤلاء، وذكروا في الكتاب الذي تقدم ذكره.

وكان معاوية وزيد بن ثابت ألزمهم لذلك وأخصهم به، كما قاله الحافظ الشرف الدمياطي وغيره، ونبهت عليه.

قال الحافظ ابن حجر: وقد كتب له قبل زيد بن ثابت، أبي بن كعب، وهو أول من كتب له بالمدينة، وأول من كتب له بمكة من قريش عبدالله بن أبي سرح، ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح، وممن كتب له في الجملة أكثر من غيره الخلفاء الأربعة وأبان وخالد ابنا سعيد بن العاصي بن أمية.

---

(١) في الأصل.

[كتبه عليه السلام]

وقد كتب ﷺ إلى أهل الإسلام كتباً في الشرائع والأحكام:

[الكتاب الذي كان عند الصديق]

منها كتابه في الصدقات الذي كان عند أبي بكر، فكتبه أبو بكر لأنس لما وجهه إلى البحرين ولفظه كما في البخاري[1] وأبي داود والنسائي:

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله، فمن سُئلها من المسلمين على وجهها فليعطها، ومن سُئل فوقها فلا يعط:

في أربعة وعشرين من الإبل فما دونها، من الغنم في كل خمس/ ١١٥/ب من الإبلْ شاة.

فإذا بلغت خمساً وعشرين إلى خمس وثلاثين، ففيها بنت مخاض أنثى، فإن لم تكن ابنة مخاض فابن لبون ذكر.

فإذا بلغت ستاً وثلاثين إلى خمس وأربعين، ففيها بنت لبون أنثى.

فإذا بلغت ستاً وأربعين إلى ستين، ففيها حقة طروقة الجمل.

فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمس وسبعين، ففيها جذعة.

فإذا بلغت ستاً وسبعين إلى تسعين، ففيها بنتا لبون.

---

(١) هو عند البخاري في مواضع عشرة، منها ستة في كتاب الزكاة، ثلاثة أبواب متوالية ثم فصل بباب ثم ثلاثة متوالية، وفي الخمس والشركة واللباس وترك الحيل. وعند أبي داود برقم ١٥٦٧.

فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة، ففيها حقتان طروقتا الجمل.

فإذا زادت عن عشرين ومائة، ففي كل أربعين ابنة لبون وفي كل خمسين حقة.

ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل، فليست فيها صدقة، إلا أن يشاء ربها، فإذا بلغت خمساً من الإبل ففيها شاة.

ومن بلغت عنده من الإبل صدقة الجذعة، وليست عنده جذعة، وعنده حقة، فإنها تقبل منه الحقة، ويجعل معها شاتين إن استيسرتا له، أو عشرين درهماً.

ومن بلغت عنده صدقة الحقة، وليست عنده الحقة، وعنده الجذعة فإنها تقبل منه الجذعة ويعطيه المصدق عشرين درهماً أو شاتين.

ومن بلغت عنده صدقة الحقة، وليست عنده إلا ابنة لبون، فإنه تقبل منه بنت لبون، ويعطي شاتين أو عشرين درهماً.

ومن بلغت صدقته بنت لبون، وعنده حقة، فإنه تقبل منه الحقة ويعطيه المصدق عشرين درهماً أو شاتين.

ومن بلغت عنده صدقة بنت لبون، وليست عنده وعنده بنت مخاض، فإنها تقبل منه بنت المخاض، ويعطي معها عشرين درهماً أو شاتين.

ومن بلغت صدقته بنت مخاض، وليست عنده، وعنده بنت لبون، فإنها تقبل منه بنت لبون، ويعطيه المصدق عشرين درهماً أو شاتين، فإن لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها وعنده ابن لبون فإنه يقبل منه وليس معه شيء.

وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا بلغت أربعين إلى عشرين ومائة شاةٍ شاةٌ.

فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين ففيها شاتان.

فإذا زادت على مائتين إلى ثلاثمائة ففيها ثلاث شياه.

فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائةٍ شاةٌ.

فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة عن أربعين شاة شاة واحدة، فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها.

ولا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية، ولا يخرج في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس إلا أن يشاء الْمُصَدّقُ.

وفي الرقة ربع العشر، فإن لم تكن إلا تسعين ومائة فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها).

قوله وفي الرقة: الدراهم المضروبة، والهاء فيه عوض من الواو المحذوفة من الورق. قاله ابن الأثير في الجامع. وقال في فتح الباري: هي بكسر الراء وتخفيف القاف: الفضة الخالصة سواء كانت مضروبة أو غير مضروبة.

[الكتاب الذي كان عند عمر]

ومنها كتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في نُصُب الزكاة وغيرها، كما رواه أبو داود والترمذي عن سالم عن أبيه[1]: كتب ﷺ كتاب الصدقة ولم يخرجه إلى عماله وقرنه بسيفه حتى

(١) في (ب، ش، د) عن أبيه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

قبض، فعمل به أبو بكر حتى قبض، ثم عمل به عمر حتى قبض وكان فيه:

في خمس من الإبل شاة، وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه، وفي عشرين أربع شياه، وفي خمس وعشرين بنت مخاض، إلى خمس وثلاثين، فإن زادت واحدة ففيها ابنة لبون، إلى خمس وأربعين، فإن زادت واحدة ففيها حقة إلى ستين، فإن زادت واحدة ففيها جذعة، إلى خمس وسبعين فإن زادت واحدة ففيها ابنتا لبون إلى تسعين، فإن زادت واحدة ففيها حقتان إلى عشرين ومائة، فإذا كانت الإبل أكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة/ وفي كل أربعين ابنة لبون. ١١٦/١

وفي الغنم في كل أربعين شاةٍ شاةٌ إلى عشرين ومائة، فإذا زادت واحدة فشاتان، إلى المائتين ففيها ثلاث شياه إلى ثلاثمائة، فإن كانت الغنم أكثر من ذلك ففي كل مائةِ شاةٍ شاةٌ، ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة.

ولا يفرق بين مجتمع، ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية، ولا يؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عيب.

قال الزهري: وإذا جاء المصدق قسم الشاء أثلاثاً، ثلث خيار، وثلث أوساط، وثلث شرار، وأخذ من الوسط. رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن، قال: ورواه يونس وغير واحد عن الزهري عن سالم ولم يرفعه.

قال ابن الأثير في النهاية: والخليط: المخالط، يريد به الشريك الذي يخلط ماله بمال شريكه، والتراجع بينهما هو أن يكون لأحدهما

مثلاً أربعون بقرة وللآخر ثلاثون بقرة ومالهما مختلط، فيأخذ الساعي عن الأربعين مسنة وعن الثلاثين تبيعاً، فيرجع باذل المسنة بثلاثة أسباعها على شريكه، وباذل التبيع بأربعة أسباعه على شريكه، لأن كل واحد من السنين واجب على الشيوع وكأن المال ملك واحد. انتهى.

وقال في فتح الباري: واختلف في المراد بالخليط، فعند أبي حنيفة أنه الشريك، واعترض عليه بأن الشريك لا يعرف عين ماله. وقد قال: إنهما يتراجعان بينهما بالسوية، وما يدل على أن الخليط لا يستلزم أن يكون شريكاً قوله تعالى: ﴿**وإن كثيراً من الخلطاء**﴾ وقد بينه قبل ذلك بقوله: ﴿**إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة**﴾[1].

واعتذر بعضهم عن الحنفية: بأنهم لم يبلغهم هذا الحديث، أو رأوا أن الأصل قوله: ليس فيما دون خمس ذودٍ صدقة، وحكم الخليط يغاير هذا الأصل، فلم يقولوا به، وقال أبو حنيفة: لا يجب على أحد منهم فيما يملك إلا مثل الذي يجب عليه لو لم يكن خلطة.

وقال سفيان الثوري: لا يجب حتى يتم لهذا أربعون شاة ولهذا أربعون شاة.

وقال الشافعي وأحمد وأصحاب الحديث: إذا بلغت ماشيتهما النصاب زكيا، والخلطة عندهم أن يجتمعا في المسرح والمبيت والحوض والفحل، والشركة أخص منها. انتهى.

[كتابه لأهل اليمن]

ومنها كتابه ﷺ إلى أهل اليمن، وهو كتاب جليل، فيه من

(١) سورة ص، الآية ٢٣.

أنواع الفقه في الزكاة والديات والأحكام، وذكر الكبائر والطلاق والعتاق، وأحكام الصلاة في الثوب الواحد والاحتباء فيه، ومس المصحف وغير ذلك. واحتج الفقهاء كلهم بما فيه من مقادير الديات، ورواه النسائي وقال: قد روى هذا الحديث يونس عن الزهري مرسلاً، وأبو حاتم في صحيحه وغيرهما متصلاً عن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن، وكان في كتابه:

أن من اعتبط مؤمناً قتلا عن بينة فإنه قود إلا أن يرضى أولياء المقتول، وفيه: أن الرجل يقتل بالمرأة، وفيه: في النفس الدية مائة من الإبل وعلى أهل الذهب ألف دينار، وفي الأنف إذا أوعب جدعه الدية مائة من الإبل، وفي الأسنان الدية، وفي الشفتين الدية، وفي البيضتين الدية، وفي الذكر الدية، وفي الصلب الدية، وفي العينين الدية، وفي الرجل الواحدة نصف الدية، وفي المأمومة ثلث الدية، وفي الجائفة ثلث الدية، وفي المنقلة[1] خمس عشرة من الإبل، وفي كل أصبع من أصابع اليد والرجل عشر من الإبل، وفي السن خمس من الإبل.

وفي رواية مالك: وفي العين خمسون، وفي اليد خمسون، وفي الرجل خمسون، وفي الموضحة خمس من الإبل.

ومنها كتابه إلى بني زهير[2].

١١٦/ب وأما مكاتباته عليه الصلاة والسلام إلى الملوك وغيرهم: /

---

(١) هذه أسماء الجروح: فالمأمومة هي التي تصل إلى جلدة الدماغ، والجائفة هي التي تصل إلى باطن الجوف. والمنقلة هي ما توضح العظم وتهشمه [م]

(٢) سقطت هذه الجملة من (ب، ط).

[كتابه إلى هرقل]

فروي أنه ﷺ لما رجع من الحديبية كتب إلى الروم، فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، و«الله» سطر، وختم به الكتاب.

وإنما كانوا لا يقرؤون الكتاب إلا مختوماً خوفاً من كشف أسرارهم، وللإشعار بأن الأحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم.

وعن أنس، إن ختم كتاب السلطان والقضاة سنة متبعة، وقال بعضهم: هو سنة لفعله صلى الله عليه وسلم.

فكتب إلى قيصر، المدعو «هرقل» ملك الروم يوم ذاك، ثم قال بعد تمام[1] الكتاب من ينطلق بكتابي هذا إلى هرقل[2] وله الجنة، فقالوا: وإن لم يصل يا رسول الله؟ قال: وإن لم يصل، فأخذه دحية ابن خليفة الكلبي، وتوجه إلى مكان فيه هرقل. ولفظه:

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله - وفي رواية البخاري: عبدالله ورسوله[3] - إلى هرقل عظيم الروم - وفي رواية غير البخاري: إلى قيصر صاحب الروم -[4]: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين، ويا أهل الكتاب تعالوا

---

(١) في (ب، ط) كتابة الكتاب.

(٢) في (ط، د) قيصر.

(٣) ما بين المعترضتين في ش،

(٤) ما بين المعترضتين في ش.

إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) رواه البخاري.

وكان ﷺ أرسل هذا الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل في آخر سنة ست، بعد أن رجع من الحديبية، كما قاله الواقدي. ووقع في تاريخ خليفة[1] أن إرساله كان سنة خمس، والأول أثبت، بل هذا غلط لتصريح أبي سفيان: بأن ذلك كان في مدة صلح الحديبية كما في حديث البخاري، في المدة التي كان ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، يعني مدة صلح الحديبية، وكانت سنة ست اتفاقاً.

ولم يقل ﷺ إلى هرقل ملك الروم، لأنه معزول بحكم الإسلام، ولم يخله من الإكرام لمصلحة التأليف.

وقوله: يؤتك الله أجرك مرتين، أي لكونه مؤمناً بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ.

وقوله: فإن عليك إثم الأريسين: أي فإن عليك مع إثمك إثم الأتباع بسبب أنهم اتبعوك على استمرار الكفر.

وقيل: إنه ﷺ كتب هذه الآية: يعني ﴿يا أهل الكتاب﴾ قبل نزولها، فوافق لفظه لفظها لما نزلت، لأن هذه الآية نزلت في قصة وفد نجران، وكانت قصتهم سنة الوفود سنة تسع، وقصة أبي سفيان هذه كانت قبل ذلك سنة ست. وقيل: نزلت في اليهود، وجوز بعضهم

(١) خليفة بن خياط بن خليفة العصفري البصري الحافظ أحد شيوخ البخاري، قال ابن عدي له حديث وتاريخ حسن وكتاب في طبقات الرواة وهو مستقيم الحديث صدوق متيقظ مات سنة أربعين ومائتين.

نزولها مرتين، وهو بعيد والله أعلم.

ولما قرئ كتاب النبي ﷺ غضب ابن أخي قيصر غضباً شديداً وقال: أرني الكتاب، فقال له وما تصنع به؟ فقال: إنه بدأ بنفسه، وسماك صاحب الروم، فقال له عمه: إنك لضعيف الرأي، أتريد أن أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر، أو كلاماً هذا معناه، أو قال: أن أرمي بكتاب ولم أعلم ما فيه، لئن كان رسول الله إنه لأحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق: أنا صاحب الروم، والله مالكي ومالكه، ثم أمر بإنزال دحية وإكرامه إلى أن كان من أمره ما ذكره البخاري في حديثه. انتهى.

[كتابه إلى كسرى]

وكتب ﷺ إلى كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان ملك فارس:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. أدعوك بدعاية الله، فإني رسول الله إلى الناس كلهم، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن توليت فعليك إثم المجوس).

فلما قرئ عليه الكتاب مزقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: مزق ملكه.

وفي البخاري من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبدالله بن حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه،

فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق.

وقيل: بعثه مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي في البخاري هو الصحيح.

وفي كتاب «الأموال» لأبي عبيد من مرسل عمير بن إسحاق قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه، وأما/ قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه، فقال رسول الله ﷺ: أما هؤلاء فيمزقون، وأما هؤلاء فسيكون لهم بقية. ١١١/١

وروي أنه لما جاء جواب كسرى قال: مزق ملكه، ولما جاء جواب هرقل قال: ثبت ملكه.

وذكر [شيخ الإسلام أبو الفضل][(١)] ابن حجر العسقلاني في فتح الباري. عن سيف الدين قلج المنصوري، أحد أمراء الدولة القلاوونية، أنه قدم على ملك المغرب بهدية من الملك المنصور قلاوون، فأرسله ملك المغرب إلى ملك الفرنج في شفاعة، وأنه قبله وأكرمه، وقال: لأتحفنك بتحفة سنية، فأخرج له صندوقاً مصفحاً بذهب، فأخرج منه مقلمة من ذهب فأخرج منها كتاباً قد زالت أكثر حروفه، وقد ألصقت عليه خرقة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر، ما زلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا عن آبائهم إلى قيصر، إنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ، ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا. انتهى.

---

(١) في (ب، ش، د).

[كتابه إلى النجاشي]

وكتب ﷺ إلى النجاشي:

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين، والسلام على من اتبع الهدى).

وبعث الكتاب مع عمرو بن أمية الضمري، فقال النجاشي له عندما قرأ الكتاب: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر عنه، ولكن أعواني من الحبش قليل، فأنظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب.

ثم كتب النجاشي جواب الكتاب إلى النبي ﷺ:

(بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو [الذي هداني للإسلام][1] أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى

---

(١) في (ب، ش، د).

لا يزيد على ما ذكرت ثفروقاً، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين. وقد بعثت إليك ابني، وإن شئت أتيتك بنفسي فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته).

ثم إنه أرسل ابنه في أثر من أرسله من عنده مع جعفر بن أبي طالب عم رسول الله، فلما كانوا في وسط البحر غرقوا[1]، ووافى جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ وكانوا سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف، منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ [من][2] القرآن سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه الصلاة والسلام، وفيهم أنزل الله: ﴿**ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا**﴾[3] إلى آخر الآية، لأنهم كانوا من أصحاب الصوامع. انتهى.

الثفروق: علاقة[4] ما بين النواة والقشر[5].

وهذا هو أصحمة الذي هاجر إليه المسلمون في رجب سنة خمس من النبوة، وكتب إليه النبي ﷺ كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام مع عمرو ابن أمية الضمري سنة ست من الهجرة، فآمن به وأسلم على يد جعفر ابن أبي طالب، وتوفي في رجب سنة تسع [من الهجرة][6] ونعاه النبي

(١) لعل الغرق كان في عودتهم إلى الحبشة [المحقق].
(٢) في ط. وفي ب سقطت: من القرآن.
(٣) سورة المائدة، الآية ٨٢.
(٤) في ب: غلاقة.
(٥) في ط: والقمح، وفي ش: والقمع، قال الشارح: والقمع من الثمرة.
(٦) في ش.

ﷺ يوم توفي وصلى عليه بالمدينة.

وأما النجاشي الذي ولي بعده، وكتب له النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام فكان كافراً، لم يعرف إسلامه ولا اسمه. وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما.

وفي صحيح مسلم عن قتادة: أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه(1).

[كتابه إلى المقوقس]

وكتب ﷺ إلى المقوقس ملك مصر والاسكندرية [واسمه جريج ابن مينا](2).

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبدالله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: / فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون). ١١٧/ب

وبعث به مع حاطب بن أبي بلتعة، فتوجه إليه إلى مصر، فوجده بالاسكندرية، فذهب إليها، فرآه في مجلس مشرف على البحر، فركب سفينة إليه وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب إليه، فلما رآه أمر بإحضاره بين يديه، فلما جيء به إليه، ووقف بين يديه، ونظر إلى الكتاب فضه وقرأه، وقال لحاطب: ما منعه إن كان نبياً أن يدعو علي

(1) في (ب، ط، د) اقتصر من الحديث على ذكر النجاشي.

(2) زيادة في (ش، ب، د).

فيسلط علي؟ فقال له حاطب: وما منع عيسى أن يدعو على من خالفه أن يسلط عليه؟ فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت، فقال له حاطب:

إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك.

فقال: إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه.

فقال حاطب: ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله فَقْدَ ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعاء أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به.

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأنظر.

فأخذ كتاب النبي ﷺ وجعله في حق من عاج ودفعه لجارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبي ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط، أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو

إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أن يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم، وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام.

ولم يزد على هذا، ولم يسلم.

[كتابه إلى المنذر]

وكتب ﷺ إلى المنذر بن ساوى:

ذكر الواقدي بإسناده عن عكرمة قال: وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته، فنسخته فإذا فيه:

بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى وكتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام. فكتب المنذر إلى رسول الله ﷺ: أما بعد، يا رسول الله فإني قد قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي يهود ومجوس، فأحدث إلي في ذلك أمرك.

فكتب إليه رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. أما بعد، فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

[كتابه إلى ملكي عمان]

وكتب ﷺ إلى ملكي عمان[1]، وبعثه مع عمرو بن العاص:

1/118 بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله/ ورسوله إلى جيفر - بفتح الجيم وسكون التحتية بعدها فاء[2] - وعبد ابني الجلندى: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما.

وكتب[3] أبي بن كعب، وختم الكتاب.

قال عمرو: فخرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت إلى عبد - وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً - فقلت إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك. فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك عليه.

ثم قال: وما تدعو إليه؟

قلت: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال: يا عمرو إنك كنت ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك؟ فإن لنا فيه قدوة.

قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ ، ووددت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام.

(1) رواه ابن سعد.

(2) زيادة في الأصل.

(3) أي الكتاب.

قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريباً، فسألني: أين كان إسلامك؟

قلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم.

قال: فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه واتبعوه.

قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم.

قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب.

قلت: ما كذبت وما نستحله في ديننا.

ثم قال: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه.

قلت: يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب.

قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً.

قلت: إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقرائهم.

قال: إن هذا لخلق حسن. وما الصدقة؟

فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال، حتى انتهيت إلى الإبل، فقال: يا عمرو، يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟ فقلت: نعم. قال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون هذا.

قال: فمكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري، ثم إنه دعاني يوماً فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي فقال: دعوه،

فأرسلت، فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني لأجلس فنظرت، فقال: تكلم بحاجتك فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففض ختمه وقرأه حتى انتهى إلى آخره. ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته، إلا أني رأيت أخاه أرق منه، فقال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت: تبعوه إما راغب الدين وإما مقهور بالسيف، قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله أنهم كانوا في ضلال. فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الحرجة، وإن لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل، فأسلم تسلم، ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال.

قال: دعني يومي هذا وارجع إلي غداً.

١١٨/ب فرجعت إلى أخيه/ فقال: يا عمرو إني لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه. حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أني لم أصل إليه، فأوصلني إليه فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله ها هنا، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقى.

قلت: وأنا خارج غداً، فلما أيقن بمخرجي، خلا به أخوه فأصبح فأرسل إلي فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدق النبي ﷺ، وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني.

[كتابه إلى صاحب اليمامة]

وكتب ﷺ إلى صاحب اليمامة هوذة بن علي، وأرسل به سليط ابن عمرو العامري:

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يدك).

فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ﷺ مختوماً، أنزله وحباه واقترأ عليه الكتاب، فرد رداً دون رد[1] وكتب إلى النبي ﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجله، والعرب تهاب مكاني فاجعل إلي بعض الأمر أتبعك. وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر.

فقدم بذلك على النبي ﷺ فأخبره، وقرأ النبي ﷺ كتابه وقال: لو سألني سَيابة[2] من الأرض ما فعلت. باد، وباد ما في يديه.

فلما انصرف النبي ﷺ من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هوذة مات، فقال ﷺ: «أما إن اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ، يقتل بعدي» فكان كذلك[3].

[كتابه إلى ابن أبي شمر]

وكتب ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وكان بدمشق، بغوطتها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق، فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك). وأرسله مع شجاع بن وهب.

---

(١) أي رداً فيه لطف دون رد بعنف.

(٢) أي قطعة.

(٣) هذه الفقرة سقطت من ط، من قوله: فلما انصرف.

[كتابه إلى الداريين]

قال صاحب «باعث النفوس»[1]: روي عن أبي هند الداري قال: قدمنا على رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر: تميم بن أوس الداري، وأخوه نعيم، ويزيد بن قيس، وأبو عبدالله بن عبدالله ـ وهو صاحب الحديث[2] ـ وأخوه الطيب بن عبدالله فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن، وفاكه بن النعمان، فأسلمنا وسألنا رسول الله ﷺ أن يقطعنا أرضاً من أرض الشام، فقال ﷺ : سلوا حيث شئتم. قال أبو هند فنهضنا من عنده ﷺ إلى موضع نتشاور فيه: أين نسأل.

فقال تميم: أرى أن نسأله بيت القدس وكورتها، فقال أبو هند: رأيت ملك العجم اليوم، أليس هو بيت المقدس، قال تميم: نعم، فقال أبو هند: فكذلك يكون فيه ملك العرب، وأخاف أن لا يتم لنا هذا. قال تميم: نسأله بيت جيرون وكورتها، فقال أبو هند: أكبر وأكبر، فقال تميم: فأين ترى أن نسأل؟ قال: أرى أن نسأله القرى التي نصنع فيها حصوناً مع ما فيها من آثار إبراهيم عليه السلام، فقال تميم: أصبت ووفقت.

قال: فنهضنا إلى رسول الله ﷺ فقال: يا تميم أتحب أن تخبرني بما كنتم فيه، أو أخبركم؟ فقال تميم: بل تخبرنا يا رسول الله فنزداد إيماناً، فقال عليه السلام: أردت يا تميم أمراً، وأراد أبو هند غيره، ونعم الرأي رأي أبي هند، فدعا رسول الله ﷺ/ بقطعة من أدم، ١١٩/١ وكتب لهما فيها كتاباً نسخته:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب ذكر فيه ما وهب رسول

(١) هو شيخ الإسلام، برهان الدين إبراهيم الفزاري.
(٢) قال الشارح: على فرض صحة نقل المصنف فيكون له كنيتان.

الله ﷺ للداريين إذا أعطاه الله الأرض، وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت إبراهيم ومن فيهم إلى أبد الأبد) شهد عباس ابن عبد المطلب وخزيمة بن قيس، وشرحبيل بن حسنه وكتب.

قال: ثم دخل بالكتاب إلى منزله فعالج في زاوية الرقعة بشيء لا يعرف، وعقد من خارج الرقعة بسير عقدتين، وخرج به إلينا مطوياً وهو يقول: **﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾**[١] ثم قال: انصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت[٢].

قال أبو هند: فانصرفنا، فلما هاجر ﷺ إلى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتاباً آخر، فكتب لنا كتاباً آخر نسخته.

(بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أنطى[٣] محمد رسول الله لتميم الداري وأصحابه، إني أنطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت إبراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم أبد الأبد، فمن آذاهم فيه آذاه الله) شهد أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب،

فلما قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه وجند الجنود إلى الشام كتب كتاباً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر الصديق إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٨.

(٢) أي رجعت إلى المدينة، سماه هجرة مجازاً، لأن قدومهم كان عند انصرافه من تبوك.

(٣) أي: أعطى.

أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الداريين، وإن كان أهلها قد جلوا عنها وأراد الداريون يزرعونها فليزرعوها [بلا خراج][1] وإذا رجع إليها أهلها فهي لهم وأحق بهم والسلام عليك انتهى. نقل من كتاب الأخصا بفضائل المسجد الأقصى.

[كتابه إلى ابن رؤبة]

وكتب ﷺ ليوحنة بن رؤبة صاحب أيلة لما أتاه بتبوك، وصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنة بن رؤبة وأهل أيلة أساقفتهم وسائرهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر. هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل ابن حسنة بإذن رسول الله ﷺ.

[كتابه لأهل أذرح]

وكتب ﷺ لأهل جربا وأذرح لما أتوه بتبوك أيضاً وأعطوه الجزية:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي رسول الله

(١) في ش.

لأهل أذرح [وجربا][1] أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد. وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة.

[كتابه لأبي ضميرة]

وعن حسين بن عبدالله بن ضميرة عن أبيه عن جده ضميرة أن رسول الله ﷺ مرَّ بأم ضميرة وهي تبكي، فقال ما يبكيك؟ أجائعة أنت أم عارية أنت؟ فقالت: يا رسول الله/ فرق بيني وبين ابني فقال رسول الله ﷺ: لا يفرق بين الوالدة وولدها، ثم أرسل إلى الذي عنده ضميرة فدعاه فابتاعه منه ببكر قال ابن أبي ذؤيب ثم أقرأني كتاباً عنده: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لأبي ضميرة وأهل بيته، أن رسول الله أعتقهم وأنهم أهل بيت من العرب، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم فلا يعرض لهم إلا بحق، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً. وكتب أبي بن كعب.

١١٩/ب

[كتابه إلى أهل وج]

وكتب ﷺ كتاباً إلى أهل وج، سيأتي في وفد ثقيف في الفصل العاشر من هذا المقصد إن شاء الله تعالى.

وكذا كتابه ﷺ إلى مسيلمة الكذاب في وفد بني حنيفة.

[كتابه لأكيدر دومة]

وكتب ﷺ لأكيدر ولأهل دومة الجندل لما صالحه:

---

(١) في ش.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر ولأهل دومة، إن لنا الضاحية من الضحل، والبور والمعامي وأغفال الأرض، والحلقة والسلاح والحافر والحصن، ولكم الضامنة من النخل، والمعين من المعمور، لا تعدل سارحتكم[1]، ولا تعدُّ فاردتكم[2]، ولا يحصر[3] عليكم النبات، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها، عليكم بذلك حق الله والميثاق، ولكم به الصدق والوفاء. شهد الله ومن حضر من المسلمين.

والضاحي: البارز الظاهر.

والضحل: الماء القليل.

والبور: الأرض تستخرج[4].

والمعامي: أعفال الأرض[5].

والحصن: دومة الجندل.

والضامنة: النخل الذي معهم في الحصن.

والمعين: الظاهر من الماء الدائم.

[كتاب في عقد بيع]

وباع ﷺ للعداء عبداً وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله، اشترى عبداً أو

(١) أي لا تنحى عن الرعي.

(٢) وهي ما لا تجب فيه الصدقة.

(٣) في (ش، ب) لا يحظر، أي لا تمنعون عن الرعي حيث شئتم.

(٤) أي التي يؤخذ خراجها.

(٥) في النص: المعامي وأغفال الأرض، فالعطف تفسيري. لكن في الروض: المعامي: مجهول الأرض، وأغفال الأرض: ما لا أثر لهم فيه من عمارة أو نحوها.

أمة ـ شك الراوي ـ لا داء ولا غائلة ولا خبثة، بيع المسلم للمسلم. رواه أبو داود والدارقطني.

والغائلة: الإباق والسرقة والزنا.

الخبثة: قال ابن أبي عروبة: بيع غير أهل المسلمين[1].

وكان إسلام العداء بعد فتح خيبر، وهذا يدل على مشروعية الإشهاد في المعاملات قال الله تعالى: ﴿**وأشهدوا إذا تبايعتم**﴾[2] والأمر هنا ليس للوجوب. فقد باع ﷺ ولم يشهد، واشترى ورهن درعه عند يهودي ولم يشهد، ولو كان الإشهاد أمراً واجباً لوجب مع الرهن خوف المنازعة والله أعلم.

[أمراؤه عليه السلام]

وأما أمراؤه عليه الصلاة والسلام:

فمنهم: باذان بن ساسان من ولد بهرام، أمره ﷺ على اليمن، وهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأول من أسلم من ملوك العجم.

وأمر ﷺ على صنعاء خالد بن سعيد.

وولى زياد بن لبيد الأنصاري حضرموت.

وولى أبا موسى الأشعري زبيد وعدن.

وولى معاذ بن جبل الجند.

وولى أبا سفيان بن حرب نجران.

وولى ابنه يزيد تيماء.

---

(١) في (ا، ب): بيع أهل غير المسلمين.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

وولى عتّاب - بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية - ابن أسيد - بفتح الهمزة وكسر السين - مكة، وإقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان.

وولى علي بن أبي طالب القضاء باليمن.

وولى عمرو بن العاص عمان وأعمالها.

وولى أبا بكر الصديق إقامة الحج سنة تسع، وبعث في أثره علياً، فقرأ على الناس براءة، فقيل: لأن أولها نزل بعد أن خرج أبو بكر إلى الحج، وقيل أردفه به عوناً له ومساعداً، ولهذا قال له الصديق: أمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور، وأما الرافضة فقالوا: بل عزله، وهذا لا يبعد من بهتهم/ وافترائهم. ١٢٠/ا

وقد ولى ﷺ على الصدقات جماعة كثيرة.

[رسله عليه السلام]

وأما رسله ﷺ ، فقد روي أنه عليه السلام بعث ستة نفر في يوم واحد، في المحرم سنة سبع. وذكر القاضي عياض في الشفاء مما عزاه للواقدي: أنه أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم. انتهى.

وكان أول رسول بعثه ﷺ عمرو بن أمية الضمري، إلى النجاشي ملك الحبشة، وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن، فأخذه النجاشي ووضعه على عينيه ونزل عن سريره، فجلس على الأرض ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته. وفي الكتاب الآخر أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فزوجه إياها كما تقدم في ذكر الأزواج، ودعا بحق

من عاج فجعل فيه كتابي رسول الله ﷺ وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هـذان الكتابـان بين أظهـرهم، وصلى عليـه النبي ﷺ وهو بالحبشة كذا قاله الواقدي وغيره.

وليس كذلك، فإن النجاشي الذي صلى عليـه رسول الله ﷺ ليس هو الذي كتب إليه[1]، كما قدمته[2].

وبعث ﷺ دحية بن خليفة الكلبي ـ وهو أحد الستة ـ إلى قيصر ملك الروم، واسمه هرقل يدعوه إلى الإسلام، فهمَّ بالإسـلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه فأمسك.

وبعث عبدالله السهمي إلى كسرى وهو الثالث.

وبعث الرابع وهو حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس فأكرمـه، وبعث إلى النبي ﷺ بجاريتين وكسوة وبغلة ولم يسلم.

وبعث الخامس وهو شجاع بن وهب الأسدي إلى ملك البلقاء الحارث بن أبي شمر الغساني.

وبعث السادس وهو سليط بن عمرو العامـري إلى هوذة وإلى ثمامة بن أثال الحنفي فأسلم ثمامة.

وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جيفر وعبد ابني الجلندى بعمان فأسلما وصدقا.

---

(١) هذا وهم، فالذي تقدم أنه كتب إليهما جميعاً: أصحمة الذي صلى عليه، والذي ولي بعده وكان كافراً لم يعرف إسلامه ولا اسمه، وقد روى البيهقي وغيره أنه كتب الى كل منهما، فمن نفى الكتابة عن الأول فقد وهم، والله أعلم.

(٢) هذه الفقرة ليست في ط.

وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة ـ وقيل قبل الفتح ـ فأسلم وصدق.

وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن [عبد](١) كلال الحميري باليمن، فقال سأنظر في أمري.

وبعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك سنة عشر في ربيع الأول داعيين إلى الإسلام، فأسلم غالب أهلها من غير قتال. ثم بعث علي بن أبي طالب بعد ذلك إليهم ووافاه بمكة في حجة الوداع.

وبعث جرير بن عبدالله البجلي إلى ذي الكلاع وذي عمرو يدعوهم إلى الإسلام، فأسلما وتوفي ﷺ وجرير عندهم.

وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة الكذاب بكتاب.

وبعث إلى فروة بن عمرو الجذامي ـ وكان عاملاً لقيصر ـ يدعوه إلى الإسلام فأسلم، وكتب إلى النبي ﷺ بإسلامه، وبعث إليه بهدية مع مسعود بن سعد، وهي: بغلة شهباء، يقال لها فضة، وفرس يقال له الظرب، وحمار يقال له يعفور، وبعث إليه أثواباً وقباء سندسياً مذهباً، فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد اثني عشر أوقية.

وبعث المصدقين لأخذ الصدقات هلال المحرم سنة تسع:

فبعث عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم.

وبعث بريدة ـ ويقال كعب بن مالك ـ إلى أسلم وغفار.

وبعث عباد بن بشر إلى سليم ومزينة.

١٢/ب وبعث/ رافع بن مكيث إلى جهينة.

---

(١) زيادة في ش.

وبعث عمرو بن العاص إلى فزارة.

وبعث الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب.

وبعث بشر بن سفيان الكعبي - ويقال النحام العدوي - إلى بني كعب.

وبعث عبدالله بن اللتبية إلى ذبيان.

وبعث رجلاً من سعد هذيم إلى قومه.

الفصل السابع

في مؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه

أما مؤذنوه فأربعة: اثنان بالمدينة:

بلال بن رباح، وأمه حمامة، مولى أبي بكر الصديق، وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ، ولم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء، إلا أن عمر لما قدم الشام حين فتحها أذن بلال، فتذكر الناس رسول الله ﷺ، قال أسلم - مولى عمر - فلم أر باكياً أكثر من يومئذٍ، وتوفي بلال سنة سبع عشرة، أو ثمان[1] عشرة، أو عشرين، بداريا[2] بباب كيسان، وله بضع وستون سنة، وقيل دفن بحلب، وقيل بدمشق.

وعمرو بن أم مكتوم القرشي الأعمى، وهاجر إلى المدينة قبل النبي ﷺ.

وأذن له عليه السلام بقباء، سعد بن عائد[3] أو ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظ وبالقرظي، مولى عمار، بقي إلى ولاية الحجاج على الحجاز، وذلك سنة أربع وسبعين.

وبمكة أبو محذورة، واسمه أوس الجمحي المكي، أبوه: معير -

(١) بفتح النون وحذف الياء، على قلة.

(٢) قرية قرب دمشق.

(٣) في ط عابد، وفي ب: عائذ.

بكسر الميم وسكون المهملة وفتح التحتانية ـ مات بمكة سنة تسع وخمسين، وقيل تأخر بعد ذلك.

وكان منهم من يرجع الأذان ويثني الإقامة، وبلال لا يرجع ويفرد الإقامة، فأخذ الشافعي بإقامة بلال، وأهل مكة أخذوا بأذان أبي محذورة وإقامة بلال. وأخذ أبو حنيفة وأهل العراق بأذان بلال وإقامة أبي محذورة، وأخذ أحمد وأهل المدينة بأذان بلال وإقامته، وخالفهم مالك في موضعين: إعادة التكبير وتثنية لفظ الإقامة.

وأما **شعراؤه** ﷺ الذين يذبون عن الإسلام:

فكعب بن مالك.

وعبدالله بن رواحة الخزرجي الأنصاري.

وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام الأنصاري، دعا له ﷺ فقال: (اللهم أيده بروح القدس)[1] فيقال: أعانه جبريل بسبعين بيتاً، وفي الحديث (إن جبريل مع حسان ما نافح عني)[2] وهو بالحاء المهملة أي دافع، والمراد هجاء المشركين ومجاوبتهم على أشعارهم.

وعاش مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام، وكذا عاش أبوه ثابت، وجده المنذر، وجد أبيه حرام، كل واحد منهم عاش مائة وعشرين سنة، وتوفي حسان سنة أربع وخمسين.

ولما جاءه ﷺ بنو تميم، وشاعرهم الأقرع بن حابس، فنادوه يا

---

(١) متفق عليه.

(٢) في مسلم من حديث عائشة قالت: (سمعت النبي ﷺ يقول لحسان: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله).

محمد اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك، فإن مدحنا زين وذمنا شين. فلم يزد ﷺ على أن قال: ذاك الله إذا مدح زان وإذا ذم شان، إني لم أبعث بالشعر، ولم أومر بالفخر، ولكن هاتوا، فأمر عليه السلام ثابت ابن قيس أن يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم. فقام الأقرع بن حابس شاعرهم فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا إذا خالفونا عند ذكر المكارم
وأنا رؤوس الناس في كل معشر وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فأمر ﷺ حساناً يجيبهم فقام فقال:

١٢١/١ بني دارم لا تفخروا إن فخركم يعود وبالاً عند ذكر المكارم/
هبلتم علينا تفخرون وأنتم لنا خول ما بين قن وخادم

وكان أول من أسلم شاعرهم.

وكان أشد شعرائه ﷺ على الكفار حسان وكعب.

ولما رجع ﷺ من تبوك وفد عليه وفد همدان، وعليهم مقطعات الحبرات - الخز[1] - والعمائم العدنية، جعل ملك[2] بن النمط[3] يرتجز بين يديه ﷺ.

وكان خطيبه ﷺ ثابت بن قيس بن شماس - بمعجمة وميم مشددة وآخره مهملة - وهو خزرجي، شهد له النبي ﷺ بالجنة، وكان خطيبه وخطيب الأنصار، واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة.

---

(١) في الأصل.
(٢) في (ط، ش) مالك.
(٣) كلمة (ابن) في ب وسقطت من النسخ، قال الشارح: الصواب: ابن النمط بن قيس الهمداني الصحابي.

وكان يحدو بين يديه ﷺ في السفر عبدالله بن رواحة، وفي رواية الترمذي في الشمائل عن أنس أنه ﷺ دخل مكة في عمرة القضية وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله[1] ويذهل الخليل عن خليله

وقد تقدم مزيد لهذا في عمرة القضية والله أعلم.

وعامر بن الأكوع ـ بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الواو وبالعين المهملة ـ وهو عم سلمة بن الأكوع، استشهد يوم خيبر، ومرت قصته في غزوتها.

وأنجشة، العبد الأسود ـ وهو بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة ـ وكان حسن الحداء. قال أنس[2]: كان البراء ابن مالك يحدو بالرجال وأنجشة يحدو بالنساء. وقد كان يحدو وينشد القريض والرجز. فقال له ﷺ ـ كما في رواية البراء بن مالك ـ: عبد[3] رويدك رفقاً بالقوارير. أي النساء.

فشبههن بالقوارير من الزجاج، لأنه يسرع إليها الكسر، فلم يأمن ﷺ أن يصيبهن أو يقع في قلوبهن حداؤه فأمره بالكف عن ذلك. وفي المثل: الغناء رقية الزنا. وقيل أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واشتدت فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة.

---

(١) أي محل نومه وقت القائلة.

(٢) في الصحيحين.

(٣) (عبد) لم ترد في الأصل، وهو منادى بحذف الأداة.

الفصل الثامن

في الآت حروبه ﷺ
كدروعه وأقواسه ومنطقته وأتراسه

أما أسيافه ﷺ فكان له تسعة أسياف:

● مأثور، وهو أول سيف ملكه ﷺ وهو الذي يقال إنه قدم به إلى المدينة في الهجرة.

● والعَضْب، أرسله إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر.

● وذو الفقار، لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر، ويجوز في «فائه» الفتح والكسر، وصار إليه يوم بدر، وكان للعاصي بن منبه، وكان هذا السيف لا يفارقه ﷺ يكون معه في كل حرب يشهدها، وكانت قائمته[1] وقبيعته[2] وحلقته وذؤابته[3] وبكراته ونعله[4] من فضة.

● والقلعي، بضم القاف وفتح اللام، وهو الذي أصابه من قلع، موضع بالبادية.

● والبتار، أي القاطع.

---

(١) أي مقبضه.

(٢) أي ما على طرف مقبضه.

(٣) أي علاقته.

(٤) حديدته التي في أسفل غمده.

- والحتف، وهو الموت.
- والمخذم، وهو القاطع.
- والرسوب، أي يمضي في الضريبة[1] ويغيب فيها، وهو فعول من رسب يرسب إذا ذهب إلى أسفل وإذا ثبت.

أصابهما من الفلس - بضم الفاء وإسكان اللام - صنم كان لطيء.

- والقضيب.

وأما أدراعه فسبعة:

- ذات الفضول، بالضاد المعجمة، لطولها، أرسل بها إليه سعد ابن عبادة حين سار إلى بدر، وكانت من حديد، وهي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي على شعير، وكان ثلاثين صاعاً، وكان الدين الى سنة.
- وذات الوشاح.
- وذات الحواشي.
- والسعدية، ويقال بالغين المعجمة، وهي درع عكبر القينقاعي، قيل وهي درع داود/ عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت. ١٢١/ب
- وفضة وكان قد أصابهما[2] من بني قينقاع.
- والبتراء، لقصرها.
- والخرنق، باسم ولد الأرنب.

وكان عليه ﷺ يوم أحد درعان، ذات الفضول وفضة. وكان عليه ﷺ يوم حنين درعان: ذات الفضول والسعدية.

(١) في ط: الضربة.
(٢) كذا في النسخ والمقصود: السعدية وفضة، وفي ط: أصابها.

وأما أقواسه ﷺ فكانت ستة: الزوراء، وثلاث من سلاح بني قينقاع، قوس تدعى الروحاء، وقوس تدعى الصفراء، وشوحط، والكتوم كسرت يوم أحد فأخذها قتادة، والسداد.

وكانت له جعبة تدعى الكافور، وكانت له منطقة من أديم فيها ثلاث حلق من فضة، والإبزيم من فضة، والطرف من فضة.

وأما أتراسه، فكان له ﷺ ترس اسمه: الزلوق، يزلق عنه السلاح، وترس يقال له الفتق، وترس أهدي إليه، فيه صورة تمثال عقاب أو كبش، فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال.

وأما أرماحه ﷺ، فالمثوي: قال ابن الأثير سمي به لأنه يثبت المطعون به، من الثوى وهو الإقامة. انتهى. والمُثْنَى، ورمحان آخران.

وكانت له ﷺ حربة كبيرة اسمها البيضاء، وكانت له عليه السلام حربة أخرى صغيرة دون الرمح شبه العكاز، يقال لها العنزة، وكانت تركز أمامه ويصلي إليها.

وكان له ﷺ مغفر من حديد يسمى السبوغ، أو ذا السبوغ، وآخر يسمى الموشح.

تكميل:

وكان له ﷺ فسطاط يسمى الكن.

وكان له محجن قدر ذراع أو أكثر يمشي ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيرة.

وكانت له مخصرة[1] تسمى العرجون، وقضيب من الشوحط[2] يسمى الممشوق.

---

(١) ما يختصره بيده فيمسكه من عصا أو عكازة.

(٢) من شجر الجبال.

وكان له قدح يسمى الريان، وآخر يسمى مغيثاً، وآخر مضبب بسلسلة من فضة في ثلاث[1] مواضع، وآخر من عيدان، وآخر من زجاج.

وتور[2] من حجارة يسمى المخضب، وركوة تسمى الصادرة، ومخضب من نحاس، ومغتسل من صفر، ومدهن وربعة[3] اسكندرانية يجعل فيها المرآة، ومشط[4] من عاج - وهو الذبل[5] -، والمكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثاً في كل عين، وكان له في الربعة أيضاً المقراض والسواك. وهذه الربعة أهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية مع مارية أم إبراهيم عليه السلام.

وكانت له قصعة تسمى الغراء، بأربع حلق، وصاع، ومد.

وقطيفة وسرير قوائمه من ساج، وفراش من أدم حشوه ليف.

وخاتم من حديد، ملوي بفضة، وخاتم فضة، فصه منه، يجعله في يمينه، وقيل: كان أولاً في يمينه ثم حوله إلى يساره، منقوش عليه: محمد رسول الله.

وأهدى له النجاشي خفين ساذجين فلبسهما.

وكان له ثلاث جباب يلبسهن في الحرب، جبة سندس أخضر، وجبة طيالسة. وعمامة يقال لها السحاب، وأخرى سوداء، ورداء، صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) كذا في النسخ: والأصح: ثلاثة.
(٢) أي: إناء.
(٣) وهي جلد يجعل فيه العطار الطيب.
(٤) في ش، مشطا.
(٥) قال في المصباح: شيء كالعاج.

الفصل التاسع

في ذكر خيله ﷺ ولقاحه ودوابه

أما خيله ﷺ : فالسكب، يقال: فرس سكب أي: كثير الجري كأنما يصب جريه صباً، وأصله من سكب الماء يسكب، وهو أول فرس ملكه، اشتراه عليه السلام بعشرة أواق، وكان أغر محجلاً[1]، طلق اليمين[2]، كميتاً[3]، وقال ابن الأثير: كان أدهم[4].

والمرتجز ـ بضم الميم وسكون الراء وفتح التاء وكسر الجيم بعدها زاي ـ سمي به لحسن صهيله، مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر، وكان أبيض، وهو الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت/ ١٢٢/ا، فجعل شهادته بشهادة رجلين[5].

---

(١) الأغر: الذي في وجهه بياض، والمحجل: أبيض القوائم وجاوز بياضه الأرساغ.

(٢) أي سمحا.

(٣) ذو لون بين السواد والحمرة، لم يخلص له واحد منهما.

(٤) أي أسود.

(٥) أخرج أبو يعلى وغيره: أن النبي ﷺ اشترى فرساً من سواء بن الحارث، فجحده، فشهد له خزيمة، فقال ﷺ ما حملك على الشهادة ولم تكن معه حاضراً؟ فقال: صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً. فقال ﷺ ؛ من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه. ورواه أبو داود والنسائي بدون تسمية البائع.

والظرب ـ بالظاء المعجمة ـ واحد الظراب[1]، سمي بـه لكبره وسمنه، وقيل لقـوته وصـلابة حـافره، أهـداها لـه فروة بن عمـرو الجذامي.

واللحيف ـ بـالمهملة ـ أهداهـا له ربيعـة بن البراء، سمي بـه لسمنه وكبره، كأنه يلحف الأرض أي يغطيها بذنبه لطوله، فعيل بمعنى فاعل، يقال لحفت الرجل باللحاف: طرحتـه عليه، ويروى بالجيم وبـالخاء المعجمـة، رواه البخاري ولم يتحققـه[2]، والمعروف بـالحـاء المهملة، قاله في النهاية.

واللزاز، سمي به لشدة تلزره، أو لاجتماع خلقه. ولزبه الشيء أي لزق به، كأنه يلتزق بالمطلوب لسرعته، وهذه أهداها له المقوقس.

والورد، قال ابن سعد: أهداها له تميم الداري، فأعطاه عمر، فحمل عليه في سبيل الله، ثم وجده يباع برخص فقال: لا تشتره[3].

وسبحة، بالموحدة، من قولهم: فرس سابح إذا كان حسن مد اليدين في الجري. قال ابن بنين[4]: هي فرس شقراء اشـتراها من أعرابي من جهينة بعشر من الإبل[5].

---

(١) الظرب: هو الجبل الصغير.

(٢) أي لم يتحققـه هل هـو بالحـاء أم بالخـاء، حيث قال: وقـال بعضهم: اللخيف.

(٣) متفق عليه من حديث عمر.

(٤) في (ش) ابن سيرين.

(٥) هذا القول في (ا، ش)، من قوله: قال ابن.

فهذه سبعة متفق عليها:

وذكر ابن بنين[1] فيما حكاه الحافظ الدمياطي: البحر، في خيله ﷺ، قال: وكان اشتراه من تجار قدموا من اليمن، فسبق عليه مرات، فجثا ﷺ على ركبتيه ومسح وجهه وقال: ما أنت إلا بحر، فسمي بحراً. قال ابن الأثير: وكان كميتاً وكان سرجه دفتان من ليف.

والسجل، بكسر السين وسكون الجيم، ذكره على بن محمد بن الحسين[2] بن عبدوس الكوفي، ولعله مأخوذ من قولك سجلت الماء فانسجل، أي صببته فانصب.

وذو اللمة ـ بكسر اللام وتشديد الميم ـ ذكره ابن حبيب[3].

وذو العقال بضم العين المهملة وتشديد القاف، وحكى بعضهم تخفيفها.

والسرحان ـ بكسر المهملة وسكون الراء ـ ذكره ابن خالويه.

والطرف ـ بكسر الطاء المهملة وسكون الراء بعدها فاء ـ ذكره ابن قتيبة في المعارف، وذكر في رواية أنه الذي اشتراه من الأعرابي وشهد له به خزيمة بن ثابت.

---

(١) عبد الغني بن سليمان بن بنين، محدث مشهور مات سنة إحدى وستين وستمائة.

(٢) كذا في النسخ، وفي ش: حنين، ولم يترجم له.

(٣) أبو جعفر، محمد بن حبيب، الأخباري النسابة.

والمرتجل ـ بكسر الجيم ـ ذكره ابن خالويه، من قولهم ارتجل الفرس ارتجالاً، إذا خلط العنق[1] بشيء من الهملجة[2].

والمرواح، ـ بكسر الميم ـ من أبنية المبالغة ـ كالمطعام ـ مشتق من الريح، أو من الرواح لتوسعه في الجري، أهداها له قوم من مذحج، ذكره ابن سعد.

وملاوح، ـ بضم الميم وكسر الواو ـ ذكره ابن خالويه.

والمندوب، ذكره بعضهم في خيله ﷺ.

والنجيب، ذكره ابن قتيبة، وأن في رواية: أنه الذي اشتراه من الأعرابي وشهد له به خزيمة.

واليعبوب واليعسوب ذكرهما قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل، وكان سرجه دفتان من ليف.

وكان له ﷺ من البغال:

دلدل: بدالين مهملتين، وكانت شهباء أهداها له المقوقس.

وفضة: أهداها له فروة بن عمرو الجذامي.

وأخرى: أهداها له ابن العلماء، صاحب أيلة. وأخرى من دومة الجندل، وأخرى من عند النجاشي.

قيل: وأهدى له كسرى بغلة أخرى، وفي ذلك نظر، لأن كسرى مزق كتابه ﷺ.

وكان له ﷺ من الحمير: عفير، أهداه له المقوقس، ويعفور، أهداه له فروة بن عمرو، ويقال: هما واحد، وذكر أن سعد بن عبادة أعطى للنبي ﷺ / حماراً فركبه. ١٢٢/ب

---

(١) نوع من السير، يباعد بين خطاه ويتوسع في جريه.

(٢) وهي مقاربة الخطا مع الإسراع.

وكان له ﷺ من اللقاح: القصواء وهي التي هاجر عليها، والعضباء والجدعاء، ولم يكن بهما عضب ولا جدع، وإنما سميتا بذلك، وقيل كان بأذنها عضب، وقيل: العضباء والجدعاء واحدة، والعضباء هي التي كانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال ﷺ: إن حقاً على الله أن لا يرفع من الدنيا شيئاً إلا وضعه.

وغنم ﷺ يوم بدر جملاً لأبي جهل في أنفه برة من فضة، فأهداه يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين.

وكانت له خمسة وأربعون[1] لقحة[2] أرسل بها إليه سعد بن عبادة:

منها:[3] أطلال، وأطراف، وبردة، وبركة، والبغوم، والحناء، ورمزه[4]، والرياء، والسعدية، وسقيا، والسمراء، والشقراء، وعجرة، والعريس، وغوثة، وقيل: غيثة، وقمر، ومروة، ومهرة، وورشة، والعسيرة[5].

وكانت له مائة شاة، وكانت له ستة أعنز منائح ترعاهن أم أيمن.

---

(١) كذا في النسخ، وينبغي أن يقول: خمس وأربعون.

(٢) قال الشارح: الذي في الهدي: كانت له خمسة وأربعون لقحة مهرة أرسل بها سعد، أي منها اللقحة المسماة مهرة أرسل بها سعد، فسقط من المصنف لفظ مهرة فأوهم.

(٣) هذه الفقرة لم تذكر في ط قال الشارح: من قوله «منها» ساقط من بعض النسخ، ولعله الصواب، فإن كثيراً منها إنما ذكره العراقي اسماً للمنيحة.

(٤) في (ب، ش) زمزم.

(٥) في ش اليسيرة.

الفصل العاشر

في ذكر من وفد عليه ﷺ وزاده فضلاً وشرفاً لديه

قال النووي: الوفد: الجماعة المختارة للتقدم في لقاء العظماء، واحدهم: وافد، انتهى.

وقد كان ابتداء الوفود عليه بعد رجوعه ﷺ من الجعرانة في آخر سنة ثمان وما بعدها، وقال ابن إسحاق: بعد غزوة تبوك، وقال ابن هشام: كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود.

وقد سرد محمد بن سعد في الطبقات الوفود، وتبعه الدمياطي في السيرة له، وابن سيد الناس، ومغلطاي، والحافظ زين الدين العراقي. ومجموع ما ذكروه يزيد على الستين.

[وفد هوازن]

فقدم عليه ﷺ وفد هوازن، كما ذكره البخاري وغيره، وذكر موسى بن عقبة في المغازي: أن رسول الله لما انصرف من الطائف في شوال إلى الجعرانة وفيها السبي ـ يعني سبي هوازن ـ قدمت عليه وفود هوازن مسلمين، فيهم تسعة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا، ثم كلموه فقالوا: يا رسول الله، إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات

والعمات والخالات، فقال: سأطلب لكم، وقد وقعت المقاسم، فأي الأمرين أحب إليكم، السبي أم المال؟ قالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين الحسب والمال، فالحسب أحب إلينا، ولا نتكلم في شاة ولا بعير، فقال: أما الذي لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلم لكم المسلمين فكلموهم وأظهروا إسلامكم.

فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا، فتكلم خطباؤهم فأبلغوا ورغبوا إلى المسلمين في رد سبيهم، ثم قام رسول الله ﷺ حين فرغ، فشفع لهم وحض المسلمين عليه، وقال: قد رددت الذي لبني هاشم عليهم، وفي رواية ابن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: وأدركه وفد هوازن بالجعرانة، وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك. فامنن علينا منَّ الله عليك، وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله، إن اللواتي في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، وأنت خير مكفول ثم أنشد:

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وندخر

الأبيات المشهورة الآتية إن شاء الله تعالى.

وروينا في المعجم الصغير للطبراني من ثلاثياته، عن زهير بن صرد الجشمي يقول: لما أسرنا رسول الله ﷺ يوم حنين - يوم هوازن - وذهب يفرق السبي والشاء أتيته فأنشأت أقول هذا الشعر: / ١٢٣/أ

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وندخر

امنن على بيضة قد عاقها قدر ... مشتت شملها في دهرها غير

أبقت لنا الدهر هتافاً على حزن ... على قلوبهم الغماء والغمر

إن لم تداركهم نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلماً حين تختبر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك تملؤه من مخضها الدرر[1]
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك إن العفو مشتهر
يا خير من مرحت[2] كمت[3] الجياد به عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا نؤمل عفواً منك تلبسه هادي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعفو[4] عفا الله عما أنت راهبه[5] يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

قال: فلما سمع النبي ﷺ هذا الشعر قال: ما كان لي ولعبد المطلب فهو لكم، وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله.

ومن بين الطبراني وزهير لا يعرف، لكن يقوى حديثه بالمتابعة المذكورة، فهو حديث حسن، وقد وهم من زعم أنه منقطع. وقد زاد الطبراني على ما أورده ابن إسحاق خمسة أبيات.

وذكر الواقدي: أن وفد هوازن كانوا أربعة وعشرين بيتاً، فيهم أبو برقان السعدي، فقال: يا رسول الله، إن هذه لأمهاتك وخالاتك وحواضنك ومرضعاتك فامنن علينا منَّ الله عليك، فقال: قد استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون، وقد قسمت السبي.

(١) مخضها: أي لبنها الخالص، الدِرَر: كثرة اللبن وسيلانه جمع درة.
(٢) مرحت: أي نشطت ورعت.
(٣) جمع كميت.
(٤) بواو الإشباع.
(٥) أي: خائفة.

[وفد ثقيف]

وقدم عليه ﷺ وفد ثقيف، بعد قدومه ﷺ من تبوك، وكان من أمرهم أنه ﷺ لما انصرف من الطائف قيل له: يا رسول الله ادع على ثقيف، فقال: اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم.

ولما انصرف عنهم، اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يدخل المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فلما أشرف على علية له، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله.

ثم أقامت ثقيف بعد قتله أشهراً، ثم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، وقد بايعوا وأسلموا، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ.

فبعثوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومعه اثنان من الأحلاف: الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب بن مالك، وشرحبيل بن غيلان، وثلاثة من بني مالك: عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير ابن خرشة، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب لهم قبة في ناحية المسجد، وكان خالد بن سعيد بن العاصي هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى أسلموا واكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتبه، وكان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية - وهي اللات - لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى عليهم ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها.

وكانوا سألوه مع ذلك أن يعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا ١٢٣/ب أوثانهم/ إلا بأيديهم، فقال ﷺ: كسروا أوثانكم بأيديكم[1] وأما

---

(١) الذي في سيرة ابن هشام: وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من =

الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه، فلما أسلموا وكتب لهم الكتاب أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص وكان من أحدثهم سناً، لكنه كان من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن.

فرجعوا إلى بلادهم ومعهم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية، فلما دخل المغيرة عليها علاها يضربها بالمعول، وخرج نساء ثقيف حسراً يبكين عليها، وأخذ المغيرة بعد أن كسرها مالها وحليها.

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المؤمنين: إن عضاه وج وصيده حرام لا يعضد، من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد، وتنزع ثيابه، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ النبي محمداً، وإن هذا أمر النبي محمد رسول الله، وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبدالله، فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله.

و«وج»: واد بالطائف.
واختلف فيه: هل هو حرم يحرم صيده وقطع شجره؟
فالجمهور: أنه ليس في البقاع حرم إلا حرم مكة والمدينة.
وخالفهم أبو حنيفة في حرم المدينة.

وقال الشافعي - في أحد قوليه - وج حرم، يحرم صيده وشجره، واحتج لهذا القول بحديثين: أحدهما: ما تقدم، والثاني: حديث عروة

= الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة.. ٢/٥٤٠ وهو الصواب الذي يؤيده بقية الخبر من أنهم لم يكسروا أصنامهم وإنما كسرها المغيرة. [المحقق].

ابن الزبير عن أبيه أن النبي ﷺ قال: (إن صيد وج وعضاهه حرم محرم لله) رواه الإمام أحمد وأبو داود. لكن في سماع عروة من أبيه نظر، وإن كان قد رآه.

وفي مغازي المعتمر بن سليمان [التيمي][1] عن عبدالله بن عبد الرحمن الطائفي عن عمه عمرو بن أوس عن عثمان بن أبي العاص، قال: استعملني رسول الله ﷺ وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف، وذلك أني كنت قرأت سورة البقرة، فقلت: يا رسول الله، إن القرآن يتفلت مني، فوضع يده على صدري وقال: يا شيطان اخرج من صدر عثمان، فما نسيت شيئاً بعده أريد حفظه.

وفي صحيح مسلم، عن عثمان بن أبي العاص، قلت: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، فقال: (ذلك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً) قال: ففعلت فأذهبه الله عني.

[وفد بني عامر]

وقدم وفد بني عامر عليه ﷺ، قال ابن إسحاق: لما فرغ ﷺ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، فدخلوا في دين الله أفواجاً، يضربون اليه من كل وجه.

فوفد إليه ﷺ بنو عامر، فيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس وخالد بن جعفر[2]، وحيان بن أسلم بن مالك[3]، وكان هذا النفر

---

(١) في ش.

(٢) كذا في النسخ وهو تصحيف صوابه كما في ابن إسحاق وغيره: وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر. [سيرة ابن هشام ٥٦٨/٢].

(٣) كذا في النسخ. وفي (د) جبار، والذي عند ابن هشام: جَبَّار بن سلمى بن مالك بن جعفر ٥٦٨/٢ [المحقق].

رؤساء القوم وشياطينهم، فقدم ـ عدو الله ـ عامر بن الطفيل على رسول الله ﷺ وهو يريد أن يغدر به، فقال لأربد إذا قدمنا على الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف[1] فكلم عامر رسول الله ﷺ وقال: والله لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً[2]، فلما ولى قال ﷺ : اللهم اكفني عامر بن الطفيل.

فلما خرجوا، قال عامر لأربد: ويحك، أينما كنت أمرتك به؟ فقال: والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبينه، أفأضربك بالسيف؟

ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله.

وفي صحيح البخاري: أن عامراً أتى النبي ﷺ فقال: أخيرك بين ثلاث خصال، يكون لك أهل السهل، ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك/ من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء. فطعن[3] في بيت امرأة فقال: أغدة كغدة البكر[4] في بيت امرأة من بني فلان. ائتوني بفرسي فركب فمات على ظهر فرسه[5].

١/١٢٤

[وفد عبد القيس]

وقدم وفد عبد القيس عليه، زاده الله فضلاً وشرفاً لديه، وهي

(١) في ش: فإني شاغل عنك وجهه فاعله.
(٢) في ش ورجالاً.
(٣) أي أصابه مرض الطاعون.
(٤) البكر: الفتى من الإبل، والغدة من أمراض الإبل وهو طاعونها.
(٥) لم يتقيد المصنف بألفاظ البخاري. ورقم الحديث في البخاري هو ٤٠٩١ [المحقق].

قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى ـ بسكون الفاء بعدها مهملة بوزن أعمى ـ ابن دُعْمي ـ بضم الدال وسكون العين المهملتين وكسر الميم بعدها تحتانية ـ.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس: (قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى، فقالوا: يا رسول الله، إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل، نأخذ به ونأمر به من وراءنا، وندخل به الجنة. قال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء ا لزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت[1]، فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم)[2].

قال ابن القيم: ففي هذه القصة أن الإيمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل، كما على ذلك أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم كلهم، ذكر ذلك الشافعي في المبسوط، وعلى ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة، ولم يعد الحج من هذه الخصال، وكان قدومهم في سنة تسع، وهذا أحد ما يحتج به على أن الحج لم يكن فرض بعد، وأنه إنما فرض في العاشرة، ولو كان فرض

---

(١) الدباء هو القرع، والحنتم: هو الجرار الخضر، والنقير: أصل النخلة تنقر لتتخذ وعاء، والمزفت: ما طلي بالزفت، وهو من إطلاق المحل وإرادة الحال، أي ما ينتبذ في هذه الأواني.

(٢) رقم الحديث في البخاري ٥٣.

لعده من الإيمان كما عد الصوم والزكاة. انتهى[1].

وقد كان لعبد القيس وفدتان:

إحداهما: قبل الفتح، ولهذا قالوا له ﷺ: حال بيننا وبينك كفار مضر، وكان ذلك قديماً، إما سنة خمس أو قبلها، وكانت قريتهم بالبحرين، وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلاً، وقيل كانوا أربعة عشر راكباً، وفيها سألوه عن الإيمان، وعن الأشربة، وكان فيهم الأشج، وكان كبيرهم، وقال له ﷺ: (إن فيك خصلتين يحبهما الله، الحلم والأناة) رواه مسلم من حديث أبي سعيد.

وأخرج البيهقي: بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه قال: سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشرق، فقام عمر نحوهم، فلقي ثلاثة عشر راكباً، فبشرهم بقوله ﷺ ثم مشى معهم حتى أتى النبي ﷺ، فرموا بأنفسهم عن ركائبهم، فأخذوا يده فقبلوها. الحديث وأخرجه البخاري في الأدب المفرد. فيمكن أن يكون أحد المذكورين غير راكب أو مرتدفاً.

وثانيتهما: كانت في سنة الوفود وكان عددهم حينئذٍ أربعين رجلاً، كما في حديث أبي خيرة الصباحي[2] عند ابن منده.

ويؤيد التعدد: ما أخرجه من وجه آخر أنه ﷺ قال لهم: مالي أرى ألوانكم تغيرت؟ ففيه إشعار بأنه كان رآهم قبل التغير، وفي قولهم: يا رسول الله، دليل على أنهم كانوا حين المقالة مسلمين، وكذا في قولهم كفار مضر، وقولهم: الله ورسوله أعلم.

---

(١) زاد المعاد ٣/٦٠٧.

(٢) كذا في النسخ وكذلك ضبطه الشارح ونسبه إلى الفتح، ولكني رأيته في الفتح هكذا «أبو حيوة الصناحي» ٨/٨٥ [المحقق].

ويدل على سبقهم إلى الإسلام أيضاً، ما في البخاري: إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجواثي من البحرين، وهي قرية لهم، وإنما جمَّعوا بعد رجوع وفدهم إليهم، وقال في فتح/ الباري: فدل على أنهم سبقوا جميع القرى إلى الإسلام. ١٢٤/ب

وما جزم به ابن القيم من أن السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث، لأنه لم يكن فرض، هو المعتمد. وقدمت الدليل على قدم إسلامهم، لكن جزمه تبعا للواقدي بأن قدومهم كان في سنة تسع قبل فتح مكة ليس بجيد، لأن فرض الحج كان سنة ست على الأصح(١)، لكنه اختار ـ كغيره ـ أن فرض الحج في السنة العاشرة، حتى لا يرد على مذهبه أنه على الفور شيء(٢).

وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بأن فرض الحج كان بعد الهجرة، وأنه ﷺ كان قادراً على الحج في سنة ثمان، وفي سنة تسع، ولم يحج إلا في سنة عشر، وسيأتي في حجه ﷺ من مقصد عباداته مزيد لذلك إن شاء الله تعالى.

فإن قلت كيف قال [ﷺ آمركم بـ](٣) أربع، والمذكورات خمس؟

[قلت](٤) أجاب القاضي عبد الوهاب(٥) تبعاً لابن بطال: بأن

---

(١) في ط: الأرجح.
(٢) لفظ شيء سقط من ط.
(٣) في ش.
(٤) في ش.
(٥) كذا في نسخ المصنف، والمذكور في الفتح: القاضي عياض. وهو الصواب. الفتح ١/١٣٣ [المحقق].

الأربع، ما عدا أداء الخمس، قال: وكأنه أراد إعلامهم بقواعد الإيمان وفروض الأعيان، ثم أعلمهم بما يلزمهم إخراجه إذا وقع لهم جهاد، لأنهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر، ولم يقصد إلى ذكرها بعينها لأنها مسببة عن الجهاد، ولم يكن الجهاد إذ ذاك فرض عين. قال: ولذلك لم يذكر الحج لأنه لم يكن فرض.

وقال غيره: وقوله «وأن تعطوا» معطوف على قوله «بأربع» أي: آمركم بأربع وأن تعطوا، ويدل عليه العدول عن سياق الأربع والإتيان: بأن والفعل، مع توجيه الخطاب إليهم.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: يحتمل أن يقال: إنه ﷺ عد الصلاة والزكاة واحدة لأنها قرينتها في كتاب الله، وتكون الرابعة أداء الخمس، أو أنه لم يعد الخمس لأنه داخل في عموم إيتاء الزكاة، والجامع بينهما: أنه إخراج مال معين.

وقال البيضاوي: الظاهر أن الأمور الخمسة هنا تفسير للإيمان، وهو أحد الأربعة الموعود بذكرها، والثلاثة الأخرى حذفها الراوي اختصاراً أو نسياناً.

وتعقب بأنه وقع في صحيح البخاري أيضاً في رواية: «آمركم بأربع: شهادة أن لا إله إلا الله، وعقد واحدة»[1] فدل على أن الشهادة إحدى الأربع.

وقال القرطبي: قيل إن أول الأربع المأمور بها: إقام الصلاة، وإنما ذكر الشهادتين تبركاً، وإلى هذا نحا الطيبي، فقال عادة البلغاء أن الكلام إذا كان منصوباً لغرض جعلوا سياقه له، وطرحوا ما

(١) رقمه في صحيح البخاري ٤٣٦٩.

عداه، وهنا لم يكن الغرض في الإيراد ذكر الشهادتين لأن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة، ولكن ربما كانوا يظنون الإيمان مقصور عليهما كما كان الأمر في صدر الإسلام. قال: ولهذا لم يعد الشهادتين في الأوامر، انتهى ملخصاً من فتح الباري[1].

[وفد بني حنيفة]

وقدم عليه ﷺ وفد بني حنيفة، فيهم مسيلمة الكذاب، فكان منزلهم في دار امرأة من الأنصار، من بني النجار، فأتوا بمسيلمة إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه[2] بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه، في يده عسيب من سعف النخل، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ - وهم يسترونه بالثياب - كلمه وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك.

وذكر حديثه ابن إسحاق على غير ذلك[3] فقال: حدثني شيخ من أهل اليمامة من بني حنيفة: أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ وخلفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا له مكانه، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا، فأمر له رسول الله ﷺ بما أمر به للقوم، وقال لهم/: إنه ليس بشركم مكانا، يعني لحفظه ضيعة أصحابه، ثم انصرفوا، فلما قدموا اليمامة ارتد - عدو الله - وتنبأ وقال: إني أشركت في الأمر معه، ثم جعل يسجع السجعات، فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن:

١/١٢٥

(١) فتح الباري ١/١٣٢ - ١٣٤ و٨/٨٥.

(٢) في (ش، د): يُستَر، دون ذكر: وهم.

(٣) قال في فتح الباري ٨/٨٩: هذا الحديث مع شذوذه ضعيف السند لانقطاعه.

لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى.

وسجع اللعين على سورة ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ فقال: إنا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وهاجر، إن مبغضك رجل فاجر. وفي رواية: إنا أعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر، واحذر أن تحرص أو تكاثر، وفي رواية: إنا أعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر.

ولم يعرف المخذول أنه محروم عن المطلوب، وسيأتي في أوائل مقصد معجزاته ﷺ من تسجيع مسيلمة الركيك مزيد لذلك على ما ذكرته هنا إن شاء الله تعالى.

وقيل: إنه أدخل البيضة في القارورة وادعى أنها معجزة له، فافتضح بنحو ما ذكر: أن النوشادر إذا ضرب في خل الخمر ضرباً جيداً، وجعلت فيه بيضة بنت يومها يوماً وليلة فإنها تمتد كالخيط، فتجعل في القارورة ويصب عليها الماء البارد فإنها تجمد.

ولما سمع اللعين أن النبي ﷺ [مسح رأس صبي كان أَلَمَّ به داء فشفي و][1] مج في بئر فكثر ماؤها، وتفل في عين علي ـ وكان أرمد ـ فبرئ. فتفل اللعين في بئر فغار ماؤها، وفي عين بصير فعمي، ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها. ويبس ضرعها، ولله در الشقراطيسي حيث يقول يخاطب النبي ﷺ:

أعجزت بالوحي أرباب البلاغة في ... عصر البيان فضلَّت أوجه الحيل
سألتهم سورة في مثل حكمته ... فتلَّهم عنه حين العجز حين تلي

---

(١) زيادة في ش. وقال: كذا في نسخ، وفي غالبها إسقاطها.

فرام رجس كذوب أن يعارضه	بعي غي فلم يحسن ولم يطل
مثبج بركيك الإفك ملتبس	ملجلج بزري الزور والخطل
يمج أول حرف سمع سامعه	ويعتريه كلال العجز والملل
كأنه منطق الورهاء شذَّ به	لبس من الخبل أو مس من الخبل
أمرت البئر واغورت لمجته	فيها وأعمى بصير العين بالتفل
وأيبس الضرع منه شؤم راحته	من بعد إرسال رسل منه منهمل

فشبه هذا الكلام الذي عارض به مسيلمة، بكلام امرأة ورهاء، وهي الحمقاء التي تتكلم لحمقها بما لا يفهم، فهي تهذي بكلام مشذب ـ أي مختلط ـ لا يقترن بعضه ببعض، ولا يشبه بعضه بعضاً ككلام من به خبل ـ بسكون الموحدة ـ أي فساد، أو مس من الخبَل ـ بفتحها ـ أي جنون.

ثم إن اللعين وضع عن قومه الصلاة، وأحل لهم الخمر والزنا، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ أنه نبي.

وقد كان كتب لرسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد: فإني قد أشركت معك في الأمر، وإن لنا نصف الأمر، ولقريش نصف الأمر[1].

فقدم على رسول الله ﷺ رسوله بهذا الكتاب، فكتب إليه رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

---

(١) الذي في سيرة ابن هشام: الأرض، في الجملتين ٢/٦٠٠ وهو الأنسب بدليل كتابه ﷺ [م].

وفي الصحيحين من حديث نافع بن جبير عن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، / فأقبل النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد النبي ﷺ قطعة جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني، ثم انصرف(1).

1125

قال ابن عباس: فسألت عن قول النبي ﷺ : إنك الذي أريت فيه ما رأيت(2) فأخبرني أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحى الله إلي في المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما: كذابين يخرجان من بعدي، فهذان هما: أحدهما العنسي صاحب صنعاء والآخر مسيلمة(3).

فإن قلت: كيف يلتئم خبر ابن إسحاق مع الحديث الصحيح أن النبي ﷺ اجتمع به وخاطبه، وصرح بحضرة قومه أنه لو سأله القطعة من الجريدة ما أعطاه.

فالجواب: إن المصير إلى ما في الصحيح أولى(4).

---

(1) الحديث في البخاري برقم ٤٣٧٣.

(2) في ش؛ ما أريت، وهو نص البخاري، وفي ب الذي رأيت فيه ما رأيت.

(3) رقمه في البخاري ٤٣٧٤ و٤٣٧٥.

(4) هذا ما ذهب إليه في فتح الباري حيث قال: وهذا ـ حديث ابن إسحاق ـ مع شذوذه ضعيف السند لانقطاعه، وأمر مسيلمة كان عند قومه أكثر من ذلك. فقد كان يقال له رحمان اليمامة لعظم قدره فيهم، وكيف يلتئم هذا الخبر الضعيف مع قوله في الصحيح إن النبي ﷺ اجتمع به وخاطبه؟! فتح الباري ٨/ ٨٩ [المحقق].

ويحتمل أن يكون مسيلمة قدم مرتين، الأولى كان تابعاً وكان رئيس بني حنيفة غيره، ولهذا أقام في حفظ رحالهم، ومرة متبوعاً، وفيها خاطبه النبي ﷺ .

أو القصة واحدة، وكانت إقامته في رحالهم باختياره أنفة منه واستكباراً أن يحضر مجلس النبي ﷺ ، وعامله ﷺ معاملة الكرم على عادته في الاستئلاف فقال لقومه: إنه ليس بشركم أي مكاناً، لكونه كان يحفظ رحالهم، وأراد استئلافه بالإحسان بالقول والفعل، فلما لم يفد في مسليمة توجه بنفسه إليه ليقيم عليه الحجة ويعذر إليه بالإنذار. والعلم عند الله تعالى(١).

[وفد طيء]

وقدم عليه ﷺ وفد طيء، وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم. وقال ﷺ : ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه، ثم سماه زيد الخير.

فخرج راجعاً إلى قومه، فلما انتهى إلى ماء من مياه نجد أصابته الحمى بها فمات.

قال ابن عبد البر: وقيل مات في آخر خلافة عمر،

وله ابنان: مكنف وحريث، أسلما وصحبا رسول الله ﷺ ، وشهدا قتال أهل الردة مع خالد.

---

(١) عن فتح الباري ٨/٨٩ ـ ٩٠.

[وفد كنده]

وقدم عليه ﷺ وفد كنده في ثمانين أو ستين راكباً من كنده، فدخلوا عليه مسجده، قد رجَّلوا جممهم وتسلحوا، ولبسوا جباب الحبرات مكففة بالحرير، فلما دخلوا قال ﷺ: أولم تسلموا؟ قالوا: بلى، قال: فما هذا الحرير في أعناقكم فشقوه فنزعوه وألقوه.

[وفد الأشعريين وأهل اليمن]

وقدم عليه ـ زاده الله شرفاً لديه ـ الأشعريون وأهل اليمن.

قيل هو من عطف الخاص على العام، وقال الحافظ أبو الفضل شيخ الإسلام ابن حجر: المراد بهم بعض أهل اليمن، وهم وفد حمير. قال: ووجدت في كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق إياس ابن عمرو الحميري: أنه قدم وافداً على رسول الله ﷺ في نفر من حمير فقالوا: أتيناك لنتفقه في الدين الحديث.

والحاصل: أن الترجمة تشتمل على طائفتين، وليس المراد اجتماعهما في الوفادة، فإن قدوم الأشعريين كان مع أبي موسى في سنة سبع عند فتح خيبر، وقدوم حمير كان في سنة تسع، وهي سنة الوفود، ولهذا اجتمعوا مع بني تميم[1].

وروى يزيد بن هارون عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوباً. فقدم الأشعريون فجعلوا يرتجزون:

غداً نلقى الأحبه ... محمداً وحزبه[2]/ ١/١٢٦

(١) فتح الباري ٨/٩٧.

(٢) رواه أحمد وغيره. ولا يلزم من ذلك تفضيلهم على المخاطبين لأنها مزية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية والسكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين[1] أهل الوبر قِبل مطلع الشمس. رواه مسلم[2].

وفي البخاري: إن نفراً من بني تميم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقال: أبشروا يا بني تميم، فقالوا: بشرتنا فأعطنا، فتغير وجه رسول الله ﷺ . وجاء نفر من أهل اليمن، فقال: أقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قد قبلنا، ثم قالوا: يا رسول الله جئنا لنتفقه في الدين ونسألك عن هذا الأمر، فقال: كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء. وكتب في الذكر كل شيء[3].

وقوله: وجاء نفر من أهل اليمن، هم الأشعريون قوم أبي موسى.

[وفد صرد الأزدي]

وقدم عليه ﷺ صرد بن عبدالله الأزدي، فأسلم وحسن إسلامه، في وفد من الأزد، فأمَّره ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم أهل الشرك من قبائل اليمن.

فخرج صرد يسير بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بجرش[4]، وبها قبائل من قبائل العرب، فحاصروهم فيها قريباً من شهر، وامتنعوا فيها، فرجع عنهم قافلاً، حتى إذا كان في جبل لهم وظنوا أنه إنما ولى

---

(١) جمع فداد: وهو من يعلو صوته في إبله وخيله. والفديد: الصوت الشديد

(٢) وكذا رواه البخاري بنحوه برقم ٤٣٨٨ وهو عند مسلم برقم ٥٢.

(٣) البخاري برقم ٣١٩١.

(٤) جرش مخلاف من مخاليف اليمن.

عنهم منهزماً خرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً.

وكان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله ﷺ رجلين منهم، فبينما هما عنده ﷺ عشية فقال لهما عليه السلام: إن بدن الله لتنحر عند شكر، أي المكان الذي وقع به قتل قومهم، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر وعثمان فقالا لهما إن رسول الله ﷺ ينعي لكما قومكما. فخرجا إلى قومهما فوجداهم قد أصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر.

فخرج وفد جرش حتى قدموا عليه ﷺ فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم.

[وفد بني الحارث]

وفد بني الحارث بن كعب. قال ابن إسحاق: بعث ﷺ خالد ابن الوليد في شهر ربيع الآخر، أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فأقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم.

فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه، ويدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه.

فأقام خالد يعلمهم الإسلام وكتب إلى رسول الله ﷺ بذلك. ثم أقبل على رسول الله ﷺ ومعه وفدهم، منهم: قيس بن الحصين، ويزيد[1] بن المحجل، وشداد بن عبدالله. وقال لهم ﷺ : بم كنتم

(١) في ط: زيد.

تغلبون من قاتلكم؟ قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: صدقتم.

وأمر عليهم قيس بن الحصين، فرجعوا إلى قومهم في بقية من شوال أو من ذي القعدة، فلم يمكثوا إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[وفد همدان]

وقدم عليه ﷺ وفد همدان، فيهم: مالك بن النمط، وضمام بن مالك، وعمرو بن مالك، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك، وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية، على الرواحل المهرية والأرحبية[1]، ومالك بن النمط يرتجز بين يديه ﷺ. وذكروا له كلاماً كثيراً حسناً فصيحاً.

فكتب لهم ﷺ كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه، وأمر عليهم مالك ابن النمط، واستعمله على من أسلم من قومه، وأمره بقتال ثقيف. ١٢٦/ب وكان لا يخرج/ لهم سرح إلا أغار عليه.

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن البراء أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب فأمره أن يقفل خالداً إلا رجلاً ممن كان مع خالد[2] أن يعقب مع علي.

---

(١) المهرية: نسبة إلى مهرة قبيلة من قضاعة، والأرحبية: نسبة إلى أرحب بطن من همدان.

(٢) سقط من لفظ البيهقي: أراد.

فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلى بنا علي، ثم صفنا صفاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم. فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجداً ثم رفع رأسه فقال: السلام على همدان، السلام على همدان. وأصل الحديث في صحيح البخاري[1].

وهذا أصح مما تقدم، ولم تكن همدان تقاتل ثقيفاً ولا تغير على سرحهم، فإن همدان باليمن وثقيف بالطائف. قاله ابن القيم في الهدي النبوي[2].

[وفد مزينة]

روى البيهقي عن النعمان بن مقرن قال: قدمنا على رسول الله ﷺ أربعمائة رجل من مزينة، فلما أردنا أن ننصرف قال: يا عمر، زود القوم، قال: ما عندي إلا شيء من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعاً. قال: انطلق فزودهم. قال: فانطلق بهم عمر فأدخلهم منزله ثم أصعدهم إلى علية، فلما دخلنا فإذا فيها من التمر مثل الجمل الأورق، فأخذ القوم منه حاجتهم. قال النعمان: وكنت في آخر من خرج، فنظرت: وما أفقد موضع تمرة من مكانها[3].

[وفد دوس]

وفد دوس: وكان قدومهم عليه ﷺ بخيبر. قال ابن إسحاق: كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله

(١) برقم ٤٣٤٩.
(٢) زاد المعاد ٣/٦٢٣.
(٣) ورواه أحمد أيضاً ٥/٤٤٥

ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً، فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، فقمت قريباً منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله: فسمعت كلاماً حسناً، فقلت: واثكل أماه، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان ما يقول حسناً قبلت، وإن كان قبيحاً تركت.

قال: فمكثت حتى أتى ﷺ إلى بيته، فتبعته حتى إذا دخل بيته فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف أن لا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض علي أمرك.

فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا رسول الله، إني امرؤ مطاع في قومي وإني راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية.

١/١٢٧ قال: فخرجت إلى قومي/ حتى إذا كنت بثنية تطلعني على

الحاضر، وقع نور بين عيني مثل المصباح، قال قلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يقولوا إنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم، قال: فتحول فوقع في رأس سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الثنية، حتى جئتهم وأصبحت فيهم، فلما نزلت أتاني أبي - وكان شيخاً كبيراً - فقلت: إليك عني يا أبت، فلست مني ولست منك، قال: ولم يا بني؟ قلت: قد أسلمت وتابعت دين محمد، قال: يا بني فديني دينك، قال فقلت: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال أعلمك ما علمت، قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

ثم أتتني صاحبتي فقلت: إليك عني فلست منك ولست مني، قالت: لم؟ قلت: فرق الإسلام بيني وبينك، أسلمت وتابعت محمداً ﷺ، قالت: فديني دينك فأسلمت.

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام، فأبطؤوا علي فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم، فقال: اللهم اهد دوساً، ثم قال ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله وارفق بهم، فرجعت إليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بخيبر، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس. ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين.

وهذا يدل على تقدم إسلامه، وقد جزم ابن أبي حاتم بأنه قدم مع أبي هريرة بخيبر، وكأنها قدمته الثانية.

[وفد نصارى نجران]

وقدم عليه ﷺ وفد نصارى نجران، فلما دخلوا المسجد النبوي

بعد العصر حانت صلاتهم، فقاموا يصلون فيه، فأراد الناس منعهم فقال ﷺ دعوهم، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

وكانوا ستين راكباً، منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم؛ العاقب، أمير القوم، وذو رأيهم وصاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح. والسيد: صاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم ـ بتحتانية ساكنة ـ ويقال شرحبيل. وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، قد شرف فيهم ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه، وكان يعرف أمر النبي ﷺ وشأنه وصفته مما علمه من الكتب المتقدمة. ولكن حمله جهله على الاستمرار في النصرانية، لما يرى من تعظيمه ووجاهته عند أهلها.

فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن فامتنعوا، فقال: إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم.

وفي البخاري من حديث حذيفة؛ (جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه ـ يعني يباهلاه ـ فقال أحدهما لا تفعل).

وعند أبي نعيم: أن القائل ذلك هو السيد، وعند غيره: بل الذي قال ذلك هو العاقب، لأنه صاحب رأيهم، وفي زيادات يونس ابن بكير في المغازي أن الذي قال ذلك هو شرحبيل.

(فوالله لئن كان نبياً فلاعناه ـ يعني: باهلناه ـ لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ـ زاد في رواية ابن مسعود: أبداً ـ ثم قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين. فاستشرف لها أصحاب رسول الله

ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة)[1].

وفي رواية يونس بن بكير/: أنه صالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية، وساق الكتاب الذي بينهم مطولاً. ١٢٧/ب

وذكر ابن سعد: أن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك وأسلما.

وفي ذلك مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة. ووقع ذلك لجماعة من العلماء سلفاً وخلفاً، ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلاً لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة[2].

[قدوم رسول فروة بن عمرو الجذامي]

وقدم عليه ﷺ رسول فروة بن عمرو الجذامي ملك الروم[3] - وكان منزله معان - بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، ولما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه، فحبسوه ثم صلبوه على ماء بفلسطين، وضربوا عنقه على ذلك الماء[4].

[وفد بني سعد بن بكر]

وقدم عليه ﷺ ضمام بن ثعلبة، بعثه بنو سعد بن بكر.

روى البخاري من حديث أنس بن مالك قال: (بينما نحن

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٣٨٠).
(٢) عن فتح الباري ٨/٩٥.
(٣) فيه تجوز، فقد كان عاملاً للروم على من يليه من العرب.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/٥٩٢.

جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: أبن عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ : قد أجبتك.

فقال: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك.

فقال: سل عما بدا لك.

فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟

فقال: اللهم نعم.

فقال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟

قال: اللهم نعم[1].

فقال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟

قال: اللهم نعم.

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا.

فقال النبي ﷺ : اللهم نعم.

فقال الرجل: آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة، أخو بني سعد بن بكر[2].

وزاد ابن إسحاق في مغازيه:

---

(١) فقرة السؤال عن الصلاة سقطت من النسخ، وهي في (ش) كما هي في البخاري.

(٢) رواه البخاري برقم ٦٣، وهو عند مسلم وغيره أيضاً.

فقال: آلله أمرك أن نعبده ولا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟

فقال ﷺ : اللهم نعم.

قال: وكان ضمام رجلاً جلداً أشقر ذا غديرتين، ثم أتى بعيره وأطلق عقاله ثم خرج حتى أتى قومه فاجتمعوا إليه، وكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى فقالوا: مه يا ضمام اتق البرص والجنون والجذام، قال: ويلكم، إنهما لا يضران ولا ينفعان. إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، فوالله ما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً.

قال ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة(١).

[قدوم طارق بن عبدالله وقومه]

وفد طارق بن عبدالله وقومه. روى البيهقي عن جامع بن شداد قال: حدثني رجل يقال له طارق بن عبدالله قال: إني لقائم بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول: يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه، فقلت من هذا؟ فقالوا: هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله. قال قلت: من هذا الذي يفعل به هذا؟ قالوا: هذا عمه عبد العزى.

قال: فلما أسلم الناس وهاجروا، خرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار من تمرها، فلما دنونا من حيطانها قلنا: لو نزلنا فلبسنا ثياباً غير

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٥٧٣ ـ ٥٧٥.

١٢٨/ا هذه، فإذا رجل/ في طمرين له فسلم وقال: من أين أقبل القوم؟ قلنا: من الربذة، قال: وأين تريدون؟ قلنا: نريد المدينة، قال: ما حاجتكم فيها؟ قلنا: نمتار من تمرها، قال: ومعنا ظعينة لنا، ومعنا جمل أحمر مخطوم، فقال: أتبيعون جملكم هذا؟ قالوا: نعم بكذا وكذا صاعاً من تمر، فأخذ بخطام الجمل فانطلق، فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا: ما صنعنا، والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمناً. قال: تقول المرأة التي معنا: والله لقد رأيت رجلاً كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر، أنا ضامنة لثمن جملكم. وفي رواية ابن إسحاق قالت الظعينة: فلا تلاوموا، لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم، ما رأيت شيئاً أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه، إذ أقبل رجل فقال: أنا رسول رسول الله إليكم، هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا، فأكلنا حتى شبعنا، واكتلنا واستوفينا، ثم دخلنا المدينة، فلما دخلنا المسجد إذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول: تصدقوا فإن الصدقة خير لكم، اليد العليا خير من اليد السفلى.

[وفد تجيب]

وقدم عليه ﷺ وفد تجيب، وهم من السكون[١]، ثلاثة عشر رجلاً، قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسر عليه السلام بهم وأكرم منزلهم، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ يودعونه فأمر بلالاً فأجازهم بأرفع مما كان يجيز به الوفود. قال: هل بقي منكم أحد؟ قالو: غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سناً، قال: أرسلوه إلينا، فلما أقبل الغلام على رسول الله

---

(١) هم: بطن من كندة.

ﷺ فقال: يا رسول الله، إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي، وإن كانوا راغبين في الإسلام، والله ما أخرجني من بلادي إلا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني وأن يجعل غناي في قلبي، فقال ﷺ: اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه، ثم أمر له بما أمر به لرجل من أصحابه. ثم انطلقوا راجعين إلى أهليهم.

ثم وافوا رسول الله ﷺ بمنى سنة عشر، فقال: ما فعل الغلام؟ قالوا: يا رسول الله ما رأينا مثله قط، ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها.

[وفد بني سعد هذيم]

قدوم وفد بني سعد هذيم من قضاعة:

روى الواقدي عن ابن[1] النعمان عن أبيه[2] من سعد هذيم قال: قدمت على رسول الله ﷺ وافداً في نفر من قومي، فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد الحرام، فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى نلقى رسول الله ﷺ ونبايعه، ثم بايعناه ﷺ على الإسلام ثم انصرفنا إلى رحالنا.

وقد كنا خلفنا أصغرنا، فبعث ﷺ في طلبنا فأتي بنا إليه، فتقدم صاحبنا إليه فبايعه على الإسلام، فقلنا: يا رسول الله، إنه أصغرنا وخادمنا، فقال: أصغر القوم خادمهم، بارك الله عليك، قال: فكان والله خيرنا وأقرأنا بدعاء رسول الله ﷺ، ثم أمَّره علينا، فكان يؤمنا مرجعنا إلى قومنا، فرزقهم الله الإسلام.

---

(١) في (أ، ب) أبي.

(٢) قال في النور: ولا أعرفهما.

[وفد بني فزارة]

وفد بني فزارة: قال أبو الربيع بن سالم[1] في كتاب الاكتفاء[2]: ولما رجع رسول الله ﷺ من تبوك، قدم عليه وفد بني فزارة، بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن، والحر بن قيس، ابن أخي عيينة ابن حصن، وهو أصغرهم، مقرين بالإسلام، وهم مسنتون[3]، على ركاب عجاف، فسألهم ﷺ عن بلادهم فقال أحدهم؛ يا رسول الله، أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا، وأجدب جنابنا، وغرث[4]/ عيالنا، فادع لنا ربك يغيثنا، واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا ربك إليك.

١٢٨/ب

فقال ﷺ : سبحان الله!! ويلك، هذا إنما شفعت إلى ربي عز وجل: فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟ لا إله إلا هو العلي العظيم، وسع كرسيه السماوات والأرض، فهي تئط[5] من عظمته وجلاله، كما يئط الرحل الجديد.

وقال ﷺ : إن الله عز وجل ليضحك من شفقكم[6] وقرب غياثكم.

---

(١) في ش ابن سليمان، قال: هو محدث الأندلس وبليغها، له عناية تامة في الحديث وعلومه، له شهرة بالبلاغة والإنشاء وكان شجاعاً يباشر الحروب بنفسه ولد سنة خمس وستين وخمسمائة واستشهد سنة أربع وثلاثين وستمائة.

(٢) كتاب: الاكتفاء في مغازي رسول الله والخلفاء. أحد تصانيف أبي الربيع.

(٣) أي: مجدبون.

(٤) أي: جاع.

(٥) أي تصوت، والأطيط: صوت الأقتاب.

(٦) وردت بفاءين: وبفاء وقاف، والشفف: أقصى ما وجد من الضيق. والشفق: الخوف.

فقال الأعرابي: يا رسول الله، ويضحك ربنا عز وجل؟ قال: نعم.

فقال الأعرابي: لن نعدمك من رب يضحك خيراً.

فضحك ﷺ من قوله وصعد المنبر فرفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه، وكان مما حفظ من دعائه: اللهم اسق بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مربعاً طبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل، نافعاً غير ضار، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق. اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء، الحديث رواه ابن سعد والبيهقي، ويأتي تمامه إن شاء الله تعالى في الاستسقاء في مقصد عباداته ﷺ.

[وفد بني أسد]

وقدم عليه ﷺ وفد بني أسد، عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد، وطلحة بن خويلد، ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه، فقال متكلمهم: يا رسول الله إنا شهدنا أن الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك ولم تبعث إلينا بعثا.

فأنزل الله تعالى: **﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾**[1].

[وفد بهراء من اليمن]

وقدم عليه ﷺ وفد بهراء من اليمن، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً، فلما انتهوا إلى باب المقداد رحب بهم، وقدم لهم جفنة من حيس،

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٧.

فأكلوا منها حتى نهلوا[١]. وردت القصعة وفيها شيء، فجمع في قصعة صغيرة وأرسل بها إلى رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة، فأصاب منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا، ثم أكل منها الضيف ما أقاموا، يرددون ذلك عليهم وما تغيض[٢]، حتى جعلوا يقولون: يا أبا معبد، إنك لتنهلنا[٣] من أحب الطعام إلينا، وما كنا نقدر على مثل هذا إلا في الحين، فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله ﷺ أنه أكل منها وردها، وأن هذه بركة أصابعه ﷺ، فجعل القوم يقولون: نشهد أنه رسول الله، وازدادوا يقيناً، وتعلموا الفرائض، وأقاموا أياماً، ثم ودعوا رسول الله ﷺ فأمر لهم بجوائز وانصرفوا إلى أهليهم.

[وفد عذرة]

وقدم عليه ﷺ وفد عذرة، في صفر سنة تسع، وكانوا اثني عشر رجلاً، منهم جمرة بن النعمان، فرحب بهم ﷺ، فأسلموا وبشرهم بفتح الشام وهرب هرقل إلى ممتنع من بلاده، ثم انصرفوا وقد أجيزوا.

[وفد بلي]

وقدم عليه ﷺ وفد بلي، فأسلموا، فقال ﷺ: الحمد لله الذي هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار. ثم ودعوا رسول الله ﷺ بعد أن أجازهم.

---

(١) أصله الشرب الأول أطلق على الأكل مجازاً.

(٢) أي: تنقص.

(٣) أي: لتشبعنا حتى نحتاج إلى النهل، الشرب الأول.

[وفد بني مرة]

وقدم عليه ﷺ وفد بني مرة وكانوا ثلاثة عشر رجلاً، ورئيسهم الحارث بن عوف، فقال لهم ﷺ : كيف البلاد؟ فقالوا: والله إنا لمسنتون، فادع الله لنا، فقال عليه السلام: اللهم اسقهم الغيث. ثم أقاموا أياماً ورجعوا بالجائزة فوجدوا بلادهم قد أمطرت في ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ . / ١/١٢٩

[وفد خولان]

وقدم عليه ـ زاده الله شرفاً لديه ـ وفد خولان، في شعبان سنة عشر، وكانوا عشرة، فقالوا: يا رسول الله، نحن مؤمنون بالله مصدقون برسوله، وقد ضربنا إليك آباط الإبل، وركبنا حزون الأرض وسهولها، والمنة لله ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك. فقال ﷺ : أما ما ذكرتم من مسيركم إلي فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة، وأما قولكم زائرين لك، فإنه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة.

ثم قال ﷺ : ما فعل صنم خولان الذي كانوا يعبدونه؟ قالوا: بدلنا الله به ما جئت به، إلا أن عجوزاً وشيخاً كبيرين يتمسكان به، وإن قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالى.

ثم علمهم ﷺ فرائض الدين، وأمرهم بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وحسن الجوار، وأن لا يظلموا أحداً، ثم أجازهم ورجعوا إلى قومهم، وهدموا الصنم.

[وفد محارب]

وقدم عليه ﷺ وفد محارب[1] عام حجة الوداع، وكانوا أغلظ العرب وأفظهم عليه أيام عرضه على القبائل يدعوهم إلى الله، فجاءه ﷺ منهم عشرة فأسلموا، ثم انصرفوا إلى أهليهم.

[وفد صداء]

وقدم عليه ﷺ وفد صداء في سنة ثمان، وذلك أنه لما انصرف من الجعرانة بعث قيس بن سعد بن عبادة في أربعمائة، وأمره أن يطأ ناحية من اليمن فيها صداء، فقدم رجل منهم علم بالبعث على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله اردد الجيش، وأنا لك بقومي، فرد قيساً.

ورجع الصدائي إلى قومه فقدم على رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلاً منهم، فبايعوه على الإسلام ورجعوا إلى قومهم ففشا فيهم الإسلام، فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة رجل في حجة الوداع. ذكره الواقدي.

وذكر من حديث زياد بن الحارث الصدائي أنه الذي قدم على رسول الله ﷺ فقال له: اردد الجيش، وقال: كان زياد هذا معه ﷺ في بعض أسفاره وأنه ﷺ قال له: يا أخا صداء هل معك ماء؟ قلت: معي شيء في إداوتي، فقال: صبه، فصببته في قعب ثم وضع عليه الصلاة والسلام كفه فيه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه عيناً تفور.

[وفد غسان]

وقدم عليه ﷺ وفد غسان، في شهر رمضان سنة عشر، وكانوا ثلاثة نفر، فأسلموا وأجازهم ﷺ بجوائز، وانصرفوا راجعين.

(١) محارب بن سعد بن قيس عيلان.

[وفد سلامان]

وقدم عليه ﷺ وفد سلامان في شوال سنة عشر، كما قال الواقدي، وكانوا سبعة نفر، فيهم حبيب بن عمرو، فأسلموا وشكوا إليه جدب بلادهم فدعا لهم ثم ودعوه وأمر لهم بالجوائز، ورجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد أمطرت في اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ تلك الساعة.

[وفد بني عبس]

وقدم عليه ﷺ وفد بني عبس، فقالوا: يا رسول الله، قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال ومواش، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا، فقال ﷺ: اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من أعمالكم شيئاً.

[وفد غامد]

وقدم عليه وفد غامد سنة عشر، وكانوا عشرة، فأقروا بالإسلام وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام، وأمر أبي بن كعب فعلمهم قرآناً، وأجازهم ﷺ وانصرفوا.

[وفد الأزد]

وقدم عليه وفد الأزد، ذكر أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة، وأبو موسى المديني[1]، من حديث أحمد بن أبي الحواري[2]/ قال: ١٢٩/ب

(١) محمد بن أبي بكر الأصفهاني المديني، الحافظ شيخ الإسلام، ولد سنة إحدى وخمسمائة، سمع الكثير ورحل وعني بالحديث حتى صار أوحد وقته إسناداً وحفظاً مع التواضع. مات سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

(٢) أحمد بن عبدالله بن ميمون التغلبي يكنى أبا الحسن بن أبي الحواري، ثقة =

سمعت أبا سليمان الداراني[1] قال: حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي قال: حدثني أبي عن جدي قال:

وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا فقال: ما أنتم قلنا مؤمنون، فتبسم ﷺ وقال: إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟ قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً، فقال ﷺ : ما الخمس التي أمرتكم بها رسلي؟

قلنا: أمرتنا أن نومن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت.

قال: وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟

قلنا: أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلاً.

قال: وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية؟

قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمر القضاء، والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالأعداء.

فقال ﷺ : حكماء علماء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، ثم قال: وأنا أزيدكم خمساً فتتم لكم عشرون خصلة، إن كنتم كما

= زاهد من العاشرة وهم كبار الآخذين عن تبع الأتباع ممن لم يلق التابعين كابن حنبل مات سنة ست وأربعين ومائتين.

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني - نسبة إلى داريا، قرية بدمشق - الإمام الزاهد أخذ الحديث عن جمع منهم سفيان الثوري، وهو ثقة، له حكايات في الزهد. قال النووي: كان من كبار العارفين مات سنة اثنتي عشرة ومائتين.

تقولون، فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون، وفيه تخلدون،

فانصرفوا وقد حفظوا وصيته ﷺ وعملوا بها[1].

[وفد بني المنتفق]

وقدم عليه وفد بني المنتفق. روى عبدالله، ابن الإمام أحمد، في مسند أبيه عن دلهم بن الأسود عن عاصم بن لقيط، أن لقيط بن عامر بن صبرة بن عبدالله بن المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، أبا رزين العقيلي، المعدود في أهل الطائف، خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، فوافيناه ﷺ حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً فقال: يا أيها الناس، ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لتسمعوا اليوم، ألا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا له: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ، ألا ثم لعله يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه، ألا وإني مسؤول هل بلغت، ألا اسمعوا تعيشوا... الحديث. وفيه ذكر البعث والنشور والجنة والنار، وفيه: ثم قلت: يا رسول الله، علامَ أبايعك؟ فبسط ﷺ يده وقال: على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله شيئاً[2].

[وفد النخع]

وقدم عليه ﷺ وفد النخع[3]، وهم آخر الوفود قدوماً عليه.

---

(١) قال مخرج أحاديث زاد المعاد: سنده ضعيف [٣/٦٧٣].

(٢) قال مخرج أحاديث زاد المعاد: سنده ضعيف [٣/٦٧٧].

(٣) قبيلة من مذحج.

وكان قدومهم في نصف المحرم سنة إحدى عشرة، في مائتي رجل، فنزلوا دار الأضياف[1]، ثم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل.

فقال رجل منهم، يقال له زرارة بن عمرو، يا رسول الله إني رأيت في سفري هذا عجباً، قال: وما رأيت؟ قال: رأيت أتانا تركتها كأنها ولدت جدياً أسفع أحوى[2]، فقال له رسول الله ﷺ: هل تركت لك مصرة[3] على حمل؟ قال: نعم، قال: فإنها قد ولدت غلاما وهو ابنك، قال يا رسول الله: ما باله أسفع أحوى؟ قال: ادن مني، فدنا منه، قال: هل بك من برص تكتمه؟ قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما علم به أحد، ولا اطلع عليه غيرك، قال/: فهو ذلك. ١٣٠/أ

قال: يا رسول الله، ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان مدلجيان[4] ومسكتان[5]. قال: ذلك مُلْك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته.

قال: يا رسول الله، ورأيت عجوزاً شمطاء، خرجت من الأرض. قال: تلك بقية الدنيا.

قال: ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي

---

(١) هي دار رملة بنت الحارث النجارية الصحابية زوجة معاذ بن عفراء.

(٢) الأسفع: أسود مشرب بحمرة، وأحوى: مثله، سواد إلى خضرة، أو حمرة إلى سواد.

(٣) أي امرأة أو أمة حملها محقق.

(٤) كذا في النسخ: والمدلج الذي يسير الليل كله، ولا معنى له هنا، والذي في الإصابة: دملجان: وهو شيء يشبه السوار.

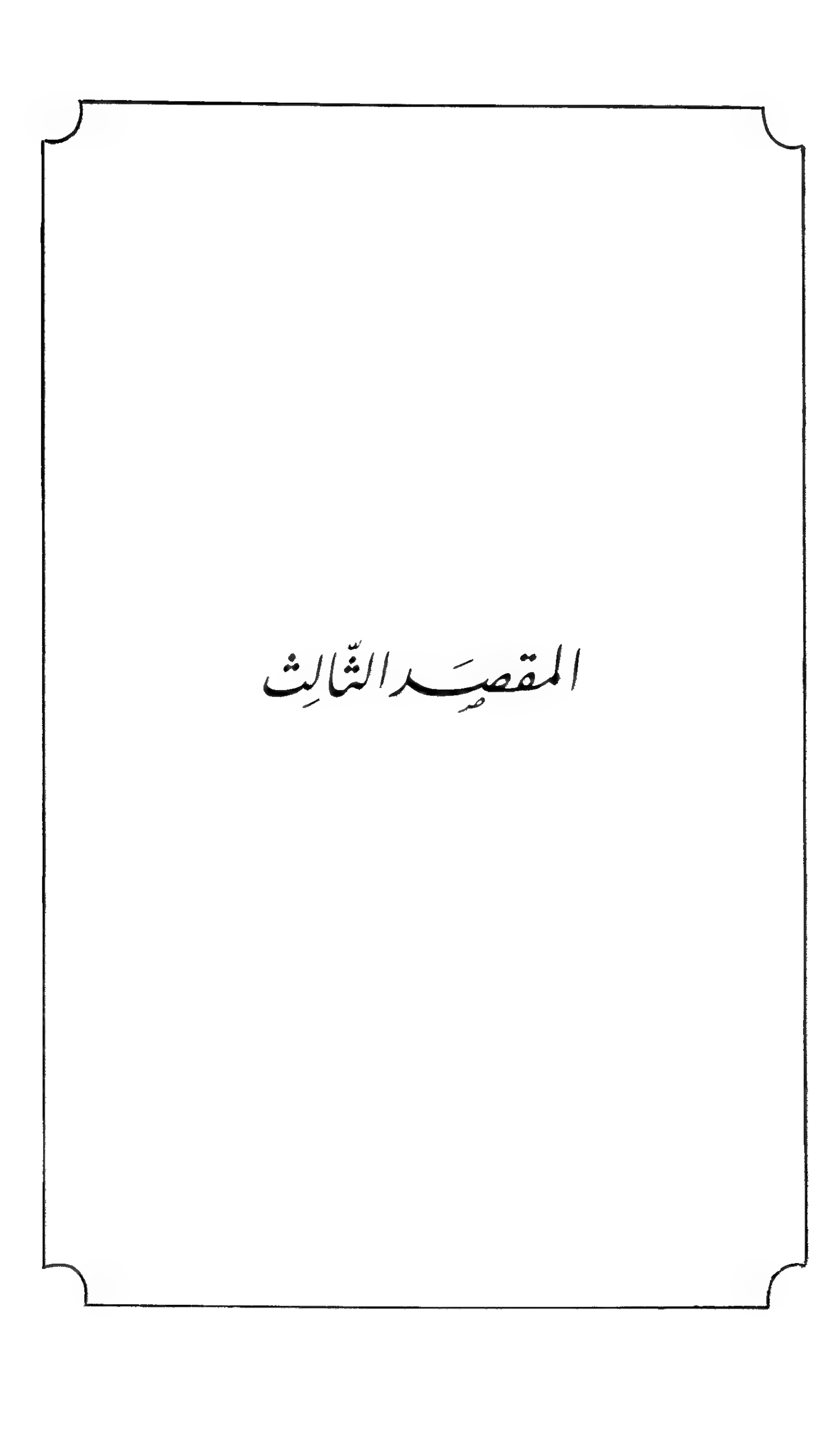
(٥) سواران من ذهب.

يقال له عمرو، قال رسول الله ﷺ: تلك فتنة تكون في آخر الزمان. قال: يا رسول الله، وما الفتنة؟ قال: يقتل الناس إمامهم - وخالف رسول الله ﷺ بين أصابعه - يحسب المسيء فيها أنه محسن، ويكون دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء، إن مات ابنك أدركت الفتنة، وإن مت أدركها ابنك.

قال: يا رسول الله ادع الله أن لا أدركها، فقال رسول الله ﷺ: اللهم لا يدركها. فمات فبقي ابنه فكان ممن خلع عثمان بن عفان رضي الله عنه. انتهى ملخصاً من الهدى النبوي[1]، والله الموفق وسيأتي هذا إن شاء الله تعالى في تعبيره ﷺ الرؤيا من المقصد الثامن.

---

(١) زاد المعاد ٣/٦٨٦.



المقصد الثالث

[محتوى المقصد الثالث]

- فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته.
- وكرمه تعالى به من الأخلاق الزكية وشرفه به من الأوصاف المرضية.
- وما تدعو ضرورة حياته إليه ﷺ .

وفيه أربعة فصول[1].

---

(١) كذا في النسخ، والواقع أن المصنف لم يذكر سوى ثلاثة فصول. ولعله أراد أربعة أنواع، وعندها يكون الضمير عائداً على الفصل الأخير.

الفصل الأول

في كمال خلقته وجمال صورته
صلى الله عليه وسلم وشرَّف وكرَّم

اعلم أن من تمام الإيمان به ﷺ الإيمان بأن الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله، فيكون ما يشاهد من خلق بدنه آيات على ما يتضح لك من عظيم خلق نفسه الكريمة، وما يتضح من عظيم أخلاق نفسه آيات على ما تحقق له من سر قلبه المقدس، ولله در الأبوصيري حيث قال:

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعني: حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه، لأنه الذي تم معناه دون غيره، وهي غير منقسمة بينه وبين غيره، وإلا لما كان حسنه تاماً، لأنه إذا انقسم لم ينله إلا بعضه فلا يكون تاماً.

وفي الأثر: أن خالد بن الوليد خرج في سرية من السرايا، فنزل ببعض الاحياء فقال له سيد ذلك الحي: صف لنا محمداً، فقال: أما

إني أفصل فلا، فقال الرجل: أجمل، فقال: الرسول على قدر المرسل، ذكره ابن المنير في أسرار الإسرار[1].

فمن ذا الذي يصل قدره أن يقدر قدر الرسول، أو يبلغ من الاطلاع على مأثور أحواله المأمول والمسؤول؟!

وقد حكى القرطبي - في كتاب الصلاة - عن بعضهم أنه قال: لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ، لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته ﷺ[2]. ولقد أحسن الأبوصيري أيضاً حيث قال:

أعيى الورى فهم معناه فليس يرى ... للقرب والبعد فيه غير منفحم[3]

كالشمس تظهر للعينين من بعد ... صغيرة وتُكِل الطرف من أَمم

وهذا مثل قوله أيضاً:

إنما مثلوا صفاتك للنا ... س كما مثل النجوم الماء

وأشار بقوله «تظهر» إلى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقاً، ولقد بين عيب التشبيه بها على الإطلاق أبو النواس حيث قال:

١٣٠/ب تتيه الشمس والقمر المنير ... إذا قلنا كأنهما الأمير/

لأن الشمس تغرب حين تمسي ... وأن البدر ينقصه المسير

وهذه التشبيهات الواردة في حقه ﷺ إنما هي على سبيل التقريب والتمثيل، وإلا فذاته أعلى ومجده أغلى.

---

(١) اسم الكتاب «المقتفى» وهو كتاب نفيس جعله قسمين: الأول في الإسراء والثاني في السيرة.

(٢) عايش الصحابة رضي الله عنهم الرسول ﷺ وأطاقت أعينهم رؤيته، وإنما كانوا يغضون احتراماً وإجلالاً. [المحقق].

(٣) انفحم: إذا سكت عن الجدال ولم يجب.

[صفة رأسه ﷺ]

فأما رأسه الشريف المقدس فحسبك ما ذكره الترمذي في جامعه بسنده إلى هند بن أبي هالة قال: كان رسول الله ﷺ عظيم الهامة.

وقال نافع بن جبير: وصف لنا علي رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: كان عظيم الهامة.

[صفة وجهه ﷺ]

وأما وجهه الشريف فحسبك ما روى الشيخان من حديث البراء قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً، ليس بالطويل الذاهب، ولا بالقصير البائن.

وعن أبي هريرة: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه. رواه الترمذي والبيهقي وأحمد وابن حبان.

قال الطيبي: شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه ﷺ، قال: ويحتمل أن يكون من تناهي التشبيه جعل وجهه مقراً ومكاناً للشمس ولله در القائل:

لم لا يضيء بك الوجود وليله ... فيه صباح من جمالك مسفر

فبشمس حسنك كل يوم مشرق ... وببدر وجهك كل ليل مقمر

وفي البخاري: سئل البراء: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل القمر.

وكأن السائل أراد مثل السيف في الطول، فرد عليه البراء فقال: بل مثل القمر، أي في التدوير، ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف في

اللمعان والصقالة، فقال: بل فوق ذلـك، وعدل إلى القمـر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان.

وقال الحافظ النسابة أبو الخطاب بن دحية رحمه الله تعـالى في كتابه «التنوير في مولد البشير النذير» ﷺ وشرف وعظم وكرم، عند إيراد حديث البراء المذكور ما لفظه: ففي هذا الحديث من العلم أن التشبيه ممن لا يحسنه لا يصلح الإقرار عليه، لأن السائل شبه وجه رسول الله ﷺ بالسيف، ولو شبهه بالشمس لكان أولى، فـرد عليه البراء قوله وقال: بل مثل القمر، وأبدع في تشبيهه، لأن القمر يملأ الأرض بنوره، ويؤنس كل من يشاهده، ونوره من غير حر يفزع، ولا كلل ينزع، والناظر إلى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس التي تعشي البصر وتجلب للناظر الضرر. انتهى.

وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة، وقال له رجل أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل الشمس والقمر وكان مستديراً.

وإنما قال: مستديراً، للتنبيه على أنه جمع الصفتين، لأن قوله: مثل السيف يحتمل أن يريد به الطول، ويحتمل أن يريد به اللمعان كما تقدمت إليه الإشارة فيما سبق من العبارة، فرده المسؤول رداً بليغاً، ولما جرى التعارف به من أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالباً الإشراق، وبالقمر إنما يراد به الملاحة دون غيرهما، فقوله وكان مستديراً، أشار به إلى أنه أراد به التشبيه بالصفتين معاً: الحسن والاستدارة.

وقال المحاربي عن أشعث عن أبي[1] إسحاق عن جابر بن سمرة

(١) في ط ابن. وهو غلط. وأبو إسحاق هو عمرو بن عبدالله الهمـداني ثقة روى له الستة.

أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان[1] وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو كان[2] أحسن في عيني من القمر، وفي رواية: بعد قوله حمراء: فجعلت أماثل بينه وبين القمر.

وروى الترمذي والبيهقي عن علي أنه نعته ﷺ فقال: لم يكن بالمطهم[3] ولا بالمكلثم، كان في وجهه تدوير. والمكلثم: المدور الوجه، أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل.

وفي حديث علي عند أبي عبيد في الغرائب[4]: وكان في وجهه تدوير قليل، قال أبو عبيد في شرحه: يريد أنه ما كان في غاية التدوير، بل كان فيه سهولة وهي أحلى عند العرب.

وفي حديث أبي هريرة عند الذهلي[5] في الزهريات[6] في صفته ﷺ: كان أسيل الخدين. قال ابن الأثير: الأسالة في الخد: الاستطالة وأن لا يكون مرتفع الوجنة. قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: ولعل هذا هو الحامل لمن سأله أكان وجهه مثل السيف.

وأخرج البخاري عن كعب بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا سرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه. أي الموضع الذي يتبين فيه السرور وهو جبينه.

---

(١) صفة لليلة، أي مضيئة مقمرة من أولها إلى آخرها لا ظلمة فيها.
(٢) لفظ (كان) زيادة في (أ، ب، د).
(٣) المطهم: الفاحش السمن، أو النحيف الجسم، وهو من الأضداد.
(٤) في ش: الغريب.
(٥) محمد بن يحيى النيسابوري روى عن أحمد وإسحاق، وعنه البخاري وأصحاب السنن، كان أمير المؤمنين في الحديث وأحد الأئمة العارفين مات سنة ثمان وخمسين ومائتين.
(٦) كتاب جمع فيه حديث ابن شهاب الزهري.

وقالت عائشة رضي الله عنها: دخل النبي ﷺ يوماً مسروراً تبرق أسارير[1] وجهه[2].

ولذلك قال كعب كأنه قطعة قمر[3].

وفي حديث جبير بن مطعم عند الطبراني: التفت إلينا رسول الله ﷺ بوجه مثل شقة القمر، فهذا محمول على صفته عند الالتفات.

وقد أخرج الطبراني حديث كعب بن مالك من طرق في بعضها: كأنه دارة قمر.

ويسأل عن السر في التقييد بالقطعة مع كثرة ما ورد [في كثير][4] من كلام البلغاء من تشبيه الوجه بالقمر/ بغير تقييد. وقد كان كعب ابن مالك قائل هذا من شعراء الصحابة، فلا بد في التقييد بذلك من حكمة. وما قيل في أن ذلك من الاحتراز من السواد الذي في القمر ليس بقوي، لأن المراد بتشبيهه ما في القمر من الضياء والاستنارة وهو في تمامه لا يكون فيها أقل مما في القطعة المجردة، فكأن التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب أن يشبه ببعض القمر.

١/١٣١

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: كان وجه رسول الله ﷺ كدارة القمر، أخرجه أبو نعيم.

وروى البيهقي عن أبي إسحاق الهمداني عن امرأة من همدان ـ سماها ـ قالت: حججت مع النبي ﷺ مرات[5] فرأيته على بعير له

(١) أسارير: جمع أسرار جمع: سر، وهي الخطوط التي في الجبهة.
(٢) الحديث عند البخاري برقم ٦٧٧٠.
(٣) إشارة إلى موضع الاستنارة وهو الجبين.
(٤) في (ط، ب، د).
(٥) من المعلوم أنه ﷺ لم يحج إلا حجة الوداع.

يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان أحمران يكاد يمس شعره منكبه إذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه إلى فمه فيقبله. قال أبو إسحاق: فقلت لها شبهيه قالت: كالقمر ليلة البدر، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ.

وروى الدارمي والبيهقي وأبو نعيم والطبراني عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلت للربيع بنت معوذ صفي لي رسول الله ﷺ، قالت: لو رأيته لقلت: الشمس طالعة، [وفي لفظ: يا بني لو رأيته رأيت الشمس طالعة](١).

وروى مسلم عن أبي الطفيل أنه قيل له: صف لنا رسول الله ﷺ فقال: كان أبيض مليح الوجه.

وفيما أخرجه الترمذي من حديث هند بن أبي هالة: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر.

وقالت أم معبد حين وصفته لزوجها: متبلج الوجه، يعني: مشرقه مضيئه، ومنه تبلج الصبح إذا أسفر، وما أحسن قول سيدي علي بن وفا حيث قال:

ألا يا صاحب الوجه المليح	سألتك لا تغيب عني فأنت روحي
متى ما غاب شخصك عن عياني	رجعت فلا ترى إلا ضريحي
بحقك جد لرقك يا حبيبي	وداو لوعة القلب الجريح
ورقَّ لمغرم في الحب أمسى	وأصبح بالهوى دنفاً طريح
محب ضاق بالأشواق ذرعاً	وآوى منك للكرم الفسيح

وفي النهاية: أنه عليه السلام كان إذا سر فكأن وجهه المرآة،

(١) زيادة في (ط، ب، ش).

وكأن الجدر تلاحك وجهه. قال: الملاحكة، شدة الملاءمة، أي يرى شخص الجدر في وجهه صلى الله عليه وسلم.

وفي حديث ابن أبي هالة: يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر.

وذلك: لأن القمر يملأ الأرض بنوره ويؤنس كل من شاهده، وهو يجمع النور من غير أذى، ويتمكن من النظر إليه بخلاف الشمس التي تغشي البصر فتمنع من تمكن الرؤية، والتشبيه بالبدر أبلغ في العرف من التشبيه بالقمر، لأنه وقت كماله، كما قال [الفاروق رضي الله عنه حين رآه أو كلما رآه][1]:

لو كنت من شيء سوى بشر ... كنت المنور[2] ليلة البدر

وقد صادف هذا التشبيه تحقيقاً، فمن أسمائه ﷺ: البدر، ولهذا أنشدوا لما قدم المدينة:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع

ولقد أحسن من قال:

كالبدر والكاف إن أنصفت زائدة ... فيه فلا تظننها كافاً لتشبيه

وما أحلى قول ابن الحلاوي:

يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه ... وبدر الدجى عن ذلك الحسن ينحط

كما شبهوا غصن النقا بقوامه ... لقد بالغوا في المدح للغصن واشتطوا

---

(١) ليست في الأصل، وهذا البيت تمثل به عمر وهو للمسيب بن عبس بن مالك خال الأعشى.

(٢) أي: القمر.

فقد حصل للبدر والغصن غاية من الفخر بهذا التشبيه، على أن هذه التشبيهات الواردة في صفاته ﷺ إنما هي على عادة الشعراء العرب، وإلا فلا شيء في هذه [التشبيهات][1] المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية، ولله در إمام العارفين سيدي محمد وفا الشاذلي المالكي[2] حيث قال:

كم فيه للأبصار حسن مدهش ... كم فيه للأرواح راح مسكر

سبحان من أنشاه من سبحاته ... بشراً بأسرار الغيوب يبشر/ ١٣١/ب

قاسوه جهلا بالغزال تغزلاً ... هيهات يشبهه الغزال الأحور

هذا وحقك ما له من مشبه ... وأرى المشبه بالغزالة يكفر

يأتي عظيم الذنب في تشبيهه ... لولا لرب جماله يستغفر

فخر الملاح بحسنهم وجمالهم ... وبحسنه كل المحاسن تفخر

فجماله مجلى لكل جميلة ... وله منار كل وجه نير

جنات عدن في جنى وجناته ... ودليله أن المراشف كوثر

هيهات ألهو عن هواه بغيره ... والغير في حشر الأجانب يحشر

كتب الغرام علي في أسفاره ... كتباً تؤول بالهوى وتفسر

فدع الدعي وما ادعاه في الهوى ... فدعيه بالهجر فيه يهجر

وعليك بالعلم العليم فإنه ... لخطيبه في كل خطب منبر

---

(١) في ش.

(٢) محمد بن محمد بن محمد الاسكندراني أو المغربي ثم المصري، صاحب الموشحات التوحيدية، ولد بالاسكندرية سنة اثنتين وسبعمائة، ومات سنة ستين وسبعمائة.

[صفة بصره ﷺ]

وأما بصره الشريف ﷺ فقد وصفه الله في كتابه العزيز بقوله: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى في النهار في الضوء. رواه البخاري(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يرى في الظلماء كما يرى في الضوء. رواه البيهقي.

وعن أبي هريرة أنه ﷺ قال: هل ترون قبلتي ها هنا، فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم، إني لأراكم من وراء ظهري. رواه البخاري ومسلم(٣).

وعند مسلم من رواية أنس أنه ﷺ قال: أيها الناس، إني أمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود، فإني أراكم من أمامي ومن خلفي(٤).

وعن مجاهد: في قوله تعالى: ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في

---

(١) سورة النجم، الآية ١٧.
(٢) كذا في النسخ. قال الشارح: ولم أجده فيه، وإنما عزاه السيوطي وغيره للبيهقي في الدلائل وقال إنه حسن. قال شارحه: ولعله لاعتضاده وإلا فقد قال السهيلي ليس بقوي وضعفه ابن دحية. أي نقل تضعيفه. فكيف يكون في البخاري.
(٣) رقمه في البخاري ٤١٨، وهو عند مسلم برقم ٤٢٤.
(٤) رقمه عند مسلم ٤٢٦.

الساجدين﴾[1] قال: كان ﷺ يرى من خلفه من الصفوف، كما يرى من بين يديه، رواه الحميدي في مسنده، وابن المنذر في تفسيره.

وهذه الرؤية رؤية إدراك: والرؤية لا تتوقف على وجود آلتها التي هي العين ـ عند أهل الحق ـ ولا شعاع ولا مقابلة، وهذا بالنسبة إلى القديم العالي، أما المخلوق فتتوقف صفة الرؤية في حقه على الحاسة والشعاع والمقابلة بالاتفاق، ولهذا كان خرق عادة في حقه ﷺ ، وخالق البصر في العين قادر على خلقه في غيرها.

قال الحرالي[2]: وهذه الآية قد جعلها الله تعالى دالة على ما في حقيقة أمره في الاطلاع الباطن لسعة علمه، ومعرفته لما عرف بربه لا بنفسه أطلعه الله على ما بين يديه مما تقدم من أمر الله، وعلى ما وراء الوقت مما تأخر من أمر الله، فلما كان على ذلك من الإحاطة في إدراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له ﷺ مثل ذلك في مدركات العيون، فكان يرى المحسوسات من وراء ظهره كما يراها من بين يديه كما قال ﷺ. انتهى[3].

ومن الغريب ما ذكره الزاهدي بختيار محب بن محمود[4]، شارح القدوري في رسالته الناصرية أنه ﷺ كان له بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما، ولا تحجبهما الثياب؟؟؟[5].

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٩.

(٢) في ط: الغزالي وهو تصحيف. الحرالي: نسبة إلى قبيلة بالبربر، واسمه علي ابن أحمد ابن الحسن، ذو التصانيف المشهورة.

(٣) وحاصل كلام الحرالي: أنه من قبيل الكشف له عن المرئيات، فهو من الخوارق.

(٤) أبو الرجاء الغزميني يلقب نجم الدين مات سنة ثمان وخمسين وستمائة.

(٥) من الغريب أن يذكر ذلك من عاش في القرن السابع، وهو أمر لم يسمع قبله ولا دليل عليه [المحقق].

وقيل: بل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة أمثلتهم فيها، فيشاهد أفعالهم/، وهذا إن كان نقلاً عن الشارع عليه السلام بطريق صحيح فمقبول وإلا فليس المقام مقام رأي، على أن الأقعد في إثبات كونه معجزة حملها على الإدراك من غير آلة والله أعلم.

١/١٣٢

وقد ذهب بعضهم إلى أن هذه الرؤية رؤية قلبه الشريف.

وعن بعضهم: المراد بها العلم إما بأن يوحي الله إليه كيفية فعلهم، وإما بأن يلهم، والصحيح والصواب ما تقدم[١].

وقد استشكل على قول من يقول: إن المراد بذلك العلم، ما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بغير إسناد: أنه ﷺ قال: إني لا أعلم ما وراء جداري هذا. فإن صح فالمراد منه نفي العلم بالمغيبات، فكيف يجتمعان؟

وأجيب: بأن الأحاديث الأُوَل ظاهرها ينطق باختصاص ذلك بحالة الصلاة، ويحمل المطلق منها على المقيد. وأما إذا ذهبنا إلى الإدراك بالبصر ـ وهو الصواب ـ فلا إشكال، لأن نفي العلم هنا عن الغيب وذاك عن مشاهدة.

وفي «المقاصد الحسنة» للحافظ شمس الدين السخاوي حديث: ما أعلم ما خلف جداري هذا. قال شيخنا ـ يعني شيخ الإسلام ابن حجر ـ: لا أصل له. قلت: ولكنه قال في تلخيص تخريج أحاديث الرافعي عند قوله في الخصائص: ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه. هو[٢] في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس وغيره،

(١) من أن الإدراك من غير آلة.
(٢) أي معناه.

والأحاديث الواردة في ذلك مقيدة بحالة الصلاة وبذلك يجمع بينه وبين قوله: لا أعلم ما وراء جداري هذا. انتهى.

قال شيخنا[1]، وهذا مشعر بوروده، وعلى تقدير وروده لا تنافي بينهما لعدم تواردهما على محل واحد.

فإن قيل: يشكل على هذا ـ أيضاً ـ إخباره ﷺ بكثير من المغيبات التي في زمانه وبعده، ووقعت كما أخبر صلى الله عليه وسلم.

فالجواب: إن نفي العلم في هذا ورد على أصل الوضع، وهو أن علم الغيب مختص بالله تعالى، وما وقع منه على لسان نبيه ﷺ وغيره فمن الله تعالى، إما بوحي أو إلهام، ويدل على ذلك الحديث الذي فيه: أنه لما ضلت ناقته ﷺ تكلم بعض المنافقين وقال: إن محمداً يزعم أنه يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال ﷺ لما بلغه ذلك: والله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي، وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا وكذا، حبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما أخبر صلى الله عليه وسلم [2].

فصح أنه لا يعلم ما وراء جداره ولا غيره إلا ما علمه ربه تبارك وتعالى.

وذكر القاضي عياض ـ في الشفاء ـ أنه ﷺ كان يرى في الثريا أحد عشر نجماً، وعند السهيلي، اثني عشر.

وفي حديث ابن أبي هالة: وإذا التفت التفت جميعاً خافض

---

(١) أي السخاوي.

(٢) وقعت هذه الحادثة في غزوة تبوك. كما جاء في سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٣.

الـطرف، نظره إلى الأرض أطـول من نظره إلى السـماء جـل نـظره الملاحظة.

وهي مفـاعلة من اللحظ: وهو النـظر بشق العين الـذي يلي الصدغ، وأما الذي يلي الأنف فالموق والماق. وقوله: إذا التفت التفت جميعاً أراد أنه لا يسارق النظر، وقيل: لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة إذا نظر إلى الشيء، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف ولكن كـان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً. قاله ابن الأثير.

وعن علي قال: كان رسول الله ﷺ عظيم العينين، أهدب الأشفار، مشرب العين بحمرة، رواه البيهقي.

وعن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم أشكل العينين منهوس القدمين[1]، رواه مسلم.

والشكلة: الحمرة تكون في بياض العين وهو محمود محبوب، وأما الشهلة: فإنها حمرة في سوادها. وهذا هو الصواب: لا ما فسره/ بعضهم، بأنه طول شق العين. ١٣٢/ب

وعند الترمذي في حديث عن علي، أنه نعت رسول الله ﷺ فقال: كان في وجهه تدوير أبيض مشرب بحمرة، أدعج العينين، أهدب الأشفار الحديث.

والأدعج: الشديد سواد الحدقة.

والأهدب: الطويل الأشفار: وهي شعر العين.

وعنده ـ أيضاً ـ عن علي قال: كان أسود الحدقة أهدب الأشفار.

---

(١) المنهوس من الرجال قليل اللحم، ومنهوس القدمين: معرقهما.

وعن علي: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن [فقمت][1] لأخطب يوماً على الناس، وحبر من أحبار اليهود واقف بيده سفر[2] ينظر فيه، فلما رآني قال: صف لي أبا القاسم، فقلت: ليس بالطويل البائن ولا بالقصير. الحديث، وفيه: قال علي: ثم سكت، فقال الحبر وماذا: قلت: هذا ما يحضرني، قال الحبر: في عينيه حمرة حسن اللحية، ثم قال علي: هذه والله صفته، قال الحبر: فإني أجد هذه الصفة في سفر آبائي، وإني أشهد أنه نبي وأنه رسول الله إلى الناس كافة. الحديث.

[صفة سمعه ﷺ]

وأما سمعه الشريف فحسبك أنه قال ﷺ: (إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت[3] السماء وحق لها أن تئط، ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى) رواه الترمذي من رواية أبي ذر.

وما رواه أبو نعيم عن حكيم بن حزام، بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ قال لهم: تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء، قال: إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم.

[صفة جبينه ﷺ وبعض جسمه]

وأما جبينه الكريم ﷺ فقد كان واضح الجبين، مقرون

---

(١) زيادة في ط.

(٢) في ط: جفر.

(٣) صاحت وصوتت من ثقل ما عليها. والأطيط: صوت الرحل والإبل من حمل أثقالها.

الحاجبين. بهذا وصفه علي، كما عند ابن سعد وابن عساكر فقال: مقرون الحاجبين صلت الجبين. أي: واضحه، والقرن: اتصال شعر الحاجبين.

وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال: رأيت رسول الله ﷺ، فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة رقيق الحاجبين. ولله در القائل:

جبينه مشرق من فوق طرته ... يتلو الضحى ليله والليل كافره

بالمسك خطت على كافور جبهته ... من فوق نوناتها سينا ضفائره

مكمل الخلق ما تحصى خصائصه ... منضر الحسن قد قلت نظائره

وقال ابن أبي هالة: أزج الحواجب - وفسر: بالمقوس الطويل الوافر الشعر - ثم قال: سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب، أي يمتلئ دماً إذا غضب كما يمتلئ الضرع لبناً إذا در. قاله في النهاية.

وعن مقاتل بن حيان[1] قال: أوحى الله إلى عيسى عليه الصلاة والسلام: اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البتول، إني خلقتك من غير فحل، فجعلتك آية للعالمين، فإياي فاعبد، وعلي فتوكل، فسر لأهل سوران أني أنا الله الحي القيوم، الذي لا أزول، صدقوا النبي الأمي، صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة، الجعد الرأس، الصلت الجبين، المقرون الحاجبين، الأهدب الأشفار، الأدعج العينين، الأقنى الأنف، الواضح الخدين، الكث اللحية، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، وريح المسك ينفح منه، كأن عنقه إبريق فضة. الحديث.

---

(١) مقاتل بن حيان النبطي البلخي الخزاز، صدوق فاضل روى له مسلم وأصحاب السنن مات قبل الخمسين ومائة.

والأنجل[1]: الواسع شق العينين.

والقرن: بالتحريك: التقاء الحاجبين.

وما وصفه به ابن أبي هالة مخالف لما في حديث مقاتل بن حيان وما في حديث أم معبد/ فإنها قالت: أزج أقرن، أي مقرون الحاجبين، قال ابن الأثير: والأول هو الصحيح في صفته، يعني: سوابغ في غير قرن. ١/١٣٣

والقنى في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه.

وقد وصفه ﷺ غير واحد: بأنه عظيم الهامة، أي الرأس، كذا في حديث ابن أبي هالة المشهورة. وقال علي بن أبي طالب ـ في حديث رواه الترمذي وصححه والبيهقي ـ: ضخم الرأس. وكذا قال أنس في رواية البخاري.

وكان ﷺ أيضاً ضخم الكراديس، وهي رؤوس العظام، كما وصفه به علي في حديث الترمذي. وقال أيضاً في رواية للترمذي: جليل المشاش والكتد. وفسر برؤوس العظام كالركبتين والمرفقين والمنكبين، أي عظيمها.

والكتد ـ بفتحتين ويجوز كسر التاء ـ مجمع الكتفين.

وكان ﷺ دقيق العرنين، أي أعلى الأنف، كما وصفه به علي في رواية ابن سعد وابن عساكر. وفي رواية أيضاً عن ابن عمر من وصف علي له أيضاً: أقنى الأنف، وفسر بالسائل المرتفع وسطه، وقال ابن أبي هالة: أقنى العرنين له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشمَّ، والأشم: الطويل قصبة الأنف.

---

(١) لم تتقدم هذه الكلمة حتى تحتاج إلى شرح، لكنها سقطت من قلم المصنف. إذ بعد قوله الأدعج العينين لفظ: الأنجل العينين.

[وصف فمه ﷺ]

وأما فمه الشريف ﷺ ففي مسلم من حديث جابر أنه ﷺ كان ضليع الفم، يعني واسعه. وكذا وصفه به ابن أبي هالة، وزاد يفتتح الكلام ويختم بأشداقه، يعني لسعة فمه، والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم.

وقال شمر[1]: عظيم الأسنان.

وفي حديث عند البزار والبيهقي قال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ أسيل الخدين واسع الفم.

ووصفه ﷺ ابن أبي هالة فقال: أشنب مفلج الأسنان. والشنب: رونق الأسنان وماؤها. وقيل: رقتها وتحديدها. وأفلج الأسنان أي متفرقها.

وقال علي: مبلج الثنايا[2]، بالموحدة، أخرجه ابن سعد من حديث أبي هريرة.

وعند ابن عساكر: عن علي: براق الثنايا.

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين، إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من ثناياه. رواه الترمذي في الشمائل، والدارمي، والطبراني في الأوسط[3].

---

(١) شِمْر بن عطية الأسدي الكاهلي الكوفي. وقوله: عظيم الأسنان. هو إيضاح لمعنى: ضليع الفم.

(٢) أي مشرقها ومضيئها.

(٣) وفيه عند الجميع عبد العزيز أبو ثابت، وهو ضعيف جداً. كما قاله الحافظ الهيثمي.

وكان ﷺ أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم.

بحـر من الشهـد في فيـه مـراشفـه ... يـاقـوتـه صـدف فيـه جـواهـره

وعن أبي قِرْصافة[1] قال: بايعنا رسول الله أنا وأمي وخالتي، فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي: يا بني، ما رأينا مثل هذا الرجل أحسن وجهاً ولا أنقى ثوباً ولا ألين كلاماً، ورأينا كالنور يخرج من فيه.

[صفة ريقه ﷺ]

وأما ريقه الشريف، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، قال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرأ[2] حتى كأن لم يكن به وجع. الحديث متفق عليه.

وأتي بدلو من ماء، فشرب من الدلو، ثم صب في البئر، أو قال: مج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك. رواه أحمد وابن ماجه من حديث وائل بن حجر.

وبزق في بئر في دار أنس، فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها، رواه أبو نعيم.

---

(١) صحابي مشهور بكنيته.

(٢) بوزن ضرب ويجوز كسر الراء بوزن علم والرواية بالأول: أي: شفي.

وكان ﷺ يوم عاشوراء يدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة[1] فيتفل في أفواههم ويقول للأمهات لا ترضعنهم إلى الليل، فكان ريقه يجزئهم. رواه البيهقي.

ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هي وأخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدنه يأكل قديداً فمضع لهن قديدة فمضغنها كل واحدة منهن قطعة قطعة فلقين الله وما وجدن لأفواههن/ خلوف، رواه الطبراني. ١٣/ب

ومسح ﷺ بيده الشريفة بعد أن نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه وكان به شرى، فما كان يشم أطيب منه رائحة. رواه الطبراني.

وأعطى الحسن لسانه ـ وكان قد اشتد ظمؤه ـ فمصه حتى روي. رواه ابن عساكر. ولله در إمام العارفين سيدي محمد وفا الشاذلي حيث يقول:

جنى النحل في فيه وفيه حياتنا ولكنه من لي بلثم لثامه
رحيق الثنايا والمثاني تنفست إذا قال في فيح بطيب ختامه

[فصاحته عليه السلام]

وأما فصاحة لسانه، وجوامع كلمه، وبديع بيانه وحكمه، فكان ﷺ أفصح خلق الله، وأعذبهم كلاماً، وأسرعهم أداء، وأحلاهم منطقاً، حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب ويسلب الأرواح.

ينظم در الثغر نثر مقوله فيا حسنه في نثره ونظامه
يناجي فينجي من يناجي من الجوى فكل كليم برؤه في كلامه

(١) رضعاؤه: الصبيان الذين ينسبون إليه، ورضعاء فاطمة أولادها.

ففصاحة لسانه ﷺ غـاية لا يـدرك مداهـا، ومنزلـة لا يداني منتهاها، وكيف لا يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفاً من سيوفه، يبين عن مراده، ويدعو به إليه عباده، فهو ينطق بحكمه عن أمره، ويبين عن مراده بحقيقة ذكره.

أفصـح خلق الله إذا لفظ، وأنصحهـم إذا وعظ، لا يقـول هجراً، ولا ينطق هذراً، كلامه كله يثمر علماً، ويمتثل شرعاً وحكماً، لا يتفوه بشر بكلام أحكم منه في مقالته، ولا أجزل منه في عذوبته.

وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه، وأقام به الحجة على عباده ببيانه، وبين مواضع فروضه وأوامره ونواهيه، وزواجره ووعده ووعيده وإرشاده أن يكون أحكم الخلق جناناً وأفصحهم لسـاناً، وأوضحهم بياناً.

وقد كان ﷺ إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين، يعده العاد، ليس بهذ[١] مسرع لا يحفظ، قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان ﷺ يسرد سردكم هذا، كان يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه[٢]. وكان يعيد الكلمة ثلاثاً لتفهم عنه[٣].

وكان يقول: أنا أفصح العرب[٤][٥].

---

(١) هو السرعة. وفي (ب، ش) بهذر، وفي ط: بهذاء.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٣) رواه الترمذي والحاكم. وفي ط: لتحفظ عنه، وفي ش: حتى تعقل عنه. ثم قال: وفي رواية البخاري: حتى تفهم عنه.

(٤) قال ابن كثير والسيوطي لم نقف على سنده.

(٥) هنا في (ا، ب، ط): وإن أهل الجنة يتكلمون بلغـة محمد ﷺ. وهـو حديث عن ابن عباس سيأتي بعد قليل.

وقد قال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله، مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ فقال: كانت لغة إسماعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظنيها. رواه أبو نعيم[1].

وروى العسكري في الأمثال من حديث علي بسند ضعيف جداً قال: قدم بنو نهد على النبي ﷺ: الحديث وفيه: ذكر خطبتهم وما أجابهم به النبي ﷺ قال: فقلنا: يا نبي الله، نحن بنو أب واحد، ونشأنا في بلد واحد، وإنك تكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره، فقال: إن الله عز وجل أدبني فأحسن أدبي، ونشأت في بني سعد بن بكر.

وعن محمد بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن جده قال: قال رجل: يا رسول الله، أيدالك الرجل امرأته؟ قال: نعم إذا كان ملفجاً. فقال له أبو بكر: يا رسول الله، ما قال لك، وما قلت له؟ قال: قال: أيماطل الرجل أهله؟ قلت له: نعم إذا كان مفلساً. قال أبو بكر: يا رسول الله، لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك، قال: أدبني ربي ونشأت في بني سعد، رواه السرقسطي في الدلائل بسند واه. وكذا أخرجه ابن عساكر.

قال في القاموس: ودالكه أي ماطله. انتهى.

وقوله: «ملفجاً» بضم الميم وفتح الفاء، اسم فاعل من «ألفج الرجل» فهو ملفج، إذا كان فقيراً، وهو غير مقيس. ومثله/ أحصن فهو محصن، وأسهب فهو مسهب، في ألفاظ شذت، والقياس الكسر، قاله ابن مرزوق. لكن قال ابن الأثير: لم يجئ إلا في ثلاثة أحرف، أسهب وأحصن وألفج.

١/١٢

(١) إسناده ضعيف.

وقال غيره: معناه: أيداعب الرجل امرأته، يعني قبل الجماع؟ وسماه مطلا لكون غرضها الأعظم الجماع. قال: إذا كان عاجزاً، ليكون ذلك محركاً لشهوته، ولعجزه سمي مفلساً.

وقال ابن الأثير: يماطلها بمهرها إذا كان فقيراً.

وأما ما يروى: أنا أفصح من نطق بالضاد. فقال ابن كثير: لا أصل له. انتهى لكن معناه صحيح والله أعلم.

[حد الفصاحة]

وقد حدوا الفصاحة: بخلوص الكلمة[1] من التنافر والغرابة ومخالفة القياس.

والمراد بالتنافر: تقارب مخارج الحروف كقوله:

غدائره مستشزرات إلى العلا

فإن السين والشين والتاء والزاي كلها متقاربة المخارج.

والغرابة: كون الكلمة لا تدل على المراد من أول وهلة لاحتمال معنى آخر.

ومخالفة القياس: استعمال الكلمة على غير قياس، كإبقاء وجود المثلين من كلمة واحدة من غير إدغام. كقوله: الحمد لله العلي الأجلل.

والفصاحة: يوصف بها الكلام والكلمة والمتكلم.

---

(١) في ش: الكلام.

والبلاغة: أن يطابق الكلام مقتضى الحال مع فصاحته، الجزالة خلاف الركاكة.

[نماذج من بلاغته وأقواله]

ففصاحته ﷺ إلى الحد الخارق للعادة، البالغ نهاية المزية والزيادة التي تصدع القلوب قبل الأذهان، وتقرع الجوانح قبل الآذان، مما يروق ويفوق، ويثبت له على سائر البشر الحقوق التي لا تقابل بالعقوق، فهو صاحب جوامع الكلم وبدائع الحكم، وقوارع الزجر وقواطع الأمر، والأمثال السائرة، والغرر السائلة، والدرر المنثورة والدراري المأثورة والقضايا المحكمة، والوصايا المبرمة، والمواعظ التي هي على القلوب محكمة، والحجج التي هي للد[1] الخصماء مفحمة ملجمة.

وقليل هذا الوصف في حقه ﷺ وزاده فضلاً وشرفاً لديه، وقد روى الحاكم في مستدركه وصححه من حديث ابن عباس: إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد ﷺ . وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته إلى شاهد، ولا ينكرها موافق ولا معاند، وقد جمع الناس من كلامه الفرد الموجز البديع الذي لم يسبق إليه دواوين، وفي كتاب الشفاء للقاضي عياض من ذلك ما يشفي العليل.

- كقوله ﷺ : المرء مع من أحب[2].
- وقوله: أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين[3].

---

(١) جمع: ألد، مثل أحمر وحمر.
(٢) رواه الشيخان وغيرهما.
(٣) رواه البخاري.

● وقوله: السعيد من وعظ بغيره[1].

ومما لم يذكره القاضي رحمه الله:

● قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات) رواه الشيخان وغيرهما.

● وقوله: ليس للعامل من عمله إلا ما نواه.

وتحت هاتين الكلمتين كنوز من العلم لهذا قال الشافعي رحمه الله: حديث الأعمال بالنيات يدخل في نصف العلم، وذلك أن للدين ظاهراً وباطناً، والنية متعلقة بالباطن، والعمل هو الظاهر، وأيضاً: فالنية عبودية القلب، والعمل عبودية الجوارح.

وقال بعض الأئمة[2]: حديث الأعمال بالنيات ثلث الدين، ووجهه: أن الدين: قول وعمل ونية.

● وقوله: نية المرء خير من عمله. رواه الطبراني. لكن قال بعضهم لا يصح رفعه[3] قال: ورواه القضاعي عن إسماعيل بن عبد الرحمن الصفار، أخبرنا علي بن عبدالله الفضل حدثنا محمد بن الحنفية الواسطي، حدثنا محمد بن عبدالله الحلبي، حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس: أن رسول الله ﷺ كان يقول: نية المؤمن أبلغ من عمله. قال: وهذا إسناد لا ضوء عليه[4]، ويوسف بن عطية متروك الحديث.

ورواه عثمان بن عبدالله الشامي من حديث النواس بن سمعان

---

(١) رواه الديلمي والعسكري وصححه الحافظ وشيخه العراقي خلافاً لقول ابن الجوزي ورواه مسلم موقوفاً.

(٢) كأحمد وابن المديني وأبي داود.

(٣) قال الحافظ العراقي: إنه ضعيف.

(٤) هذا كناية عن ضعفه.

١٣٤/ب وقال: نية المؤمن خير من عمله، ونية الفاجر/ شر من عمله. وقال ابن عدي: عثمان بن عبدالله الشامي له أحاديث موضوعات، هذا من جملتها، وقال ابن الجوزي: لا يصح رفعه، قال: ومعناه: أن النية سر، والعمل ظاهر، العمل السر أفضل، وهو يقتضي أنه لو نوى أن يذكر الله أو يتفكر، تكون نية الذكر والتفكير خيراً منه، وليس بصحيح.

وقيل: إن النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية، وهذا بعيد، لأن العمل إذا خلا عن النية لم يكن فيه خير أصلاً.

وقيل: إن النية عمل القلب، والفعل عمل الجوارح، وعمل القلب خير من عمل الجوارح، فإن القلب أمير الجوارح، وبينه وبينها علاقة، فإذا تألمت تألم القلب، وإذا تألم القلب تألمت فارتعدت الفرائص وتغير اللون، فإنه الملك الراعي والجوارح جيشه ورعيته، وعمل الملك أبلغ من عمل رعيته.

وقيل: لما كانت النية أصل الأعمال كلها وروحها ولبها، والأعمال تابعة لها تصح بصحتها وتفسد بفسادها، وهي التي تقلب العمل الصالح فتجعله فاسداً، وغير الصالح تجعله صالحاً مثاباً عليه، ويثاب عليها أضعاف ما يثاب على العمل، فلذا كانت نية المؤمن خيراً من عمله. وقال أبو بكر بن دريد في مجتباه: المعنى - والله أعلم - أن المؤمن ينوي الأشياء من أبواب البر نحو الصدقة والصوم وغير ذلك فلعله يعجز عن بعض ذلك وهو معقود النية عليه، فنيته خير من عمله.

● وقوله: يا خيل الله اركبي.

رواه أبو الشيخ في الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن جبير، والعسكري عن أنس، وابن عائذ في المغازي عن قتادة ولفظه عند ابن

عائذ: قال بعث رسول الله ﷺ يومئذ ـ يعني يوم الأحزاب ـ منادياً ينادي: يا خيل الله اركبي. قال العسكري وابن دريد في مجتباه، وهذا على المجاز والتوسع، أراد: يا فرسان خيل الله اركبي، فاختصره.

● وقوله: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

رواه الشيخان وغيرهما[1]، والمعنى ـ والله أعلم ـ أن حظ العاهر الحجر ولا شيء له في الولد، وقيل: أراد أن حظه الغلظة والخشونة من إقامة الحد التي نهايتها رميه بالحجر. وقيل: أراد بالحجر هنا الكناية عن رجوعه بالخيبة على الولد إذا لم تكن المرأة زوجاً له، والله أعلم.

● وقوله: كل الصيد في جوف الفرا.

وهو بفتح الفاء، حمار الوحش، رواه الرامهرمزي[2] في الأمثال، وسنده جيد، ولكنه مرسل، ونحوه عند العسكري وقال: جوف أو جنب.

وهذا خاطب به النبي ﷺ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب حين جاءه مسلماً بعد أن كان عدواً له وهجاه كثير الهجاء مقذعاً فيه، فكأنه يقول ﷺ إن الحمار الوحشي من أعظم ما يصاد، وكل صيد دونه، كما أنك من أعظم أهلي وأمسهم رحماً بي، ومن أكرم من يأتيني وكل دونك. انتهى.

● وقوله: الحرب خدعة.

---

(١) وغيرهما: في (ا، ش).

(٢) الحافظ البارع أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الفارسي كان من أئمة هذا الشأن عاش إلى قريب الستين والثلاثمائة.

رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: سمى النبي ﷺ الحرب خدعة. وليس عند مسلم «سمى»، وقوله: «خدعة» مثلث الخاء، أشهرها: فتح الخاء وإسكان الدال، قال ثعلب وغيره: وهي لغة النبي ﷺ، والثانية، ضم الخاء وإسكان الدال. والثالثة: ضم الخاء وفتح الدال.

وقد قال ذلك ﷺ يوم الأحزاب، لما بعث نعيم بن مسعود وأمره أن يخذل بين قريش وغطفان واليهود، وأشار بذلك إلى أن المماكرة أنفع من المكاثرة.

قال النووي: اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيف أمكن إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل.

● وقوله: إياكم وخضراء الدمن.

رواه الرامهرمزي والعسكري في الأمثال، وابن عدى في الكامل، وأبو بكر بن دريد في المجتبى والقضاعي في مسند الشهاب والديلمي من حديث الواقدي قال: حدثنا محمد بن سعيد بن دينار عن أبي وجزة يزيد بن عبيد عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي سعيد مرفوعاً: قيل يا رسول الله وماذا؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء. قال ابن عدي: تفرد به الواقدي[1].

ومعناه: أنه كره نكاح الفاسدة، وقال: إن أعراق السوء تنزع أولادها، وتفسير حقيقته: أن الريح تجمع الدمن، وهو البعر، في البقعة من الأرض، ثم يركبه السافي[2]، فإذا أصابه المطر أنبت نبتاً

---

(١) الواقدي: متروك متهم. وقال الدارقطني: لا يصح من وجه.

(٢) التراب الذي تسفيه الريح، قال في القاموس: سفت الريح التراب تسفيه: ذرته أو حملته فهو ساف وسفي [المحقق].

غضاً ناعماً، يهتز وتحته الأصل الخبيث، فيكون ظاهره حسناً وباطنه قبيحاً فاسداً. والدمن جمع دمنة وأنشد زفر بن الحارث:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

ومعنى البيت: أن الرجلين قد يظهران الصلح والمودة، وينطويان على البغض والعداوة، كما ينبت المرعى على الدمن. وهذا أكثري أو كلي في زماننا، أشار إليه شيخنا.

● وقوله: الأنصار كرشي وعيبتي.

رواه البخاري، أي إنهم بطانته وموضع سره، والعيبة كذلك، لأن المجتر يجمع علفه في كرشه، والرجل يضع ثيابه في عيبته. وقيل: هم الذين أعتمد عليهم وأفزع إليهم وأقوى بهم، وقيل أراد بالكرش الجماعة، أي جماعتي وصحابتي، ويقال: عليه/ كرش من الناس أي جماعة، ووقع في رواية الترمذي: ألا إن عيبتي التي آوي إليها أهل بيتي وإن كرشي الأنصار.

١/١٣٥

● وقوله: ولا يجني على المرء إلا يده.

رواه الشيخان، ولأحمد وابن ماجه من حديث عمرو بن الأحوص: لا يجني جان إلا على نفسه. وقد أراد ﷺ بهذا: أنه لا يؤخذ إنسان بجناية غيره، إن قتل أو جرح أو زنى، وإنما يؤخذ بما جنته يده، فيده هي التي أدته إلى ذلك.

● وقوله: ليس الشديد من غلب الناس إنما الشديد من غلب نفسه.

رواه ابن حبان في صحيحه، ورواه الشيخان بلفظ (ليس

الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) يعني أنه إذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه. ولذلك قال: أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك[1]. وهذا من باب المجاز، ومن فصيح الكلام، لأنه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شدة الغضب فقهرها بحلمه، وصرعها بثباته كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه.

● وقوله: ليس الخبر كالمعاينة.

رواه أحمد وابن منيع والطبراني والعسكري.

● وقوله: المجالس بالأمانة.

رواه العقيلي في ترجمة حسين بن عبدالله بن ضمرة عن أبيه عن جده عن علي رفعه، وعن جابر بن عتيك: إذا حدث الرجل ثم التفت فهي أمانة، ورواه أبو داود في سننه والترمذي في جامعه وابن أبي الدنيا في الصمت. وغيرهم.

ففي هاتين الكلمتين من الحمل على آداب العشرة وآداب الصحبة وكتم السر، وحفظ الود وحسن العهد، وإصلاح ذات البين والتحذير من النميمة بين الإخوان، الموقعة للشنآن ما لا يكاد يخفى على مبادي الأذهان.

● وقوله: البلاء موكل بالمنطق.

رواه ابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد، من رواية إبراهيم عن ابن مسعود، ورواه الديلمي عن أبي الدرداء مرفوعاً: البلاء موكل بالمنطق. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من حديث

(١) ذكره في النهاية بلا إسناد.

أبي الدرداء وابن مسعود. قال شيخنا في المقاصد الحسنة: ولا يحسن مع مجموع ما ذكرناه الحكم عليه بالوضع، ويشهد لمعناه قوله ﷺ للأعرابي الذي دخل عليه يعوده. وقال: لا بأس طهور، فقال الأعرابي: بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور، فقال ﷺ: فنعم إذاً[1]. وأنشد في معناه:

لا تنطقن بما كرهت فربما نطق اللسان بحادث فيكون

- وقوله ﷺ: ترك الشر صدقة.

[رواه بعضهم][2]، ومعنى ذلك أن من ترك الشر وأذى الناس فكأنه تصدق عليهم، وعلم من ذلك أن فضل ترك الشر كفضل الصدقة.

- وقوله: وأي داء أدوأ من البخل.

رواه البخاري[3]، والبخل قد جعله ﷺ داء، وليس بداء مؤلم لصاحبه، وإنما شبهه بالداء إذ كان مفسداً للرجل مورثاً له سوء الثناء، كما أن الداء يؤول إلى طول الضنا وشدة العنا، والقصد من هذا النهي عن البخل أعاذنا الله منه.

- وقوله: لا ينتطح فيها عنزان[4].

أي: لا يجري فيها خلف ولا نزاع.

- وقوله: الحياء خير كله. متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري برقم ٧٤٧٠.

(٢) زيادة في ش وقال: زاده في بعض النسخ ولا كبير فائدة فيه.

(٣) رواه البخاري (٤٣٨٣) وهو من كلام أبي بكر رضي الله عنه وليس من كلامه ﷺ. [المحقق].

(٤) رواه ابن سعد وغيره. وهو في شأن عمير بن عدي حينما قتل عصماء بنت مروان اليهودية.

● وقوله: اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع[1].

رواه في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة.

● وقوله: سيد القوم خادمهم.

رواه أبو عبد الرحمن السلمي في «آداب الصحبة» له عن عقبة ابن عامر رفعه، وفي سنده ضعف وانقطاع. ورواه غيره أيضاً.

● وقوله: فضل العلم خير من فضل العبادة. رواه الطبراني والبزار.

● وقوله: الخيل في نواصيها الخير.

متفق عليه من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه بلفظ: الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وفي لفظ لغيرهما: معقود بنواصيها الخير.

● وقوله: أعجل الأشياء عقوبة البغي.

● وقوله: إن من الشعر لحكما.

رواه أبو داود من رواية صخر بن عبدالله بن بريدة عن أبيه عن جده سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من البيان لسحراً، وإن من العلم جهلاً، وإن من الشعر حكماً، فقال صعصعة بن صوحان[2]: صدق رسول الله ﷺ. أما قوله: إن من البيان لسحراً: فالرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه/ ١٣٥/ب فيذهب بالحق. وأما قوله: إن من العلم جهلاً، فتكلف العالم إلى علمه ما لم يعلم يجهله[3]، وأما قوله: إن من الشعر حكما، في هذه

---

(١) جمع بلقع وبلقعة: الأرض القفراء التي لا شيء بها.

(٢) قال صعصعة ذلك عند تحديث بريدة به. وصعصعة تابعي كبير ثقة.

(٣) وأورد ابن الأثير قولاً ثانياً: أن يتعلم ما لا يحتاج إليه كالنجوم.

المواعظ والأمثال التي يتعظ بها الناس. ومفهومه: أن بعض الشعر ليس كذلك. لأن من تبعيضية. وفي البخاري: إن من الشعر حكمة. أي قولاً صادقاً مطابقاً للحق.

قال الطبري: وفي هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقاً، واحتج بقول ابن مسعود: الشعر مزامير الشيطان. وعن أبي أمامة ـ رفعه ـ أن إبليس لما أهبط إلى الأرض قال: رب اجعل لي قرآناً، قال: قرآنك الشعر.

ثم أجاب عن ذلك: بأنها أحاديث واهية. وهو كذلك. فحديث أبي أمامة فيه: علي بن زيد الألهاني، وهو ضعيف. وعلى تقدير قوتها فهو محمول على الإفراط فيه والإكثار منه.

ويدل على الجواز أحاديث كثيرة، منها: ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد، عن عمرو بن الشريد عن أبيه: استنشدني رسول الله ﷺ من شعر أمية بن أبي الصلت فأنشدته مائة قافية[1].

- وقوله: الصحة والفراغ نعمتان. رواه البخاري[2].
- وقوله: استعينوا على الحاجات بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود.

رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة عن معاذ بن جبل رفعه، وأخرجه الخلعي عن علي مرفوعاً، استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها.

---

(١) وكذا رواه مسلم في صحيحه.

(٢) الذي في البخاري (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ). قال في فتح الباري: كذا لسائر الرواة.

• وقوله: المكر والخديعة في النار.

رواه الديلمي عن أبي هريرة، ومعناه: أن ذا المكر والخداع لا يكون تقياً ولا خائفاً لله، لأنه إذا مكر غدر، وإذا غدر خدع، وإذا فعلهما أوبق وهذا لا يكون في تقي، فكل خلة جانبت التقى فهي في النار.

• وقوله: من غشنا فليس منا. رواه مسلم في صحيحه.

• وقوله: المستشار مؤتمن.

رواه أحمد وغيره. ومعناه: أن من أفضى إليك بسره وآمنك على ذات نفسه فقد جعلك بموضع نفسه، فيجب عليك أن لا تشير عليه إلا بما تراه صواباً، فإنه كالأمانة للرجل الذي لا يأمن على إيداع ماله إلا الثقة في نفسه، والسر الذي ربما كان في إذاعته تلف النفس أولى بأن لا يجعل إلا عند الموثوق به.

• وقوله: الندم توبة. رواه الطبراني في الكبير.

• وقوله: الدال على الخير كفاعله.

رواه العسكري وابن جميع، ومن طريقه المنذري عن ابن عباس في حديث مرفوع بلفظ: وكل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان. والمعنى: أن من دلك على الخير وأرشدك إليه فنلته بإرشاده فكأنه فعل ذلك الخير.

• وقوله: حبك الشيء يعمي ويصم.

رواه أبو داود والعسكري من حديث بقية بن الوليد، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعاً، ولم ينفرد به بقية بل توبع عليه. وابن أبي

مريم ضعيف. وقد حكم الصغاني عليه بالوضع. وتعقبه العراقي وقال: إن ابن أبي مريم لم يتهمه أحد بكذب، ويكفينا سكوت أبي داود عليه، فليس بموضوع، بل ولا شديد الضعف، فهو حسن.

قال العسكري: أراد النبي ﷺ أن من الحب ما يعميك عن طريق الرشد، ويصمك عن استماع الحق، وأن الرجل إذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دين أصمه حبه عن العذل وأعماه عن الرشد، ولذا قال بعض الشعراء:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا/ ١٣٦

أشار إليه شيخنا في المقاصد الحسنة.

● وقوله ﷺ: العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم. رواه الترمذي وأبو داود.

● وقوله: سبقك بها عكاشة. رواه البخاري[1].

● وقوله: عجب ربك من كذا.

روي في عدة روايات عند البخاري وغيره. ومعناه كما قاله ابن الأثير: عظم ذلك عنده وكبر لديه، أعلم الله أنه إنما يتعجب الآدمي من الشيء إذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه، فأخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه الأشياء عنده.

وقيل معنى عجب ربك أي رضي وأثاب، فسماه عجباً مجازاً وليس بعجب في الحقيقة. والأول أوجه.

---

(١) وكذا مسلم كلاهما عن ابن عباس في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فقال عكاشة: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: أنت منهم فقام آخر.. فذكره.

● وقوله: قتل صبراً. رواه غير واحد.
● وقوله: ليس المسؤول بأعلم من السائل. رواه مسلم وغيره.
● وقوله: ولا ترفع عصاك عن أهلك أدباً.

رواه أحمد، أي لا تدع تأديبهم وجمعهم على طاعة الله، يقال شق العصا، أي فارق الجماعة، وليس المراد: الضرب بالعصا، ولكنه جعله مثلاً، وقيل: لا تغفل عن أدبهم ومنعهم من الفساد، قاله ابن الأثير.

● وقوله: إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم.

رواه البخاري، وذكره ابن دريد وقال: إنه من الكلام الفرد الوجيز الذي لم يسبق ﷺ إلى معناه. أي كل ما أنبت الجدول، وإسناد الإنبات إليه مجاز، والمنبت في الحقيقة هو الله تعالى، وليست «من» للتبعيض، وحبطا: بفتح المهملة والموحدة والطاء المهملة أيضاً، وهو انتفاخ البطن من كثرة الأكل حتى ينتفخ فيموت، ويلم: بضم الياء، أي يقرب من الهلاك. وهو مثل للمنهمك في جمع الدنيا، المانع من إخراجها في وجهها.

● وقوله ﷺ: خير المال عين ساهرة لعين نائمة.

ومعناه: عين ماء تجري ليلاً ونهاراً وصاحبها نائم، فجعل دوام جريانها: سهراً لها.

● وقوله: خير مال المرء مهرة مأمورة أو[1] سكة مأبورة.

رواه أحمد والطبراني عن سويد بن هبيرة. ومعنى مأمورة: أي

(١) كذا في (د، ش) ومسند أحمد ٤٦٨/٣، وفي (أ، ط): وسكة.

كثيرة النتاج، وسكة مأبورة: أي طريقة مصطفة من النخل، ومنه قيل للأزقة: سكة، والتأبير: تلقيح النخل. انتهى.

• وقوله ﷺ: من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

• وقوله: زر غباً، تزدد حباً.

رواه البزار، والحارث بن أبي أسامة عن أبي هريرة مرفوعاً، وفي بعض أحاديث الباب، أنه قيل له: يا أبا هريرة أين كنت أمس؟ قال: زرت ناساً من أهلي، فقال: يا أبا هريرة زر غباً تزدد حباً.

• وقوله: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم.

رواه أبو يعلى والبزار من طرق، أحدها حسن بلفظ: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق.

• وقوله: [الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، و][1] الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل. رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي.

• وقوله: إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

رواه البزار والحاكم في علومه، والبيهقي في سننه، كلهم من طريق محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً.

وهو مما اختلف فيه على ابن سوقة في إرساله ووصله، وفي رفعه ووقفه، ثم في الصحابي، أهو جابر أو عائشة أو عمر. ورجح البخاري في تاريخه من حديث ابن المنكدر الإرسال، ومعناه: أنه بقي في طريقه عاجزاً عن مقصده، ولم يقض وطره، وقد أعطب ظهره.

---

(١) زيادة في ش.

والوغول: الدخول، فكأنه قال: إن هذا الدين ـ مع كونه يسيراً سهلاً ـ شديد[1]، فبالغوا فيه بالعبادة، لكن اجعلوا تلك المبالغة مع رفق، فإن من بالغ بغير رفق وتكلف من العبادة فوق طاقته يوشك/ ١/ب أن يمل حتى ينقطع عن الواجبات، فيكون مثله كمثل الذي يعسف الركاب ويحملها على السير على ما لا تطيق رجاء الإسراع، فينقطع ظهره، فلا هو الذي قطع الأرض التي أراد، ولا هو أبقى ظهره سالماً ينتفع به بعد ذلك.

● وقوله ﷺ: من شادَّ هذا الدين غلبه.

رواه العسكري عن بريدة، وللبخاري من حديث معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً: إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة.

● وقوله: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

رواه الحاكم عن شداد بن أوس، وقال: صحيح على شرط البخاري، وتعقبه الذهبي بأن فيه ابن أبي مريم وهو واه. وكذا رواه العسكري والقضاعي والترمذي وابن ماجه.

● وقوله: ما حاك في نفسك[2] فدعه.

رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة.

● وقوله ﷺ: تنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك. متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(١) في (أ، ط) شديداً، وهو غلط لأنها خبر إن.

(٢) في (ش، ب، د): صدرك.

• وقوله: الشتاء ربيع المؤمن، قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه. رواه البيهقي وأحمد وأبو نعيم مختصراً، والعسكري بتمامه، كلهم من حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، وله شواهد.

وإنما كان الشتاء ربيع المؤمن لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات، ويسرح في ميادين العبادات، ويتنزه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه من الطاعات، فإن المؤمن يقدر على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة ولا يحصل له جوع ولا عطش، فإن نهاره قصير بارد فلا يحصل فيه مشقة الصيام.

• وقوله: القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى.

رواه الطبراني في الأوسط من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر، والقضاعي بدون: وكنز لا يفنى عن أنس.

وفي القناعة أحاديث كثيرة، ولو لم يكن في القنع[1] إلا التمتع بالعز لكفى صاحبه، وكان من دعائه ﷺ: اللهم قنعني بما رزقتني. وأنشد بعضهم:

ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ... ولن ترى قانعاً ما عاش مفتقرا

• وقوله ﷺ: ما خاب من استخار ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد. رواه الطبراني في معجمه الأوسط من حديث أنس.

• وقوله ﷺ: الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم.

رواه البيهقي في الشعب، والعسكري في الأمثال، وابن السني[2]

---

(١) في ش: القناعة.

(٢) نسبة إلى السنة ضد البدعة. الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق =

والديلمي من طريقه والقضاعي كلهم من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعاً. وضعفه البيهقي، لكن له شاهد عند العسكري من حديث خلاد بن عيسى عن ثابت عن أنس رفعه: الاقتصاد نصف العيش، وحسن الخلق نصف الدين. وكذا أخرجه الطبراني وابن لال. ومن شواهده أيضاً: ما للعسكري عن أنس رفعه: السؤال نصف العلم، والرفق نصف المعيشة، وما عال امرؤ في اقتصاد. وللديلمي من حديث أبي أمامة رفعه: السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة.

وفي صحيح ابن حبان من حديث طويل عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق. وهذا اللفظ عند البيهقي في الشعب. وله أيضاً وللعسكري عن علي مرفوعاً: التودد نصف الدين، وما عال امرؤ قط على اقتصاد، أي: ما افتقر من أنفق قصداً ولم يجاوزه إلى الإسراف.

● وقوله ﷺ : المؤمن من أمنه الناس. رواه الترمذي.

● وقوله: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما حرم الله. متفق عليه عن ابن عمرو، به مرفوعاً، وعن أبي موسى، ومسلم عن جابر.

● وقوله: قلة العيال أحد اليسارين.

رواه صاحب مسند الفردوس ولفظه: التدبير نصف المعيشة، والتودد نصف العقل/ والهم نصف الهرم، وقلة العيال أحد اليسارين. ١٣٧/١

● وقوله ﷺ : أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك.

رواه أبو داود والترمذي من رواية شريك وقيس بن الربيع،

= الدينور. اختصر سنن النسائي الكبرى وسماه المجتبى وله غير ذلك توفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.

كلاهما عن أبي صالح والحارث من رواية الحسن، كلاهما عن أبي هريرة. وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وأخرجه الدارمي في مسنده، والدارقطني والحاكم وقال: إنه صحيح على شرط مسلم، ولكن أعله ابن حزم وكذا ابن القطان والبيهقي. وقال أبو حاتم: إنه منكر، وقال الشافعي: إنه ليس بثابت عند أهله. وقال أحمد: هذا حديث باطل لا أعرفه عن النبي ﷺ من وجه صحيح. قال شيخنا: لكن بانضمامها يقوى الحديث. انتهى.

● وقوله: الرضاع يغير الطباع، رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر[1].

● وقوله ﷺ: لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له. رواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، والبيهقي في الشعب عن أنس.

● وقوله: النساء حبائل الشيطان. رواه في مسند الفردوس عن عقبة بن عامر.

● وقوله ﷺ: حسن العهد من الإيمان.

رواه الحاكم في مستدركه (عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال لها: من أنت؟ فقالت: جثامة المزنية قال: أنت حسانة، كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي، فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال؟ قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان) وقال: إنه صحيح على شرط الشيخين وليس له علة.

● وقوله ﷺ: الخمر جماع الإثم[2].

---

(١) قال في الميزان إنه خبر منكر جداً.

(٢) رواه الديلمي.

● وقوله ﷺ: جمال الرجل فصاحة لسانه.

رواه القضاعي من حديث الأوزاعي والعسكري من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر، كلاهما عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعاً.

وأخرجه أيضاً الخطيب وابن طاهر، وفي إسناده أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقي والديلمي من حديث جابر رفعه: الجمال صواب المقال، والكمال حسن الفعال بالصدق.

وعند العسكري من حديث العباس: قلت يا نبي الله ما الجمال في الرجل: قال: فصاحة لسانه.

● وقوله ﷺ: منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا.

رواه الطبراني في الكبير والقضاعي عن ابن مسعود، وهو عند البيهقي في المدخل: عن القاسم قال: قال ابن مسعود: منهومان لا يشبعان طالب علم وصاحب[1] الدنيا. ولا يستويان، أما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، وأما صاحب العلم فيزداد من رضى الرحمن. وقال: إنه موقوف منقطع. وكذا رواه البزار والعسكري وغيرهما وبمجموعها يتقوى، وإن كانت مفرداته ضعيفة، والله أعلم.

● وقوله ﷺ: لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أكثر من العقل، ولا وحشة أشد من العجب. رواه ابن ماجة.

● وقوله ﷺ: الذنب لا ينسى، والبر لا يبلى، والديان لا يموت، فكن كما شئت. رواه في مسند الفردوس عن ابن عمر.

● وقوله ﷺ: ما جمع شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم.

---

(١) في (ط، ب) وطالب.

رواه العسكري في الأمثال من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي مرفوعاً بزيادة: وأفضل الإيمان التحبب إلى الناس، ثلاث من لم تكن فيه فليس مني ولا من الله، حلم يرد به جهل الجاهل، وحسن خلق يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن معاصي الله.

وعنده أيضاً من حديث جابر مرفوعاً: ما أوى شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم، وصاحب العلم غرثان إلى حلم.

● وقوله ﷺ: التمسوا الرزق في خبايا الأرض.

رواه في جزء ب ي ب ي[1] عن ابن أبي شريح/ والمراد الزرع، ١٣٧/ب وأنشدوا:

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها لعلك يوماً أن تجاب فترزقا

● وقوله ﷺ: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك في أهل القبور رواه البيهقي في الشعب والعسكري من حديث ابن عمر مرفوعاً. وأخرجه البخاري والترمذي وغيرهم.

● وقوله ﷺ: صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر. خرجه الطبراني في الكبير بسند حسن.

● وقول ﷺ: العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، والتواضع لا يزيده إلا رفعة. وما نقص مال من صدقة.

---

(١) في (د، ب) بيبي، قال الشارح: كذا بخط المصنف مقطع الحروف. وهي بنت عبد الصمد بن علي بن محمد الهرثمية، وجزؤها من عوالي الأجزاء.

وروى مسلم: ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

وروى القضاعي عن أبي سلمة[١] عن أم سلمة مرفوعاً: ما نقص مال من صدقة ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله تعالى بها عزاً.

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة مرفوعاً: والذي نفس محمد بيده لا ينقص مال من صدقة. رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

● وقوله ﷺ: اللهم إني أعوذك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي ومن شر منيي. أخرجه أبو داود في جامعه[٢] والحاكم في مستدركه عن شكل[٣].

● وقوله ﷺ: اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة الغنى. [رواه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه][٤].

● وقوله ﷺ: إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر، يحق فيها الحق ويبطل الباطل، فكونوا أبناء الآخرة ولا تكونوا أبناء الدنيا. فإن كل أم يتبعها ولدها[٥]. رواه أبو نعيم في الحلية من حديث شداد.

---

(١) أبو سلمة عبد الرحمن بن عوف الزهري، ثقة من رجال الجميع مات سنة أربع وتسعين.

(٢) أي: سننه.

(٣) شكل بن حميدي العبسي، صحابي نزل الكوفة.

(٤) زيادة في (ش، ب) وقال الشارح: وهو في الصحيحين من جملة حديث طويل.

(٥) هذه الجملة ليست في ش.

● وقوله ﷺ : أخسر النـاس صفقة من أذهب آخـرته بـدنيا غيره.

وعند ابن النجار من حديث عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه [وهو مما بيض له الديلمي][1]: أخسر الناس صفقة رجل أخلق يديه في آماله ولم تساعده الأيام على أمنيته، فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله بغير حجة.

● وقوله ﷺ : إن من كنوز البر كتمان المصائب[2].

● وقوله ﷺ : اليمين حنث أو ندم.

رواه أبو يعلى وابن ماجه إلا أنه قال: إنما الحلف.

● وقوله ﷺ : لا تظهر الشماتة بأخيك فيعاقبه الله ويبتليك.

رواه الـترمذي من حـديث مكحول عن واثلة، وقـال: حسن غريب، وهو عند الطبراني أيضاً، وفي رواية لابن أبي الدنيا: فيرحمه الله، بدل: فيعاقبه الله.

وروى الـترمذي مـرفوعـاً: من عيَّر أخـاه بـذنب لم يمت حتى يعمله.

● وقوله ﷺ لأبي هريرة: جف القلم بما أنت لاق.

قال صاحب فتح المنة بشرح الأخبار لمحيي السنة[3]: هو كناية عن جريان القلم بالمقادير وإمضائها والفراغ منهـا، فإن الفـراغ بعد الشروع يستلزم جفاف القلم عن مداده، فهو من إطلاق اللازم على

---

(١) زيادة في ش.

(٢) رواه البيهقي وأبو نعيم بسند ضعيف.

(٣) هو الإمام البغوي.

الملزوم، وهذا اللفظ لم يوجد في كلام العرب، بل هو من الألفاظ التي لم يهتد إليها البلغاء، بل اقتضتها الفصاحة النبوية.

● وقوله ﷺ: اليوم الرهان وغداً السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار[1].

● وقوله ﷺ: من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له على الله الجنة.

رواه جماعة، منهم العسكري عن جابر، وفي البخاري والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ: من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة. والمراد بما بين لحييه: اللسان وما يأتي به النطق، وما بين رجليه: الفرج، وقال الداودي: المراد بما بين اللحيين: الفم، فيتناول الأقوال والأكل والشرب وسائر ما يأتي بالفم.

وفي لفظ: من توكل لي ما بين فقميه ورجليه أتوكل له بالجنة. والفقم: بالضم والفتح: اللحى.

وفي لفظ آخر: من تكفل لي تكفلت له.

١٣٨/١ وللديلمي - بسند ضعيف -/ عن أنس رفعه: من وُقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه وجبت له الجنة، ولفظ الإحياء: وقي يعني البطن من القبقبة، وهو صوت يسمع في البطن، وكأنها حكاية ذلك الصوت، ويجوز أن يكون كناية عن أكل الحرام وشبهه، والذكر واللسان.

فهذا وأشباهه، مما يعسر استقصاؤه. يدلك على ذلك أنه ﷺ قد رقى من الفصاحة وجوامع الكلم درجة لا يقاس بها غيره، وحاز مرتبة لا يقدر فيها قدره صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه الطبراني وغيره عن ابن عباس وفيه: أصرم بن حوشب، منكر الحديث.

[وجه جامع في البلاغة]

ومما عد من وجوه بلاغته: ما ذكر أنه جمع متفرقات الشرائع وقواعد الإسلام في أربعة أحاديث وهي:

حديث (إنما الأعمال بالنية) رواه الشيخان.

وحديث (الحلال بين والحرام بين) رواه مسلم[1].

وحديث (البينة على المدعي واليمين على من أنكر)[2].

وحديث (لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) رواه الشيخان.

فالحديث الأول: يشتمل على ربع العبادات.

والثاني: على ربع المعاملات

والثالث: على ربع الحكومات وفصل الخصومات.

والرابع: على ربع الآداب والمناصفات ويدخل تحته التحذير من الجنايات. قاله ابن المنير.

[نماذج من بلاغته بغير لغة قريش]

ومما عدَّ أيضاً من أنواع بلاغته كلامه ﷺ مع كل ذي لغة بليغة بلغته اتساعاً في الفصاحة، واستحداثاً للألفة، فكان ﷺ يخاطب أهل الحضر وبكلام ألين من الدهن وأرق من المزن، ويخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب وأرهف من العضب.

---

(١) وكذا رواه البخاري وغيره.

(٢) رواه عبد الرزاق والبيهقي وابن عساكر والدارقطني عن ابن عمرو بن العاصي بزيادة: إلا في القسامة. قال الحافظ: وهو حديث غريب معلول، وأخرجه الترمذي من حديث ابن عمرو أيضاً بلفظ: البينة على المدعى عليه، وله شاهد عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما.

فانظر إلى دعائه لأهل المدينة وقد سألوه ذلك فقال: اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم، وفي حديث آخر: اللهم بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا. اللهم إني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك إبراهيم لمكة ومثله معه[1].

ثم انظر دعاءه لبني نهد وقد وفدوا عليه في جملة الوفود، فقام طهفة بن رهم النهدي يشكو الجدب فقال: أتيناك يا رسول الله من غورى تهامة، بأكوار الميس، ترتمي بنا العيس، نستحلب الصبير، ونستخلب الخبير، ونستعضد البرير، ونستخيل الرهام، ونستجيل الجهام، من أرض غائلة النطا، غليطة الوطا، قد نشف المدهن، ويبس الجعثن، وسقط الأملوج، ومات العسلوج، وهلك الهدي، ومات الودي، برئنا إليك يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن، لنا دعوة السلام وشريعة الإسلام، ما طمى البحر وقام تعار، ولنا نعم همل، أغفال ما تبل ببلال، ووقير كثير الرسل، قليل الرسل، أصابتها سنية حمراء مؤزلة، وليس لها علل ولا نهل.

فقال لهم رسول الله ﷺ : اللهم بارك لهم في محصنها ومخضها ومذقها، وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر، وافجر له الثمد، وبارك له في المال والولد، من أقام الصلاة كان مسلماً، ومن آتى الزكاة كان محسناً، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصاً، لكم يا بني نهد ودائع الشرك، ووضائع الملك، لا تلطط في الزكاة، ولا تلحد في الحياة، ولا تتثاقل عن الصلاة.

ثم كتب معه كتاباً إلى بني نهد: بسم الله الرحمن الرحيم: من

---

(١) هو عند مسلم بمعناه.

محمد رسول الله إلى بني نهد بن زيد، السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله، لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة، ولكم الفارض والفريش، وذو العنان الركوب، والفلو الضبيس، لا يمنع سرحكم، لا يعضد طلحكم، ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الإماق، وتأكلوا الرباق، من أقر بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة، ومن أبى فعليه الربوة[1].

وتحتاج هذه الألفاظ البالغة أعلى أنواع البلاغة إلى تفسير:

فالميس: شجر صلب تعمل منه أكوار الإبل ورحالها[2].

نستحلب ـ بالحاء المهملة ـ الصبير: بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة، وهو سحاب أبيض متراكب متكاثف. أي نستدر السحاب.

ونستخلب ـ بالخاء المعجمة ـ الخبير: بالخاء المعجمة أيضاً ثم الموحدة: النبات والعشب، شبه بخبير الإبل وهو وبرها، واستخلابه: احتشاشه بالمخلب/ وهو المنجل، والخبير: يقع على الوبر والزرع والأكار[3] قاله ابن الأثير. ١٣٨/ب

ونستعضد البرير: أي نقطعه ونجنيه من شجره للأكل، وهو بموحدة وراءين بينهما مثناة تحتية، ثمر الأراك إذا اسود وبلغ، وقيل: هو اسم له في كل حال، وكانوا يأكلونه في الجدب.

ونستخيل ـ بالخاء المعجمة ـ الرهام: بكسر الراء، وهي الأمطار

---

(١) روى هذه القصة بطولها ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في الصحابة عن عمران بن حصين، وابن الجوزي في العلل من وجه ضعيف جداً عن علي بن أبي طالب.

(٢) أكوار: جمع كور وهو: الرحل.

(٣) هو الزارع.

الضعيفة، واحدتها رهمة، أي نتخيل الماء في السحاب القليل، وقيل: الرهمة أشد وقعاً من الديمة.

ونستجيل: بالجيم، أي نراه جائلاً تذهب به الريح ها هنا وها هنا.

والجهام: بالجيم، أي السحاب الذي فرغ ماؤه.

ومن روى نستخيل ـ بالخاء المعجمة ـ فهو نستفعل من «خلت، أخال» إذا ظننت، أراد لا نتخيل في السحاب حالاً إلا المطر وإن كان جهاماً لشدة حاجتنا إليه، ومن رواه بالحاء المهملة ـ وهو الأشهر ـ أراد: لا ننظر من السحاب في حال إلا إلى جهام من قلة المطر.

وأرض غائلة ـ بالغين المعجمة ـ والنطا ـ بكسر النون ـ أي مهلكة للبعد، يقال: بلد نطي، أي بعيد، ويروى المطي وهو مفعل منه.

والمدهن: نقرة في الجبل.

والجعثن: بالجيم والمثلثة، أصل النبات، ويقال: أصل الصليان خاصة وهو نبت معروف.

والعسلوج: بضم العين وبالسين المهملتين، آخره جيم، وهو الغصن إذا يبس وذهبت طراوته، وقيل: هو القضيب الحديث الطلوع، يريد أن الأغصان يبست وهلكت من الجدب، وجمعه: عساليج.

والأملوج: بالضم والجيم، ورق شجر يشبه الطرفاء والسرو، وقيل: هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان، وقيل: هو نوى المقل. وفي رواية: وسقط الأملوج من البكارة ـ بالكسر ـ جمع البكرة ـ

بالفتح ـ يريد أن السمن الذي قد علا بكارة الإبل بما رعت من هذه الشجرة قد سقط عنها، فسماه باسم المرعى، إذ كان سبباً له.

وهلك الهدي: بفتح الهاء وكسر الدال المهملة والتشديد، كالهدي بالتخفيف، وهو ما يهدى إلى البيت الحرام من النعم لتنحر، فأطلق على جميع الإبل وإن لم تكن هديا، تسمية للشيء ببعضه، يقال: كم هدي بني فلان؟ أي كم إبلهم.

ومات الودي: بالتشديد، فسيل النخل، يريد هلكت الإبل ويبست النخيل.

وبرئنا إليك من الوثن والعنن: الوثن: الصنم، والعنن، الاعتراض، يقال: عنَّ لي الشيء أي اعترض، كأنه قال: برئنا إليك من الشرك والظلم، وقيل: أراد به الخلاف والباطل.

وماطمى البحر: أي ارتفع بأمواجه.

وتعار: بكسر التاء المثناة الفوقية، يصرف ولا يصرف، اسم جبل.

ولنا نعم همل: أي مهملة لا رعاء لها، ولا فيها ما يصلحها ويهديها، فهي كالضالة.

والإبل الأغفال: لا لبن فيها.

وقوله عليه الصلاة والسلام.

في محضها: بالحاء المهملة والضاد المعجمة، أي خالص لبنها.

ومخضها: بالمعجمة، ما مخض من اللبن وأخذ زبده.

ومذقها: بفتح الميم وسكون المعجمة وبالقاف، أي ممزوج بالماء.

وابعث راعيها في الدثر: بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ثم الراء، المال الكثير، وقيل: الخصب والنبات الكثير.

وافجر له الثمد: بفتح المثلثة، الماء القليل، أي صيره كثيراً.

وودائع الشرك: قيل المراد بها العهود والمواثيق، يقال: توادع الفريقان، إذا أعطى كل واحد منهم عهده للآخر لا يغزوه، وقيل: ما كانوا استودعوه من أموال الكفار الذين لم يدخلوا في الإسلام، أراد إحلالها لهم لأنها مال كافر قدر عليه من غير عهد ولا شرط.

ووضائع الملك: جمع وضيعة، وهي الوظيفة التي تكون على الملك، وهي ما يلزم الناس في أموالهم من الزكاة والصدقة، أي لكم الوظائف/ التي تلزم المسلمين لا تتجاوز عنكم ولا نزيد عليكم فيها شيئاً. ١٠/١

ولا تلطط؛ بضم المثناة الفوقية، ثم اللام الساكنة ثم طاءان، الأولى مكسورة والثانية مجزومة على النهي، أي لا تمنعها.

ولا تلحد في الحياة: بضم المثناة الفوقية وإسكان اللام وكسر الحاء المهملة آخره دال مهملة، أي: لا تمل عن الحق ما دمت حياً. قال بعضهم: كذا رواه القتيبي: لا تلطط ولا تلحد على النهي للواحد، ولا وجه له لأنه خطاب للجماعة، ورواه غيره ما لم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل عن الصلاة، ولا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة. قال الحافظ أبو السعادات الجزري، وهو الوجه، لأنه خطاب للجماعة واقع على ما قبله.

وقوله: ولا نتثاقل عن الصلاة، أي لا نتخلف.

والوظيفة: الحق الواجب.

والفريضة: أي الهرمة المسنة، أي لا تأخذ في الصدقات هذا الصنف كما أنا لا نأخذ خيار المال.

والفارض: ـ بالفاء والضاد المعجمة ـ المريضة.

والفريش: بفتح الفاء آخره شين معجمة، وهي من الإبل كالنفساء من بنات آدم، أي لكم خيار المال وشراره، ولنا وسطه.

وذو العنان: بكسر العين، سير اللجام.

والركوب: بفتح الراء، أي الفرس الذلول.

والضبيس، بفتح المعجمة وكسر الموحدة آخره مهملة، المهر العسر الصعب.

امتن عليهم بترك الصدقة في الخيل جيدها ورديئها.

ولا يمنع ـ بضم المثناة التحتية وفتح النون ـ، سرحكم ـ بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ـ ما سرح من المواشي، أي لا يدخل عليكم أحد في مراعيكم.

ولا يعضد طلحكم: أي لا يقطع.

ولا يحبس دركم: أي لا تحبس ذوات الدر عن المرعى إلى أن تجمع الماشية ثم تعد، أو أنا منعناه أن يأخذها لما في ذلك من الإضرار.

والإماق: بالميم، أي ما لم تضمروا الغيظ، والبكاء، مما يلزمكم من الصدقة، قاله في القاموس. وقال الزمخشري: المراد إضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار في دين الله، وفي رواية: الرماق ـ بالراء والميم ـ أي النفاق، يقال: رامقته رماقاً، وهو أن تنظر إليه شزراً نظرة العداوة، يعني ما لم تضق قلوبكم عن الحق، يقال: عيش رماق، أي ضيق، وعيش رمق ومرمق: أي يمسك الروح، والرمق: بقية الروح وآخر النفس.

وتأكلوا الرباق: ـ بكسر الراء وبالموحدة المخففة ـ أي إلا أن

تنقضوا العهد، واستعار الأكل لنقض العهد لأن البهيمة إذا أكلت الربق ـ وهو الحبل تجعل فيه عرى وتشد به ـ خلصت من الرباط.

والربوة: ـ بكسر الراء وفتحها وضمها ـ أي الزيادة. يعني: من تقاعد عن إعطاء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة عقوبة له.

فانظر إلى هذا الدعاء والكتاب الذي انطبق على لغتهم، وجاد وزاد عليها في الجزالة والبداوة. وأين هذا من كتابه ﷺ لأنس في الصدقة، وأين ذلك من كتابه بين قريش والأنصار أنهم أمة واحدة دون الناس من قريش على رباعتهم، يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى، ويفكون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وأن المؤمنين المتقين أيديهم على من بغى عليهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، وأن سلم المؤمنين واحد على سواء وعدل بينهم، وأن كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضاً، ومن اعتبط مؤمناً قتلاً فهو قود إلا أن يرضى ولي المقتول، ومن ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن.

كذا روي مختصراً من حديث ابن شهاب[1].

وقوله: دسيعة ظلم: أي عظيمة من الظلم.

ورباعتهم: أمرهم القديم الذي كانوا عليه.

ويتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى: أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها، وهو تفاعل من العقل، والمعاقل/ /ب الديات، جمع معقلة، يقال: بنو فلان على معاقلهم التي كانوا عليها، أي مراتبهم وحالتهم.

---

(١) انظر الكتاب بطوله في سيرة ابن هشام ١/٥٠١ [المحقق].

ولا يوتغ: أي لا يهلك.

ويعقب بعضهم بعضاً: أي يكون الغزو بينهم نوباً، فإذا خرجت طائفة ثم عادت لم تكلف أن تعود ثانية حتى يعقبها غيرها.

وأين هذا اللين في القول، وقرب المأخذ في اللفظ على طريق الحاضرة وعرف الجمهور المشهور من كتابه لذي المشعار الهمداني، لما لقيه وفد همدان مقدمه من تبوك، فقال مالك بن نمط: يا رسول الله، نصية من همدان من كل حاضر وباد، أتوك على قلص نواج، متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل، ولا سوداء عنقفير، ما قام لعلع، وما جرى اليعفور بصلع.

فكتب إليهم النبي ﷺ: هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحفاف الرمل، مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه، على أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون علافها، ويرعون عفاها، لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبس الحوري، وعليهم فيها المصالغ والقارح.

وقوله: نصية من كل حاضر وباد، قال ابن الأثير: النصية من ينتصي من القوم أي يختار من نواصيهم، وهم الرؤوس والأشراف، ويقال للأشراف: نواص، كما يقال للأتباع أذناب.

وأتوك على قلص: بضم القاف واللام، جمع قلوص، وهي الناقة الشابة.

والنواج: السراع.

وقوله: متصلة بحبائل الإسلام أي عهوده وأسبابه.

وخارف: بالخاء المعجمة.

ويام: بالمثناة التحتية: قبيلتان.

ولا ينقض عهدهم عن سنة ماحل: أي لا ينقض [عهدهم][1] بسعي ساع أي بالنميمة والإفساد، كما يقال: لا أفسد ما بيني وبينك بمذاهب الأشرار وطرقهم في الفساد.

والسنة: الطريقة، والسنن أيضاً.

والعنقفير: بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف، الداهية. أي لا ينقض عهدهم بسعى الواشي ولا بداهية تنزل.

ولعلع: جبل.

وما جرى اليعفور: بفتح التحتية، الخشف[2] وولد البقرة الوحشية، وقيل: هو تيس الظباء، والجمع: اليعافير، والياء: زائدة.

وبصلع: بضم الصاد المهملة وتشديد اللام، الأرض التي لا نبات فيها.

وقوله عليه الصلاة والسلام:

وأهل الجناب الهضب: بكسر الجيم، اسم موضع.

وحفاف الرمل: أسماء بلادهم.

وفراعها: بكسر الفاء وبراء وعين مهملة، أي ما علا من الجبال أو الأرض.

ووهاطها: بكسر الواو، وبطاء مهملة، المواضع المطمئنة، واحدها وهط، وبه سمي الوهط، وهو مال كان لعمرو بن العاص بالطائف. وقيل الوهط: قرية بالطائف كان الكرم المذكور بها.

---

(١) زيادة في ط.

(٢) ولد الظبي.

وعزازها: بفتح العين المهملة ثم زاءين مخففتين، ما صلب من الأرض واشتد وخشن، وإنما يكون في أطرافها.

ويأكلون علافها: بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء، جمع علف، وهو ما تأكله الماشية.

وعفاها: بفتح وتخفيف الفاء وبالمد، أي المباح.

ومن دفئهم: بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمز. قال في المجمل: نتاج الإبل وألباها والانتفاع بها.

وصرامهم: بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراء، أي من نخلهم.

والثلب: بكسر المثلثة واللام الساكنة وبباء موحدة، ما هرم من ذكور الإبل وتكسرت أسنانه.

والناب: بالنون والموحدة: الناقة الهرمة التي طال نابها.

والفصيل: بالمهملة الذي انفصل عن أمه.

١/١٤٠

والفارض: بالفاء/ المسن من الإبل[1].

والداجن: بالمهملة والجيم، الدابة التي تألف البيوت.

والكبش الحوري: بالحاء المهملة، وواو مفتوحتين فراء مسكورة: الذي في صوفه حمرة.

والصالغ: بالصاد المهملة والغين المعجمة، من صلغت الشاة ونحوها: إذا تمت أسنانها.

والقارح: بالقاف والراء والحاء المهملة، من الخيل الذي دخل في السنة الخامسة. انتهى.

---

(١) من الإبل: ليست في ط.

وهذا من جنس كتابه لقطن بن حارثة العليمي من كلب:

هذا كتاب من محمد لعمائر كلب وأحلافها، ومن ظأره الإسلام من غيرهم مع قطن ابن حارثة العليمي، بإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها، بمحضر من شهود المسلمين، وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبي، عليهم من الهمولة الراعية البساط الظئار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار، والحمولة المائرة لهم لاغية، وفي الشوي الوري مسنة حامل أو حائل، وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر، وفي العشري شطره بقيمة الأمين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق. شهد على ذلك الله ورسوله، وكتب ثابت بن قيس بن شماس.

وتفسير غريبه أن قوله:

ومن ظأره الإسلام: بالظاء المعجمة والهمز، آخره هاء أي: عطف عليه وعليهم.

في الهمولة: بفتح الهاء، التي ترعى بأنفسها. ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعولة.

والبساط: التي معها أولادها.

والظئار[1]: أن تعطف الناقة على غير ولدها.

والحمولة المائرة لهم لاغية: يعني أن الإبل التي تحمل عليها الميرة ـ وهي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع ـ لا يؤخذ منها زكاة لأنها عوامل.

---

(١) في (ط، ب، د): الظأر، قال الشارح: الظئار: اسم جمع ظئر: بمعنى مرضعة.

وفي الشوي: بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة: اسم جمع للشاة.
والوري: السمينة.

ومن هذا النمط كتابه ﷺ لوائل بن حجر- بتقديم الحاء المضمومة على الجيم الساكنة - إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب، وذكر الفرائض فقال:

في التيعة شاة لا مقورة الألياط ولا ضناك، وأنطوا الثبجة وفي السيوب الخمس، ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاماً، ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم، ولا توصيم في الدين، ولا غمة في فرائض الله، وكل مسكر حرام، ووائل بن حجر يترفل على الأقيال.

وفسر الأقيال - وهو بالقاف والمثناة التحتية - بالرؤساء الذين دون الملوك.
والعباهلة: بالمهملة المفتوحة والموحدة، الذين أقروا على ملكهم لا يزالون.
والأوراع: - بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة - جمع رائع، وهم ذوو الهيئآت الحسان الوجوه.
والمشابيب: - بفتح الميم والشين المعجمة وباءين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة - السادة الرؤوس، الحسان الوجوه.

وفي التيعة: - بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة - أربعون من الغنم. وفي القاموس والنهاية: أدنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان.
ولا مقورة: بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو.

والألياط: - بفتح الهمزة وسكون اللام آخرها طاء مهملة - أي: لا مسترخية الجلود لكونها هزيلة.

ولا ضناك[1]: - بكسر المعجمة وتخفيف النون - ضدها وهي المستكثرة اللحم.

وأنطوا: بقطع الهمزة أي أعطوا.

والثبجة: بالمثلثة ثم موحدة ثم جيم مفتوحات، وقد تكسر الموحدة، أي أعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار المال ولا من رذالته.

والسيوب: - بضم المهملة وآخره موحدة - أي: الركاز، قاله الهروي، وقيل: المال المدفون في الجاهلية أو المعدن.

ومن زنى مم بكر: - بكسر الراء بلا تنوين، لأن أصله من البكر، لكن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميماً، وهي ساكنة فأدغمت النون فيها، والمراد بالبكر الجنس، وقال ابن الأثير: أي من بكر ومن ثيب، فقلبت النون الساكنة ميماً، أما مع بكر فلأن النون إذا سكنت قبل الباء فإنها تقلب ميماً في النطق، / نحو: عنبر وشنبا، وأما مع غير الباء فإنها لغة يمانية، كما يبدلون الميم من لام التعريف. انتهى.

١٤٠/ب

و: فاصقعوه: بهمزة وصل وإسكان الصاد المهملة، وفتح القاف وضم العين المهملة، أي: اضربوه.

واستوفضوه: بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة، أي: غربوه وانفوه.

---

(١) في ش، الأضناك، هنا وفي نص الكتاب.
في القاموس: الضنك: الضيق في كل شيء، فكأن المعنى: لا مسترخية الجلود ولا ضعيفة.

وفضرجوه: بالضاد المعجمة وتشديد الراء وبالجيم.

وبالأضاميم: بفتح الهمزة والضاد المعجمة، أي: أدموه بالضرب بجماهير الحجارة.

ولا توصيم: بصاد مهملة مكسورة، أي لا كسل عن إقامة الحدود.

ولا غمة: بضم المعجمة وتشديد الميم، أي لا تستر ولا تخفى.

ويترفل: بتشديد الفاء المتفوحة: يتسود ويترأس، استعارة من ترفيل الثوب وهو إسباغه وإسباله.

وقريب من هذا، كتابه لأكيدر وأهل دومة، كما قدمته في مكاتباته صلى الله عليه وسلم.

وقال ﷺ في حديث عطية السعدي: فإن اليد العليا هي المنطية والسفلى هي المنطاة. قال: فكلمنا رسول الله ﷺ بلغتنا.

وقد كان هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذي لغة بليغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها، وكان أحدهم لا يتجاوز لغته، وإن سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي، وما ذلك منه ﷺ إلا بقوة إلهية وموهبة ربانية، لأنه بعث إلى الكافة طراً، وإلى الخليقة سوداً وحمراً، والكلام باللسان يقع في غاية البيان، ولا يوجد غالباً متكلم بغير لغته إلا قاصراً في الترجمة نازلاً عن صاحب الأصالة في تلك اللغة، إلا نبينا وسيدنا محمد ﷺ كما تقدم، فإنه زاده الله تكريماً وشرفاً تكلم في كل لغة من لغة العرب أفصح وأنصع بلغاتها منها بلغة نفسها، وجدير به ذلك، فقد أوتي في سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس، مع اختلاف الأصناف والأجناس ما لا يضبطه قياس ولا يدخل في تحقيقه إلباس. انتهى.

[صفة صوته ﷺ]

وأما صوته الشريف، فعن أنس قال: ما بعث الله نبياً قط إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت، حتى بعث الله نبيكم ﷺ فبعثه حسن الوجه حسن الصوت، رواه ابن عساكر.

وروي نحوه من حديث علي بن أبي طالب.

وروي أنه كان إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من ثناياه.

وقد كان صوته ﷺ يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره. فعن البراء قال: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في خدورهن. رواه البيهقي.

وقالت عائشة رضي الله عنها جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة على المنبر فقال للناس: اجلسوا، فسمعه عبدالله بن رواحة وهو في بني غنم فجلس في مكانه، رواه أبو نعيم.

وقال عبد الرحمن بن معاذ التيمي[١]: خطبنا رسول الله ﷺ بمنى، ففتحت أسماعنا ـ وفي لفظ ففتح الله أسماعنا ـ حتى إن كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا. رواه ابن سعد.

وعن أم هانئ قالت كنا نسمع قراءة النبي ﷺ في جوف الليل عند الكعبة، وأنا على عريشي، رواه ابن ماجه.

[صفة ضحكه ﷺ وبكائه]

وأما ضحكه ﷺ، ففي البخاري عن عائشة: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى لهواته، إنما كان يتبسم، أي:

---

(١) في (ط، ب، د) التميمي، وهو تصحيف.

ما رأيته مستجمعاً من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكاً تاماً مقبلاً بكليته على الضحك.

واللهوات: بفتح اللام، جمع لهاة، وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم.

وهذا لا ينافيه ما في حديث أبي هريرة في قصة المواقع أهله في رمضان،/ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. رواه البخاري. وهي بالجيم والذال المعجمة: الأضراس. ولا تكاد تظهر إلا عند المبالغة في الضحك. لأن عائشة إنما نفت رؤيتها، وأبو هريرة أخبر بما شاهده، والمثبت مقدم على النافي. ١٤١/ا

وقد قال أهل اللغة: التبسم: مبادي الضحك، والضحك: انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور، فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعد فهو القهقهة، وإلا فالضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم.

وقال ابن أبي هالة: جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام، أي يبدي أسنانه ضاحكاً، وحب الغمام: البرد.

وقال الحافظ ابن حجر: والذي يظهر من مجموع الأحاديث: أنه ﷺ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك. قال: والمكروه إنما هو الإكثار منه والإفراط فيه لأنه يذهب الوقار.

وقال ابن بطال: والذي ينبغي أن يقتدى به من أفعاله ما واظب عليه من ذلك.

وقد روى البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه عن أبي هريرة رفعه: لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب.

وقال أبو هريرة: وإذا ضحك ﷺ يتلألأ في الجدر. رواه البزار والبيهقي، أي يضيء في الجدر ـ بضم الجيم والدال، جمع جدار وهو الحائط ـ أي يشرق نوره عليها إشراقاً كإشراق الشمس عليها.

وكان ﷺ إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكاً حتى يرتفع عنه، بل كان إذا خطب أو ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش، صبحكم ومساكم. رواه مسلم.

وكان بكاؤه ﷺ من جنس ضحكه، لم يكن بشهيق ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملان، ويسمع لصدره أزيز، يبكي رحمة لميت، وخوفاً على أمته وشفقة، ومن خشية الله، وعند سماع القرآن، وأحياناً في صلاة الليل، قاله في الهدي النبوي.

وقد حفظه الله تعالى من التثاؤب، ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن أبي شيبة عن يزيد بن الأصم: ما تثاءب النبي قط، لكن في رواية عند ابن أبي شيبة: ما تثاءب نبي قط.

[صفة يده ﷺ]

وأما يده الشريفة ﷺ ، فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين كما سيأتي، أي غليظ أصابعهما، وبأنه عبل الذراعين رحب الكفين.

وقد مسح ﷺ خد جابر بن سمرة قال: فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار، رواه مسلم.

وفي حديث وائل بن حجر عند الطبراني والبيهقي: لقد كنت أصافح رسول الله ﷺ أو يمس جلدي جلده، فأتعرفه بعد في يدي، وإنه لأطيب رائحة من المسك.

وقال يزيد بن الأسود: ناولني رسول الله ﷺ يده فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك، رواه البيهقي.

وعن المستورد بن شداد عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ فأخذت بيده فإذا هي ألين من الحرير وأبرد من الثلج. رواه الطبراني.

ودخل ﷺ على سعد بن أبي وقاص بمكة يعوده وقد اشتكى، قال: فوضع يده على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني، فما زلت يخيل إلي أني أجد برد يده على كبدي حتى الساعة[1].

وفي البخاري من حديث أنس: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ . وهو من باب عطف الخاص على العام، لأن الديباج نوع من الحرير.

قيل: وهذا الوصف في هذا الحديث يخالف ما وقع في حديث ابن أبي هالة عند الترمذي في صفته ﷺ ، فإن فيه - كما تقدم - كان شثن الكفين والقدمين، أي غليظهما في خشونة، وهكذا وصفه علي من عدة طرق عند الترمذي والحاكم وغيرهما، وكذا/ وصف عائشة له عند ابن أبي خيثمة. ١٤١/ب

والجمع بينهما: أن المراد اللين في الجلد. والغلظ في العظام، فيجتمع له نعومة البدن وقوته.

وقال ابن بطال: كانت كفه ﷺ ممتلئة لحماً، غير أنها مع

---

(١) رواه الإمام أحمد: المسند ١٧١/١ [المحقق].

ضخامتها كانت لينة، كما في حديث أنس، قال: وأما قول الأصمعي: الشثن: غلظ الكف في خشونة، فلم يوافق على تفسيره بالخشونة، والذي فسر به الخليل أولى، قال: وعلى تسليم ما فسر به الأصمعي الشثن: يحتمل أن يكون أنس وصف حالتي كف النبي ﷺ فكان إذا عمل بكفه في الجهاد، أو في مهنة أهله، صار كفه خشناً للعارض المذكور، وإذا ترك ذلك رجع كفه إلى أصل جبلته من النعومة.

وقال القاضي عياض: فسر أبو عبيدة الشثن بالغلظ مع القصر. وتعقب: بأنه ثبت في وصفه ﷺ أنه كان سائل الأطراف. انتهى.

ويؤيد كونها كانت لينة قوله في رواية النعمان: كان سبط الكفين. بتقديم المهملة على الموحدة، فإنه موافق لوصفها باللين.

والتحقيق في الشثن أنه الغلظ من غير قصر ولا خشونة. وقد نقل ابن خالويه: أن الأصمعي لما فسر الشثن بما مضى، قيل له إنه ورد في صفة النبي ﷺ أنه لين الكفين، فآلى على نفسه أن لا يفسر شيئاً في الحديث. انتهى.

وفي حديث معاذ عند الطبراني والبزار: أردفني رسول الله ﷺ خلفه في سفر، فما مسست شيئاً قط ألين من جلده ﷺ.

وأصيب عائذ بن عمرو في وجهه يوم حنين، فسال الدم على وجهه وصدره، فسلت[1] النبي ﷺ الدم بيده عن وجهه وصدره، ثم دعا له، فكان أثر يده ﷺ إلى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس. رواه الحاكم وأبو نعيم وابن عساكر.

وأخرج البخاري في تاريخه والبغوي وابن منده في الصحابة من

---

(١) أي أزال.

طريق صاعد بن العلاء بن بشر عن أبيه عن جده بشر بن معاوية: أنه قدم مع أبيه معاوية بن ثور على رسول الله ﷺ فمسح رأسه ودعا له بالبركة فكانت في وجهه مسحة النبي ﷺ كالغرة وكان لا يمسح شيئاً إلا برئ[1].

ومسح ﷺ رأس مدلوك أبي سفيان[2] فكان ما مرت يده عليه أسود، وشاب ما سوى ذلك[3]. رواه البخاري في تاريخه والبيهقي.

وكذا وقع له ﷺ في رأس السائب. رواه البغوي والبيهقي وابن منده.

وأخرج البيهقي وصححه، والترمذي وحسنه، عن أبي زيد الأنصاري قال: مسح ﷺ بيده على رأسي ولحيتي ثم قال: اللهم جمله، قال: فبلغ بضعاً ومائة سنة وما في لحيته بياض. ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتى مات.

ومسح ﷺ رأس حنظلة بن حذيم بيده وقال له: بورك فيك، فكان يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والإنسان به الورم، فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول بسم الله على أثر يد رسول الله ﷺ فيمسحه ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم. رواه أحمد والبخاري في التاريخ وأبو يعلى وغيرهم.

وقد جاء في عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة بياض ابطيه.

---

(١) هو عند البغوي من طريق عمران بن ماعز قال: وهو مجهول، قال ابن منده: لا نعرفه إلا من هذا الوجه وانتقده في الإصابة بأن له طريقاً أخرى عند أبي نعيم بإسناد مجهول وأخرى عند ابن شاهين بإسناد منقطع.

(٢) مدلوك الفزاري مولاهم، كنيته أبو سفيان، صحابي نزل الشام.

(٣) أي شاب سائر شعر رأسه إلا ما مسته يد رسول الله ﷺ.

فعن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى رأيت بياض إبطيه.

وقال الطبري: ومن خصائصه ﷺ أن الإبط من جميع الناس متغير اللون غيره، أي إلا هو ﷺ، ومثله للقرطبي وزاد: أنه لا شعر عليه، لكن نازع فيه صاحب شرح تقريب/ الأسانيد، وقال: إنه لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه، قال: والخصائص لا تثبت بالاحتمال، ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض إبطيه أن لا يكون له شعر. وقد قال عبدالله بن أقرم الخزاعي ـ وقد صلى معه ﷺ ـ كنت أنظر إلى عفرة إبطيه. حسنه الترمذي. والعفرة: بياض ليس بالناصع كما قاله الهروي وغيره، وسيأتي مزيد لذلك في الخصائص إن شاء الله تعالى.

١/١

وعن رجل من بني حريش قال: ضمني رسول الله ﷺ فسال علي من عرق إبطيه مثل ريح المسك. رواه البزار.

ووصفه علي فقال: ذو مسربة، وفسر بخيط من الشعر بين الصدر والسرة.

وقال ابن أبي هالة: دقيق المسربة.

وعند ابن سعد عن علي: طويل المسربة.

وعند البيهقي: له شعرات من لبته إلى سرته تجري كالقضيب. ليس على صدره ولا على بطنه غيره.

ووصفت بطنه أم هانئ فقالت: ما رأيت بطن رسول الله ﷺ إلا ذكرت القراطيس المثني بعضها على بعضها. رواه الطيالسي والطبراني.

وقال أبو هريرة: كان ﷺ أبيض كأنما صيغ من فضة، رجل الشعر، مفاض البطن، عظيم مشاش المنكبين.

وتقدم أن المشاش: رؤوس العظام كالركبتين، ومفاض: أي واسع البطن، وقيل: مستوي البطن مع الصدر.

وخرج الإمام أحمد عن محرش الكعبي قال: اعتمر النبي ﷺ من الجعرانة ليلاً، فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة.

وكان ﷺ بعيد ما بين المنكبين. رواه البخاري. أي عريض الصدر، ووقع عند ابن سعد من حديث أبي هريرة: رحب الصدر.

[صفة قلبه ﷺ]

وأما قلبه الشريف ﷺ، فاعلم أن القلب مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط، فهو أخص من الفؤاد. قاله الواحدي، وسمي به لتقلبه بالخواطر والعزوم، قال الشاعر:

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ... ولا القلب إلا أنه يتقلب

وقال الزمخشري: مشتق من التقلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه، ألا ترى إلى ما روى أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ: ومثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطناً لظهر.

قال: والفرق بينه وبين الفؤاد، أن الفؤاد وسط القلب، سمي به لتفؤده، أي توقده.

وفسر الجوهري القلب بالفؤاد ثم فسر الفؤاد بالقلب.

قال الزركشي: والأحسن قول غيره: الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه، ويؤيد الفرق قوله ﷺ: ألين قلوباً وأرق أفئدة، وهو أولى من قول بعضهم: إنه كرر لاختلاف اللفظ.

وقال الراغب: يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به كالعلم والشجاعة.

وقيل: حيثما ذكر الله القلبَ فإشارة إلى العقل والعلم، كقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾[1]، وحيثما ذكر الصدر فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والغضب ونحوهما انتهى.

قال بعض العلماء: وقد خلق الله تعالى الإنسان، وجعل له قلباً يعقل عنه، وهو أصل وجوده، إذا صلح قلبه صلح سائره، وإذا فسد قلبه فسد سائره، وجعل سبحانه القلوب محل السر والإخلاص، الذي هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده، فأول قلب أودعه قلب محمد ﷺ لأنه أول خلق وصورته ﷺ آخر صورة ظهرت من صور الأنبياء، فهو أولهم وآخرهم.

وقد جعل سبحانه وتعالى أخلاق القلوب للنفوس أعلاماً على أسرار القلوب، فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت أخلاقه/ لجميع خلق الله، ولذلك جعل الله تعالى لمحمد ﷺ جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين، فتكون علامات اختصاص جثمانيته آيات دالة على أحوال نفسه الشريفة وعظيم خلقه، وتكون علامات عظيم أخلاقه آيات على سر قلبه المقدس. ولما كان قلبه ﷺ أوسع قلب اطلع الله عليه ـ كما ورد في الخبر ـ كان هو الأولى أن يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه الله تعالى: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن[2].

/ب

(١) سورة ق، الآية ٣٧.

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء، قال الحافظ العراقي في تخريجه: لم أر له أصلاً، =

ولما كان كماله قبل الإسراء بمنزلة سائر النبيين كان صدره يضيق، فاتسع قلبه لما انشرح صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره. وقد صح أن جبريل عليه الصلاة والسلام شقه واستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه فأعاده في مكانه. قال أنس فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره. رواه مسلم.

وإنما خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لأنها من جملة الأجزاء الإنسانية، فخلقها تكملة للخلق الإنساني فلا بد منها، ونزعها أمر رباني طرأ بعد ذلك، قاله السبكي.

وعند أحمد وصححه الحاكم: ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما [لصاحبه][1] ائتني بماء وثلج فغسلا به جوفي ثم قال: ائتني بماء بَرَد[2] فغسلا به قلبي ثم قال: ائتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه حصه فحاصه[3] وختم عليه بخاتم النبوة.

وفي رواية البيهقي أن ملكين جاآني في صورة كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشرح أحدهما صدري، ومج الآخر بمنقاره فيه.

وقال ابن تيمية: هو مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ ومعناه: وسع قلبه الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي، وإلا فمن قال إن الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده.

(١) زيادة في ش وهي كذلك في المسند.

(٢) كذا في النسخ وفي المسند وفي ط: بارد.

(٣) كذا في ش وفي المسند ١٨٤/٤ ومعنى حصه: أي خطه. وفي النسخ: خطه فخاطه.

وعن أبي هريرة قال: يا رسول الله، ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة. قال: إني لفي صحراء أمشي ابن عشر حجج إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم، فأخذاني فألصقاني لحلاوة القفا ثم شقا بطني، وكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره، فإذا صدري - فيما أرى - مفلوق[1] لا أجد له وجعاً، ثم قال: اشقق قلبه فشق قلبي، فقال أخرج الغل والحسد منه، فأخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال: أدخل الرأفة والرحمة قلبه، فأدخل شيئاً كهيئة الفضة، ثم أخرج ذروراً[2] كان معه فذر عليه، ثم نقر إبهامي، ثم قال: اغد فرجعت بما لم أغد به من رحمتي للصغير ورأفتي على الكبير. رواه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائد المسند وأبو نعيم وقال: تفرد به معاذ عن أبيه، وتفرد بذكر السن[3].

وعند أبي نعيم في حديث يونس بن ميسرة: فاستخرج حشوة جوفي فغسلها ثم ذر عليه ذروراً ثم قال: قلب وكيع[4] يعي ما وقع فيه، عينان تبصران وأذنان تسمعان وأنت محمد رسول الله المقفي الحاشر قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة وخلقك قيم وأنت قثم.

وهذا الشق روي أنه وقع له ﷺ مرات في حال طفوليته إرهاصاً. وتقديم المعجزة على زمان البعثة جائز للإرهاص، ومثل هذا

---

(١) كذا في ط. وفي النسخ: مفلوقاً.

(٢) نوع من الطيب.

(٣) أي قوله: ابن عشر حجج.

(٤) واع أي متين محكم.

في حق الرسول ﷺ كثير. وبه يجاب عن استشكال وقوع ذلك في حال طفوليته لأنه من المعجزات، ولا يجوز أن تتقدم على النبوة، قاله الرازي.

والذي عليه أكثر أهل الأصول: اشتراط اقتران المعجزة بالدعوى كما نبهت عليه في أوائل الكتاب، ويأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى في المقصد الرابع.

وهو المراد بقوله: **﴿ألم نشرح لك صدرك﴾**[1] وقد قيل المراد بالشرح في الآية ما يرجع إلى المعرفة والطاعة. ثم ذكروا في ذلك وجوهاً منها أنه لما بعث إلى الأحمر والأسود من جني وإنسي أخرج/ 1/143 تعالى عن قلبه جميع الهموم، وانفسح صدره حتى اتسع لجميع المهمات، فلا يقلق ولا يضجر بل هو في حالتي البؤس والفرج منشرح الصدر مشتغل بأداء ما كلف.

فإن قلت: لم قال: **﴿ألم نشرح لك صدرك﴾** ولم يقل: قلبك.

أجيب: بأن محل الوسوسة الصدر، كما قال تعالى: **﴿يوسوس في صدور الناس﴾**[2] فإزالة تلك الوسوسة وإبدالها بدواعي الخير هي الشرح، لا جرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب.

وقد قال محمد بن علي الترمذي: القلب محل العقل والمعرفة، وهو الذي يقصد الشيطان، يجيء إلى الصدر الذي هو حصن القلب فإذا دخل مسلكاً أغار فيه وأنزل جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذٍ، ولا يجد للطاعة لذة، ولا للإسلام

---

(1) سورة الشرح، الآية 1.

(2) سورة الناس، الآية 5.

حلاوة، وإذا طرد العدو في الابتداء حصل الأمن وزال الضيق وانشرح الصدر وتيسر له القيام بأداء العبودية.

وها هنا دقيقة:

قال الله تعالى حكاية عن موسى: ﴿رب اشرح لي صدري﴾[1] وقال لنبينا محمد ﷺ: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ أعطي بلا سؤال، ثم إنه تعالى نعته عليه السلام فقال ﴿وسراجاً منيراً﴾ فانظر إلى التفاوت، فإن شرح الصدر هو أن يصير قابلاً للنور، والسراج المنير هو الذي يقتبس منه النور، والفرق واضح.

قال الدقاق: كان موسى عليه السلام مريداً إذ قال: ﴿رب اشرح لي صدري﴾ ونبينا محمد ﷺ مراد إذ قال الله له: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ والله أعلم.

[صفة جماعه ﷺ]

وأما جماعه ﷺ فقد كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة، قال الراوي[2] قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين. رواه البخاري.

وعند الاسماعيلي عن معاذ: قوة أربعين زاد أبو نعيم عن مجاهد: كل رجل من رجال أهل الجنة.

وعن أنس مرفوعاً: يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع، قلت يا رسول الله، أو يطيق ذلك؟ قال: يعطى قوة مائة.

(١) سورة طه، الآية ٢٥.
(٢) هو قتادة.

قال الترمذي صحيح غريب لا نعرفه عن حديث قتادة إلا من حديث عمران القطان.

فإذا ضربنا أربعين في مائة بلغت أربعة آلاف، فبهذا يندفع ما استشكل من كونه ﷺ أوتي قوة أربعين فقط وسليمان عليه الصلاة والسلام قوة مائة رجل أو ألف على ما ورد.

وذكر ابن العربي: أنه كان له ﷺ القوة الظاهرة على الخلق في الوطء، وكان له في الأكل القناعة، ليجمع الله له الفضيلتين في الأمور الاعتيادية[1] كما جمع له الفضيلتين في الأمور الشرعية[2]، حتى يكون حاله كاملاً في الدارين. انتهى.

وطاف ﷺ على نسائه التسع في ليلة. رواه ابن سعد.

وروي أنه ﷺ قال: أتاني جبريل بقدر فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجلاً في الجماع رواه ابن سعد: حدثنا عبدالله بن موسى عن أسامة بن زيد عن صفوان بن سليم مرسلاً من حديث أبي هريرة: شكا رسول الله ﷺ إلى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله ﷺ من بريق ثنايا جبريل فقال له: أين أنت من أكل الهريسة فإن فيه قوة أربعين رجلاً.

ومن حديث حذيفة بلفظ أطعمني جبريل الهريسة أشد بها ظهري وأتقوى بها على الصلاة. رواه الدارقطني.

ومن حديث جابر بن سمرة وابن عباس وغيرهم.

---

(١) كذا في النسخ، وفي ش: الاعتبارية، قال: أي التي تعتبرها العامة.
(٢) وهما ما شارك أمته فيه، وما خص به من الأحكام.

وكلها [أحاديث][1] واهية. بل صرح الحافظ ابن ناصر الدين في جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة بأنه موضوع.

وروي أنه ﷺ أعطي قوة بضع وأربعين رجلاً كل [رجل][2] من أهل الجنة، رواه الحارث بن أبي أسامة.

وقد حفظه الله من الاحتلام، فعن ابن عباس قال: ما احتلم نبي قط، وإنما الاحتلام من الشيطان، رواه الطبراني. / ١٤٣/ب

[صفة قدمه ﷺ]

وأما قدمه الشريف ﷺ فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن القدمين، أي غليظ أصابعهما. رواه الترمذي وغيره.

وعن ميمونة بنت كردم قالت: رأيت رسول الله ﷺ فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه، رواه أحمد والطبراني.

وعن جابر بن سمرة: كانت خنصر رسول الله ﷺ من رجله متظاهرة[3]، رواه البيهقي[4].

وقد اشتهر على الألسنة أن سبابة النبي ﷺ كانت أطول من الوسطى. قال الحافظ ابن حجر: وهو غلط ممن قاله، وإنما ذلك في أصابع رجليه. انتهى.

---

(١) زيادة في ش.
(٢) زيادة في ط.
(٣) أي زائدة في الطول على الظاهر، ويحتمل في اللفظ ما يليها من الأصابع.
(٤) وفي سنده سلمة بن حفص السعدي، قال ابن حبان كان يضع الحديث، لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه. وحديثه هذا باطل لا أصل له، ورسول الله ﷺ كان معتدل الخلق.

وقال شيخنا ـ في المقاصد الحسنة ـ: وسلف جمهورهم الكمال الدميري[1]. هو خطأ نشأ عن اعتماد رواية مطلقة. وعبارته[2]: «كذا رواه ابن هارون عن عبدالله بن مقسم عن سارة ابنة مقسم أنها سمعت ميمونة ابنة كرم تخبر أنها رأت أصابع النبي ﷺ كذلك». فضم ما وقع فيها من إطلاق الأصابع إلى كون الوسطى من كل أطول من السبابة، وعين اليد منه ﷺ لذلك بناء على أن القصد ذكر وصف اختص به ﷺ عن غيره.

ولكن الحديث في مسند الإمام أحمد من حديث يزيد بن هارون المذكور مقيد بالرجل، ولفظه ـ كما قدمته ـ فما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه.

وهو عند البيهقي أيضاً في الدلائل من طريق يزيد بن هارون ولفظها: رأيت رسول الله ﷺ بمكة وهو على ناقته وأنا مع أبي، فدنا منه أبي فأخذ بقدمه فأقر له رسول الله ﷺ[3] قالت: فما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه[4].

وعن أبي هريرة أنه ﷺ كان إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص. رواه البيهقي.

وعن أبي أمامة الباهلي قال: كان النبي ﷺ لا أخمص له يطأ على قدمه كلها. رواه ابن عساكر.

وقال ابن أبي هالة: خمصان الأخمصين، مسيح القدمين.

---

(١) أي وسلف جمهور القائلين بطول سبابة يده ﷺ هو الكمال الدميري.

(٢) أي الدميري.

(٣) أي أثبت له قدمه حتى يتمكن من رؤيتها.

(٤) إلى هنا نهاية ما نقله من المقاصد.

وقال ابن الأثير: الأخمص من القدم الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء. والخمصان: البالغ منه، أي إن ذلك الموضع من أسفل قدمه شديد التجافي عن الأرض.

وسئل ابن الأعرابي عنه فقال: إذا كان خمص الأخمص بقدر لا يرتفع جداً، لم يستو أسفل القدم جداً فهو أحسن ما يكون، وإذا استوى أو ارتفع جداً فهو ذم، فيكون بمعنى أن أخمصه معتدل الخمص بخلاف الأول.

ووقع في حديث أبي هريرة إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص.

وقوله: مسيح القدمين أي ملساوتان لينتان ليس فيهما تكسر ولا شقاق، فإذا أصابهما الماء نبا عنهما[1] كما قال ابن أبي هالة: ينبو عنهما الماء، وهو معنى حديث أبي هريرة.

وعن عبدالله بن بريدة قال: كان ﷺ أحسن الناس قدماً[2]. رواه ابن سعد.

[صفة طوله ﷺ]

وأما طوله ﷺ فقال علي: كان ﷺ لا قصير ولا طويل، وهو إلى الطول أقرب. رواه البيهقي. وعنه: كان ﷺ ليس بالذاهب طولاً، وفوق الربعة إذا جامع القوم غمرهم. رواه عبدالله بن الإمام أحمد.

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ ربعة وهو إلى الطول أقرب رواه البزار.

(١) أي انحدر سريعاً ولا يقف لملامستهما.
(٢) وهو يؤيد تفسير ابن الأعرابي: الأخمص بالمعتدل والله أعلم.

وقوله: ربعة، أي مربوعاً، والتأنيث باعتبار النفس. وقد فسر في الحديث الآتي بأنه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، والمراد بالطويل البائن: المفرط في الطول مع اضطراب القامة.

وقال ابن أبي هالة: أطول/ من المربوع وأقصر من المشذب ـ وهو بمعجمتين مفتوحتين ثانيهما مشدد، أي البائن الطول في نحافة، وهو مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالطويل الممغط ـ وهو بتشديد الميم الثانية ـ المتناهي الطول. وأمغط النهار إذا امتد، ومغطت الحبل إذا مددته، وأصله منمغط والنون للمطاوعة فقلبت ميماً وأدغمت في الميم، ويقال بالعين المهملة بمعناه. 1/144

وعن عائشة قالت: لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله ﷺ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها، فإذا فارقاه نسب رسول الله ﷺ إلى الربعة، رواه ابن عساكر والبيهقي.

وزاد ابن سبع في الخصائص: أنه كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين.

ووصفه ابن أبي هالة بأنه بادن متماسك، أي معتدل الخلق، كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضاً.

[صفة شعره وأظافره ﷺ]

وأما شعره الشريف ﷺ ، فعن قتادة قال: سألت أنساً عن شعر

رسول الله ﷺ فقال: شعر بين شعرين، لا رَجْل ولا سبط ولا جعد قطط[1] كان بين أذنيه وعاتقه.

وفي رواية [للشيخين][2] قال كان رجْلا ليس بالسبط ولا الجعد بين أذنه وعاتقه.

وفي أخرى: إلى أنصاف أذنيه. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

وعن عائشة قالت: كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ عن إناء واحد، وكان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة. رواه الترمذي وأبو داود.

والوفرة: الشعر الواصل إلى شحمة الأذن.

وقال ابن أبي هالة أيضاً: كان رجل الشعر ـ وهو بفتح الراء وكسر الجيم، أي يتكسر قليلاً، بخلاف السبط والجعد ـ إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا، يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره.

والعقيقة بالقافين، شعر رأسه الشريف، يعني إن انفرقت بنفسها فرقها وإلا تركها معقوصة، ويروى: إن انفرقت عقيصته ـ بالصاد المهملة ـ وهي الشعر المعقوص.

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق ﷺ رأسه. رواه الترمذي في الشمائل. وفي صحيح مسلم نحوه.

---

(1) الجعد من الشعر.

(2) زياد في ش.

وسدل الشعر إرساله، والمراد هنا إرساله على الجبين واتخاذه كالقُصة[1].

وأما الفرق: فهو فرق الشعر بعضه من بعض.

قال العلماء: والفرق سنة، لأنه الذي رجع إليه ﷺ، والصحيح جواز الفرق والسدل، لكن الفرق أفضل.

وعن عائشة: كان له ﷺ شعر فوق الجمة ودون الوفرة. رواه الترمذي.

وفي حديث أنس كان إلى أذنيه، وفي حديث البراء: يضرب منكبيه. وفي حديث أبي رمثة: يبلغ إلى كتفيه أو منكبيه[2].

وفي رواية: ما رأيت من ذي لمة أحسن منه[3].

والجمة: هي الشعر الذي نزل إلى المنكبين. والوفرة: ما نزل إلى شحمة الأذنين، واللمة: التي لمت بين المنكبين.

قال القاضي عياض: والجمع بين هذه الروايات: أن ما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمة أذنيه، وما خلفه هو الذي يضرب منكبيه. قال: وقيل: بل ذلك لاختلاف الأوقات، فإذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب وإذا قصرها كانت إلى أنصاف الأذنين، فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك.

---

(١) وهي شعر الناصية يقص حول الجبهة، والمراد أنه كان يتركه على حاله يشبه الشعر المقصوص.

(٢) هذه الروايات في الصحيحين.

(٣) رواه الترمذي عن البراء بن عازب.

١٤٤/ب وعن أم هانئ/ بنت أبي طالب قالت: قدم رسول الله ﷺ علينا مكة قدمة وله أربع غدائر. رواه الترمذي في الشمائل. والغدائر: ـ بالغين المعجمة والدال المهملة ـ هي الذوائب، واحدتها غديرة.

وفي مسلم عن أنس، كان في لحيته ﷺ شعرات بيض. وفي رواية عنده: لم ير من الشيب إلا قليلاً، وفي أخرى له أيضاً: لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه ولم يخضب. وعنده أيضاً: لم يخضب ﷺ إنما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين وفي الرأس نبذ ـ بضم النون وفتح الباء الموحدة، وبفتح النون وإسكان الموحدة ـ أي شعرات متفرقة.

وفي رواية أخرى: ما شانه الله ببيضاء[1].

قال الشيخ عبد الجليل في شعب الإيمان، فيما حكاه عنه الفاكهاني: إنما كان كذلك لأن النساء يكرهن الشيب غالباً، ومن كره من النبي ﷺ شيئاً كفر.

وقال في النهاية: قد تكرر في الحديث جعل الشيب هاهنا عيبا وليس بعيب، فإنه قد جاء في الحديث: أنه وقار وأنه نور، والشيب ممدوح، وذلك عجيب منه لا سيما في حق النبي ﷺ.

ويمكن الجمع بينهما: ووجه الجمع أنه ﷺ لما رأى أبا قحافة ورأسه كالثغامة[2]، أمرهم بتغييره وكرهه، ولذلك قال: غيروا الشيب، فلما علم أنس ذلك من عادته قال: ما شانه الله ببيضاء بناء

---

(١) في صحيح مسلم.

(٢) الثغامة واحدة الثغام. وهو نبت يكون بالجبال غالباً إذا يبس يشبه به الشيب.

على هذا القول وحملاً له على هذا الرأي. ولم يسمع الحديث الآخر، ولعل أحدهما ناسخ للآخر انتهى[1].

وفي رواية أبي جحيفة عنده[2]، رأيت رسول الله ﷺ وهذه منه بيضاء. ووضع الراوي بعض أصابعه على عنفقته.

وفي حديث أنس عند البيهقي: ما شانه الله بالشيب، ما كان في رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة [يعني][3] شعرة بيضاء.

وعن أبي جحيفة كان أبيض قد شمط. رواه البخاري.

وفي الصحيحين: أن ابن عمر رأى النبي ﷺ يصبغ بالصفرة.

وعن ابن عمر: إنما كان شيبه ﷺ نحواً من عشرين شعرة بيضاء، رواه الترمذي.

وروى أيضاً[4] عن ابن عباس قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت قال: شيبتني هود والواقعة والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت.

وفي حديث جابر عنده: لم يكن في رأسه ﷺ شيب إلا شعرات في مفرق رأسه إذا ادهن واراهن[5] الدهن.

وفي رواية البيهقي: كان أسود اللحية حسن الشعر.

---

(١) أي كلام النهاية.

(٢) أي عند مسلم.

(٣) زيادة في ط.

(٤) أي الترمذي. وعند ابن سعد: شيبتني هود وأخواتها وما فعل بالأمم قبلي.

(٥) أي سترهن وغيبهن.

واختلف العلماء: هل خضب ﷺ أم لا؟

قال القاضي عياض: منعه الأكثرون وهو مذهب مالك.

وقال النووي: المختار أنه صبغ في وقت وترك في معظم الأوقات، فأخبر كل بما رأى وهو صادق، قال: وهذا التأويل كالمتعين، فحديث ابن عمر في الصحيحين، ولا يمكن تركه ولا تأويل له[1]. وأما اختلاف الرواية في قدر شيبه فالجمع بينهما أنه رأى شيباً يسيراً، فمن أثبت شيبه أخبر عن ذلك اليسير ومن نفاه أراد. لم يكثر فيه، كما قال في الرواية الأخرى: لم ير الشيب إلا قليلاً، انتهى.

وعن جابر بن سمرة قال: كان ﷺ قد شمط مقدم رأسه ولحيته، وكان إذا ادهن لم يتبين، فإذا شعث رأسه تبين وكان كثير شعر اللحية. رواه مسلم والنسائي.

وعن أنس كان ﷺ يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته. رواه البغوي في شرح السنة.

وقد وصفه ﷺ ابن أبي هالة بأنه كان موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر.

وعن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل. رواه مسلم. وسيأتي إن شاء/ الله تعالى قصة حلق رأسه الشريف في حجة الوداع. ١٤٥/١

(١) فيه نظر: إذ هو في نفسه محتمل للثياب والشعر، ثم قد ورد ما يعين الأول، وهو ما في سنن أبي داود عن ابن عمر نفسه، كان يصبغ ﷺ بالورس والزعفران حتى عمامته. ولذا رجحه عياض.

ولم يرو أنه ﷺ حلق رأسه الشريف في غير نسك حج أو عمرة فيما علمته، فتبقية الشعر في الرأس سنة ومنكرها مع علمه يجب تأديبه، ومن لم يستطع التبقية فيباح له إزالته.

وقد رأيت بمكة المشرفة في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وثمانمائة شعرة عند الشيخ أبي حامد المرشدي، شاع وذاع أنها من شعره ﷺ، زرتها صحبة المقام[1] المقري خليل العباسي والى الله إحسانه عليه.

وعن محمد بن سيرين قال: قلت لعبيدة، عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس، قال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها رواه البخاري.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أنه ﷺ كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها[2]. رواه الترمذي وقال: حديث غريب[3].

---

(١) كذا في النسخ. قال في حاشية الشرح: قوله: صحبة المقام هكذا في النسخ ولعله على حذف مضاف تقديره: صحبة إمام المقام أو نحو ذلك، والمقام مقام إبراهيم أي الحجر الذي قام عليه لبناء الكعبة، والإمام هناك يقف خلفه كما هو مشهور، وقوله: المقري. هكذا في بعض النسخ وفي بعضها القرشي وفي بعضها الغرسي ـ بالغين المعجمة ـ وفي بعضها القدسي. ولم ينبه على هذا المحل الشارح ولا المحشي والله أعلم بالواقع تأمل ا.هـ من هامش المعتمد.

(٢) قال الشارح: بالسوية ـ كما في الرواية ـ لتقرب من التدوير من جميع الجوانب لأن الاعتدال محبوب والطول المفرط قد يشوه الخلق ويطلق ألسنة المغتابين، ففعل ذلك مندوب.. وقال النخعي: عجب لعاقل كيف لا يأخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فإن التوسط في كل شيء حسن.
وقال الطيبي: المنهي عنه قصها كالأعاجم، وقال الحافظ: المنهي عنه الاستئصال أو ما قاربه بخلاف الأخذ المذكور.

(٣) فيه عمرو بن هارون البلخي قال الذهبي: ضعفوه.

وأخرج الترمذي عن ابن عباس وحسنه قال: كان النبي ﷺ يقص شاربه.

وعنده من حديث زيد بن أرقم قال ﷺ من لم يأخذ من شاربه فليس منا.

وفي الصحيحين: خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب[1].

واختلف في قص الشارب وحلقه أيهما أفضل: ففي الموطأ يؤخذ من الشارب حتى يبدو طرف الشفة، وعن ابن عبد الحكم عن مالك قال: ويحفي الشارب ويعفي اللحية، وليس إحفاء الشارب حلقه، وأرى تأديب من حلق شاربه.

وعن أشهب أن حلقه بدعة قال: وأرى أن يوجع ضرباً من فعله.

وقال النووي: المختار أنه يقصه حتى يبدو طرف الشفة ولا يحفه من أصله.

وقال الطحاوي: لم نجد عن الشافعي شيئاً منصوصاً في هذا، وكان المزني والربيع يحفيان شاربهما.

وأما أبو حنيفة وصاحباه فمذهبهم في شعر الرأس والشارب أن الإحفاء أفضل من التقصير.

وأما أحمد، فقال الأثرم رأيته يحفي شاربه شديداً.

وقد اختلفوا في كيفية قص الشارب، هل يقص طرفاه أيضاً، وهما المسميان بالسبالين أم تترك السبالان كما يفعله كثير من الناس؟

---

(١) قال النووي: بقطع الهمزة ووصلها.

قال الغزالي في الإحياء: لا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب. فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره، لأن ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمرة الطعام إذ لا يصل إليه. انتهى.

وروى أبو داود عن جابر قال: كنا نحفي السبال إلا في حج أو عمرة.

وكره بعضهم إبقاءه لما فيه من التشبه بالأعاجم بل بالمجوس وأهل الكتاب، وهذا أولى بالصواب لما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر قال: ذكر لرسول الله ﷺ المجوس فقال: إنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم، فكان يجز سباله كما يجز الشاة أو البعير.

وروى أحمد في مسنده في أثناء حديث لأبي أمامة. فقلنا يا رسول الله، فإن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال: قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب، والعثانين ـ بالعين المهملة والثاء المثلثة وتكرار النون ـ جمع عثنون وهو اللحية قاله في شرح تقريب الأسانيد.

وأما العانة ففي حديث أنس أن النبي ﷺ كان لا يتنور، وكان إذا كثر شعره حلقه ولكن سنده ضعيف. وروى ابن ماجه والبيهقي، ورجاله ثقات، ولكن أعل بالإرسال. وأنكر الإمام أحمد صحته من حديث أم سلمة أن النبي ﷺ كان إذا طلى بدأ بعانته فطلاها بالنورة وسائر جسده أهله[1].

وأما الحديث الذي/ يروى أن النبي ﷺ دخل حمام الجحفة، ١٤٥/ب

---

(١) نساؤه. بالرفع فاعل.

فموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث كما قاله الحافظ ابن كثير، بل ولم تعرف العرب الحمام ببلادهم إلا بعد موته ﷺ.

وأخرج البيهقي من مرسل أبي جعفر الباقر قال: كان رسول الله ﷺ يستحب أن يأخذ من أظفاره وشاربه يوم الجمعة.

وله شاهد موصول من حديث أبي هريرة ولكن سنده ضعيف أخرجه البيهقي أيضاً في الشعب.

وسئل عنه أحمد فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال. وعنه: يوم الخميس، وعنه يتخير.

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: وهذا هو المعتمد، أنه يستحب كيفما احتاج إليه، قال: ولم يثبت في استحباب قص الظفر يوم الخميس حديث، وكذا لم يثبت في كيفيته شيء، ولا في تعيين يوم له عن النبي ﷺ.

وما يعزى من النظم في ذلك لعلي رضي الله عنه ثم لشيخ الإسلام ابن حجر قال شيخنا: إنه باطل.

والمراد: إزالة ما يزيد على ما يلامس رأس الأصبع من الظفر، لأن الوسخ يجتمع فيه فيستقذر، وقد ينتهي إلى حد يمنع من وصول الماء إلى ما يجب غسله في الطهارة. وقد حكى أصحاب الشافعي فيه وجهين: فقطع المتولي بأن الوضوء حينئذٍ لا يصح، وقطع الغزالي في الإحياء بأنه يعفى عن مثل ذلك.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة: كان النبي ﷺ لا يفارق سواكه ومشطه وكان ينظر في المرآة إذا سرح لحيته.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ كانت له مكحلة يكتحل منها كل

ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه. رواه ابن ماجه والترمذي وأحمد ولفظه: كان يكتحل بالإثمد كل ليلة قبل أن ينام، وكان يكتحل في كل عين ثلاثة أميال.

وروى النسائي والبخاري في تاريخه عن محمد بن علي قال سألت عائشة: أكان النبي ﷺ يتطيب؟ قالت: نعم، بذكارة الطيب، المسك والعنبر.

[صفة مشيه ﷺ]

وأما مشيه ﷺ فعن علي قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفياً، كأنما ينحط من صبب، رواه الترمذي وصححه البيهقي. والتكفؤ: الميل إلى سنن المشي.

وعند البزار من حديث أبي هريرة: إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها.

وعند الترمذي في الشمائل من حديثه: وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ: كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث.

وعن يزيد بن مرثد قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى أسرع، حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه: رواه ابن سعد.

ويروى أنه كان إذا مشى مشى مجتمعاً أي قوى الأعضاء غير مسترخ في المشي.

وقال علي رضي الله عنه كان ﷺ إذا مشى تقلع[1].

(١) رواه الترمذي.

وقال ابن أبي هالة: إذا زال زال تقلعاً، يخطو تكفياً، ويمشي هونا، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وفي رواية إذا زال زال قلعاً ـ بالفتح والضم، فبالفتح هو مصدر بمعنى الفاعل أي لا يزول قالعاً لرجله من الأرض، وهو بالضم إما مصدر أو اسم وهو بمعنى الفتح ـ.

وقال الهروي: قرأت هذا الحرف في كتاب غريب الحديث لابن الأنباري: قلعاً: بفتح القاف وكسر اللام، وكذلك قرأته بخط الأزهري، وهو كما جاء في حديث آخر كأنما ينحط من صبب، والانحدار من الصبب والتقلع من الأرض قريب بعضه من بعض.

١٤٦/١ أراد: أنه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه الحال/ استعجال ومبادرة شديدة[١].

وذريع المشية: أي واسع الخطوة قاله ابن الأثير.

وقال ابن القيم: التقلع الارتفاع من الأرض بجملته، كحال المنحط من الصبب، وهي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة، وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضاء، فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة، فهي مذمومة، وإما أن يمشي بانزعاج مشي الجمل الأهوج وهي مشية مذمومة، وهي علامة خفة عقل صاحبها ولا سيما إن أكثر الالتفات حال مشيه يميناً وشمالاً.

وفي بعض المسانيد: أن المشاة شكوا إلى رسول الله ﷺ من المشي في حجة الوداع فقال: استعينوا بالنسلان: وهو العدو الخفيف الذي لا يزعج الماشي.

---

(١) إلى هنا ينتهي كلام الهروي.

وأما مشيه ﷺ مع أصحابه، فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم، ويقول: خلوا ظهري للملائكة، وهو معنى قول القائل: وكان يسوق أصحابه ويماشيهم فرادى وجماعة.

ومشى ﷺ في بعض غزواته مرة فجرحت أصبعه وسال منها الدم فقال: هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت. رواه أبو داود.

ولم يكن له ﷺ ظل في شمس ولا قمر. رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان. وقال ابن سبع كان ﷺ نوراً، فكان إذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل. قال غيره: ويشهد له قوله ﷺ في دعائه: واجعلني نوراً.

[صفة لونه ﷺ]

وأما لونه الشريف الأزهر ﷺ فقد وصفه ـ عليه السلام ـ جمهور أصحابه بالبياض، منهم: أبو بكر وعمر وعلي وأبو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن أبي هالة والحسن بن علي وأبو الطفيل ومحرش الكعبي وابن مسعود والبراء وأنس في إحدى الروايتين عنه.

فأما أبو جحيفة فقال: كان أبيض. رواه البخاري. وأما أبو الطفيل فقال: كان أبيض مليحاً. رواه الترمذي في الشمائل، وفي رواية مسلم: أبيض مليح الوجه. وفي رواية عنه للطبراني: ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره. وفي شعر أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقال علي: أبيض مشرب. والمشرب: هو الذي في بياضه حمرة،

كما في الرواية الأخرى: أبيض مشرب بحمرة، وبهذا فسر قول أنس في صحيح مسلم: أزهر اللون.

وفي النسائي من حديث أبي هريرة: بينا النبي ﷺ جالس بين أصحابه جاء رجل فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقالوا: هذا الأمغر المرتفق.

والأمغر: المشرب بحمرة. المرتفق: المتكئ على مرفقه.

وفي البخاري من حديث أنس: ليس بأبيض أمهق.

قال الحافظ ابن حجر: ووقع عند الداودي تبعاً لرواية المروزي: أمهق ليس بأبيض، وفي رواية عند أبي حاتم وغيره أسمر.

واستشكله بعضهم وقال: إن غالب هذه الروايات متدافع، وبعضها ممكن الجمع كالأبيض مع رواية مشرب بالحمرة والأزهر، وبعضها غير ممكن الجمع كالأبيض الشديد الوضح مع الأسمر.

واعترض الداودي رواية أمهق ليس بأبيض. وهي التي وقعت عنده تبعاً لرواية المروزي.

وقال القاضي عياض: إنها وهم، وقال: وكذلك رواية من روى أنه ليس بالأبيض ولا الآدم، ليس بصواب.

قال الحافظ ابن حجر: هذا ليس بجيد لأن المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الأدمة، وإنما يخالط بياضه الحمرة، والعرب قد تطلق على كل من كان كذلك أسمر، ولهذا جاء في حديث أنس عند أحمد والبزار وابن منده بإسناد صحيح أن النبي ﷺ/ كان أسمر، وأخرجه البيهقي في الدلائل من وجه آخر عن أنس، فذكر الصفة النبوية فقال: كان ﷺ أبيض بياضه إلى السمرة. ١٤٦/ب

وفي حديث ابن عباس في صفته ﷺ: رجل بين رجلين جسمه ولحمه، أحمر إلى البياض، أخرجه أحمد.

وقد تبين من مجموع الروايات: أن المراد بالسمرة؛ الحمرة التي تخالط البياض، وأن المراد بالبياض المثبت ما تخالطه الحمرة، والمنفي ما لا تخالطه، وهو الذي تكره العرب لونه وتسميه أمهق، وبهذا تبين أن رواية المروزي أمهق ليس بأبيض مقلوبة، على أنه يمكن توجيهها بأن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية، ولا سمرته ولا حمرته، فقد نقل عن رؤبة: أن المهق خضرة الماء، فهذا التوجيه يتم على تقدير ثبوت الرواية، وقد تقدم في حديث أبي جحيفة إطلاق كونه كان أبيض، وكذا في حديث أبي الطفيل عند مسلم والترمذي.

وفي حديث سراقة عند ابن إسحاق فجعلت أنظر إلى ساقه كأنها جمارة، ولأحمد من حديث محرش الكعبي في عمرة الجعرانة قال: فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة. وعن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصفه ﷺ فقال: كان شديد البياض أخرجه يعقوب بن سفيان والبزار بإسناد قوي. ويجمع بينهما بما تقدم.

وقال البيهقي: يقال: إن المشرب منه بحمرة وإلى السمرة منه ما ضحى للشمس والريح أي كالوجه والعنق وأما ما تحت الثياب فهو الأزهر الأبيض انتهى.

وهذا ذكره ابن أبي خيثمة عقب حديث عائشة في صفته ﷺ بأبسط من هذا وزاد: ولونه الذي لا يشك فيه الأبيض الأزهر. انتهى والله أعلم[1].

---

(١) الكلام بطوله من حديث البخاري إلى هنا في فتح الباري٦/٥٦٩ ـ ٥٧٠.

وقد ضعف بعضهم قول من قال: إنما وصف بالسمرة ما كانت الشمس تصيب منه، بأن أنساً لا يخفى عليه أمره حتى يصفه بغير صفته اللازمة له لقربه منه، ولم يكن ﷺ ملازماً للشمس، نعم لو وصفه بذلك بعض القادمين ممن صادفه في وقت غيرته الشمس لأمكن، فالأولى حمل السمرة في رواية أنس على الحمرة التي تخالط البياض كما قدمناه.

تنبيه: في الشفاء حكاية عن أحمد بن سليمان صاحب سحنون: من قال إن النبي ﷺ أسود يقتل. انتهى.

وهذا يقتضي أن مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل. وليس كذلك، بل لا بد من ضميمة ما يشعر بنقص في ذلك. كما في مسألتنا هذه فإن الأسود لون مفضول.

[طيب ريحه ﷺ وعرقه ودمه]

وأما طيب ريحه ﷺ وعرقه وفضلاته، فقد كانت الرائحة الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيباً.

وروينا عن أنس قال: ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ. الحديث رواه الإمام أحمد.

وفي البخاري: ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبي ﷺ.

وفي رواية الترمذي: ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ.

وقوله: شممت: بكسر الميم الأولى وسكون الثانية.

وعن أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد السلمي قالت: كنا عند

عتبة أربع نسوة، فما منا امرأة إلا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحاً منا، وكان إذا خرج إلى الناس قالوا: ما شممنا ريحاً أطيب من ريح عتبة، فقلت له يوماً: إنا لنجتهد في الطيب، ولأنت أطيب ريحاً منا فمم ذلك؟ فقال: أخذني الشرى على عهد رسول الله ﷺ فأتيته فشكوت ذلك إليه، فأمرني أن أتجرد، فتجردت وقعدت بين يديه، وألقيت ثوبي على فرجي، فنفث في يده ثم مسح ظهري وبطني بيده، فعبق بي هذا الطيب من يومئذٍ. رواه الطبراني في معجمه الصغير.

وروى أبو يعلى والطبراني قصة الذي استعان به ﷺ/ على تجهيز ابنته، فلم يكن عنده شيء، فاستدعاه بقارورة فسلت له فيها من عرقه، وقال: مرها فلتطيب به، فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين[1]. ١/١٤٧

وقال جابر بن عبدالله: كان في رسول الله ﷺ خصال: لم يكن في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيب عرقه وعرفه، ولم يكن يمر بحجر إلا سجد له. رواه الدارمي والبيهقي وأبو نعيم. ولله در القائل:

فلو أن ركباً يممـوك لقادهم نسيمك حتى يستدل به الركب

وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب وقالوا: مر رسول الله ﷺ من هذا الطريق. رواه أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح. وما أحسن قول القائل:

يروح على غير الطريق التي غدا عليها فلا ينهى علاه نهاته

---

(١) قال الذهبي: حديث منكر.

تنفسه في الوقت أنفاس عطره فمن طيبه طابت له طرقاته
تروح له الأرواح حيث تنسمت لها سحراً من حيه نسماته

وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأنورهم لوناً، لم يصفه واصف قط إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر. وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ، أطيب من المسك الإذفر. رواه أبو نعيم.

وعن أنس قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فقال[1] عندنا، فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ ﷺ فقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله لطيبنا، وهو أطيب الطيب. رواه مسلم.

وفي رواية له: كان ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه. قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتيت فقيل لها هذا النبي نائم في بيتك على فراشك قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع ﷺ فقال: ما تصنعين يا أم سليم فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت.

والعتيدة: كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة ما يعز عليها من متاعها.

وأما ما روي أن الورد خلق من عرقه ﷺ أو من عرق البراق فقال شيخنا في الأحاديث المشتهرة: قال النووي: لا يصح. وقال شيخ الإسلام ابن حجر: إنه موضوع، وسبقه لذلك ابن عساكر، وهو

(١) أي نام وقت القائلة وهي نصف النهار والغالب فيه الحر.

في مسند الفردوس بلفظ: الورد الأبيض خلق من عرقي ليلة المعراج، والورد الأحمر خلق من عرق جبريل، والورد الأصفر خلق من عرق البراق. رواه من طريق مكي بن بندار الزنجاني. حدثنا الحسن بن علي بن عبد الواحد القرشي، حدثنا هشام بن عمار عن الزهري عن أنس به مرفوعاً ثم قال: قال أبو مسعود حدث به أبو عبدالله الحاكم عن رجل عن مكي. ومكي تفرد به انتهى. ورواه أبو الحسين بن فارس اللغوي في «الريحان والراح» له عن مكي به. ومكي ممن اتهمه الدارقطني بالوضع، وله طريق أخرى رواه أبو الفرج النهرواني في الخامس والتسعين من «الجليس الصالح» له من طريق محمد بن عنبسة ابن حماد، حدثنا أبي عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن أنس رفعه: لما عرج بي إلى السماء بكت الأرض من بعدي فنبت اللصف من نباتها، فلما أن رجعت قطر من عرقي على الأرض فنبت/ ورد أحمر، ألا من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر. ثم قال أبو الفرج: اللصف: الكبر، وقال: وما أتى به هذا الخبر فهو اليسير من كثير مما أكرم الله به نبيه ودل على فضله ورفيع منزلته. انتهى[1] وإنما ذكرته ليعلم[2].

١٤٧/د

وعن جابر بن سمرة أنه ﷺ مسح خده، قال: فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار[3]. قال غيره: مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان ريحها[4].

---

(١) أي كلام السخاوي الذي عناه بقوله: قال شيخنا.

(٢) أنه موضوع فيترك ولا يذكر إلا مع بيان أنه موضوع.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه أبو نعيم والبيهقي بإسناد ضعيف عن عائشة.

وجؤنة العطار: بضم الجيم وهمزة بعدها، ويجوز تخفيفها واواً: سلسلة مستديرة مغشاة أدماً.

وقد ورد مما عزاه القاضي عياض للأخباريين ومن ألف في الشمائل الكريمة أنه ﷺ كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض وابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك رائحة طيبة. قال غيره: ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط.

وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي ـ كما هو في بعض نسخ الشفاء، وقالوا إنه ليس من الرواية ولا من حواشي أصل ابن جبير بل من حواشي غيره ـ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: إنك تأتي الخلا فلا نرى منك شيئاً من الأذى فقال يا عائشة أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء انتهى[1].

وفي الشفاء[2] لابن سبع عن بعض الصحابة قال: صحبته ﷺ في سفر فلما أراد قضاء الحاجة تأملته وقد دخل مكاناً فقضى حاجته، فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم ير له أثر غائط ولا بول، ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار فأخذتهن فوجدت لهن رائحة طيبة وعطراً.

قلت: وقد سئل الحافظ عبد الغني المقدسي: هل روي أنه ﷺ كان ما يخرج منه تبتلعه الأرض؟ فقال: قد روي ذلك من وجه غريب، والظاهر يؤيده، فإنه لم يذكر عن أحد من الصحابة أنه رآه

---

(١) في سنده محمد بن زاذان المدني، متروك.

(٢) كتاب «شفاء الصدور» لابن سبع.

ولا ذكره، وأما البول فقد شاهده غير واحد. وشربته أم أيمن[1] والله أعلم انتهى.

لكن قال البيهقي: وأما الحديث الذي أخبرنا به أبو الحسين بن بشر أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفار حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ حدثنا حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل الغائط دخلت في أثره فلا أرى شيئاً إلا أني كنت أشم رائحة الطيب، فذكرت ذلك له فقال: يا عائشة أما علمت أن أجسادنا تنبت على أرواح أهل الجنة وما خرج منها ابتلعته الأرض.

فهذا من موضوعات الحسين بن علوان، لا ينبغي ذكره [إلا لبيان أنه موضوع][2] ففي الأحاديث الصحيحة المشهورة في معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان انتهى.

لكن للحديث طرق غير طريق ابن علوان: فعند الدارقطني في الأفراد: حدثنا محمد بن سليمان الباهلي حدثنا محمد بن حسان الأموي، أنبأنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: يا رسول الله، إني أراك تدخل الخلاء ثم يأتي الذي بعدك فلا يرى لما يخرج منك أثراً، فقال يا عائشة أما علمت أن الله أمر الأرض أن تبتلع ما يخرج من الأنبياء، ومحمد بن حسان بغدادي ثقة، وعبدة[3] من رجال الصحيح. وله طريق أخرى عند ابن سعد، وأخرى عند الحاكم في مستدركه.

---

(١) حدث ذلك خطأ وتأتي قصته قريباً [المحقق].

(٢) زيادة في ش.

(٣) سقطت من ط.

وروي[1] أنه كان يتبرك ببوله ودمه ﷺ.

فروى ابن حبان في «الضعفاء» عن ابن عباس قال: حجم النبي ﷺ غلام لبعض قريش، فلما فرغ من حجامته أخذ الدم فذهب به من وراء/ الحائط، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً، فحسا دمه حتى فرغ ثم أقبل فنظر في وجهه فقال: ويحك ما صنعت بالدم؟ قلت غيبته من وراء الحائط، قال أين غيبته؟ قلت: يا رسول الله نفست على دمك أن أهريقه في الأرض فهو في بطني فقال: اذهب فقد أحرزت نفسك من النار.

١/١٤٨

وفي سنن سعيد[2] بن منصور من طريق عمرو بن السائب أنه بلغه أن مالكاً والد أبي سعيد الخدري لما جرح النبي ﷺ مص جرحه حتى أنقاه ولاح أبيض فقيل: مجه، فقال: لا والله لا أمجه أبداً، ثم ازدرده فقال النبي ﷺ: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا فاستشهد.

وأخرج البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم في الحلية، من حديث عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: احتجم رسول الله ﷺ فأعطاني الدم فقال: اذهب فغيبه فذهبت فشربته فأتيته ﷺ فقال: ما صنعت؟ قلت: غيبته، قال: لعلك شربته. قلت: شربته، وفي رواية قلت: جعلته في أخفى مكان ظننت أنه خاف عن الناس، قال لعلك شربته؟ قلت: شربته، فقال: ويل لك من الناس وويل للناس منك. وفي رواية فقال رسول الله ﷺ فما حملك على ذلك قال: علمت

---

(١) أتى بصيغة التمريض نظراً إلى أن في كل فرد منها مقالاً.

(٢) في ش: أبي سعيد.

أن دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك، فقال: ويل لك من الناس.

وعند الدارقطني من حديث أسماء بنت أبي بكر نحوه، وفيه: ولا تمسك النار، وفي كتاب الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون: أنه لما شرب ـ أي عبدالله بن الزبير ـ دمه تضوع فمه مسكاً، وبقيت رائحته موجودة في فمه إلى أن صلب رضي الله عنه.

وأخرج الحسن بن سفيان في مسنده والحاكم والدارقطني والطبراني وأبو نعيم من حديث أبي مالك النخعي عن الأسود بن قيس عن نبيح عن أم أيمن قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها، فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي ﷺ قال: يا أم أيمن قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة، فقلت: قد والله شربت ما فيها قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: أما والله لا يبجعن[1] بطنك أبداً.

وعن ابن جريج قال: أخبرت أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فإذا القدح ليس فيه شيء فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة أين البول الذي في القدح قالت: شربته قال: صحة يا أم يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه. ورواه أبو داود عن ابن جريج عن حكيمة عن أمها أميمة بنت رقيقة.

---

(١) بالباء الموحدة وبالجيم كذا قال السيوطي لكنه لا يناسب قول القاموس: بجعه بالجيم قطعه بالسيف لأن ما هنا من الوجع وصرح المجد بأنه يقال: يوجع وييجع. أي لا يصيب بطنك وجع.

وصحح ابن دحية أنهما قصتان وقعتا لامـرأتين وقـد وضح أن بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن، وهو الذي ذهب إليه شيخ الإسلام البلقيني.

وفي هذه الأحاديث دلالـة على طهارة بولـه ودمه ﷺ. قـال النـووي في شرح المهذب: واستـدل من قال بـطهارتهـما بالحـديثـين المعروفين: أن أبا طيبة الحجام حجمه ﷺ وشرب دمه ولم ينكر عليه، وأن امـرأة شربت بولـه ﷺ فلم ينكـر عليهـا. وحـديث أبي طيبـة ضعيف، وحديث شرب البول صحيـح رواه الدارقـطني وقال: هـو حديث حسن صحيح[1]، وذلك كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياساً، ثم إن القاضي حسيناً قـال: الأصح القـطع بطهـارة الجميع انتهى.

وبهذا قال أبو حنيفة، كما قاله العيني.

وأبـو طيبـة؛ بفتـح الـطاء المهملة وسكـون اليـاء المثنـاة تحت وبالموحدة، نافع الحجام مولى محيصة ـ بضم الميم وفتح المهملة وتشديد المثناة تحت وكسرها ـ هو أبو مسعود الأنصاري.

وقال شيخ الإسلام ابن حجر قد تكاثـرت الأدلة عـلى طهارة فضلاته ﷺ وعدَّ الأئمة ذلك/ في خصائصه. انتهى. ١٤٠/ب

قال بعضهم: وكأن السر في ذلك ما روي من صنيع الملكين حين غسلا جوفه والله أعلم.

---

(١) قال الدارقطني في علله: إنه مضطرب جاء عن أبي مالك النخعي وهـو ضعيف.

[سيرته ﷺ في قضاء حاجته]

وأما سيرته ﷺ في البراز، ففي حديث عائشة عند أبي عوانة في صحيحه والحاكم: ما بال رسول الله ﷺ قائماً منذ أنزل عليه القرآن.

وفي حديث عبد الرحمن بن حسنة عند النسائي وابن ماجه: أنه ﷺ بال جالساً، فقالوا: انظروا إليه يبول كما تبول المرأة.

وحكى ابن ماجه عن بعض مشايخه أنه قال: كان من شأن العرب البول قائماً، ويؤيده ما في حديث عبد الرحمن هذا. وفيه دلالة على أنه كان يخالفهم في ذلك فيقعد لكونه أستر وأبعد عن مماسة البول.

وقال حذيفة: أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم فبال قائماً ثم دعا بماء فجئته بماء فتوضأ. رواه البخاري. وفي رواية غيره: بال قائماً ففجع رجليه، أي: فرقهما وباعد ما بينهما.

والسباطة: ـ بضم المهملة وبعدها موحدة ـ هي المزبلة والكناسة تكون بفناء الدور مرفقا لأهلها، وتكون في الغالب سهلة لا يرتد فيها البول على البائل، وإضافتها إلى القوم إضافة اختصاص لا ملك لأنها لا تخلو عن النجاسة. وبهذا يندفع إيراد من استشكله لكون البول يوهي الجدار ففيه إضرار، أو نقول: إنما بال فوق السباطة لا في أصل الجدار، وهو صريح في رواية أبي عوانة في صحيحه. وقيل: يحتمل أن يكون علم إذنهم في ذلك بالتصريح أو غيره أو لكونه مما يتسامح الناس به، أو لعلمه بإيثارهم إياه بذلك، أو لكونه يجوز له التصرف في مال أمته دون غيره لأنه أولى بالمؤمنين عن أنفسهم وأموالهم، وهذا

وإن كان صحيح المعنى لكن لم يعهد ذلك من سيرته ومكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم[1].

قال الحافظ ابن حجر: وأما مخالفته ﷺ لما عرف من عادته من الإبعاد عند قضاء الحاجة عن الطرق المسلوكة وعن أعين النظار، فقد قيل فيه إنه ﷺ كان مشغولاً بمصالح المسلمين، ولعله طال عليه المجلس حتى احتاج إلى البول فلو أبعد لتضرر، واستدنى حذيفة ليستره من خلفه عن رؤية من لعله يراه، أو لعله فعله لبيان الجواز. ثم هو في البول أخف من الغائط لاحتياجه إلى زيادة تكشف، والغرض من الإبعاد التستر وهو يحصل بإرخاء الذيل والدنو من الساتر.

وروى الطبراني من حديث عصمة بن مالك قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في بعض سكك المدينة فانتهى إلى سباطة قوم فقال: يا حذيفة استرني فذكر الحديث. وظهر منه الحكمة في إدنائه حذيفة في تلك الحالة[2].

وقيل: إنما بال قائماً لأنها [حالة][3] يؤمن معها خروج الريح بصوت، ففعل ذلك لكونه قريباً من الديار، ويؤيده ما رواه عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه قال: البول قائماً أحصن للدبر.

وقيل السبب في ذلك ما روي عن الشافعي وأحمد: أن العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بذلك فلعله كان به. وروى الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة قال: إنما بال ﷺ قائماً لجرح كان بمأبضه.

---

(١) نقلاً عن فتح ا لباري ١/٣٢٨.

(٢) عن فتح الباري ١/٣٢٩.

(٣) في (ش، د) وهي كذلك في فتح الباري.

والمأبض: بهمزة ساكنة بعدها موحدة ثم معجمة: باطن الركبة.

فكأنه لم يتمكن لأجله من القعود، ولو صح هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ما تقدم ولكن ضعفه الدارقطني والبيهقي.

والأظهر: أنه فعل ذلك لبيان الجواز، وكان أكثر أحواله البول من قعود[1].

وقيل إن البول عن قيام منسوخ واستدل عليه بحديث عائشة المتقدم. والصواب: أنه غير منسوخ، والجواب/ عن حديث عائشة أنه مستند إلى علمها فيحمل على ما وقع منه في البيوت، وأما غير البيوت فلم تطلع عليه، وقد حفظه حذيفة، وهو من كبار الصحابة، وهو جائز من غير كراهة إذا أمن الرشاش[2]. ١/١٤٩

وكان ﷺ إذا أراد أن يدخل الخلاء قال: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث. رواه البخاري من حديث أنس.

والخبث: ـ بضم المعجمة والموحدة ـ ومراده: ذكران الشياطين وإناثهم.

وقد كان ﷺ يستعيذ إظهاراً للعبودية، ويجهر بذلك للتعليم. وهل يختص هذا الذكر بالأبنية المعدة لذلك لكونه حضرة الشياطين، أو يعم؟ الأصح الثاني.

ويقول ذلك قبيل الدخول في الأمكنة، وأما في غيرها فيقول في أول الشروع كتشمير ثيابه مثلاً، وهذا مذهب الجمهور، فلو نسي يستعيذ بقلبه لا بلسانه.

(١) عن فتح الباري ١/٣٣٠.

(٢) عن فتح الباري باختصار ١/٣٣٠.

وعن أنس: كان ﷺ إذا أراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض. رواه الترمذي وأبو داود والدارمي.

وعن عائشة قالت: كان ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: غفرانك، رواه الترمذي وابن ماجه.

وعن أنس: كان ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني. رواه ابن ماجه(١).

وقال ﷺ: إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره، شرقوا أو غربوا، رواه البخاري من حديث أبي أيوب الأنصاري.

وهذا في الصحراء، أما في البنيان فلا، لما روي عن ابن عمر: ارتقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتي، فرأيت رسول الله ﷺ يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام. رواه الشيخان.

وأما حديث جابر: عند أبي داود وابن خزيمة، ولفظه عند أحمد: كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نستدبر القبلة أو نستقبلها بفروجنا إذا أهرقنا الماء. قال: ثم رأيته قبل موته بعام مستقبل القبلة. فقال في فتح الباري:

الحق أنه ليس بناسخ لحديث النهي خلافاً لمن زعمه، بل هو محمول على أنه رآه في بناء أو نحوه، لأن ذلك هو المعهود من حاله ﷺ لمبالغته في التستر. ودعوى خصوصية ذلك بالنبي ﷺ لا دليل عليها، إذ الخصائص لا تثبت بالاحتمال.

(١) قوله: رواه ابن ماجه، سقط من ش.

ومذهب الجمهور وهو مذهب مالك والشافعي وإسحاق: التفريق بين البنيان والصحراء، وهذا أعدل الأقوال لإعماله جميع الأدلة.

وقال قوم بالتحريم مطلقاً، وهو المشهور عن أبي حنيفة وأحمد، ورجحه من المالكية ابن العربي وحجتهم: أن النهي مقدم على الإباحة، ولم يصححوا حديث جابر المتقدم.

وقال قوم بالجواز مطلقاً، وهو قول عائشة وعروة وربيعة، محتجين بأن الأحاديث تعارضت فلنرجع إلى أصل الإباحة[1].

وفي البخاري عن أنس كان ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام، معنا إداوة من ماء، يعني ليستنجي به. وفي رواية مسلم عنه: فخرج علينا وقد استنجى بالماء.

وعن أبي هريرة قال: اتبعت النبي ﷺ وخرج لحاجته فقال ابغني أحجاراً أستنفض[2] بها ولا تأتني بعظم ولا روث، فأتيته بأحجار بطرف ثيابي فوضعتها إلى جنبه فلما قضى حاجته أتبعه بهن[3].

وعن عبدالله بن مسعود قال: أتى النبي ﷺ الغائط فأمرني أن آتيه بثلاثة أحجار، فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم أجده فأخذت روثة فأتيته بها، فأخذ الحجرين وألقى الروثة. رواه البخاري.

وفي حديث سلمان/ عند مسلم مرفوعاً: لا يستنج أحدكم بأقل ١٤٩/ب من ثلاثة أحجار.

---

(١) عن فتح الباري ١/٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٢) من النفض، وهو أن يهز الشيء ليطير غباره.

(٣) رواه البخاري.

وقد أخذ الشافعي وأحمد وأصحاب الحديث بهذا، فاشترطوا أن لا ينقص عن الثلاثة مع مراعاة الإنقاء إذا لم يحصل بها فتزاد حتى ينقى. ويستحب حينئذٍ الإيتار، لقوله ﷺ من استجمر فليوتر. وليس بواجب لزيادة في أبي داود حسنة الإسناد، قال: ومن لا، فلا حرج، قال الخطابي: لو كان القصد الإنقاء فقط لخلا اشتراط العدد عن الفائدة، فلما اشترط العدد لفظاً وعلم الإنقاء فيه معنى دل على إيجاب الأمرين. ونظيره: العدة بالأقراء، فإن العدد مشترط ولو تحققت براءة الرحم بقرء واحد. وقال الطحاوي: لو كان العدد مشترطاً لطلب عليه السلام حجراً ثالثاً. وغفل ـ رحمه الله ـ عما أخرجه أحمد في مسنده من طريق معمر عن ابن مسعود في هذا الحديث، فإن فيه: فألقى الروثة وقال: إنها ركس، ائتني بحجر، ورجاله ثقات أثبات. واستدلال الطحاوي فيه نظر، لاحتمال أن يكون اكتفى بطرف أحدهما عن الثالث، لأن المقصود بالثلاثة: أن يمسح بها ثلاث مسحات، وذلك حاصل ولو بواحد. انتهى ملخصاً من فتح الباري[1].

(١) عن فتح الباري ابتداء من قوله: وفي حديث سلمان ١/ ٢٥٧ [المحقق].

الفصل الثاني

فيما أكرمه الله تعالى به من الأخلاق الزكية وشرفه به من الأوصاف المرضية

[الخلق في اللغة]

اعلم أن الأخلاق جمع خلق. بضم الخاء واللام ويجوز إسكانها.

قال الراغب: الخلق ـ بالفتح وبالضم ـ في الأصل بمعنى واحد، كالشَرب والشُرب لكن خص الخلق الذي بالفتح بالهيئات والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة. انتهى.

[الأخلاق غريزة أم اكتساب]

وقد اختلف: هل حسن الخلق غريزة أو مكتسب؟

وتمسك من قال بأنه غريزة بحديث ابن مسعود: إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم. الحديث رواه البخاري[1].

وقد قال القرطبي: الخلق جبلة في نوع الإنسان. وهم في ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها كان محموداً وإلا فهو المأمور

(١) في الأدب المفرد وليس في الصحيح كما يوهمه إطلاق المصنف.

بالمجاهدة فيه حتى يصير محموداً، وكذا إن كان ضعيفاً فيرتاض حتى يقوى.

وقد وقع في حديث الأشج أنه ﷺ قال له: إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة، قال: يا رسول الله قديماً كانا أو حديثاً؟ قال: قديماً، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله. رواه أحمد والنسائي وصححه ابن حبان(١).

فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب. وقد كان ﷺ يقول: اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي. أخرجه أحمد وصححه ابن حبان، وعند مسلم في حديث دعاء الافتتاح: واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت.

[الخلق العظيم]

ولما اجتمع فيه ﷺ من خصال الكمال ما لا يحيط به حد، ولا يحصره عد، أثنى الله تعالى عليه في كتابه الكريم فقال: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾(٢)، وكلمة «على» للاستعلاء فدل اللفظ على أنه مستعل على هذه الأخلاق ومستول عليها.

والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة، وقد وصف الله تعالى نبيه ﷺ بما يرجع إلى قوته العلمية بأنه عظيم فقال تعالى: ﴿**وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً**﴾(٣) ووصف ما يرجع إلى قوته العملية بأنه عظيم، فقال تعالى:

---

(١) وكذا رواه مسلم.

(٢) سورة القلم، الآية ٤.

(٣) سورة النساء، الآية ١١٣.

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾. فدل مجموع هاتين الآيتين على أن روحه فيها بين الأرواح البشرية عظيمة عالية/ الدرجة، كأنها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس أرواح الملائكة. 1/150

قال الحليمي: وإنما وصف خلقه بالعظم، مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم لأن كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة، ولم يكن خلقه ﷺ مقصوراً على ذلك، بل كان رحيماً بالمؤمنين، رفيقاً بهم، شديداً على الكفار، غليظاً عليهم، مهيباً في صدور الأعداء، منصوراً بالرعب منهم على مسيرة شهر، فكان وصف خلقه بالعظيم أولى ليشمل الإنعام والانتقام.

وقال الجنيد[1]: وإنما كان خلقه ﷺ عظيماً لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى.

وقيل: لأنه ﷺ عاشر الخلق بخلقه، وباينهم بقلبه.

وقيل: لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، قال ﷺ - فيما رواه الطبراني في الأوسط بسند فيه عمر بن إبراهيم المقدسي وهو ضعيف - عن جابر: إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال، وفي رواية مالك في الموطأ بلاغاً: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

فجميع الأخلاق الحميدة كلها كانت فيه ﷺ، فإنه أدب بالقرآن، كما قالت عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن)[2].

---

(١) أبو القاسم بن محمد النهاوندي الأصل، البغدادي المنشأ. تفقه على أبي ثور وكان يفتي بحضرته رزق القبول وصواب القول، وكان الناس يحضرون مجلسه، الكتبة تحضر لألفاظه، والفقهاء لتقريره، والفلاسفة لدقة نظره والمتكلمون لتحقيقه والصوفية لإشاراته. مات ببغداد سنة تسع أو ثمان وتسعين ومائتين.

(٢) رواه مسلم وغيره.

قال بعض العارفين: وقد علم أن القرآن فيه المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به، أي أقررناه في نصابه، وأقررنا به من خلف حجابه، وتقلدنا سيف الحجة به ولكن في قرابه.

وما كونه مما تحصل مقلة ولا حده مما تحس الأنامل

وقال صاحب عوارف المعارف[1]: ولا يبعد أن قول عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن) فيه رمز غامض، وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت الحضرة الإلهية أن تقول: كان متخلقاً بأخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها: (كان خلقه القرآن) استحياء من سبحات الجلال وستراً للحال بلطف المقال، وهذا من وقور عقلها وكمال أدبها. انتهى.

فكما أن معاني القرآن لا تتناهى فكذلك أوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى إذ في كل حالة من أحواله يتجدد له من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمه إلا الله تعالى. فإذاً التعرض لحصر جزئيات أخلاقه الحميدة تعرض لما ليس من مقدور الإنسان، ولا من ممكنات عاداته.

قال الحرالي - وهو كما في القاموس: بتشديد اللام، نسبة إلى قبيلة بالبربر، واسمه: علي بن أحمد بن الحسين، ذو التصانيف المشهورة -: ولما كان عرفان قلبه ﷺ بربه عز وجل كما قال عليه السلام: بربي عرفت كل شيء، كانت أخلاقه أعظم خلق، فلذلك

(١) هو العلامة السهروردي.

بعثه إلى الناس كلهم، ولم يقصر رسالته على الإنس حتى عمت الجن، ولم يقصرها على الثقلين حتى عمت جميع العالمين. فكل من كان الله ربه فمحمد رسوله، وكما أن الربوبية تعم العالمين فـالخلق المحمدي يشمل جميع العالمين. انتهى.

وهذا مصير منه إلى أنه ﷺ قد أرسل إلى الملائكة أيضاً، وسيأتي الكلام في ذلك مستوفى إن شاء الله تعالى وهو المستعان.

وقد كان ﷺ مجبولاً على الأخلاق الكريمة في أصل خلقته الزكية النقية، لم يحصل له ذلك برياضة نفس، بل بجود إلهي، ولهذا لم تزل تشرق أنـوار المعارف في قلبـه حتى وصل إلى الغـاية العليـا والمقـام الأسنى.

[العقل أصل الفضائل]

وأصل هذه الخصال الحميدة، والمواهب المجيدة، كمال العقل، لأن به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل، فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة، والبُصيرة للروح بمثابة القلب، والعقل بمثابة اللسان. قال/ ١٥٠/ب بعضهم؛ لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهـر العقل الصبر.

وأما ما روي: أن الله لما خلق العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعـزتي وجلالي مـا خلقت خلقاً أشرف منك، فبك آخذ وبك أعطي. فقال ابن تيمية وتبعه غيره: إنه كذب موضوع باتفاق. انتهى.

وفي زوائد عبدالله بن الإمام أحمد على «الزهد» لأبيه عن علي بن

مسلم عن سيار بن حاتم ـ وهو ممن ضعفه غير واحد وكـان جماعـاً للرقائق، وقال القواريري: إنه لم يكن له عقل ـ قال: حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، حدثنا مالك بن دينار عن الحسن البصري، مرسلاً: لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال لـه: أدبر فـأدبر، فقال: ما خلقت خلقاً أحب إلي منك، بك آخذ وبك أعطي.

وأخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل له، وابن المحبر كذاب.

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: والوارد في أول ما خلق الله، حديث أول ما خلق الله القلم، وهو أثبت من حديث العقل.

ولأبي الشيخ عن قرة بن إياس المزني رفعه: الناس يعملون الخير وإنما يعطون أجورهم على قدر عقولهم.

وقد اختلف في ماهية العقل اختلافاً طويلاً يطول استقصاؤه. وفي القـاموس ومن خط مؤلفـه نقلت: العقـل العلم، أو بصفـات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها، أو العلم بخـير الخيرين وشر الشرين، أو يـطلق لأمور لقـوة بها يكـون التمييز بـين القبيـح والحسن، ولمعـان مجتمعـة في الـذهن تكـون بمقـدمـات يُستثبت بهـا الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلماته، والحق أنه روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية، وابتداء وجوده عنـد اجتنان الـولد، ثم لا يـزال ينمو إلى أن يكمـل عند البلوغ. انتهى.

[كمال عقله ﷺ]

وقد كان ﷺ من كمال العقل في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه، ولهذا كانت معارفه عظيمة وخصائصـه جسيمة، حـارت

العقول في بعض فيض ما أفاضه من غيبه لديه، وكلّت الأفكار في معرفة بعض ما أطلعه الله عليه، وكيف لا يعطى ذلك وقد امتلأ قلبه وباطنه وفاض على جسده المكرم ما وهبه من أسرار إلهيته ومعرفة ربوبيته وتحقق عبوديته.

قال وهب بن منبه: قرأت في أحد وسبعين كتاباً، فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل[1] بين رمل من جميع رمال الدنيا، وإن محمداً ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً. رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر.

وعن بعضهم مما هو في عوارف المعارف: اللب والعقل مائة جزء، تسعة وتسعون في النبي ﷺ وجزء في سائر المؤمنين، ومن تأمل حسن تدبيره للعرب الذين هم كالوحش الشارد، والطبع المتنافر والمتباعد، وكيف ساسهم واحتمل جفاءهم وصبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه، واجتمعوا عليه، وقاتلوا دونه أهليهم وآباءهم وأبناءهم، واختاروه على أنفسهم، وهجروا في رضاه أوطانهم وأحباءهم، من غير ممارسة سبقت له، ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين، تحقق أنه أعقل العالمين، ولما كان عقله ﷺ أوسع العقول لا جرم اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعاً لا يضيق عن شيء.

[الحلم والعفو والصبر]

فمن ذلك: اتساع خلقه العظيم في الحلم والعفو مع القدرة وصبره ﷺ على ما يكره، وحسبك صبره وعفوه عليه السلام عن

---

(١) في (ط، ب، د): رملة.

١/١٥١ الكافرين به المقاتلين المحاربين له في أشد ما نالوه/ به من الجراح بحيث كسرت رباعيته، وشج وجهه يوم أحد، حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف، حتى شق ذلك على أصحابه شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم، فقال: إني لم أبعث لعاناً، ولكني بعثت داعياً ورحمة، اللهم اغفر لقومي، أو اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

قال ابن حبان: أي اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي لا أنه أراد الدعاء لهم بالمغفرة مطلقاً، إذ لو كان كذلك لأجيب، ولو أجيب لأسلموا كلهم. كذا قال رحمه الله.

وقد روي عن عمر أنه قال في بعض كلامه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿**رب لا تذر على الأرض من الكافرين**﴾ الآية[١] ولو دعوت علينا مثلها[٢] لهلكنا من عند آخرنا، فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيراً فقلت: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[٣].

وها هنا دقيقة؛ وهي أنه ﷺ لما شج وجهه عفا وقال: اللهم اهد قومي، وحين شغلوه عن الصلاة يوم الخندق قال: اللهم املأ بطونهم ناراً[٤] فتحمل الشجة الحاصلة في وجه جسده الشريف، وما تحمل الشجة الحاصلة في وجه دينه، فإن وجه الدين هو الصلاة، فرجح حق خالقه على حقه.

---

(١) سورة نوح، الآية ٢٦.
(٢) في ط: مثله.
(٣) مما ساقه في الشفاء. وقال السيوطي: لا نعرف عن عمر في شيء من كتب الحديث.
(٤) لفظ الصحيحين: ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس.

واعلم أن الصبر على الأذى جهاد النفس، وقد جبل الله تعالى النفس على التألم بما يفعل بها، ولهذا شق عليه ﷺ نسبتهم له إلى الجور في القسمة، لكنه عليه السلام حلم على القائل وصبر، لما علم من جزيل ثواب الصابر وأن الله يأجره بغير حساب.

وصبره ﷺ على الأذى إنما هو فيما كان من حق نفسه، وأما إذا كان لله فإنه يمتثل فيه أمر الله تعالى من الشدة كما قال له تعالى: ﴿**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**﴾[1] وقد وقع له ﷺ أنه غضب لأسباب مختلفة مرجعها إلى أن ذلك كان في أمر الله، وأظهر الغضب فيها ليكون أوكد في الزجر. فصبره وعفوه إنما كان فيما يتعلق بنفسه الشريفة ﷺ.

وقد روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن زيد بن سعنه ـ بالمهملة والنون المفتوحتين، كما قيده به عبد الغني وذكره الدارقطني: وبالمثناة التحتية، ثبت في الشفاء وصحح عليه مؤلفه بخطه، وهو الذي ذكره ابن إسحاق، وهو كما قاله النووي: أجل أحبار اليهود الذين أسلموا ـ أنه قال:

لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً. فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، فابتعت منه تمراً إلى أجل فأعطيته الثمن، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي، فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مطل، فقال عمر: أي عدو الله، أتقول لرسول الله

(١) سورة التوبة، الآية ٧٣.

ﷺ ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال: أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، إذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما رعته، ففعل، فقلت يا عمر، كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل [عليه](1) إلا حلماً، فقد اختبرتهما، فأشهدك أني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً.

وعن أبي هريرة قال حدثنا رسول الله ﷺ يوماً ثم قام، فقمنا حين قام فنظرنا إلى أعرابي قد أدركه فجبذه بردائه/ فحمر رقبته، وكان رداء خشناً، فالتفت إليه فقال له الأعرابي: احملني على بعيري هذين، فإنك لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك، فقال له ﷺ: لا، وأستغفر الله، لا وأستغفر الله، لا وأستغفر الله، لا أحملك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني، فكل ذلك يقول له الأعرابي: والله لا أقيدكها، فذكر الحديث، قال: ثم دعا رجلاً فقال له: احمل له على بعيريه هذين على بعير تمراً وعلى الآخر شعيراً. رواه أبو داود.

١٥١/ب

ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتقه وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

---

(١) زيادة في ش.

وفي هذا بيان حلمه ﷺ وصبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الإسلام.

وعن عائشة لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح. رواه الترمذي، أي لم يكن له الفحش خلقاً ولا مكتسباً.

وروى البخاري من حديث ابن عمر: ولم يكن ﷺ فاحشاً ولا متفاحشاً، وفي روايته أيضاً من حديث أنس بن مالك: لم يكن النبي ﷺ سباباً ولا فاحشاً ولا لعاناً.

والفحش: كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح، ويدخل في القول والفعل والصفة، لكن استعماله في القول أكثر. والمتفحش: بالتشديد، الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه.

وعن عائشة أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه قال: بئس أخو العشيرة، أو بئس ابن العشيرة، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال ﷺ: يا عائشة، متى عهدتيني فاحشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره، رواه البخاري.

قال ابن بطال: هذا الرجل هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكان يقال له الأحمق المطاع. وكذا فسره به القاضي عياض والقرطبي والنووي.

وأخرج عبد الغني من طريق أبي عامر الخزاعي[1]، عن عائشة قالت: جاء مخرمة بن نوفل يستأذن، فلما سمع النبي ﷺ صوته قال: بئس أخو العشيرة. الحديث.

والمراد بالعشيرة: الجماعة أو القبيلة، وإنما تطلق ﷺ في وجهه تألقاً له ليسلم قومه، لأنه كان رئيسهم.

وقد جمع هذا الحديث كما قال الخطابي علماً وأدباً، وليس قوله ﷺ في أمته بالأمور التي يسمهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض، بل الواجب عليه ﷺ أن يبن ذلك ويفصح به، ويعرف الناس أمرهم فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة. ولكنه لما جبل عليه من الكرم وأعطيه من حسن الخلق أظهر له البشاشة ولم يجبهه[2] بالمكروه، لتقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته.

وقال القرطبي: فيه جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله.

١/١٥٢ ثم قال تبعاً للقاضي حسين: والفرق بين المداراة والمداهنة، / أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معاً وهي مباحة وربما استحسنت، والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته، ومع ذلك فلم يمدحه بقول،

---

(١) قال الشارح: كذا في النسخ وصوابه: الخزاز قال في التقريب: صالح بن رستم المزني مولاهم أبو عامر الخزاز.

(٢) كذا في (ش، ب) وفي النسخ: يجبه.

فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق، وفعله معه حسن عشرة، فيزول مع هذا التقدير[1] الإشكال ولله الحمد.

وقال القاضي عياض: لم يكن عيينة ـ والله أعلم ـ حينئذٍ أسلم، فلم يكن القول فيه غيبة، أو كان أسلم ولم يكن إسلامه ناصحاً، فأراد النبي ﷺ أن يبين ذلك لئلا يغتر به من لم يعرف باطنه، وقد كانت منه في حياة النبي ﷺ وبعده أمور تدل على ضعف إيمانه، فيكون ما وصفه به ﷺ من علامات النبوة، وأما إلانة القول بعد أن دخل فعلى سبيل الائتلاف. وفي فتح الباري: أن عيينة ارتد في زمن الصديق وحارب ثم رجع وأسلم وحضر بعض الفتوح في عهد عمر. انتهى.

[ما انتقم لنفسه ﷺ]

وما انتقم ﷺ لنفسه. رواه البخاري.

فإن قلت: قد صح أنه ﷺ أمر بقتل عقبة بن أبي معيط وعبدالله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه ﷺ وهذا ينافي قوله: وما انتقم لنفسه.

فالجواب: أنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله.

وقيل: أراد أنه لا ينتقم إذا أوذي في غير السبب الذي يخرج إلى الكفر، كما عفا عن الأعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه، وعن الآخر الذي جبذ بردائه حتى أثر في كتفه.

وحمل الداودي عدم الانتقام على ما يختص بالمال، وأما العرض فقد اقتص ممن نال منه.

---

(١) في ش: التقرير.

وقد أخرج الحاكم هذا الحديث من طريق معمر عن الزهري مطولاً، وأوله: ما لعن رسول الله ﷺ مسلماً بذكر ـ أي بصريح اسمه ـ وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يضرب في سبيل الله، ولا سئل شيئاً قط فمنعه إلا أن يسأل مأثماً، ولا انتقم لنفسه من شيء إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم. الحديث.

[من حلمه ﷺ]

ومما روي من اتساع خلقه وحلمه ﷺ، اتساع خلقه للطائفة المنافقين، الذين كانوا يؤذونه إذا غاب ويتملقون له إذا حضر، وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى تؤيدها العناية الربانية.

وكان ﷺ كلما أذن له في التشديد عليهم فتح لهم ﷺ باباً من الرحمة، فكان يستغفر لهم ويدعو لهم، حتى أنزل الله عليه **﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾**[1] فقال ﷺ: خيرني ربي فاخترت أن أستغفر لهم، ولما قال تعالى: **﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾**[2] فقال ﷺ: لأزيدن على السبعين.

وأمر ولد الذي تولى كبر النفاق والأذى منهم ببر أبيه[3]، ولما مات كفنه في ثوبه خلعه عن بدنه وصلى عليه، هذا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يجذبه بثوبه ويقول: يا رسول الله أتصلى على رأس المنافقين؟ فنتر ثوبه من عمر وقال: إليك عني يا عمر. فخالف مؤمناً

---

(١) سورة التوبة، الآية (٨٠).

(٢) سورة التوبة، الآية (٨٠).

(٣) كبير المنافقين هو: عبدالله بن أبي بن سلول. وابنه عبدالله بن عبدالله بن أبي.

ولياً في حق منافق عدو، وكل ذلك رحمة منه لأمته، أشار إليه الحرالي[1].

وقال النووي: قيل إنما أعطاه قميصه وكفنه فيه تطييباً لقلب ابنه، فإنه كان صحابياً صالحاً. وقد سأل ذلك فأجابه إليه، وقيل مكافأة لعبدالله المنافق الميت، لأنه كان ألبس العباس حين أسر يوم بدر قميصاً.

وفي ذلك كله بيان عظيم مكارم أخلاق النبي ﷺ، فقد علم ما كان من هذا المنافق من الإيذاء، وقابله بالحسنى فألبسه قميصه/ كفناً ١٥٢/ب وصلى عليه واستغفر له، قال الله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2].

ومن ذلك أنه ﷺ لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره.

وعفا عن اليهودية التي سمته في الشاة على الصحيح[3] من الرواية. والله تعالى يرحم القائل:

وما الفضل إلا خاتم أنت فصه وعفوك نقش الفص فاختم به عذري

[شفقته ﷺ على المذنبين]

ومن ذلك إشفاقه ﷺ على أهل الكبائر من أمته، وأمره إياهم بالستر، فقال: من بلي بهذه القاذورات ـ يعني المحرمات ـ فليستتر[4].

---

(١) في ش: الحراني وقال: بالفتح والتشديد؛ نسبة إلى حران.
(٢) سورة القلم، الآية ٤.
(٣) قاله القاضي عياض: أي في حق نفسه. فلا ينافي أنه قتلها بعد ذلك لما مات بشر بن البراء قصاصاً.
(٤) أخرجه الحاكم والبيهقي.

وأمر أمته أن يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما حنقوا عليه فسبوه ولعنوه، فقال: قولوا اللهم اغفر له، اللهم ارحمه.

وقال لهم في رجل كان كثيراً ما يؤتى به سكران بعد تحريم الخمر، فلعنوه مرة فقال: لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله[1]. فأظهر لهم مكتوم قلبه لما رفضوه بظاهر فعله، وإنما ينظر الله إلى القلوب، طهر الله قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا.

ومن ذلك ما رواه الدارقطني من حديث عائشة عن النبي ﷺ أنه كان يصغي إلى الهرة الإناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها.

[تواضعه ﷺ وحسن عشرته]

ومن ذلك اتساع خلقه في شريف تواضعه وآدابه وحسن عشرته مع أهله وخدمه وأصحابه.

وقال بعضهم: اعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه، فعند ذلك تذوب النفس، وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب، فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها.

وكان الحظ الأوفر من التواضع لنبينا ﷺ في أوطان القرب، وحسبك من تواضعه ﷺ أن خيره ربه تعالى بين أن يكون نبياً ملكاً، أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً[2]، فأعطاه الله تعالى بتواضعه أن جعله أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع، وأول مشفع، فلم

---

(١) رواه البخاري.
(٢) في (أ، ط) فاختار الثاني.

يأكل متكئاً بعد ذلك حتى فارق الدنيا. وقد قال ﷺ : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدالله، فقولوا: عبدالله ورسوله، رواه الترمذي(١).

ومن تواضعه ﷺ أنه لا ينهر خادماً، روينا في كتاب الترمذي(٢) عن أنس قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط ولا قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟

وكذلك كان ﷺ مع عبيده وإمائه، ما ضرب منهم أحداً قط، وهذا أمر لا تتسع له الطباع البشرية لولا التأييدات الربانية.

وفي رواية مسلم: ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقالت عائشة: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله. رواه مسلم.

وسئلت عائشة: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ قالت: ألين الناس، بساماً ضحاكاً، لم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه(٣).

وعنها: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال لبيك(٤).

---

(١) ورواه البخاري من حديث عمر.

(٢) وهو في الصحيحين.

(٣) رواه ابن سعد وغيره.

(٤) قال السيوطي في تخريج أحاديث الشفاء: رواه أبو نعيم في الدلائل.

وعند أحمد وابن سعد وصححه ابن حبان عنها: كان ﷺ يخيط ثوبه ويخصف نعله، وفي رواية لأحمد: ويرقع دلوه، وعنده أيضاً: يفلي ثوبه، ويحلب شاته ويخدم نفسه.

وهذا يتعين حمله على أوقات فإنه ثبت أنه كان له خدم، فتارة يكون بنفسه وتارة بغيره، وتارة بالمشاركة.

وكان يركب الحمار، ويردف خلفه، وركب يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف رواه الترمذي.

١/١٥٣ وعن قيس بن سعد قال: زارنا/ رسول الله ﷺ فلما أراد الانصراف قرب له سعد حماراً وطأ عليه بقطيفة، وركب ﷺ ثم قال سعد: يا قيس، اصحب رسول الله ﷺ، قال قيس: فقال لي رسول الله ﷺ اركب، فأبيت، فقال: إما أن تركب وإما أن تنصرف. وفي رواية أخرى: اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها، رواه أبو داود وغيره.

وفي البخاري من حديث أنس بن مالك: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من خيبر، وإني لرديف أبي طلحة وهو يسير، وبعض نساء رسول الله ﷺ رديف رسول الله ﷺ، إذ عثرت الناقة، فقلت: المرأة، فقال رسول الله ﷺ إنها أمكم، فشددت الرحل، وركب رسول الله ﷺ، الحديث.

والمرأة: صفية، والردف والرديف: الراكب خلف الراكب بإذنه.

وقال معاذ بن جبل: بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل. وقد ركب ﷺ على حمار على إكاف عليه قطيفة فدكيه أردف أسامة وراءه.

ولما قدم ﷺ مكة استقبله أغيلمة بني عبد المطلب، فحمل واحداً بين يديه، وآخر خلفه[1]. وقال ابن عباس: أتى رسول الله ﷺ [مكة][2] وقد حمل قثم بين يديه والفضل خلفه، أو قثم خلفه والفضل بين يديه، رواه البخاري.

وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية له، أنه ﷺ ركب حماراً عرياً إلى قباء وأبو هريرة معه، قال: يا أبا هريرة أأحملك؟ فقال: ما شئت يا رسول الله، فقال: اركب، فوثب أبو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك رسول الله ﷺ فوقعا جميعاً. ثم ركب ﷺ ثم قال يا أبا هريرة أأحملك؟ فقال: ما شئت يا رسول الله، فقال: اركب، فلم يقدر فتعلق برسول الله ﷺ فوقعا جميعاً، ثم قال: يا أبا هريرة أأحملك؟ فقال: لا والذي بعثك بالحق لا رميتك ثالثاً.

وذكر المحب الطبري أيضاً: أنه ﷺ كان في سفر، وأمر أصحابه بإصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله علي ذبحها، وقال الآخر: يا رسول الله، علي سلخها، وقال آخر: يا رسول الله، علي طبخها، فقال رسول الله ﷺ: علي جمع الحطب، فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل، فقال: قد علمت أنكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه. انتهى.

ولم أر هذا لغير الطبري بعد التتبع[3]، نعم رأيت في جزء تمثال النعل الشريف لأبي اليمن بن عساكر بعد أن روى حديث عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: كنت مع النبي ﷺ في الطواف فانقطعت

---

(١) رواه البخاري.

(٢) في ش.

(٣) قد أنكره السخاوي فقال: لا أعرفه.

شسعه فقلت يا رسول الله ناولني أصلحه، فقال هذه أثرة ولا أحب الأثرة.

والأثرة: بفتح الهمزة والثاء، الاسم من آثر يؤثر إذا أعطى، والأثرة: الاستئثار وهو الإنفراد بالشيء. قال وكأنه كره ﷺ أن ينفرد أحد بإصلاح نعله، فيحوز فضيلة الخدم فيكون له بمثابة الخادم ويكون له ﷺ ترفع المخدوم على خادمه، كره ذلك ﷺ لتواضعه وعدم ترفعه على من يصحبه.

ويؤيده ما روي أنه ﷺ أراد أن يمتهن نفسه في شيء فقالوا: نحن نكفيك يا رسول الله،/ قال: قد علمت أنكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه. انتهى.

١٥٣/ب

ثم رأيت شيخنا في الأحاديث المشتهرة حكى ذلك والله الموفق.

وعن أبي قتادة: وفد وفد النجاشي، فقام النبي ﷺ يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، قال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وأنا أحب أن أكافئهم، ذكره في الشفاء[1].

وفي البخاري: عن أنس: كان الرجل يجعل للنبي ﷺ النخلات حتى افتتح قريظة والنضير، وإن أهلي أمروني أن آتي النبي ﷺ فأسأله الذي كانوا أعطوه أو بعضه، وكان ﷺ قد أعطاه أم أيمن، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي تقول: كلا والذي لا إله غيره لا نعطيكم وقد أعطانيها - أو كما قال - والنبي ﷺ يقول: لك كذا، وتقول كلا والله، حتى أعطاها - حسبت أنه قال - عشرة أمثاله. أو كما قال.

(١) وأخرجه ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل.

وإنما فعلت هذا أم أيمن لأنها ظنت أنها كانت هبه مؤبدة وتمليكاً لأصل الرقبة، وأراد النبي ﷺ استطابة قلبها في استرداد ذلك فلاطفها وما زال يزيدها في العوض حتى رضيت، وكل هـذا تبرع منـه ﷺ وإكرام لها، لما لها من حق الحضانة والتربية، ولا يخفى ما في هذا من فرط جوده وكثرة حلمه وبره ﷺ.

وجاءته ﷺ امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: إن لي إليـك حاجة، فقال: اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس إليك[1]، وفي رواية مسلم: حتى أقضي حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها.

ولا ريب أن هذا كله من كثرة تواضعه ﷺ.

وقال عبدالله بن أبي الحمسـاء ـ بالحـاء المهملة المفتوحـة والميم الساكنة والسين المهملة وفي آخره همزة ممدودة ـ: بايعت النبي ﷺ قبل أن يبعث، وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانـه، فنسيت فذكرت بعد ثلاث فإذا هو في مكانه فقال: لقد شققت علي، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك. رواه أبو داود.

وقال ابن أبي أوفى: كان عليه السلام لا يـأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكـين فيقضي لـه الحـاجـة. رواه النســائي. وفي روايـة البخاري: إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، وفي رواية أحمد: فتنطلق به في حاجتها، وعنده أيضـاً: إن كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت.

---

(١) الحديث في الصحيحين.

والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الانقياد.

وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع، لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الإماء، أي: أي أمة كانت، وبقوله: حيث شاءت، أي من الأمكنة، والتعبير باليد إشارة إلى غاية التصرف، حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحالة لساعدها على ذلك. وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ.

ودخل الحسن وهو يصلي قد سجد، فركب على ظهره، فأبطأ في سجوده حتى نزل الحسن، فلما فرغ قال له بعض أصحابه: يا رسول الله قد أطلت سجودك. قال: إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله[1]. أي جعلني كالراحلة فركب على ظهري.

وكان ﷺ يعود المرضى، ويشهد الجنازة. أخرجه الترمذي في الشمائل.

وحج ﷺ على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم. فقال: اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة[2].

١/١٥٤ وكان ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها/ الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه، فربما جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها. رواه مسلم والترمذي.

---

(١) رواه أحمد. المسند ٤٩٤/٣ [المحقق].

(٢) رواه ابن ماجه والترمذي في الشمائل والبيهقي. أقول: قال في فتح الباري: إسناده ضعيف ٣٨١/٣ [المحقق].

[عشرته أهله ﷺ]

وكان ﷺ حسن العشرة مع أزواجه، وكان ﷺ ينام مع أزواجه.

قال النووي: وهو ظاهر فعله الذي واظب عليه مع مواظبته ﷺ على قيام الليل، فينام مع إحداهن، فإذا أراد القيام لوظيفته قام وتركها، فيجمع بين وظيفته وأداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف. وقد علم من هذا أن اجتماع الزوج مع زوجته في فراش واحد أفضل، لا سيما إذا عرف من حالها حرصها على هذا، ولا يلزم من نومه معها الجماع والله أعلم.

وقد كان ﷺ يسرب إلى عائشة بنات الأنصار يلعبن معها. رواه الشيخان.

وإذا شربت من الإناء أخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب رواه مسلم.

وإذا تعرقت عرقاً ـ وهو العظم الذي عليه اللحم ـ أخذه فوضع فمه على موضع فمها. رواه مسلم أيضاً.

وكان يتكئ في حجرها، ويقبلها وهو صائم. رواه الشيخان.

وكان يريها الحبشة وهم يلعبون في المسجد وهي متكئة على منكبه رواه الشيخان. ورواه الترمذي بلفظ: قام ﷺ فإذا حبشة تزفن[1] والصبيان حولها، فقال: يا عائشة تعالي فانظري، فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله ﷺ فجعلت أنظر إليها ما بين

---

(١) أي: ترقص.

المنكب إلى رأسه، فقال لي: أما شبعت أما شبعت فجعلت أقول: لا، لا. وقال حسن صحيح غريب.

وروي أنه ﷺ سابقها فسبقته، ثم سابقها بعد ذلك فسبقها، قال: هذه بتلك. رواه أبو داود بلفظ: سابقته في سفر فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال: هذه بتلك السبقة.

وعن أنس بن مالك: أنهم كانوا يوماً عند رسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها، إذ أتي بصحفة خبز ولحم من بيت أم سلمة، فوضعت بين يدي النبي ﷺ فقال: ضعوا أيديكم، فوضع نبي الله [يده][1] ووضعنا أيدينا فأكلنا، وعائشة تصنع طعاماً عجلته قد رأت الصحفة التي أتي بها، فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها، فقال رسول الله ﷺ: كلوا بسم الله، غارت أمكم، ثم أعطى صحفتها أم سلمة فقال: طعام مكان طعام، وإناء مكان إناء. رواه الطبراني في الصغير.

وهو عند البخاري بلفظ: كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة وانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت.

وعند أحمد وأبي داود والنسائي، قالت عائشة: ما رأيت صانعة

---

(١) زيادة في ش.

طعاماً مثل صفية، أهدت إلى النبي ﷺ إناء من طعام، فما ملكت نفسي أن كسرته، فقلت يا رسول الله ما كفارته؟ قال: إناء كإناء وطعام كطعام. وعند غيرهم: فأخذت القصعة من بين يديه فضربت بها وكسرتها، فقام ﷺ يلتقط اللحم والطعام وهو يقول: غارت أمكم، فلم يثرب عليها.

فوسع خلقه الكريم آثار طفحات آثار غيرتها، ولم يتأثر، وقضى عليها بحكم الله في التقاص. وهكذا كانت أحواله ﷺ مع أزواجه، لا يأخذ عليهن ويعذرهن، وإن أقام عليهن قسطاس/ عدل أقامه بغير قلق ولا غضب، بل رؤوف رحيم، حريص عليهن وعلى غيرهن، عزيز عليه ما يعنتهم.

١٥٤/ب

قيل: وفي هذا الحديث إشارة إلى عدم مؤآخذة الغيرى فيما يصدر منها، لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة. وقد أخرج أبو يعلى بسند لا بأس به عن عائشة مرفوعاً، إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه. انتهى.

وعن عائشة رضي الله عنها: أتيت النبي ﷺ بخزيرة طبختها له، وقلت لسودة - والنبي ﷺ بيني وبينها -: كلي، فأبت، فقلت لها؛ كلي، فأبت، فقلت لها: لتأكلين أو لألطخن بها وجهك، فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك النبي ﷺ فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخي وجهها، فلطخت بها وجهي فضحك ﷺ الحديث رواه ابن غيلان من حديث الهاشمي وخرجه الملاء في سيرته.

والخزيرة: لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق.

وبالجملة؛ فمن تأمل سيرته ﷺ مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والأيتام والأرامل والأضياف والمساكين، علم أنه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق. وإن كان يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه، حتى قطع يد السارق، إلى غير ذلك.

[مباسطته ﷺ أصحابه]

وقد كان ﷺ يباسط أصحابه بما يولج حبه في القلوب، كان له رجل من البادية يسمى زهيراً[1]، وكان يهادي النبي ﷺ بموجود البادية بما يستطرف منها، وكان ﷺ يهاديه ويكافئه بموجود الحاضرة وبما يستطرف منها، وكان ﷺ يقول: زهير باديتنا، ونحن حاضرته، وكان ﷺ يحبه، فمشى ﷺ يوماً إلى السوق فوجده قائماً، فجاء من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره فأحس زهير أنه رسول الله ﷺ ، قال: فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء بركته.

وفي رواية الترمذي في الشمائل: فاحتضنه من خلفه ولا يبصره، فقال أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، فجعل رسول الله ﷺ يقول: من يشتري العبد، فقال له زهير: يا رسول الله، إذن تجدني كاسداً، فقال ﷺ : أنت عند الله غال، وفي رواية للترمذي أيضاً: لكن عند الله لست بكاسد، أو قال: أنت عند الله غال.

وأخرج أبو يعلى عن زيد بن أسلم أن رجلاً كان يهدي للنبي ﷺ العكة من السمن والعسل، فإذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به إلى

---

(١) الذي في الشمائل وغيرها: زاهر: وفي الإصابة: زاهر بن حرام الأشجعي.

النبي ﷺ فقال: أعط هذا [حق][1] متاعه، فما يزيد النبي ﷺ أن يتبسم، ويأمر به فيعطى.

ووقع في حديث محمد بن عمرو بن حزم: وكان لا يدخل إلى المدينة طرفة إلا اشترى منها، ثم جاء فقال: يا رسول الله، هذا أهديته لك، فإذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فقال: أعط هذا الثمن، فيقول: ألم تهده لي فيقول ليس عندي، فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه.

[مزاحه عليه السلام]

وكان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً، كما روى أبو هريرة[2]، وقد قال له رجل كان فيه بله: يا رسول الله احملني، فباسطه ﷺ من القول بما عساه أن يكون شفاء لبلهه بعد ذلك، فقال: أحملك على ابن الناقة. فسبق لخاطره استصغار ما تصدق عليه البنوة فقال: يا رسول الله، ما عسى يغني عني ابن الناقة، فقال له ﷺ: ويحك وهل يلد الجمل إلا الناقة. روى حديثه الترمذي وأبو داود[3].

وباسط عمته صفية وهي عجوز فقال لها: إن الجنة لا تدخلها عجوز، فلما جزعت قال لها: إنك تعودين/ إلى صورة الشباب في الجنة. وفي رواية الترمذي عن الحسن: أتته ﷺ عجوز فقالت: يا رسول الله، ادع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال: يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز، قال: فولت تبكي فقال: أخبروها أنها لا تدخلها

1/155

---

(١) في ط.

(٢) أخرجه الترمذي وغيره.

(٣) وكذا أحمد والبخاري في الأدب المفرد.

وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً﴾[1] وذكره رزين.

وكان ﷺ يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويؤنسهم. ويأخذ معهم في تدبير أمورهم، ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره، ومع ذلك سره في الملكوت يجول حيث أراد الله به.

والدعابة: ـ بضم الدال وتخفيف العين المهملتين وبعد الألف موحدة ـ هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره.

وقد أخرج الترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة؛ قالوا يا رسول الله، إنك تداعبنا، قال: إني لا أقول إلا حقاً.

وما ورد عنه ﷺ في النهي عن المداعبة محمول على الإفراط، لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين وغير ذلك. والذي يسلم من ذلك هو المباح، فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ـ كما كان هو فعله ﷺ ـ فهو مستحب.

وقال أنس: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير، وكان له نغر يلعب به فمات، فدخل علي النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزيناً فقال: ما شأنه؟ قالوا: مات نغره، فقال: يا أبا عمير ما فعل النغير، رواه البخاري ومسلم. وفي رواية الترمذي قال أنس: كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير.

قال الجوهري: النغير: تصغير نغر، والنغر جمع النغرة وهو طائر صغير كالعصفور، والجمع نغران مثل صرد وصردان.

---

(١) سورة الواقعة، الآية ٣٥.

وكان قد ألقي عليه مع الدعابة المهابة، ولقد جاء إليه ﷺ رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة، فقال له: هون عليك، فإني لست بملك ولا جبار إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة، فنطق الرجل بحاجته، فقام ﷺ فقال: يا أيها الناس إني أوحي إلي أن تواضعوا، ألا فتواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد، وكونوا عباد الله إخواناً[1].

فسكن ﷺ روعه شفقة، لأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وسلب عنه وصف الملوكية بقوله: فإني لست بملك، لما يلزمها من الجبروتيه، وقال: إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد، تواضعاً، لأن القديد مفضول، وهو مأكول المتمسكنة.

ولما رأته ﷺ قيلة بنت مخرمة في المسجد، وهو قاعد القرفصاء، ارتعدت من الفرق. رواه أبو داود.

وروى مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاصي قال: صحبت رسول الله ﷺ ، ما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيماً له، ولو قيل لي صفه لما قدرت، أو كما قال.

وإذا كان هذا قوله وهو من أجلة الصحابة، ولولا أنه ﷺ كان يباسطهم ويتواضع لهم ويؤنسهم لما قدر أحد منهم أن يقعد معه ولا أن يسمع كلامه عليه الصلاة والسلام لما رزقه الله تعالى من المهابة والجلالة. يبين ذلك ويوضحه ما روي أنه ﷺ كان إذا فرغ من ركوع الفجر حدث عائشة إن كانت مستيقظة، وإلا اضطجع بالأرض ثم

(١) أخرجه ابن ماجه والحاكم من حديث أبي مسعود البدري، والحاكم أيضاً من حديث جرير.

خرج بعد ذلك إلى الصلاة، وما ذاك إلا أنه ﷺ لو خرج على تلك الحالة التي كان عليها، وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك من الأحوال التي يكل اللسان عن وصف بعضها، لما استطاع بشر أن يلقاه ولا يباشره، فكان ﷺ يتحدث مع عائشة أو يضطجع بالأرض حتى يحصل التأنيس بجنسهم، وهو ١٥٥/ب التأنيس/ مع عائشة، أو جنس أصل الخلقة التي هي الأرض. ثم يخرج إليهم، وما ذاك إلا رفقاً بهم، وكان بالمؤمنين رحيماً. قاله ابن الحاج في المدخل.

وقد جاء في الحديث أنه لما خير بين أن يكون نبياً ملكاً، أو نبياً عبداً نظر ﷺ إلى جبريل كالمستشير له، فنظر جبريل إلى الأرض يشير إلى التواضع، فاختار ﷺ العبودية، فلما كان تواضعه ﷺ إلى الأرض حيث أشار جبريل أورثه الله تعالى رفعته إلى السماء، ثم إلى الرفرف الأعلى، إلى حضرة قاب قوسين أو أدنى.

ووقف بين يديه محمود بن الربيع، وهو صغير ابن خمس سنين، فمج ﷺ في وجهه مجة من ماء من دلو يمازحه بها، فكان في ذلك من البركة أنه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النبي ﷺ إلا تلك المجة، فعد بها من الصحابة وحديثه مذكور في البخاري.

ودخلت عليه ربيبته زينب بنت أم سلمة وهو في مغتسله، فنضح الماء في وجهها، فكان في ذلك من البركة في وجهها أنه لم يتغير، فكان ماء الشباب ثابتاً في وجهها ظاهراً في رونقها وهي عجوز كبيرة. وحديثها مذكور في البخاري.

فقد علمت أنه ﷺ كان مع أصحابه وأهله، ومع الغريب والقريب من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق والسلام على من لقيه، والوقوف مع من استوقفه والمزح بالحق مع الصغير والكبير أحياناً، وإجابة الداعي ولين الجانب حتى يظن كل واحد من أصحابه أنه أحبهم إليه.

وهذا الميدان لا تجد فيه إلا واجباً أو مستحباً أو مباحاً، فكان يباسط الخلق ويلابسهم ليستضيؤوا بنور هدايته في ظلمات دياجي الجهل، ويقتدوا بهديه ﷺ .

[مجالسه ﷺ مع أصحابه]

وقد كانت مجالسه مع أصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله، وترغيب وترهيب، إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم ما نفع في الدين، كما أمره الله تعالى أن يذكر ويعظ ويقص، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشره وينذر، فلذلك كانت تلك المجالس توجب لأصحابه رقة القلوب، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، كما ذكره أبو هريرة فيما رواه أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه قال: قلنا يا رسول الله، مالنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من أهل الآخرة، فإذا خرجنا من عندك عافسنا أهلنا وشممنا أولادنا وأنكرنا أنفسنا. فقال ﷺ : لو أنكم إذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك لزارتكم الملائكة في بيوتكم. الحديث.

وقوله: عافسنا: ـ بالعين المهملة بعد الألف فاء فسين مهملة ساكنة ـ أي: عالجنا أهلنا ولاعبناهم.

[جوانب من تواضعه ﷺ]

ومن تواضعه ﷺ أنه ما عاب ذواقاً قط، ولا عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه رواه الشيخان.

وهذا إن كان الطعام مباحاً، أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه، وذهب بعضهم إلى أن العيب إن كان من جهة الخلقة كره، وإن كان من جهة الصنعة لم يكره، قال: لأن صنعة الله تعالى لا تعاب، وصنعة الآدميين تعاب. قال في فتح الباري: والذي يظهر: التعميم، فإن فيه كسر قلب الصانع.

قال النووي: ومن آداب الطعام المتأكدة: أن لا يعاب، كقوله: مالح، حامض، قليل الملح، غليظ، رقيق، غير ناضج ونحو ذلك.

ومن تواضعه: أن هذه الدنيا شاع سبها في العالمين، فقال ﷺ: لا تسبوا الدنيا، ثم مدحها فقال: نعمت مطية المؤمن، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر. وقال: لا تسبوا الدهر/، رواه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ: ولا تقولوا خيبة الدهر، فإن الله هو الدهر. وفي لفظ له: يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار. وعند مسلم في حديث بلفظ: لا يسب أحدكم الدهر. 1/156

ومحصل ما قيل في تأويله، ثلاثة أوجه:

أحدها: أن المراد بقوله: إن الله هو الدهر، أي: المدبر للأمور.

ثانيها: أنه على حذف مضاف. أي: صاحب الدهر.

ثالثها: التقدير: مقلب الدهر. ولذلك عقبه بقوله في رواية البخاري: بيدي الليل والنهار.

وقال المحققون: من نسب شيئاً من الأفعال إلى الدهر حقيقة كفر، ومن هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر، لكن يكره ذلك لتشبهه بأهل الكفر في الإطلاق.

وما خير ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه. رواه البخاري.

أي بين أمرين من أمور الدنيا لا إثم فيهما، وأبهم «فاعل» خير ليكون أعم، من قبل الله أو من قبل المخلوقين. وقوله: إلا اختار أيسرها و[1]قوله: ما لم يكن إثماً: أي ما لم يكن الأسهل مقتضياً للإثم فإنه حينئذٍ يختار الأشد.

وفي حديث أنس عند الطبراني في الأوسط: إلا اختار أيسرهما ما لم يكن لله فيه سخط. ووقوع التخيير بين ما فيه إثم وما لا إثم فيه من قبل المخلوقين واضح.

ومن تواضعه ﷺ أنه لم يكن له بواب راتب، كما جاء عن أنس أنه قال: مر النبي ﷺ بامرأة وهي تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله واصبري، فقالت: إليك عني فإنك خلو من مصيبتي، قال فجاوزها ومضى. فمر بها رجل فقال لها؛ ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قالت: ما عرفته، قال: إنه لرسول الله ﷺ . قال فجاءت إلى بابه فلم تجد عليه بواباً. الحديث رواه البخاري.

لكن في حديث أبي موسى: أنه كان بواباً للنبي ﷺ لما جلس على القف[2].

---

(١) أي مع قوله.

(٢) القف: الدكة يجعل حول البئر. والحديث متفق عليه: وفيه ثم انصرفت =

وجمع بينهما: بأنه ﷺ إذا لم يكن في شغل من أهله ولا انفراد من أمره أنه كان يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة إليه.

وفي حديث عمر حين استأذن له الأسود في قصة حلفه أن لا يدخل على نسائه شهراً، ففيه: أنه كان في وقت خلوته بنفسه يتخذ بواباً، ولولا ذلك لاستأذن عمر بنفسه ولم يحتج إلى قوله يا رباح استأذن لي. لكن يحتمل أن يكون سبب استئذان عمر أنه خشي أن يكون وجد عليه بسبب ابنته، فأراد أن يختبر ذلك باستئذانه عليه، فلما أذن له اطمأن.

وقد اختلف في مشروعية الحجاب للحاكم.

فقال الشافعي وجماعة: ينبغي للحاكم أن لا يتخذ حاجباً.

وذهب آخرون: إلى جوازه.

وحمل الأول على زمن سكون الناس واجتماعهم على الخير وطواعيتهم للحاكم، وقال آخرون: بل يستحب ذلك حينئذٍ ليرتب الخصوم ويمنع المستطيل، ويدفع الشرير، والله أعلم.

[حياؤه ﷺ]

وأما ما روي من حيائه ﷺ، فحسبك ما في البخاري من حديث أبي سعيد: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها.

= فجلست عند الباب فقلت لأكونن بواب رسول الله ﷺ. زاد في الأدب المفرد: ولم يأمرني.

والعذراء: هي البكر.

والخدر: - بكسر الخاء المعجمة - أي في سترها.

وهو من باب التتميم، لأن العذراء في الخدر[1] يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه، لكون الخلوة مظنة/ وقوع الفعل بها. ١٥٦/ب فالظاهر: أن المراد تقييده [بما][2] إذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة فيه.

والحياء - بالمد - وهو من الحياة، ومنه: الحيا للمطر، لكن هو مقصور. وعلى حسب حياة القلب تكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، وكلما كان القلب حياً كان الحياء أتم.

وهو في اللغة: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به، وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب. والترك إنما هو من لوازمه.

وفي الشرع: خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

وقال ذو النون[3]: الحياء وجود الهيبة في القلب، مع وحشة ما يسبق منك إلى ربك، والحب ينطق والحياء يسكت، والخوف يقلق.

---

(١) كذا في (ط، ب) في النسخ الخلوة. والأول أنسب لعود الضمير بالتذكير: منه.

(٢) في ش.

(٣) ثوبان بن إبراهيم أحد المشايخ المذكورين في رسالة القشيري. حدث عن مالك، وعنه الجنيد كان أوحد وقته علماً وأدباً وورعاً مات سنة خمس وأربعين ومائتين.

وقال يحيى بن معاذ[1]: من استحيا من الله مطيعاً استحيا منه وهو مذنب. وهذا الكلام يحتاج إلى شرح ومعناه: أن من غلب عليه خلق الحياء من الله حتى في حال طاعته فقلبه مطرق بين يديه إطراق مستحي خجل، فإنه إذا وقع منه ذنب استحيا الله من نظره إليه في تلك الحالة لكرامته عليه، فيستحي أن يرى من وليه ما يشينه عنده. وفي الشاهد[2] شاهد بذلك، فإن الرجل إذا اطلع على أخص الناس به وأحبهم إليه وأقربهم منه، من صاحب أو ولد أو من يحبه، وهو يخونه، فإنه يلحقه من ذلك الاطلاع عليه حياء عجيب حتى كأنه هو الجاني. وهذا غاية الكرم.

وللحياء أقسام ثمانية يطول استقصاؤها.

منها: حياء الكرم، كحيائه ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وطولوا عنده المقام، واستحيا أن يقول لهم انصرفوا.

ومنها: حياء المحب من محبوبه، حتى إنه إذا خطر على قلبه في حال غيبته هاج الحياء من قلبه وأحس به في وجهه، فلا يدري ما سببه.

ومنها: حياء العبودية، وهو حياء يمتزج بين محبة وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وأن قدره أعلى وأجل منها، فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة.

ومنها: حياء المرء من نفسه، وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص، وقنعها بالدون، فيجد نفسه مستحيياً من نفسه، حتى كأن له نفسين، يستحي بإحداهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون

---

(١) أحد العلماء المشهورين، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مات بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين.

(٢) أي المشاهد المرئي.

من الحياء، فإن العبد إذا استحيا من نفسه فهو بأن يستحي من غيره أجدر.

والحياء ـ كما قال ﷺ ـ لا يأتي إلا بخير، وهو من الإيمان. كما رواهما البخاري.

قال القاضي عياض وغيره: وإنما جعل الحياء من الإيمان ـ وإن كان غريزة ـ لأن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى قصد واكتساب وعلم.

وقال القرطبي: الحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الإيمان، وهو المكلف به دون الغريزي، غير أن من كان فيه غريزة منه فإنها تعينه على المكتسب، حتى يكاد يكون غريزياً، وكان النبي ﷺ قد جمع له النوعان، فكان في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها.

وقال القاضي عياض: وروي عنه ﷺ: كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد[1].

[خوفه ﷺ ربه]

وأما خوفه ﷺ ربه جل وعلا، فاعلم أن الخوف والوجل والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة.

قال الجنيد: الخوف توقع العقوبة على مجاري الأنفاس.

وقيل الخوف: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف.

وقيل الخوف: قوة العلم بمجاري الأحكام، وهذا سبب الخوف، لا أنه نفسه.

وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره.

(١) قال السيوطي: هذا الحديث ذكره صاحب الإحياء، ولم يجده العراقي.

والخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله تعالى: قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده/ العلماء﴾[1]، فهو خوف مقرون بمعرفة. وقال ﷺ: أنا أتقاكم لله وأشدكم له خشية، فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسيل ونحوهما له حالتان: إحداهما حركة للهرب منه وهي حالة الخوف، والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه وهي الخشية.

١٥٧/أ

وأما الرهبة: فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه.

وأما الوجل: فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته.

وأما الهيبة: فخوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما تكون مع المعرفة والمحبة.

والإجلال: تعظيم مقرون بالحب.

فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين. وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية، كما قال ﷺ: (إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية) رواه البخاري، وقال ﷺ: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً) رواه البخاري من حديث أبي هريرة، وفيه دلالة على اختصاصه ﷺ بمعارف بصرية وقلبية. وقد يطلع الله تعالى عليها غيره من المخلصين من أمته لكن بطريق الإجمال، وأما تفصيلها فاختص بها ﷺ.

---

(١) سورة فاطر، الآية ٢٨.

وفي صحيح مسلم من حديث أنس أنه ﷺ قال: والذي نفس محمد بيده، لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيت يا رسول الله قال: رأيت الجنة والنار.

فقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين مع الخشية القلبية، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره، ولذا قال: (إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا) وهو في الصحيح من حديث عائشة[1].

وكان ﷺ يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء، رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه بلفظ: كأزيز الرحا، أي خنين من الخوف ـ بالخاء المعجمة ـ وهو صوت البكاء. وقيل: وهو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء.

[شجاعته ﷺ]

وأما ما روي من شجاعته ﷺ ونجدته وقوته في الله وشدته، فعن أنس: (كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول: لن تراعوا)[2].

وفي رواية: كان فزع بالمدينة فاستعار النبي ﷺ فرساً من أبي طلحة يقال له المندوب، فركب فلما رجع قال: ما رأينا من شيء، وإن وجدناه لبحراً، أو إنه لبحر. قال وكان فرساً يبطؤ[3]. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) أي لا يسرع في مشيه.

وللبخاري: إن أهل المدينة فزعوا مرة، فركب النبي ﷺ فرساً لأبي طلحة كان يقطف، أو فيه قطاف، فلما رجع قال: وجدنا فرسكم هذا بحراً، فكان بعد لايجاري.

وفي أخرى له: ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خلفه فقال: لن تراعوا، إنه لبحر، فما سبق بعد ذلك اليوم.

قوله لن تراعوا: أي روعاً مستقراً، أو روعاً يضر بكم.

وفي هذا الحديث بيان شجاعته ﷺ من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم، بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس.

وفيه: بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعاً بعد أن كان بطيئاً وهو معنى قوله ﷺ : وجدناه بحراً، أي/واسع الجري. ١٥/ب

وكان فيه قطاف: يقال: قطف الفرس في مشيه إذا تضايق خطوه وأسرع مشيه.

قال القاضي عياض: وقد كان في أفراسه ﷺ فرس يقال له: مندوب، فلعله صار إليه بعد أبي طلحة. وقال النووي: يحتمل أنهما فرسان اتفقا في الاسم.

وقال ابن عمر: ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم (١).

وذكر ابن إسحاق في كتابه وغيره: أنه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس يأتونه من البلاد للمصارعة فيصرعهم.

---

(١) رواه أحمد والنسائي وغيرهما.

فبينا هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة إذ لقيه رسول الله ﷺ فقال له: يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه - أو كما قال له رسول الله ﷺ - فقال له ركانة: يا محمد، هل من شاهد يدل على صدقك؟ قال: أرأيت إن صرعتك أتؤمن بالله ورسوله؟ قال: نعم يا محمد، فقال له: تهيأ للمصارعة، قال: تهيأت، فدنا منه رسول الله ﷺ فأخذه ثم صرعه، قال فتعجب ركانة من ذلك، ثم سأله الإقالة والعودة، ففعل به ذلك ثانياً وثالثاً. فوقف ركانة متعجباً وقال: إن شأنك لعجيب. رواه الحاكم في مستدركه عن أبي جعفر محمد بن ركانة المصارع[1]، ورواه أبو داود والترمذي وكذا البيهقي من رواية سعيد بن جبير.

وقد صارع ﷺ جماعة غير ركانة، منهم أبو الأسود الجمحي، كما قاله السهيلي. ورواه البيهقي، وكان شديداً بلغ من شدته أنه كان يقف على جلد البقرة، ويجاذب أطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه، فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه، فدعا رسول الله ﷺ إلى المصارعة وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه رسول الله ﷺ فلم يؤمن. وفي قصته طول.

وفي البخاري من حديث البراء، وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: فأكببنا على المغانم فاستقبلنا بالسهام. ولقد رأيت النبي ﷺ وهو على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب[2].

---

(١) كذا وقع للمصنف، وصوابه: عن أبي جعفر عن أبيه محمد الخ...
(٢) رواه البخاري برقم ٢٨٦٤.

وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، لأنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه، وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة الجري، ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب، ومع ذلك يركضها إلى وجوههم، وينوه باسمه ليعرفه من ليس يعرفه صلوات الله وسلامه عليه.

وفي حديث البراء[1]: كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ[2]. أي جعلناه قدامنا واستقبلنا العدو به، وقمنا خلفه.

[جوده وكرمه ﷺ]

وأما ما ذكر من سخائه وجوده وكرمه، فاعلم أن السخاء صفة غريزية، وفي مقابلته الشح، والشح من لوازم صفة النفس، قال الله تعالى: ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾[3] فحكم بالفلاح لمن وقي الشح، وحكم بالفلاح أيضاً لمن أنفق وبذل فقال: ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ ﴿**أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾[4] والفلاح أجمع اسم لسعادة الدارين.

وليس الشح من الآدمي بعجيب، لأنه جبلي فيه، وإنما العجب وجود السخاء في الغريزة.

والسخاء أتم وأكمل من الجود، وفي مقابلته البخل. وفي مقابلة السخاء الشح، والجود والبخل يتطرق/ إليهما الاكتساب بطريق ١/١٥٨

(١) كلمه (البراء) في الأصل وليست في النسخ.
(٢) رواه مسلم.
(٣) سورة الحشر، الآية ٩.
(٤) سورة البقرة، الآيتان ٣ و٥.

العادة، بخلاف الشح والسخاء إذ كـان ذلك من ضرورة الغـريزة، فكل سخي جواد وليس كل جواد سخياً. والجود يتطرق إليه الرياء، ويأتي به الإنسان متطلعاً لغرض من الخلق أو الحق بمقابلة من الثناء أو غير ذلك من الخلق والثواب من الله تعالى، ولا يتـطرق الريـاء إلى السخاء لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الأغراض. أشار إليه في عوارف المعارف.

وقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجـود الناس. رواه البخاري ومسلم من حديث أنس.

وأجود: أفعل تفضيـل، من الجود وهـو إعطاء مـا ينبغي لمن ينبغي، ومعناه: هو أسخى الناس، ولما كانت نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الأمزجة لا بد أن يكون فعله أحسن الأفعال، وشكله أملح الأشكـال، وخلقه أحسن الأخـلاق، فـلا شـك يكـون أجـود [الناس][1]، وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات.

واقتصار أنس على هذه الأوصاف الثلاثة من جـوامع الكلم، لأنها أمهـات الأخلاق، فـإن في كل إنسـان ثلاث قـوى: إحـداهـا الغضبية، وكمالها الشجاعة، وثانيها، الشهوانية وكمالها الجود، وثالثها العقلية وكمالها النطق بالحكمة.

وفي رواية لمسلم عنه: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قـوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر.

وعنده أيضاً عن صفوان بن أمية قال: لقد أعطاني رسول الله

(١) زيادة في (ش، ب).

ﷺ ما أعطاني وإنه لمن أبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي.

قال ابن شهاب: أعطاه يوم حنين مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة.

وفي مغازي الواقدي: إن النبي ﷺ أعطى صفوان يومئذ وادياً مملوءاً إبلاً ونعماً، فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي.

ويرحم الله ابن جابر حيث قال:

هـذا الـذي لا يـتـقـي فـقـراً إذا يعطي[1] ولـو كـثر الأنـام ودامـوا[2]

واد مـن الأنـعـام أعـطى آمـلا[3] فـتـحـيرت لـعـطـائـه الأوهـام

وإنما أعطاه ذلك لأنه ﷺ علم أن داءه لا يزول إلا بهذا الدواء وهو الإحسان فعالجه به حتى برئ من داء الكفر وأسلم، وهذا من كمال شفقته ورحمته ورأفته ﷺ إذ عامله بكمال الإحسان، وأنقذه من حر النيران إلى برد لطف الجنان.

وكان علي إذا وصفه ﷺ قال: كان أجود الناس كفاً، وأصدق الناس لهجة[4].

وخرج ابن عدي ـ بإسناد فيه ضعف ـ من حديث أنس مرفوعاً: أنا أجود بني آدم.

---

(١) في ش: أعطى.
(٢) أي: استمروا في الطلب.
(٣) أي: راجياً، أو مؤملاً.
(٤) رواه الترمذي.

فهو ﷺ بلا ريب أجود بني آدم على الإطلاق، كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة، وكان جوده بجميع أنواع الجود، من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم، ولقد أحسن ابن جابر حيث قال:

يروى حديث الندى والبشر عن يده ... ووجهه بين منهل ومنسجم
من وجه أحمد لي بدر ومن يده ... بحر ومن فمه در لمنتظم
يمم نبيأ تباري الريح أنمله ... والمزن من كل هام الودق مرتكم
لو عامت الفلك فيما فاض من يده ... لم تلق أعظم بحر منه إن تعم/ ١٥٨/ب
تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ ... به ودع كل طامي الموج ملتطم
لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت ... كل الأنام وروت قلب كل ظمي

فسبحان من أطلع أنوار الجمال من أفق جبينه، وأنشأ أمطار السحاب من غمائم يمينه.

روى البخاري من حديث جابر: (ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء قط فقال: لا) وكذا عند مسلم، أي ما طلب منه شيء من أمر الدنيا فمنعه.

قال الفرزدق:

ما قال لا قط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم[1]

لكن قال شيخ مشايخنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر: ليس المراد

(١) هذا البيت من قصيدة في مدح زين العابدين علي بن الحسين.

أنه يعطي ما يطلب منه جزماً، بل المراد: أنه لا ينطق بالرد، بل إن كان عنده أعطاه إن كان الإعطاء سائغاً وإلا سكت. قال: وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل لابن الحنفية عند ابن سعد ولفظه: إذا سئل فأراد أن يفعل قال: نعم، وإن لم يرد أن يفعل سكت. وهو قريب من حديث أبي هريرة؛ ما عاب طعاماً قط، إن اشتاهه أكله وإلا تركه.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام معناه: لم يقل: لا، منعاً للعطاء، ولا يلزم من ذلك أن لا يقولها اعتذاراً كما في قوله تعالى: ﴿قلتَ لا أجد ما أحملكم عليه﴾[1]، ولا يخفى الفرق بين قوله: لا أجد ما أحملكم وبين لا أحملكم انتهى.

وهو نظير ما في حديث أبي موسى الأشعري: لما سأله الأشعريون الحملان فقال ﷺ: ما عندي ما أحملكم[2].

لكن يشكل عليه أنه ﷺ حلف لا يحملهم فقال: والله لا أحملكم[3] فيمكن أن يخص من عموم حديث جابر، ما إذا سئل ما ليس عنده والسائل يتحقق أنه ليس عنده ذلك، أو حيث كان المقام لا يقتضي الاقتصار على السكوت من الحالة الواقعة، أو من حال السائل، كأن لم يكن يعرف العادة، فلو اقتصر في جوابه على السكوت مع حاجة السائل لتمادى على السؤال مثلاً، ويكون القسم على ذلك تأكيداً لقطع طمع السائل، والسر في الجمع بين قوله: لا أجد ما أحملكم وقوله: والله لا أحملكم أن الأول لبيان أن الذي سئله لم يكن

(١) سورة التوبة، الآية ٩٢.
(٢) رواه الشيخان.
(٣) رواه الشيخان.

موجوداً عنده، والثاني أنه لا يتكلف الإجابة إلى ما سئل بالقرض مثلاً أو بالاستيهاب، إذ لا اضطرار حينئذٍ.

وروى الترمذي أنه حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير، ثم قام إليها يقسمها، فما رد سائلاً حتى فرغ منها.

قال[1]: وجاءه رجل، فقال ما عندي شيء ولكن ابتـع علي، فإذا جاءنا شيء قضيناه، فقال له عمر: ما كلفك الله ما لا تقدر، فكره النبي ﷺ، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أنفق ولا تخف من ذي العـرش إقلالاً، فتبسم ﷺ وعـرف البشر في وجهـه. وقال: بهذا أمرت.

وإنما فعل ذلك للمصلحة الداعية لذلك كالاستئلاف ونحوه.

وذكر ابن فارس في كتابه «في أسماء النبي ﷺ» أنه في يوم حنين جاءت امرأة فأنشدت شعراً تذكره أيام رضاعته في هوازن فرد عليهم ما أخذ وأعطاهم عطاء كثيراً حتى قوم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف ألف. قال ابن دحية: وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الوجود.

وفي البخاري من حديث أنس: أنه أتي بمال من البحرين فقال: انثروه - يعني صبوه - في المسجد، وكان أكثر مال أتي به النبي ﷺ، فخرج إلى المسجد ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه، إذ جاءه العباس فقال: أعطني، فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً، فقال له خذ، فحثا في ثوبـه ثم ذهب يقله/ فلم يستطع، فقال يا رسول الله، مر بعضهم يرفعه إلي، قال: ١/١٥٩

(١) أي روى الترمذي في الشمائل.

لا، قال: فارفعه أنت علي، قال: لا، فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال: يا رسول الله مر بعضهم يرفعه علي، قال: لا، قال: فارفعه أنت قال: لا، ثم نثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله فانطلق، فما زال النبي ﷺ يتبعه بصره حتى خفي علينا عجباً من حرصه، فما قام ﷺ وثم منها درهم.

وفي رواية ابن أبي شيبة من طريق حميد بن هلال مرسلاً: كان مائة ألف، وأنه أرسل به العلاء بن الحضرمي من خراج البحرين، قال: وهو أول مال حمل إليه ﷺ.

وسايره جابر على جمل له، فقال له ﷺ: بعني جملك، فقال: هو لك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، فقال: بل بعنيه، فباعه إياه وأمر بلالاً أن ينقده ثمنه فنقده، ثم قال ﷺ: اذهب بالثمن والجمل بارك الله لك فيهما. مكافأة لقوله: هو لك، فأعطاه الثمن ورد عليه الجمل وزاده الدعاء بالبركة فيهما. وحديثه في البخاري ومسلم وغيرهما.

وقد كان جوده ﷺ كله لله وفي ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال تارة لفقير أو لمحتاج وتارة ينفقه في سبيل الله، وتارة يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه.

وكان يؤثر على نفسه وأولاده، فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا توقد في بيته نار، وربما ربط الحجر على بطنه الشريفة من الجوع.

وكان ﷺ قد أتاه سبي، فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادماً يكفيها مؤنة بيتها، فأمرها أن تستعين

بالتسبيح والتكبير والتحميد، وقال: لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع[1].

وأتته امرأة ببردة فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه، فأخذها ﷺ محتاجاً إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها فقال: نعم، فلما قام ﷺ لامه أصحابه، قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئاً فيمنعه. رواه البخاري من حديث سهل بن سعد.

وفي رواية ابن ماجه والطبراني قال: نعم، فلما دخل طواها وأرسل بها إليه.

وأفاد الطبراني في رواية زمعة بن صالح أنه ﷺ أمر أن يصنع له غيرها فمات قبل أن يفرغ منها.

وفي هذا الحديث من الفوائد: حسن خلقه ﷺ وسعة جوده.

واستنبط منه السادة الصوفية: جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركاً بهم وبلباسهم، كما استدلوا لإلباس الشيخ للمريد بحديث أنه ﷺ ألبس أم خالد خميصة سوداء ذات علم[2]. [رواه البخاري][3].

---

(١) رواه أحمد.

(٢) عن أم خالد أتي النبي ﷺ بثياب فيها خميصه سوداء صغيرة، فقال: من ترون نكسو الخميصة فسكت القوم، قال: ائتوني بأم خالد فأتي بها تحمل فأخذ الخميصة بيده فألبسها..

(٣) زيادة في (ش، ب).

لكن قال شيخنا: ما يذكرونه من أن الحسن البصري لبسها من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال ابن دحية وابن الصلاح: إنه باطل، وقال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر ليس في شيء من طرقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أنه ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحداً من أصحابه بفعلها، وكل ما يروى صريحاً في ذلك فباطل. قال: ثم إن من الكذب المفترى قول من قال: إن علياً ألبس الخرقة الحسن البصري، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعاً فضلاً عن أن يلبسه الخرقة.

وكذا قال الدمياطي والذهبي والعلاء ومغلطاي والعراقي والأبناسي[1] والحلبي/ وغيرهم مع[2] كون جماعة منهم لبسوها وألبسوها تشبهاً بالقوم، نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة له المتصلة إلى كهيل بن زياد[3]، وهو صحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه من غير خلف في صحبته له بين أئمة الجرح والتعديل.

١٥٩/ب

وفي بعض الطرق[4] اتصالها بأويس القرني، وهو اجتمع بعمر ابن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وهذه صحبة لا

(١) نسبة إلى أبناس قرية صغيرة بالوجه البحري من أرض مصر.
وهو العلامة إبراهيم بن موسى بن موسى، الشافعي الورع، الزاهد المحقق ولد سنة خمس وعشرين وسبعمائة وصنف وأخذ عن الأسنوي وغيره وتوفي سنة اثنتين وثمانمائة.

(٢) في (أ، ط) من.

(٣) ثقة، رمي بالتشيع، كان شريفا مطاعاً. قتله الحجاج سنة اثنتين وثمانين.

(٤) للخرقة.

مطعن فيها، وكثير من السادة يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلية وشيخنا أبي إسحاق المتبولي.

وكان الشيخ يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر وأخذ العهد واللبس وله في ذلك رسالته ريحان القلوب، قرأتها على ولد ولده العارف المسلك سيدي علي، مع إلباسه لي الخرقة والتلقين والعهد.

وللشيخ قطب الدين القسطلاني «ارتقاء الرتبة في اللباس والصحبة»[1] والله يهدينا إلى سواء السبيل[2].

---

(١) اسم كتاب.

(٢) مما لا شك فيه أن قضية لبس الخرقة لا أصل له في الدين، وهو من البدع التي أحدثت بعده ﷺ، ولم يكن للرسول ﷺ لباس خاص به، بل كان يلبس ما تيسر له، وكان يلبس ما يلبسه قومه. [المحقق].

الفصل الثالث

فيما تدعو ضرورته اليه ﷺ من غذائه وملبسه ومنكحه وما يلحق بذلك

وفيه أربعة أنواع:

النوع الاول

في عيشه ﷺ في المأكل والمشرب

[تناول الطعام ضرورة]

اعلم أن تناول الطعام أصل كبير، يحتاج إلى علوم كثيرة، لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية، وتعلق أثره بالقلب والقالب، وبه قوام البدن بإجراء سنة الله تعالى بذلك، والقالب مركب القلب، وبهما عمارة الدنيا والآخرة، والقالب بمفرده على طبيعة الحيوان يستعان به على عمارة الدنيا، والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة، وباجتماعهما يصلحان لعمارة الدارين.

قال الغزالي: ولا طريق إلى الوصول إلى اللقاء إلا بالعلم والعمل، ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن، ولا تصفو سلامة

البدن إلا بالأطعمة والأقوات، والتناول منها بقدر الحاجات، على تكرار الأوقات.

فمن هذا الوجه، قال بعض السلف الصالحين: إن الأكل من الدين، وعليه نبه رب العالمين بقوله، وهو أصدق القائلين: ﴿**كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً**﴾[1]، فمن تناول الأكل ليستعين به على العلم والعمل، ويقوى به على التقوى فلا ينبغي أن يترك نفسه سدى، يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى، فإنما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه، ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه، وإنما نور الدين وآدابه وسننه، التي يزم العبد بزمامها، ويلجم المتقي بلجامها، حتى يزن بميزان الشرع، شهوة الطعام[2] في إقدامها واحجامها، فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر.

[بدعة الشبع]

واعلم أن الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الأول، وقد روى النسائي وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث المقدام بن معدي كرب أن رسول الله ﷺ قال: ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه، فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس[3].

قال القرطبي في شرح «الأسماء» كما نقله شيخ الإسلام

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٥١.

(٢) أي: إنما نور الدين مراعاة شهوة الطعام بتناول الحلال وترك الحرام.

(٣) قال في الفتح إسناده حسن.

والحفّاظ[1] ابن حجر: لو سمع بقراط بهذه القسمة لعجب من هذه الحكمة.

وقال غيره: إنما خص الثلاثة بالذكر لأنها أسباب حياة الحيوان، ولأنه لا يدخل البطن سواها.

وهل المراد بالثلث التساوي على ظاهر الخبر، أو التقسيم على ثلاثة أقسام متقاربة؟ محل احتمال.

وقد صح[2]، (المؤمن يأكل في معى واحد - وهي بكسر الميم مقصور: المصارين - والكافر/ يأكل في سبعة أمعاء) وليست حقيقة العدد مرادة، وتخصيص السبعة للمبالغة في التكثير، والمعنى: أن المؤمن من شأنه التقلل من الأكل لاشتغاله بأسباب العبادة ولعلمه بأن مقصود الشرع من الأكل ما سد الجوع، ويعين على العبادة، ولخشيته أيضاً من حساب ما زاد على ذلك، والكافر بخلاف ذلك. ١٦٠/أ

وعند أهل التشريح أن أمعاء الإنسان سبعة؛ المعدة ثم ثلاثة أمعاء بعدها متصلة بها: البواب ثم الصائم ثم الرقيق، والثلاثة رقاق، ثم الأعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر، وكلها غلاظ، وقد نظمها زين الدين العراقي في قوله:

سبعة أمعاء لكل آدمي ... معدة بوابها مع صائم

ثم الرقيق أعور قولون مع ... المستقيم مسلك المطاعم

فيكون المعنى: أن الكافر لكونه يأكل بشرهه لا يشبعه إلا ملء أمعائه السبعة، والمؤمن يشبعه ملء معى واحد.

ولا يلزم من هذا الحديث اطراده في حق كل مؤمن وكافر، فقد

(١) كذا في النسخ على أنها صفة لشخص واحد. وفي ش: الحافظ.

(٢) في الصحيحين وغيرهما.

يكون في المؤمنين من يأكل كثيراً، إما بحسب العادة أو لعارض يعرض له من مرض باطن أو لغير ذلك. ويكون في الكفار من يأكل قليلاً إما لمراعاة الصحة على رأي الأطباء، وإما للرياضة على رأي الرهبان، وإما لعارض كضعف المعدة.

ومحصل القول إن من شأن المؤمن الحرص على الزهادة والاقتناع بالبلغة، بخلاف الكافر. وقيل: المراد أن المؤمن يسمى الله عند طعامه وشرابه فلا يشركه الشيطان فيكفيه القليل بخلاف الكافر. وقيل: المراد بالمؤمن ـ في هذا الحديث ـ التام الإيمان، لأن من حسن إسلامه وكمل إيمانه اشتغل فكره فيما يصير إليه من الموت وما بعده، فيمنعه شدة الخوف وكثرة الفكر والإشفاق على نفسه من استيفاء شهوته كما ورد في حديث لأبي أمامة رفعه: من كثر تفكره قل مطعمه، ومن قل تفكره كثر مطعمه، وقسا قلبه. وقالوا: لا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاماً، ومن قل طعامه قل شربه وخف منامه، ومن خف منامه ظهرت بركة عمره، ومن امتلأ بطنه كثر شربه، ومن كثر شربه ثقل نومه، ومن ثقل نومه محقت بركة عمره، فإذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه، وصلح حال نفسه وقلبه، ومن تملا من الطعام ساء غذاء بدنه وأشرت نفسه وقسا قلبه.

وعن ابن عباس قال ﷺ: إن أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غداً في الآخرة. رواه الطبراني.

وعن سلمان[1] وأبي جحيفة[2] أن النبي ﷺ قال: إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة[3].

---

(١) عند ابن ماجه والحاكم بسند لين، كما قال الحافظ.

(٢) عند البزار بسند ضعيف.

(٣) في ط: يوم القيامة.

[قلة الطعام في أبياته ﷺ]

وقالت عائشة؛ لم يمتلئ جوف النبي ﷺ شبعاً قط. وإنه كان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه، إن أطعموه أكل، وما أطعموه قبل، وما سقوه شرب.

وقولها: لم يمتلئ جوف النبي ﷺ شبعاً قط، محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط صاحبه عن القيام بالعبادة، ويفضي إلى البطر والأشر والنوم والكسل، وقد تنتهى كراهته إلى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة، وليس المراد بالشبع النسبي المعتاد في الجملة، ففي صحيح مسلم: خروجه ﷺ وصاحبيه من الجوع وذهابهم إلى بيت الأنصاري، وذبحه الشاة. وفيه: فلما أن شبعوا ورووا. قال النووي: فيه جواز الشبع، وما جاء في كراهته محمول على المداومة عليه.

وعن أبي هريرة قال: ما شبع آل محمد ﷺ من طعام ثلاثة أيام تباعاً حتى قبض. رواه الشيخان. / ١٦٠/ب

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاوياً لا يجدون عشاء، وإنما كان خبزهم الشعير[1]. رواه الترمذي وصححه[2].

وفي حديث مسعر عند مسلم: ما شبع آل محمد يومين من خبز البر، إلا وأحدهما تمر.

وأخرج ابن سعد من طريق عمران بن زيد المدني: حدثني والدي

---

(١) في ش: وإنما كان عشاؤهم خبز الشعير.

(٢) وكذا رواه أحمد وابن سعد.

قال: دخلنا على عائشة فقالت: خرج ـ تعني النبي ﷺ ـ من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين، كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير، وإذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر.

وليس في هذا ما يدل على ترك الجمع بين لونين، فقد جمع ﷺ القثاء والرطب كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وعن الحسن[1] قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: والله ما أمسى في آل محمد صاع من طعام، وإنها لتسعة أبيات، والله ما قالها استقلالاً لرزق الله ولكن أراد أن تتأسى به أمته. رواه الدمياطي في السيرة له.

وعن عائشة قالت: كان يعجب نبي الله ﷺ من الدنيا ثلاثة أشياء: الطيب والنساء والطعام، فأصاب اثنتين ولم يصب واحدة، أصاب النساء والطيب، ولم يصب الطعام. ذكره الدمياطي أيضاً[2].

وفي الشمائل للترمذي عن النعمان بن بشير: لقد رأيت نبيكم وما يجد من الدَقَل ما يملأ بطنه[3].

وفي رواية مسلم: يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدَقَل[4] ما يملأ بطنه.

وقالت عائشة: إن كنا آل محمد نمكث شهراً ما نستوقد بنار، إن هو إلا الماء والتمر[5].

---

(١) هو الحسن البصري.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند عن عائشة وإسناده صحيح إلا أن فيه رجلاً لم يسم.

(٣) «ما يملأ بطنه» سقطت من ط.

(٤) الدقل: رديء التمر ويابسه.

(٥) رواه الترمذي وغيره.

وقال عتبة بن غزوان: لقد رأيتني ـ وإني لسابع سبعة ـ مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق السمر[1] حتى تقرحت أشداقنا[2].

وفي البخاري ومسلم: كانت عائشة تقول لعروة: والله يا ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، قال: قلت يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان، التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح[3] فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه.

ولمسلم أيضاً: قالت: لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين.

وقال أنس: ما أعلم أن رسول الله ﷺ رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطاً بعينه حتى لحق بالله. رواه البخاري.

والمرقق: الملين المحسن كخبز الحوارى وشبهه، والترقيق: التليين، ولم يكن عندهم مناخل، وقد يكون المرقق: الرقيق الموسع، قاله القاضي عياض. وجزم به ابن الأثير فقال: وهو السميد وما يصنع من كعك وغيره، وقال ابن الجوزي: هو الخفيف. كأنه أخذه من الرقاق وهي الخشبة التي يرقق بها.

---

(١) شجر الطلح وهو نوع من العضاة أو كل شجر عظيم له شوك.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٩٦٧ وكذا الترمذي.

(٣) جمع منيحة وهي العطية لفظاً ومعنى، أي: غنم فيها لبن، وقيل لا يقال منيحة إلا للناقة.

والحوارى: - بضم المهملة وتشديد الواو وفتح الراء - الخالص الذي ينخل مرة بعد أخرى.

وقوله: ولا شاة سميطاً: هو الذي أزيل شعره بالماء السخن وشوي بجلده، وإنما يصنع ذلك في الصغير السن، وهو من فعل المترفهين[1] من وجهين: أحدهما المبادرة إلى ذبح ما لو بقي لازداد ثمنه، وثانيهما: أن المسلوخ ينتفع بجلده في اللبس وغيره. والسمط يفسده، وقد جرى ابن بطال وابن الأثير على أن المسموط هو المشوي، لكن الثاني ذكر أن أصله نزع صوفه بالماء الحار كما تقدم، قال/: وإنما يفعل ذلك في الغالب ليشوى. ١٦١/أ

ولعله يعني: أنه لم ير السميط في مأكوله، وإلا فإن لم يكن معهوداً فلا تمدح.

وعن أبي حازم أنه سأل سهلاً: هل رأيتم في زمان النبي ﷺ النقى[2]؟ قال: لا، فقلت: كنتم تنخلون الشعير؟ قال: لا، ولكن كنا ننفخه. رواه البخاري.

وفي رواية له: هل كانت لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل؟ فقال: ما رأى النبي ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله.

قال شيخ الإسلام ابن حجر: أظنه احترز عما قبل البعثة، لكونه ﷺ كان يسافر في تلك المدة إلى الشام تاجراً، وكانت الشام إذ ذاك مع الروم، والخبز النقى عندهم كثير، وكذا المناخل وغيرها من آلات الترفه، ولا ريب أنه رأى ذلك عندهم، وأما بعد البعثة فلم يكن إلا

(١) في (ط، د) المسرفين: وفي ب المترفين.

(٢) النقى: الخبز الحوارى، وهو ما نقى دقيقه.

بمكة والطائف والمدينة، ووصل إلى تبوك وهي من أطراف الشام لكن لم يفتحها ولا طالت إقامته بها. انتهى.

وقد تتبعت هل كانت أقراص خبزه صغاراً أم كباراً؟ فلم أجد في ذلك شيئاً بعد التفتيش. نعم روي أمره بتصغيرها في حديث عند الديلمي عن عائشة رفعته بلفظ: صغروا الخبز وأكثروا عدده يبارك لكم فيه، وهو واه، بحيث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال: إن المتهم به جابر بن سليم. وروي عن ابن عمر مرفوعاً: البركة في صغر القرص، ونقل عن النسائي أنه كذب. لكن روى البزار بسند ضعيف عن أبي الدرداء مرفوعاً. قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه. قال في النهاية: وحكي عن الأوزاعي أنه تصغير الأرغفة، كذا حكى البزار عن إبراهيم بن عبدالله بن الجنيد عن بعض أهل العلم: أنه تصغير الأرغفة. أشار إلى ذلك شيخنا في المقاصد الحسنة. ولعل هذا سند[1] شيخي وقدوتي وإنسان عين بصيرتي العارف الرباني رهان العارفين أبي إسحاق إبراهيم المتبولي في تصغير أرغفة سماطه كالشيخ أبي العباس أحمد البدوي والسادات اكسير معارف السعادات أولى المواهب العلية والحقائق المحمدية بني الوفاء أعاد الله من بركاتهم وواصل امداداتهم إلينا[2].

وعن عائشة قالت: توفي ﷺ وليس عندي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني. رواه البخاري ومسلم.

---

(١) أي مستند شيخي ودليله في تصغير أرغفته [م].

(٢) هذه لغة لم يعرفها السلف [م].

ودلالالتها تخالف ما أثبته الشرع، لأن المدد والبركة تكون من الله سبحانه وتعالى [الناشر].

وعندهما أيضاً قالت: توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير.

وقال ابن عباس: ودرعه مرهونة بعشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله. رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا: الجوع يا رسول الله، قال وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً. فقال لها ﷺ: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه فقال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني. قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا، وأخذ المدية فقال له رسول الله ﷺ: إياك والحلوب، فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال ﷺ لأبي بكر وعمر: والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم/ هذا النعيم. رواه مسلم وغيره. ١٦١/ب

وهذا السؤال سؤال تشريف وإنعام وتعديد فضل وإكرام.

وعن طلحة بن نافع أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: أخذ رسول الله ﷺ بيدي ذات يوم إلى منزله فأُخرِج إليه فلق[1] من خبز، فقال ما من أدم؟ فقالوا: لا، إلا شيء من خل، قال: نعم الأدم

(١) فلق: جمع فلقة: أي قطعة.

الخل[1]. قال جابر: فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من نبي الله ﷺ وقال طلحة: فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر. رواه مسلم.

[أحاديث وضع الحجر على بطنه ﷺ]

وروي عن ابن بجير قال: أصاب النبي ﷺ جوع يوماً، فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ثم قال: ألا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين، ألا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم. رواه ابن أبي الدنيا[2].

وعن أنس عن أبي طلحة قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه عن حجرين، قال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث أبي طلحة لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ومعنى قوله: ورفعنا عن بطوننا عن حجر. قال: كان أحدهم يشد في بطنه الحجر من الجهد والضعف الذي به من الجوع.

وقصة جابر ـ يوم الخندق ـ حين رأى النبي ﷺ يوم الخندق، وقد قام إلى الكدية وبطنه معصوب بحجر. وتقدمت، وما أحسن قول الأبوصيري:

---

(١) قال ابن القيم: هذا ثناء عليه بحسب الوقت لا لتفضيله على غيره بدليل سببه. فقال ذلك جبراً لقلبهم وتطييباً لنفسهم إذ لو حضر نحو لحم أو عسل كان أحق بالمدح.

(٢) ضعفه المنذري.

وشـد مـن سغـب أحشـاءه وطـوى تحت الحجـارة كشحـاً مـترف الأدم

والكشح: كما ذكرته في شرح هذه القصيدة، ما بين خاصرته الشريفة وأقصر ضلع من جنبه الشريف.

وإنما فعل هذا ﷺ ليسكن بعض ألم الجوع، وإنمـا كان هـذا الفعل مسكناً لأن كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية، فهي إذا امتلأت من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام، فإذا لم يكن فيهـا طعام طلبت رطـوبات الجسم وجـواهره، فيتـألم الإنسان بتلك الحـرارة فتتعلق بكثير من جـواهر البـدن، فإذا انضمت عـلى المعدة الأحشاء والجلد خمدت نارها بعض الخمود فقل الألم.

وإنما تألمه بالجوع ليحصل بـه تضعيف الأجر مـع حفظ قوتـه ونضارة جسمه، حتى إن من رآه لا يظن أن به جوعاً، لأن جسمه ﷺ إنما كان يرى أشد نضارة من أجسام المترفين[1] بالنعم في الدنيا. وهذا المعنى هو الذي قصـده الناظم بقـوله «مـترف الأدم» وهو من بـاب الاحتراس والتكميل، لأنه لما ذكر أنه شد من سغب. خاف أن يتوهم أن جسمه الشريف حينئذٍ يظهر فيه أثر الجوع فاحترس ورفع ذلـك الإبهام بقوله: مترف الأدم.

وقد أنكر أبو حاتم بن حبان أحاديث وضع الحجر على بطنـه الشريف من الجوع، وقال: إنها بـاطلة، متمسكاً بحـديث الوصـال «لست كأحدكم إني أطعم وأسقى» قال وإنما معناه: الحجز، بالزاي وهو طرف الإزار، لأن الله تعالى قد كان يطعم رسول الله ﷺ ويسقيه إذا واصل، فكيف يحتاج إلى شد الحجر على بطنه؟ وما يغني الحجر عن الجوع. انتهى.

---

(١) في (ب، ط) المترفهين.

وقال بعضهم: يجوز أن يكون عصب الحجر لعادة العرب أو أهل المدينة أنهم يفعلون ذلك إذا خلت أجوافهم وغارت بطونهم يشدون عليها حجراً ففعل ﷺ ذلك ليعلم أصحابه أنه ليس عنده ما يستأثر به عليهم.

١٦٢/أ والصواب: صحة الأحاديث، وأنه ﷺ / فعل ذلك اختيار للثواب.

[إشكال وجواب]

وقد استشكل كونه ﷺ وأصحابه كانوا يطوون الأيام جوعاً، مع ما ثبت أنه كان يرفع لأهله قوت سنة، وأنه قسم بين أربعة أنفس من أصحابه ألف بعير مما أفاء الله عليه، وأنه ساق في عمرته مائة بدنة فنحرها وأطعمها المساكين، وأنه أمر لأعرابي بقطيع من الغنم، وغير ذلك، مع من كان معه من أصحاب الأموال كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم، مع بذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه. وقد- أمر بالصدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله، وعمر بنصفه، وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بألف بعير إلى غير ذلك.

وأجاب عنه الطبري[1] ـ كما حكاه في فتح الباري ـ أن ذلك كان منهم في حالة دون حالة لا لعوز وضيق، بل تارة للإيثار وتارة لكراهة الشبع وكثرة الأكل، انتهى.

وتعقب: بأن ما نفاه مطلقاً فيه نظر لما تقدم من الأحاديث. وأخرج ابن حبان في صحيحه عن عائشة: من حدثكم أنا كنا نشبع

(١) في الأصل: الطبراني.

من التمر فقد كـذبكم، فلما افتتحت قريـظة أصبنا شيئـاً من التمر والودك إلى غير ذلك.

قال الحافظ ابن حجر: والحق أن الكثير منهم كانوا في حـال ضيق قبل الهجرة، حيث كانوا بمكة ثم لما هاجروا إلى المـدينة كـان أكثرهم كذلك، فواساهم الأنصار بالمنازل والمنـائح، فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا عليهم منائحهم كما تقدم.

وقد قال ﷺ: لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من يـوم وليلة ما لي ولبلال طعام يأكله أحد إلا شيء يواريه ابط بـلال. رواه الترمـذي وصححه.

نعم كان ﷺ يختار ذلك مع إمكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا له، كما أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة، أن رسول الله ﷺ قال: عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، قلت: لا، يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكـرتك وحمـدتك. وحكمـة هـذا التفصيـل الاستلذاذ بالخطاب، وإلا فالله تعالى عالم بالأشياء جملة وتفصيلاً.

[فقر ملتزم]

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريل على الصفا، فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة[1] من دقيق، ولا كف من سويق، فلم يكن كلامه

---

(١) أي قبضة.

بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته فقال رسول الله ﷺ: أمر الله القيامة أن تقوم؟ قال: لا، ولكن أمر إسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك، فأتاه إسرافيل فقال: إن الله سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن أعرض عليك أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة [فإن رضيت][1] فعلت، فإن شئت نبياً ملكاً، وإن شئت نبياً عبداً، فأومأ إليه جبريل أن تواضع فقال: بل نبياً عبداً ثلاثاً، رواه الطبراني بإسناد حسن.

فانظر إلى همته العلية كيف عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأباها، ومعلوم أنه لو أخذها لأنفقها في طاعة ربه، فأبى ذلك واختار العبودية المحضة، فيا لها من همة شريفة رفيعة ما أسناها ونفس زكية كريمة ما أبهاها. ولله در صاحب بردة المديح حيث قال:

١٦٢/ب

وراودتــه الجبــال الشم من ذهب	عن نفسـه فـأراهـا أيما شمم/
وأكـدت زهـده فـيـهـا ضرورتـه	إن الضرورة لا تـعـدو عـلى العصم
وكيف تـدعـو إلى الـدنيا ضرورة من	لـولاه لم تخرج الـدنيـا من العـدم

أي كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين إلى زخرف الدنيا، وهي وما فيها إنما برزت لأجله، فكيف يضطر إليها. لكن في كلامه شيء، فإنه في مقام المديح فلا يليق منه الوصف بالزهد ولا بالضرورة.

[هل يوصف ﷺ بالفقر؟]

قال الحليمي في شعب الإيمان: من تعظيم النبي ﷺ أن لا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة، فلا يقال كان فقيراً.

---

(١) زيادة في ش.

وأنكر بعضهم إطلاق الزهد في حقه ﷺ . وقد حكى صاحب «نثر الدر»[1] عن محمد بن واسع أنه قيل له: فلان زاهد، قال: وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها. وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء، ونقله عنه[2] الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه «السيف المسلول» أن فقهاء الأندلس أفتوا بقتل حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه لاستخفافه بحق النبي ﷺ وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم، وزعمه أن زهده لم يكن قصداً، ولو قدر على الطيبات لأكلها. انتهى.

وقد ذكر الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض الفقهاء المتأخرين أنه كان يقول: لم يكن النبي ﷺ فقيراً من المال قط، ولا حاله حال فقير، بل كان أغنى الناس بالله، قد كفي أمر دنياه في نفسه وعياله، وكان يقول في قوله ﷺ : «اللهم أحيني مسكيناً»[3]، إن المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي أن لا يجد ما يقع موقعاً من كفايته. وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى.

وأما ما يروى أنه ﷺ قال: الفقر فخري وبه أفتخر. فقال شيخ الإسلام والحفَّاظ[4] ابن حجر: هو باطل موضوع.

[تعدد أنواع الطعام]

واعلم أنه لم يكن من عادته الكريمة ﷺ حبس نفسه الشريفة على نوع واحد من الأغذية لا يتعداه إلى سواه، فإن ذلك يضر

---

(١) هو أبو سعيد منصور بن الحسين الآبي.

(٢) في (ط، د) عن. وهو تصحيف لأن السبكي بعد القاضي عياض [م].

(٣) رواه ابن ماجه وغيره.

(٤) وقعت هنا صفة لمفرد. وفي ش: شيخ الإسلام الحافظ.

بالطبيعة جداً، ولو أنه أفضل الأغذية، بل كان ﷺ يأكل مما جرت عادة أهل بلده بأكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغيره مما سيأتي، فأكل ﷺ الحلوى والعسل وكان يحبهما، رواه البخاري والترمذي.

والحلوى: بالقصر والمد، كل حلو، وقال الخطابي: اسم الحلوى لا يقع إلا على ما دخلته الصنعة، وقال ابن سيده: ما عولج من الطعام بحلو، وقد يطلق على الفاكهة.

قال الخطابي: ولم يكن حبه ﷺ لها على معنى كثرة التشهي لها، وشدة نزاع النفس إليها، وإنما كان ينال منها إذا أحضرت إليه نيلاً صالحاً فيعلم بذلك أنها تعجبه، ووقع في كتاب فقه اللغة للثعالبي: أن حلوى النبي ﷺ التي كان يحبها هي المجيع - بالميم والجيم، بوزن عظيم - وهو تمر يعجن بلبن، حكاه في فتح الباري.

ولم يصح ورود أنه ﷺ كان يحب السكر ولا أنه تصدق به ولا أنه رآه. لكن أخرج أبو جعفر الطحاوي والبيهقي في سننه من حديث لمازة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ حضر ملاك[1] رجل من الأنصار، فجاءت الجواري معهن الأطباق عليها اللوز والسكر فأمسك القوم أيديهم، فقال ﷺ: ألا تنتهبون؟ قالوا: إنك نهيت عن النهبة[2]، قال: أما العرسان فلا، قال: فرأيت النبي ﷺ يجاذبهم ويجاذبونه.

واحتج به الطحاوي على أن النثار غير مكروه، كما ذهب إليه أبو

(١) أي نكاح وتزويج.
(٢) أي أخذ النهبة.

حنيفة، / وقضى به على الأحاديث الصحيحة التي فيها النهي عن النهبة. ١/١٦٣

لكن قال البيهقي بعد رواية الحديث: وهذا لا يثبت، ثم قال: وروي من حديث عائشة عنه ﷺ، ولا يثبت في هذا المعنى شيء، وشنع على الطحاوي القول في ذلك جداً في كتاب المعرفة وقال: الحديث إنما يروى عن عون بن عمارة وعصمة بن سليمان وكلاهما لا يحتج به، وشيخهما لمازة بن المغيرة مجهول، فهاتان علتان كل منهما منفردة توجب ضعف الحديث فكيف بهما مجتمعتان؟! هذا وخالد بن معدان منقطع[1] ولا حجة في منقطع. فهذه علل ثلاث يضعف الحديث بدونها[2]. وقد أفرد الكلام على ذلك ابن مفلح اليوسفي والله أعلم.

[طعام الخبيص]

وعن ليث بن أبي سالم قال: أول من خبص في الإسلام عثمان ابن عفان، قدمت عليه عير تحمل الدقيق والعسل فخلط بينهما وبعث به إلى رسول الله ﷺ فأكل فاستطابه. قال الطبري في الرياض: رواه خيثمة في فضائل عثمان.

وعن عبدالله بن سلام قال: قدمت عير فيها جمل لعثمان بن عفان عليه دقيق حوارى وسمن وعسل، فأتى بها النبي ﷺ فدعا فيها بالبركة ثم دعا ببرمة فنصبت على النار وجعل فيها من العسل والدقيق والسمن ثم عصد حتى نضج أو كاد ينضج ثم أنزل فقال ﷺ: كلوا

(١) أي لم يسمع من معاذ.

(٢) أي بأقل منها كواحد، فكيف إذا اجتمعت.

هذا شيء تسميه فارس الخبيص قال الطبري: خرجه تمام في فوائده[1] والطبراني في معجمه ورجاله ثقات.

وأكل ﷺ لحم الضأن.

وهذه الثلاثة - أعني: الحلوى والعسل واللحم - من أفضل الأغذية وأنفعها للبدن والكبد والأعضاء، ولا ينفر منها إلا من به علة وآفة.

[أكله اللحم ﷺ]

واللحم سيد طعام أهل الجنة، وفي رواية: هو سيد الطعام لأهل الدنيا والآخرة، رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا من حديث أبي الدرداء مرفوعاً. وسنده ضعيف وله شواهد منها:

عن علي رفعه: سيد طعام الدنيا اللحم ثم الأرز، أخرجه أبو نعيم في الطب النبوي[2].

وأكل اللحم يزيد سبعين قوة. قاله الزهري.

وعن علي: أنه يصفي اللون ويحسن الخلق ومن تركه أربعين ليلة ساء خلقه.

ولأبي الشيخ بن حيان من رواية ابن سمعان قال: سمعت من علمائنا يقولون: كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ اللحم، وهو يزيد في السمع، وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة، ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل.

---

(١) في (أ): فرائده.

(٢) أورده ابن الجوزي في الموضوع.

وقال الإمام الشافعي: إن أكله يزيد في العقل.

وكان ﷺ يعجبه الذراع ولذلك سم فيه، وعن أبي رافع أنه أهديت له شاة فجعلها في قدر، فدخل رسول الله ﷺ فقال ما هذا يا أبا رافع؟ فقال: شاة أهديت لنا يا رسول الله فطبختها في القدر. قال: ناولني الذراع يا أبا رافع، فناولته الذراع، ثم قال: ناولني الذراع الآخر، فناولته الذراع الآخر، فقال: ناولني الذراع الآخر. فقال: يا رسول الله، إنما للشاة ذراعان فقال له رسول الله ﷺ: أما إنك لو سكت لناولتني ذراعاً فذراعاً ماسكت، ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل أطراف أصابعه ثم قام فصلى. الحديث رواه أحمد.

ورواه الدارمي والترمذي عن أبي عبيد بلفظ: طبخت له ﷺ قدراً، وكان/ يعجبه الذراع، فناولته الذراع، ثم قال: ناولني ١٦٣/ب الذراع، فقلت يا رسول الله وكم للشاة من ذراع؟ فقال: والذي نفسي بيده لو سكت لناولتني الذراع ما دعوت.

وقالت عائشة: وكان الذراع أحب إليه، وكان لا يأكل اللحم إلا غباً، وكان يعجل إليها لأنه أعجل نضجاً، رواه الترمذي[١].

وكذلك كان يحب لحم الرقبة. فعن ضباعة بنت الزبير أنها ذبحت في بيتها شاة، فأرسل إليها رسول الله ﷺ أن أطعمينا من شاتكم، فقالت: ما بقي عندنا إلا الرقبة، وإني لأستحي أن أرسل بها إلى رسول الله ﷺ. فرجع الرسول فأخبره، فقال: ارجع إليها فقل لها: أرسلي بها فإنها هاربة الشاة وأقرب الشاة إلى الخير وأبعدها من الأذى[٢].

(١) في الجامع والشمائل بإسناد فيه مقال.

(٢) رواه الإمام أحمد والنسائي والبيهقي.

ولا ريب أن أخف لحم الشاة لحم الرقبة ولحم الذراع والعضد، وهو أخف على المعدة وأسرع انهضاماً، وفي هذا أنه ينبغي مراعاة الأغذية التي تجمع ثلاث خواص: أحدها: كثرة نفعها وتأثيرها في القوى، الثاني: خفتها على المعدة وسرعة انحدارها عنها، الثالث: سرعة هضمها، وهذا أفضل ما يكون من الغذاء.

وقال ﷺ: أطيب اللحم لحم الظهر، رواه الترمذي[1].

وأما حديث أنه ﷺ كان يكره الكليتين لمكانهما من البول، فقال الحافظ العراقي رويناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبدالله بن الشخير من حديث ابن عباس بإسناد فيه ضعف. انتهى.

وكان ﷺ ينتهش[2] اللحم، أي يقبض عليه بفمه ويزيله من العظم أو غيره، وينتشله أي يقتلعه من المرق. والنهش بعد الانتشال.

وفي البخاري: أنه ﷺ احتز من كتف شاة في يده، فدعي إلى الصلاة، فألقاها والسكين التي يحتز بها، ثم قام إلى الصلاة، ولم يتوضأ.

قال ابن بطال: هذا الحديث يرد حديث أبي معشر عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رفعته: لا تقطعوا اللحم بالسكين فإنه من صنيع الأعاجم وانهشوا فإنه أهنأ وأمرأ. قال أبو داود وهو حديث ليس بالقوي[3].

قال الحافظ أبو الفضل العسقلاني رحمه الله، له شاهد من

(١) وكذا رواه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما.
(٢) هي بسين مهملة أو معجمة.
(٣) قال البخاري فيه أبو معشر وهو منكر الحديث ومن مناكيره هذا الحديث.

حديث صفوان بن أمية. أخرجه الترمذي بلفظ: انهشوا اللحم نهشاً، فإنه أهنأ وأمرأ، وقال: لا نعرفه إلا من حديث عبد الكريم انتهى. قال: وعبد الكريم هو أبو أمية بن أبي المخارق، ضعيف، لكن أخرجه ابن أبي عاصم من وجه آخر عن صفوان بن أمية[1] فهو حسن لكن ليس فيه ما زاده أبو معشر من التصريح بالنهي عن قطع اللحم بالسكين. وأكثر ما في حديث صفوان أن النهش أولى. انتهى.

ويمكن الجمع: بأن النهش مما على العظم الصغير، والاحتزاز مما على الكبير.

وأكل ﷺ الشواء، فعن أم سلمة أنها قربت إلى النبي ﷺ جنباً مشوياً فأكل منه ثم قام إلى الصلاة وما توضأ، قال الترمذي حسن صحيح.

وأكل ﷺ القديد[2]، كما في حديث في السنن عن رجل[3] قال: ذبحت لرسول الله ﷺ شاة ونحن مسافرون. فقال: أصلح لحمها، فلم أزل أطعمه منه إلى المدينة .

وأكل ﷺ من الكبد المشوية.

وأكل لحم الدجاج. رواه الشيخان والترمذي وغيرهم.

وأكل لحم حمار الوحش. رواه الشيخان.

وأكل لحم الجمل سفراً وحضراً.

وأكل لحم الأرنب. رواه الشيخان.

وأكل من داوب البحر. رواه مسلم.

---

(١) من قوله أخرجه الترمذي سقط من ط.

(٢) القديد: اللحم المملوح المقدد، أي المجفف في الشمس.

(٣) من الصحابة ولا ضير في إبهامه. والحديث في السنن الأربعة.

[أطعمة أخرى]

١٦٤/أ وأكل الثريد ـ وهو بفتح المثلثة ـ أن يثرد الخبز/ بمرق اللحم، وقد يكون معه اللحم. ومن أمثالهم: الثريد أحد اللحمين. وروى أبو داود من حديث ابن عباس قال: أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد من الخبز والثريد من الحيس[١].

وأكله ﷺ بالسمن، وأكل الخبز بالزيت.

وعن حذيفة أن النبي ﷺ قال: إن جبريل أطعمني الهريسة، يشد بها ظهري لقيام الليل، رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن الحجاج اللخمي، وهو الذي وضع هذا الحديث.

وأكل ﷺ الدباء[٢] وكانت تعجبه، وكان يتتبعها من حوالي القصعة، قال أنس فلم أزل أحب الدباء من يومئذ. رواه مسلم.

قال النووي: فيه أنه يستحب أن تحب الدباء وكذلك كل شيء كان يحبه ﷺ.

وكذلك أكل ﷺ السلق مطبوخاً بالشعير. قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وأتى الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر إلى سلمى[٣] فقالوا: اصنعي لنا طعاماً مما كان يعجب رسول الله ﷺ ويحسن أكله:

---

(١) هو عند أبي داود برقم ٣٧٨٣ وقال: وهو ضعيف [م]. والحيس: تمر خلط بأقط وسمن.

(٢) هو ثمر شجر اليقطين.

(٣) هي أم رافع زوج أبي رافع، قابلة فاطمة في ابنيها.

فقالت: يا بني لا تشتهيه اليوم[1] فقال: بلى اصنعيه لنا، فقامت فأخذت شيئاً من الشعير فطحنته ثم جعلته في قدر وصبت عليه شيئاً من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته إليهم فقالت: هذا مما كان يعجبه ﷺ ويحسن أكله. رواه الترمذي.

وأكل ﷺ الخزيرة[2] ـ وهي بخاء معجمة مفتوحة ثم زاي مكسورة، وبعد التحتانية الساكنة راء ـ ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة، لكن أرق منها، قاله الطبري. وقال ابن فارس: دقيق يخلط بشحم، وقال القتبي وتبعه الجوهري: أن يؤخذ اللحم فيقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. وقيل: مرقة تصفى من بلالة النخالة ثم تطبخ، وقيل: الخزيرة بالإعجام من النخالة، والحريرة ـ يعني بالإهمال ـ من اللبن.

وقال عتبان: غدا علي رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، وحبسناه على خزير صنعناه[3].

وأكل ﷺ الأقط، قاله ابن عباس [فيما رواه][4] وهو جبن اللبن المستخرج زبده، أكلته وهو كثير بمكة والمدينة زادهما الله شرفاً، وهو أشبه شيء بالكشك.

وأكل ﷺ الرطب والتمر والبسر. رواه مسلم والترمذي وغيرهما.

---

(١) أي زمن اعتبار الناس الأطعمة اللذيذة.

(٢) كما في الصحيح من حديث عتبان بن مالك.

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) زيادة في (ط، ب، ش).

قال الشارح كذا في النسخ، بعده بياض، وقد رواه البخاري عن ابن عباس.

وأكل الكباث. رواه مسلم، وهو بفتح الكاف وتخفيف الموحدة وبعد الألف مثلثة، النضيج من ثمر الأراك. وقيل ورق الأراك، وتعقبه الاسماعيلي فقال: إنما هو ثمر الأراك وهو البرير ـ بموحدة بوزن الحرير ـ فإذا اسود فهو الكباث.

وفي النهاية لابن الأثير؛ أنه ﷺ كان يحب الجذب ـ بالجيم والذال المعجمة المفتوحتين ـ أي الجمار، وهو شحم النخل واحدتها جذبة.

وأما الجبن، ففي السنن من حديث ابن عمر قال: أتي النبي ﷺ بجبنة في تبوك فدعا بسكين فسمى وقطع. رواه أبو داود.

[جمع فاكهتين]

وكان ﷺ يراعي صفات الأطعمة وطبائعها واستعمالها على قاعدة الطب، فإذا كان في أحد الطعامين ما يحتاج إلى كسر وتعديل كسره وعدله بضده إن أمكن، كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ. وهذا أصل كبير في المركبات من الأدوية، وإن لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير إسراف.

١٦٤/ب وروى أبو داود من حديث أبي أسامة عن هشام أنه ﷺ / كان يأكل البطيخ[١] بالرطب، ويقول يكسر حر هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحر هذا.

ورواه يزيد بن رومان عن الزهري عن عروة بتقديم «الطاء» كما

---

(١) في ط: الطبيخ.

للنوقاتي[١]، وبتأخيرها كما للنسائي في الوليمة، فكأنه عند هشام باللفظين.

وكذا رواه ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن عبد الرحمن عن الإمام أحمد بن حنبل عن وهب بن جرير بن حازم، حدثنا أبي، سمعت حميداً يحدث عن أنس أن النبي ﷺ كان يأكل الطبيخ أو البطيخ بالرطب، وقال عقبة: الشك من أحمد. وتقديم الطاء لغة حكاها صاحب المحكم.

وقد كان محمد بن أسلم[٢] لا يأكل البطيخ لأنه لم ينقل كيفية أكل رسول الله ﷺ له.

وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبدالله بن جعفر قال: رأيت في يمين النبي ﷺ قثاء وفي شماله رطباً وهو يأكل من ذا مرة، ومن ذا مرة، وفي سنده ضعف[٣].

وأخرج فيه، وفي الطب لأبي نعيم من حديث أنس: كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره، فيأكل الرطب بالبطيخ، وكان أحب الفاكهة إليه. وسنده ضعيف أيضاً.

وأخرج النسائي بسند صحيح عن حميد عن أنس: رأيت رسول

---

(١) الحافظ أبو عمر محمد بن أحمد بن عمر بن سليمان السجزي روى عنه عبد المؤمن بن خلف النسفي وطبقته، وله تصانيف كما في التبصير.

(٢) محمد بن أسلم الطوسي، الزاهد الورع المقتدي بالآثار، وصفه ابن المبارك بأنه ركن من أركان الإسلام، أدرك جماعة من التابعين.

(٣) وفي الصحيحين عن عبدالله بن جعفر: رأيت رسول الله ﷺ يأكل الرطب بالقثاء.

الله ﷺ يجمع بين الرطب والخربز ـ وهو بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وكسر الموحدة بعدها زاي ـ نوع من البطيخ الأصفر.

وفي هذا تعقب على من زعم أن المراد بالبطيخ في الحديث الأخضر، واعتلوا بأن الأصفر فيه حرارة كما في الرطب، وقد ورد التعليل بأن أحدهما يطفئ الآخر.

والجواب عن ذلك بأن في الأصفر بالنسبة للرطب برودة، وإن كان فيه لحلاوته طرف حرارة، والله أعلم.

وفي رواية النسائي أيضاً، بسند صحيح عن عائشة أن نبي الله ﷺ أكل البطيخ والرطب جميعاً.

وأخرج ابن ماجه عن عائشة: أرادت أمي معالجتي للسمنة لتدخلني على رسول الله ﷺ فما استقام لها ذلك حتى أكلت الرطب بالقثاء، فسمنت كأحسن سمنة. ورواه النسائي وقال: بالتمر، . مكان الرطب.

وأما فضائل البطيخ فأحاديثه باطلة، وإن أفرده النوقاتي في جزء كما قال الحفاظ والله أعلم.

[جمع طعامين]

وقد كان ﷺ يأكل التمر بالزبد ويعجبه. فعن عبدالله وعطية ابني بسر، قالا: دخل علينا رسول الله ﷺ فقدمنا له زبداً وتمراً، وكان يحب الزبد والتمر. رواه أبو داود وابن ماجه.

وسمى النبي ﷺ اللبن والتمر الأطيبين. رواه أحمد.

وكان يأكل الخبز مأدوماً ما وجد له إداماً، فتارة يأدمه[1] باللحم ويقول: هو سيد الطعام لأهل الدنيا والآخرة[2]، وتارة بالبطيخ[3]، وتارة بالتمر، فإنه وضع تمرة على كسرة من خبز الشعير، وقال هذه إدام هذه، رواه أبو داود والترمذي بسند حسن من حديث يوسف بن عبدالله بن سلام قال: رأيت النبي ﷺ أخذ. . . فذكره.

قال ابن القيم: وهذا من تدبير الغذاء، فإن الشعير بارد يابس، والتمر حار رطب ـ على أصح القولين ـ فإدام خبز الشعير به من أحسن التدبير.

وتارة بالخل، ويقول: نعم الأدم الخل رواه مسلم، وتقدم.

قال الخطابي والقاضي عياض: معناه مدح الاقتصاد في المأكل، ومنع النفس من ملاذ الأطعمة، تقديره: ائتدموا بالخل وما في معناه مما تخف مؤنته ولا يعز وجوده، ولا تنافسوا في الشهوات فإنها مفسدة للدين مسقمة للبدن.

وتعقبه النووي فقال: الذي ينبغي أن يجزم به، أنه مدح للخل نفسه، وأما الاقتصاد في المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد أخر. انتهى.

وقال ابن القيم: هذا ثناء عليه/ بحسب مقتضى الحال الحاضر، ١٦٥/١ لا تفضيله على غيره كما ظنه بعضهم، قال: وسبب الحديث أنه دخل

---

(١) في ط يأكله.

(٢) رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا من حديث أبي الدرداء مرفوعاً وسنده ضعيف. وقد ذكر قريباً.

(٣) قال الحافظ العراقي: أكله الخبز بالبطيخ لا أصل له.

على أهله يوماً فقدموا له خبزاً فقال: ما من أدم؟ فقالوا: ما عندنا إلا الخل، فقال: نعم الأدم الخل. والمقصود أن أكل الخبز مع الأدم من أسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على أحدهما، وسمى الأدم أدماً لإصلاحه الخبز وجعله ملائماً لحفظ الصحة، وليس في هذا تفضيل له على اللبن واللحم والعسل والمرق، ولو حضر لحم أو لبن لكان أولى بالمدح منه، فقال هذا جبراً وتطييباً لقلب من قدمه له، لا تفضيلاً له على سائر أنواع الأدم.

[أكل الفاكهة]

وكان ﷺ يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها، ولا يحتمي عنها. وهذا من أكبر أسباب الصحة، فإن الله سبحانه بحكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به أهلها في وقته، فيكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم، ويغني عن كثير من الأدوية، وقل من احتمى عن فاكهة بلده خشية السقم إلا وهو من أسقم الناس جسماً وأبعدهم من الصحة والقوة، فمن أكل منها ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي، على الوجه الذي ينبغي كان له دواء نافعاً.

وقد روى ابن عباس قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل العنب خرطاً. رويناه في الغيلانيات. لكن قال أبو جعفر العقيلي ـ كما حكاه في الهدي ـ: لا أصل لهذا الحديث.

قال ابن الأثير: يقال خرط العنقود واخترطه إذا وضعه في فيه ثم يأخذ حبه ويخرج عرجونه عارياً منه. قال: وجاء في بعض الروايات خرصاً ـ بالصاد بدل الطاء ـ.

[أكل البصل والثوم]

وأما البصل فروى أبو داود في سننه عن عائشة أنها سئلت عن البصل فقالت: إن آخر طعام أكله رسول الله ﷺ فيه بصل[1].

وثبت عنه في الصحيحين أنه منع آكله من دخول المسجد.

وكان ﷺ يترك الثوم دائماً لأنه يتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة.

قال النووي: واختلف أصحابنا في حكم الثوم في حقه ﷺ وكذلك البصل والكراث ونحوها، فقال بعض أصحابنا: هي محرمة عليه، والأصح عندهم أنها مكروهة كراهة تنزيه وليست محرمة لعموم قوله ﷺ : لا، في جواب: أحرام هي؟ ومن قال بالأول يقول: معنى الحديث: ليس بحرام في حقكم. انتهى.

فينبغي لمحبه موافقته ﷺ في ترك الثوم ونحوه، وكراهة ما كان يكرهه ﷺ ، فإن من أوصاف المحب الصادق أن يحب ما أحب محبوبه ويكره ما يكرهه.

[طريقة الأكل وجلسته]

وكان ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث. رواه الترمذي في الشمائل[2].

وهذا ـ كما في الهدي ـ أنفع ما يكون من الأكلات، فإن الأكل بأصبع أكل المتكبر، ولا يستلذ به الآكل ولا يمريه ولا يشبعه إلا بعد

---

(١) قال البيهقي: كان مشوياً في قدر أي مطبوخاً.

(٢) وأخرجه أحمد ومسلم وأبو داود.

طول، ولا يفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها في كل أكلة فيأخذها على إغماض كما يأخذ الرجل حقه حبة حبة أو نحو ذلك، فلا يلتذ بأخذه، والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على الآلة وعلى المعـدة، وربما استـدت الآلات فمات، وتغضب الآلات عـلى دفعه، والمعدة على احتماله، ولا يجد له لذة ولا استمراء، فأنفع الأكل أكله ﷺ ، وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاثة.

وكـان ﷺ يلعق أصابعـه إذا فرغ ثـلاثـاً: رواه الـترمـذي في الشمائل[1].

وفي رواية مسلم ويلعق يده قبل أن يمسحها. وفي رواية أنه أمر بلعق الأصابع والصحفة[2].

١٦٥/ب وقد روى الترمذي عن أم عاصم قـالت: دخل علينـا نبيشة/ الخير، ونحن نأكل في قصعة فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال: من أكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة، وكذا أخرجه ابن مـاجه وأحمد وابن شاهين والدارمي وغيرهم. وقال الـترمذي: إنـه حديث غريب. وأورده بعضهم بلفظ: تستغفر الصحفة للاحسها.

وفي حديث جابر مرفوعاً عن أبي الشيخ في الثواب: من أكل ما يسقط من الخوان أو القصعة أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق.

وللديلمي من طريق الرشيد عن آبائه عن ابن عباس رفعه؛ من أكل ما يسقط من المائدة خرج ولده صباح الوجوه، ونفي عنه الفقر.

---

(١) وفي رواية: كان يلعق أصابعه الثلاث.

(٢) وهذه الرواية عند مسلم.

وأورده الغزالي في الإحياء بلفظ: عاش في سعة وعوفي في ولده. وكلها مناكير.

لكن في مسلم عن جابر وأنس مرفوعاً: إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه لأنه لا يدري في أي طعامه البركة.

وفي حديث كعب بن عجرة عند الطبراني في الأوسط صفة لعق الأصابع، ولفظه: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث، بالإبهام والتي تليها والوسطى، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها، الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام.

قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي: كأن السر فيه أن الوسطى أكثر تلويثاً لأنها أطول فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها، ولأنها لطولها أول ما ينزل الطعام.

وقد وقع في مرسل ابن شهاب عند سعيد بن منصور أن النبي ﷺ كان إذا أكل أكل بخمس. فيجمع بينه وبين ما تقدم باختلاف الحال.

وقد جاءت علة اللعق مبينة ـ في بعض الروايات ـ أنه لا يدري أحدكم في أي طعامه البركة.

وفي الحديث رد على من كره لعق الأصابع استقذاراً ممن ينسب للرياسة والإمرة في الدنيا. نعم، يحصل ذلك لو فعله أثناء الأكل لأنه يعيد أصابعه في الطعام، وعليها أثر ريقه.

قال الخطابي: عاب قوم أفسد عقلهم الترفه لعق الأصابع، وزعموا أنه مستقبح، كأنهم لم يعلموا أن الطعام الذي علق بالأصابع

والصحفة جزء من أجزاء ما أكلوه، وإذا لم يكن سائر أجزائه مستقذراً لم يكن الجزء اليسير منه مستقذراً، وليس في ذلك أكثر من مصه أصابعه بباطن شفتيه، ولا يشك عاقل أن لا بأس بذلك، فقد يتمضمض الإنسان فيدخل أصبعه في فيه فيدلك أسنانه وباطن فمه، ثم لم يقل أحد إن ذلك قذارة وسوء أدب، انتهى.

ولا ريب أن من استقذر ما نسب إلى رسول الله ﷺ سيء الأدب، يخشى عليه أمر عظيم، فنسأل الله بوجاهة وجهه الكريم أن لا يسلك بنا غير حلاوة سبيل سنته وأن يديم لنا محبته.

وقد كان ﷺ لا يأكل متكئاً، لما صح أنه قال: لا آكل متكئاً. رواه البخاري.

وقال: إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد، وآكل كما يأكل العبد[1].

وروى ابن ماجه والطبراني بإسناد حسن قال: أهديت للنبي ﷺ شاة، فجثا على ركبتيه يأكل فقال له أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال: إن الله جعلني كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً.

قال ابن بطال: إنما فعل ذلك النبي ﷺ تواضعاً لله، ثم ذكر من طريق أيوب عن الزهري قال: أتى النبي ﷺ ملك لم يأته قبلها فقال: إن ربك يخيرك بين أن تكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فنظر/ إلى ١٦٦/ا جبريل كالمستشير له، فأومأ إليه أن تواضع، فقال: بل عبداً نبياً قال فما أكل متكئاً.

وهذا مرسل أو معضل، وقد وصله النسائي من طريق الزبيدي

(١) رواه أبو داود وابن ماجه.

عن الزهري عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاصي قال: ما رؤي النبي ﷺ يأكل متكئاً قط.

وأخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد قال: ما أكل النبي ﷺ متكئاً إلا مرة واحدة.

ويمكن الجمع بأن تلك المرة التي في أثر مجاهد لم يطلع عليها عبدالله ابن عمرو. فقد أخرج ابن شاهين «في ناسخه» من مرسل عطاء بن يسار: أن جبريل رأى النبي ﷺ يأكل متكئاً فنهاه، وروى ابن ماجه أنه ﷺ نهى أن يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه.

وقد فسر القاضي عياض في الشفاء الاتكاء بالتمكن للأكل والتقعدد للجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته. قال: والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه. والنبي ﷺ إنما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعياً. قال: وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين انتهى.

والإقعاء: أن يلصق أليتيه بالأرض وينصب ساقيه ويتساند إلى ظهره، وهو المنهي عنه في الصلاة.

وتفسير القاضي عياض الاتكاء بما فسره به حكاه في الإكمال[1] عن الخطابي، وقال: إن الخطابي خالف في هذا التأويل أكثر الناس، وأنهم إنما حملوا الاتكاء على أنه الميل على أحد الجانبين. انتهى.

والذي رأيته يعزى للخطابي: تحسب العامة أن المتكئ هو الآكل

---

(١) في ط: الأذكار، قال في هامش ب الإكمال هو شرح مسلم للقاضي عياض.

على أحد شقيه وليس كذلك، بل هو المعتمد على الوطاء الذي تحته. انتهى.

وقد فسر أيضاً بالميل على أحد الشقين، وبه فسر ابن الجوزي.

وقيل هو الاعتماد على الشيء، وقيل: أن يعتمد على يده اليسرى من الأرض.

وقد أخرج ابن عدي بسند ضعيف: زجر النبي ﷺ أن يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الأكل.

قال الإمام مالك: هو نوع من الاتكاء، قال الحافظ أبو الفضل العسقلاني: وفي هذا إشارة من مالك إلى كراهة كل ما يعد الآكل فيه متكئاً، ولا يختص بصفة بعينها.

وحكى ابن الأثير في النهاية أن من فسر الاتكاء بالميل على أحد الشقين تأوله على مذهب الطب.

وقال ابن القيم: إنه يضر بالآكل، فإنه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته ويعوقه عن سرعة نفوذه إلى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء.

وأما الاعتماد على الشيء فهو جلوس الجبابرة المنافي للعبودية، ولهذا قال ﷺ: آكل كما يأكل العبد.

وإن كان المراد بالاتكاء الاعتماد على الوسائل والوطاء الذي تحت الجالس ـ كما ذكرته عن الخطابي ـ فيكون المعنى: أني إذا أكلت لم أقعد متكئاً على الأوطئة والوسائد كفعل الجبابرة ومن يريد الإكثار من الطعام، لكني آكل بلغة من الزاد، فلذلك أقعد مستوفزاً.

وفي حديث أنس أنه ﷺ أكل تمراً وهو مقع[1]، [من الجوع][2].

وفي رواية[3]: وهو محتفز. والمراد الجلوس على وركيه غير متمكن.

واختلف السلف في حكم الأكل متكئاً، فزعم ابن القاص: أن ذلك من خصائصه ﷺ[4].

وتعقبه السهيلي فقال: قد يكره لغيره أيضاً لأنه من فعل المتعظمين، وأصله مأخوذ من ملوك العجم، قال: فإن كان بالمرء مانع لا يتمكن معه من الأكل إلا متكئاً لم يكن في ذلك كراهة، ثم ساق عن جماعة من السلف أنهم أكلوا كذلك، وأشار إلى حمل ذلك عنهم على الضرورة.

قال/ في فتح الباري: وفي الحمل نظر، وقد أخرج ابن أبي شيبة ١٦٦/ عن ابن عباس. وخالد بن الوليد ومحمد بن سيرين وعطاء بن يسار وغيرهم جواز ذلك مطلقاً، وإذا ثبت كونه مكروهاً أو خلاف الأولى، فالمستحب في صفة الجلوس للآكل أن يكون جاثياً على ركبتيه وظهور قدميه، أو ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى. انتهى.

وقال ابن القيم: ويذكر عنه ﷺ أنه كان يجلس للأكل متوركاً على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى تواضعاً لله عز وجل وأدباً بين يديه. قال: وهذه الهيئة أنفع هيئات الأكل وأفضلها. لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليه. انتهى.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) زيادة في ش. قال الشارح: فهو لضرورة.

(٣) الرواية لمسلم.

(٤) أي كراهة الاتكاء في الأكل.

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون أن يأكلوا اتكاة[1] مخافة أن تعظم بطونهم.

[التسمية والحمد]

وكان ﷺ إذا وضع يده في الطعام يسمي الله تعالى[2].

وأما قول النـووي في آداب الأكل من الأذكـار: والأفضل أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فإن قال: بسم الله كفاه وحصلت السنة. فقال في فتح الباري: لم أر لما أدعاه من الأفضلية دليلاً خاصاً.

وكان ﷺ يحمد الله في آخره فيقول: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا. رواه الترمذي[3].

وقوله: غير مودع ـ بفتح الدال الثقيلة ـ أي غير متروك.

ولا مستغنى: بفتح النون.

و: ربنا: بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو ربنـا، ويجوز النصب على المدح، أو الاختصاص، أو إضمار أعني. وقال ابن الجوزي: بالنصب على النداء مع حذف أداة النداء.

وفي رواية: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين[4].

---

(١) كذا في (ا، ب، د) وفي ط: التكاءة، وفي ش: تكأة.
(٢) روى الإمام أحمد: كان ﷺ إذا قرب إليه طعامه قال: بسم الله.
(٣) ورواه البخاري وابن ماجه، وكان على المصنف أن يعزوه للبخاري كما هو مصطلح.
(٤) رواه أحمد والأربعة.

وللنسائي من طريق عبد الرحمن بن جبير المصري أنه حدثه رجل خدم النبي ﷺ ثمان سنين أنه كان يسمع النبي ﷺ إذا قرب إليه طعام يقول: بسم الله، فإذا فرغ قال: اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت وسنده صحيح.

[الأكل باليد اليمنى]

وقد كان ﷺ يحب التيامن في شأنه كله[1]، وقال ﷺ: يا غلام، سم الله وكل بيمينك و[كل][2] مما يليك[3].

قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي: حمله أكثر الشافعية على الندب، وبه جزم الغزالي ثم النووي. لكن نص الشافعي في الرسالة وفي موضع آخر من الأم على الوجوب، كذا ذكر عنه الصيرفي في شرح الرسالة.

ونقل البويطي في مختصره: أن الأكل من رأس الثريد، والتعريس على الطريق، والقران في التمر حرام.

ومثل البيضاوي في منهاجه للندب بقوله ﷺ: كل مما يليك.

وتعقبه الشيخ تاج الدين بن السبكي في شرحه: بأن الشافعي نص في غير هذا الموضع على أن من أكل مما لا يليه عالماً بالنهي كان عاصياً آثماً، قال: وقد جمع والدي نظائر هذه المسألة في كتاب له سماه «كشف اللبس عن المسائل الخمس» ونصر القول بأن الأمر فيها للوجوب.

---

(١) رواه الأئمة الستة.

(٢) زيادة في ش.

(٣) رواه الأئمة الستة.

قال شيخ الإسلام ابن حجر، بعد أن ذكر ذلك: ويدل على وجوب الأكل باليمين ورود الوعيد في الأكل بالشمال، ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ رأى رجلاً يأكل بشماله فقال: كل بيمينك، فقال: لا أستطيع، قال: لا استطعت، فما رفعها إلى فيه بعد[1].

فإن قلت: إنه ﷺ كان يتتبع الدباء من حوالي القصعة وهو يعارض الأكل مما يلي.

فالجواب: أنه يحمل الجواز على ما إذا علم رضى من يأكل معه، فإذا علم كراهة/ من يأكل معه لذلك لم يأكل إلا مما يليه. قال ابن بطال: وإنما جالت يد رسول الله ﷺ في الطعام، لأنه علم أن أحداً لا يتكره[2] ذلك منه ولا يتقذره، بل كانوا يتبركون بريقه وبما مسه بيده، بل كانوا يتبادرون إلى نخامته فيتدلكون بها. ١٦٧/ا

وقال غيره: إنما فعل ذلك لأنه كان يأكل وحده. وهو غير مسلَّم، لأن أنساً أكل معه ﷺ.

وحديث عكراش عند الترمذي: الذي فيه التفصيل بين ما إذا كان لوناً واحداً فلا يتعدى ما يليه، أو أكثر من لون فيجوز، ضعيف والله أعلم.

[غسل اليدين]

وقرب إليه ﷺ طعام، فقالوا: ألا نأتيك بوضوء؟ قال: إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة. رواه الترمذي.

---

(١) فتح الباري ٥٢٢/٩.

(٢) في ط: لا يكره، وفي ش: لا ينكر.

وفي رواية له: أنه ﷺ قال: بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده.

فيحمل الوضوء الأول على الشرعي والثاني على اللغوي.

وروى أبو يعلى بإسناد ضعيف من حديث ابن عمر: من أكل من هذه اللحوم شيئاً فليغسل يده من ريح وضره، ولا يؤذي[1] من حذاءه.

[الطعام الحار]

ولم يكن ﷺ يأكل طعاماً حاراً، فروى الطبراني في الصغير والأوسط من حديث بلال بن أبي هريرة عن أبيه أن النبي ﷺ أتي بصحفة تفور، فقال: إن الله لم يطعمنا ناراً، قال: وبلال قليل الرواية عن أبيه. انتهى.

وعند أبي نعيم في الحلية، من حديث أنس مرفوعاً: كان يكره الكي والطعام الحار ويقول: عليكم بالبارد فإنه ذو بركة، ألا وإن الحار لا بركة له. الحديث.

ولأحمد وأبي نعيم من حديث أسماء أنها كانت إذا ثردت غطته بشيء حتى يذهب فوره ثم تقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: هو أعظم بركة[2].

لكن عند البيهقي - بسند صحيح - عن أبي هريرة قال: أتي

---

(١) كذا في النسخ. والأصل لغةً حذف الياء لوجود لا الناهية والعطف على مجزوم. [م].

(٢) في سنده ابن لهيعة وفيه ضعف. وكذا الأحاديث قبله فيها مقال.

النبي ﷺ بطعام سخن فقال: ما دخل بطني طعام سخن منذ كـذا وكذا قبل اليوم.

[صفة قدحه ﷺ]

وكان له ﷺ قدح من خشب مضبب بحديد، قال أنس لقـد سقيته ﷺ بهذا القدح الشراب كله: الماء والنبيذ والعسل(١).

وفي البخاري عن سهل بن سعد قال: أقبـل النبي ﷺ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه، ثم قال اسقنا يا سهل، فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه، فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعـد ذلك فـوهبه لـه. الحديث. وكان عمر بن عبد العزيز قد ولي حينئذٍ إمرة المدينة.

وعند البخاري من حديث عاصم الأحـول قال: رأيت قـدح النبي ﷺ عند أنس بن مالك، وكان قـد انصدع فسلسله بفضة. قال: وهو قدح جيد عريض من نضار، وقال: قال أنس: لقد سقيت رسول الله ﷺ في هذا القدح أكثر من كذا وكذا، قـال: وقال ابن سيرين: إنه كان فيه حلقة من حديد فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة، فقال أبو طلحة: لا تغيرن شيئاً صنعه رسول الله ﷺ وتركه.

وعنـده: في فرض الخمس من طـريق أبي حمـزة السكـري عن عاصم قال: رأيت القدح وشربت منه.

---

(١) رواه مسلم والترمذي، وسقط من قلم المصنف ذكر اللبن بعد العسل.

وأخرجه أبو نعيم من طريق علي بن الحسن بن شقيق عن أبي حمزة، ثم قال: قال علي بن الحسن وأنا رأيت القدح وشربت منه.

وذكر القرطبي في مختصر البخاري أنه رأى في بعض النسخ القديمة من البخاري: قال أبو عبدالله البخاري: ـ رأيت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه، وكان اشتري من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف.

ووقع عند أحمد من طريق شريك عن عاصم: رأيت/ عند أنس قدح النبي ﷺ فيه ضبة من فضة. ١٦٧/ب

وقوله: من نضار ـ بضم النون وبالضاد المعجمة ـ الخالص من العود ومن كل شيء ويقال: أصله من شجر النبع، وقيل: من الأثل ولونه يميل إلى الصفرة.

[لم يأكل ﷺ على خوان]

ولم يأكل ﷺ على خوان ولا أكل خبزاً مرققاً، رواه الترمذي.

والخوان ـ بكسر المعجمة ويجوز ضمها ـ المائدة ما لم يكن عليها طعام.

وأما السفرة: فاشتهرت لما يوضع عليه الطعام.

وكان ﷺ ينهى عن النوم على الأكل، ويذكر أنه يقسي القلب، ذكره أبو نعيم، ولـذا قال الأطبـاء ـ كما في الهـدي ـ من أراد حفظ الصحة فليمش بعد العشاء ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه فإنه يضر جداً، والصلاة بعد الأكل تسهل هضمه.

[شربه ﷺ]

وأما شربه ﷺ فقد كان يستعذب له الماء، أي يطلب له الماء الحلو. قالت عائشة: كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا. رواه أبو داود. وهي ـ بضم المهملة وبالقاف ـ وهي عين بينها وبين المدينة يومان[1].

قال ابن بطال: واستعذاب الماء لا ينافي الزهد، ولا يدخل في الترفه المذموم، بخلاف تطييب الماء بالمسك ونحوه، فقد كرهه مالك لما فيه من السرف. وأما شرب الماء الحلو وطلبه فمباح قد فعله الصالحون. وليس في شرب الماء المالح فضيلة.

وقد كان ﷺ يشرب العسل الممزوج بالماء البارد.

قال ابن القيم: وفي هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدي إلى معرفته إلا أفاضل الأطباء، فإن شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة، ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات، ويسخنها باعتدال ويفتح سددها، والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن.

وقالت عائشة: كان أحب الشراب إليه ﷺ الحلو البارد. رواه الترمذي.

---

(١) كذا نقله أبو داود عقب روايته الحديث عن شيخه فيه قتيبة بن سعيد. قال السمهودي: وهو صحيح، لكنها ليست المراد هنا. وكأنه لم يطلع على أن بالمدينة بئراً تسمى بذلك. وقال أبو بكر بن موسى: السقيا بئر بالمدينة، أي على بابها، وكان يستسقى لرسول الله ﷺ منها. فالحديث محمول على هذا. ثم لو سلم أن المراد الاستعذاب من العين التي ذكر قتيبة فمحمول على أنه كان يستعذب له منها إذا نزل قربها في سفرحج أو غيره، أما استعذابه منها إلى المدينة فلا أراه وقع أصلاً. انتهى ملخصاً [المحقق].

ويحتمل أن تريد به الماء الممزوج بالعسل أو الذي نقع فيه التمر والزبيب.

وكان ينبذ له أول الليل ويشربه إذا أصبح يومه ذلك، والليلة التي تجيء، والغد إلى العصر، فإن بقي شي سقاه الخادم أو أمر به فصب. رواه مسلم.

وهذا النبيذ: هو ماء يطرح فيه تمر يحليه، وله نفع عظيم في زيادة القوة، ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفاً من تغيره إلى الإسكار.

وكان ﷺ يشرب اللبن خالصاً تارة، وتارة مشوباً بالماء البارد، لأن اللبن عند الحلب يكون حاراً، وتلك البلاد في الغالب حارة، فكان يكسر حر اللبن بالماء البارد.

وعن جابر أنه ﷺ دخل على رجل من الأنصار، ومعه صاحب له، فسلم فرد الرجل وهو يحول الماء في حائطه، فقال ﷺ : إن كان عندك ماء بات في شنه وإلا كرعنا، فقال: عندي ماء بات في شن، فانطلق إلى العريش فسكب في قدح ثم حلب عليه من [لبن](1) داجن، فشرب ﷺ الحديث. رواه البخاري.

وكان ﷺ يقول: ليس يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن. قال الترمذي: حديث حسن.

وللترمذي أيضاً: عن ابن عمر مرفوعاً: ثلاثة لا ترد: اللبن والوسادة والدهن.

وأنشد بعضهم:

---

(1) في [أ، ط].

قد كان من سيرة خير الورى صلى عليه الله طول الزمن
أن لا يرد الطيب والمتكا واللحم أيضاً يا أخي واللبن

قال ابن القيم: ولم يكن ﷺ يشرب على طعامه لئلا يفسده، ولا سيما إن كان الماء[1] حاراً أو بارداً فإنه رديء جداً. انتهى.

١٦٨/١ وكان ﷺ يشرب قاعداً وكان ذلك عادته. رواه مسلم/.

وفي رواية له أيضاً: أنه نهى عن الشرب قائماً. وفي رواية له أيضاً عن أبي هريرة: لا يشربن أحدكم قائماً، فمن نسي فليستقئ.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال: أتيت النبي ﷺ بدلو من ماء زمزم فشرب وهو قائم.

وفي حديث علي عند البخاري: أنه[2] شرب وهو قائم، ثم قال: إن أناساً يكرهون الشرب قائماً، وإن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت.

وكل هذه الأحاديث صحيحة ولا إشكال فيها ولا تعارض، وغلط من زعم أن فيها نسخاً، وكيف يصار إلى النسخ مع إمكان الجمع بين الأحاديث، والصواب: أن النهي محمول على كراهة التنزيه، وأما شربه ﷺ قائماً فلبيان الجواز.

فإن قلت: كيف يكون الشرب قائماً مكروهاً، وقد فعله ﷺ ؟

فالجواب: أن فعله ﷺ إذا كان بياناً للجواز لا يكون مكروهاً، بل البيان واجب عليه ﷺ .

---

(١) ليست في ش.
(٢) أي علي رضي الله عنه.

وأما قوله ﷺ: فمن نسي فليستقئ فمحمول على الاستحباب والندب، فيستحب لمن شرب قائماً أن يتقيأ لهـذا الحديث الصحيح الصريح سواء كان ناسياً أو لا، قاله النووي.

وقال المالكية: لا بأس بالشرب قائماً، واستدلوا لذلك بحديث جبير بن مطعم قال: رأيت أبا بكر الصديق يشرب قائماً. ويقول مالك إنه بلغه عن عمر بن الخطاب وعثمان وعلي أنهم كانوا يشربون قياماً. وأجابوا عن حديث أبي هريرة «لا يشربن أحدكم قـائماً، فمن نسي فليستقئ» بأن عبد الحق قال: في إسناده عمر بن حمزة العمري، وهو ضعيف. انتهى.

وقال المازري: قال بعض شيوخنا لعل النهي ينصرف لمن أتى أصحابه بماء فبادر لشربه قائماً قبلهم استبداداً به، وخروجاً عن كون ساقي القوم آخرهم شرباً.

وقال بعض الشيوخ: الأظهر أنه موقوف على أبي هريرة. قال: والأظهر لي أن أحاديث شربه قائماً تدل على الجواز، وأحاديث النهي تحمل[1] على الاستحباب والحث على مـا هو أولى وأكمـل، لأن في الشرب قائماً ضرراً ما، فكره من أجله، وفعله هو لأمنه[2] منه، قال: وعلى هذا الثاني يحمل قوله: فمن شرب فليستقئ، على أن ذلك يحرك خلطاً يكون القيء دواءه، ويؤيده قول النخعي: إنما نهى عن ذلك لداء البطن. انتهى.

وقال ابن القيم: للشرب قائماً آفات عديدة منها: أنه لا يحصل

---

(١) في ط: تدل.

(٢) في ط: لأمته. وهو تصحيف.

به الري التام، ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء وينزل بسرعة إلى المعدة فيخشى منه أن تبرد حرارتها، ويسرع النفوذ إلى أسافل البدن بغير تدريج، وكل هذا يضر بالشارب قائماً، فإذا فعله نادراً لم يضره.

وعند أحمد عن أبي هريرة أنه رأى رجلاً يشرب قائماً، فقال له قئه، فقال لم؟ قال: أيسرك أن يشرب معك الهر قال: لا، قال: قد شرب معك من هو شر منه: الشيطان.

وكـان ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثـاً ويقول: إنـه أروى وأمرأ وأبرأ. رواه مسلم.

ومعنى تنفسه: إبانة القدح عن فيه، وتنفسه خارجه، ثم يعود إلى الشرب.

وأخرج الطبراني في الأوسط بسنـد حسن عن أبي هريـرة: أن النبي ﷺ كان يشرب في ثلاثة أنفاس: إذا أدنى الإناء إلى فيه سمى الله، فإذا أخره حمد الله، يفعل ذلك ثلاثاً.

وفي هذا الشرب حكم جمة وفوائد مهمة، نبه ﷺ على مجامعها بقوله: إنه أروى وأمرأ وأبرأ، فأروى: من الري ـ بكسر الراء من غير همز ـ أشد رياً وأبلغه وأنفعه. وأبرأ، أفعل من البرء ـ بالهمز ـ وهـو الشفاء، أي يبرئ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبـة دفعات، تسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه، والثالثة ما عجزت عنه الثانية. وأيضاً: / فـإنه أسلم لحـرارة المعدة، وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة، فإنه أسلم ١٦٨/ب

عاقبة وآمن غائلة من تناول جميع ما يروي دفعة واحدة، فإنه يخاف منه أن يطفئ الحرارة الغريزية لشدة برده وكثرة كميته، أو يضعفها فيؤدي ذلك إلى فساد المعدة والكبد، وإلى أمراض رديئة، خصوصاً في سكان البلاد الحارة، وفي الأزمنة الحارة، فإن الشرب فيهما وهلة واحدة مخوف عليهم جداً.

وقوله: أمرأ: بالهمز، أفعل من مرؤ الطعام والشراب في بدنه إذا داخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع. انتهى.

وقال بعضهم: والمعنى أنه يصير هنيئاً مريئاً. أي: سالماً أو مبرئاً من مرض أو عطش أو أذى. ويؤخذ من ذلك: أنه أقمع للعطش وأقوى على الهضم،.

ومن آفات الشرب نهلة واحدة، أنه يخاف منه الشرق، بأن ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه، فإذا تنفس رويداً ثم شرب أمن من ذلك. وقد روى عبدالله بن المبارك والبيهقي وغيرهما عن النبي ﷺ: إذا شرب أحدكم فليمص الماء مصاً، ولا يعب عباً فإنه يورث الكباد.

والكباد: ـ بضم الكاف وتخفيف الباء ـ وجع الكبد.

ولا معارضة بين التنفس هنا وبين النهي عن التنفس في الإناء الوارد في الحديث، لأن المنهي عنه التنفس داخل الإناء، فإنه ربما حصل للماء تغير من النفس، إما لكون المتنفس كان متغير الفم لمأكول مثلاً، أو لبعد عهده بالسواك والمضمضة، أو لأن النفس يصعد ببخار المعدة، وهاهنا التنفس خارج الإناء فلا تعارض، فلو لم يتنفس جاز الشرب بنفس واحد. وقيل يمنع مطلقاً لأنه شرب الشيطان.

[معاملة الطفيلي]

وكان ﷺ إذا دعي لطعام وتبعه أحد أعلم به رب المنزل، فيقول: إن هذا تبعنا فإن شئت رجع[1].

[من آداب الولائم]

وكان يكرر على أضيافه ويعرض عليهم الأكل مراراً، وفي حديث أبي هريرة في قصة شرب اللبن، وقوله مراراً: اشرب، فما زال يقول: اشرب حتى قال: والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً. رواه البخاري.

وكان ﷺ إذا أكل مع قوم كان آخرهم أكلاً. رواه البيهقي في الشعب عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلاً. وفي حديث ابن عمرو مرفوعاً عند ابن ماجه والبيهقي[2]: إذا وضعت المائدة فلا يقوم الرجل وإن شبع حتى يفرغ القوم، فإن ذلك يخجل جليسه وعسى أن يكون له في الطعام حاجة.

وكان ﷺ إذا أكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم. فدعا في منزل عبدالله بن بسر فقال: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم

---

(١) جاء في البخاري ومسلم وغيرهما: عن أبي مسعود الأنصاري قال: كان من الأنصار رجل يقال له أبو شعيب وكان له غلام لحام فقال: اجعل لي طعاماً يكفي خمسة فإني أريد أن أدعو رسول الله ﷺ وقد عرفت في وجهه الجوع، فدعا رسول الله ﷺ خامس خمسة فتبعهم رجل فقال النبي ﷺ: إنك دعوتني خامس خمسة وهذا رجل قد تبعنا فإن شئت أذنت له وإن شئت تركته. قال: بل أذنت له.

(٢) ضعفه البيهقي فقال: وأنا أبرأ من عهدته.

وارحمهم رواه مسلم، ودعا في منزل سعد فقال: أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة. رواه أبو داود، وسقاه آخر لبناً فقال: اللهم أمتعه بشبابه، فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء، رواه ابن السني[1].

---

(١) سنده ضعيف.

النوع الثاني

في لباسه ﷺ وفراشه

قال البخاري: باب ما كان النبي ﷺ يتجوز من اللباس[1].

يعني يتوسع فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه، أو لا يضيق بطلب النفيس الغالي، بل يستعمل ما تيسر.

وقال القاضي عياض: كان ﷺ قد اقتصر منه على ما تدعوه ضرورته إليه، وزهد فيما سواه، فكان يلبس ما وجده، فيلبس - في غالب أحواله - الشملة والكساء الخشن والأردية والأزر، ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب، ويرفع لمن لم يحضر. إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة، وهي من سمات النساء، والمحمود منها/ نقاوة الثوب، والتوسط في جنسه، وكونه لبس مثله، غير مسقط لمروءة جنسه. انتهى.

١٦٩/أ

وقد روى أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعاً: أن من كرامة المؤمن على الله عز وجل نقاء ثوبه ورضاه باليسير.

وله أيضاً من حديث جابر: أن النبي ﷺ رأى رجلاً وسخة ثيابه فقال: أما وجد هذا شيئاً ينقي به ثيابه؟

[العمامة]

فقد كانت سيرته ﷺ في ملبسه أتم وأنفع للبدن وأخفه عليه،

(١) الباب ٣١ من كتاب اللباس في البخاري [المحقق].

فإنه لم تكن عمامته بالكبيرة التي يؤذي حملها ويضعفه ويجعله عرضة للآفات، كما يشاهد من حال أصحابها، ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد، بل وسطاً بين ذلك، وكان يدخلها تحت حنكه، فإنها تقي العنق من الحر والبرد، وهو أثبت لها عند ركوب الخيل والإبل، والكر والفر، وكذلك الأردية والأزر أخف على البدن من غيرها.

وقد أطنب ابن الحاج في المدخل في الاستدلال لاستحباب التحنيك، ثم قال: وإذا كانت العمامة من باب المباح فلا بد فيها من فعل سنن تتعلق بها، من تناولها باليمين والتسمية والذكر الوارد، إن كانت مما لبس جديداً، وامتثال السنة في صفة التعميم، من فعل التحنيك والعذبة. وتصغير العمامة يعني سبعة أذرع أو نحوها، يخرجون منها التحنيك والعذبة، فإن زاد في العمامة قليلاً لأجل حر أو برد فيسامح فيه. ثم قال بعد أن ذكر قوله: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[1]، فعليك بأن تتسرول قاعداً وتتعمم قائماً. انتهى.

[طول الكم]

ولم يكن ﷺ يطول أكمامه ويوسعها، بل كان كم قميصه إلى الرسغ، وهو منتهى الكف عند المفصل، لا يجاوز اليد فيشق على لابسه ويمنعه سرعة الحركة والبطش، ولا يقصره ﷺ عن هذا فتبرز للحر والبرد، وقد روي عن أسماء بنت يزيد قالت: كان كم قميص رسول الله ﷺ إلى الرسغ. رواه الترمذي.

---

(١) سورة الحشر، الآية ٧

[طول الإزار]

وكان ذيل قميصه وردائه إلى أنصاف الساقين، لم يتجاوز الكعبين، فيؤذي الماشي ويجعله كالمقيد، ولم يقصر عن عضلة ساقيه، فيتأذى بالحر والبرد. أشار إليه في زاد المعاد.

وأخرج الترمذي عن الأشعث بن سليم قال: سمعت عمتي تحدث عن عمها قال: بينا أنا أمشي بالمدينة إذا إنسان خلفي يقول: ارفع إزارك فإنه أتقى وأنقى، فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إنما هي بردة، قال: أما لك في أسوة؟ فنظرت فإذا إزاره إلى نصف ساقيه.

وأخرج الطبراني من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل عن ابن عمر قال: رآني النبي ﷺ أسبلت إزاري، فقال: يا ابن عمر، كل شيء لمس الأرض من الثياب فهو في النار.

وفي البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار)[1].

قال الخطابي: يريد أن الموضع الذي يناله الإزار من أسفل الكعبين في النار، فكنى بالثوب عن بدن لابسه، ومعناه: أن الذي دون الكعبين من القدم يعذب بالنار عقوبة. وحاصله أنه من باب تسمية الشيء باسم ما جاوره أو حل فيه، وتكون «من» بيانية[2].

وللطبراني من حديث عبدالله بن مغفل، رفعه: (إزرة المؤمن إلى

---

(١) في البخاري برقم ٥٧٨٧ وفيه: ففي النار.

(٢) عن فتح الباري ١٠/٢٥٧.

أنصاف الساقين وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين، وما أسفل من ذلك ففي النار)[1].

والإزرة: ـ بالكسر ـ الحالة وهيئة الائتزار مثل الركبة والجلسة.

واعلم ـ طهر الله ثوبي وثوبك، ونزه سري وسرك ـ أن هذا الإطلاق محمول على ما ورد من قيد الخيلاء، فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق[2]. وقد أخرج أصحاب السنن إلا الترمذي ـ واستغربه ـ وابن أبي شيبة من طريق عبد العزيز بن أبي رواد عن سالم ابن عبدالله بن عمر/ عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جر شيئاً منها خيلاء، الحديث[3]، فبين في هذه الرواية أن الحكم ليس خاصاً بالإزار، وإن جاء في أكثر طرق الأحاديث بلفظ الإزار.

١٦٩/ب

قال الطبري: إنما ورد الخبر بلفظ الإزار، لأن أكثر الناس في عهده كانوا يلبسون الأزر والأردية، فلما لبس الناس القمص والدراريع[4] كان حكمها حكم الإزار في النهي.

قال ابن بطال: هذا قياس صحيح لو لم يأت النص بالثوب فإنه يشمل جميع ذلك، وفي تصوير جر العمامة نظر إلا أن يكون المراد ما جرت به عادة العرب من إرخاء العذبات، فمهما زاد على العادة في ذلك كان من الإسبال... وهل يدخل في الزجر عن جر الثوب

---

(١) ورواه النسائي من حديث أبي هريرة، وأبو داود وابن ماجه والنسائي عن أبي سعيد.

(٢) عن فتح الباري ١٠/٢٥٧.

(٣) تتمته: لم ينظر الله إليه يوم القيامة.

(٤) جمع دارعة.

تطويل أكمام القميص ونحوه؟ محل نظر. والذي يظهر أن من أطالها حتى خرج عن العادة كما يفعله بعض الحجازيين دخل في ذلك[1].

[لباس الخيلاء]

قال ابن القيم: وأما هذه الأكمام الواسعة الطوال، التي هي كالأخراج، وعمائم كالأبراج، فلم يلبسها ﷺ هو ولا أحد من أصحابه، وهي مخالفة لسنته، وفي جوازها نظر، فإنها من جنس الخيلاء، انتهى.

وقال صاحب «المدخل»[2]: ولا يخفى على ذي بصيرة أن كم بعض من ينسب إلى العلم اليوم فيه إضاعة المال المنهي عنها، لأنه قد يفضل من ذلك الكم ثوب لغيره. انتهى.

لكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها، وصار لكل نوع من الناس شعار يعرفون به، ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلاء فلا شك في تحريمه، وما كان على طريق العادة، فلا تحريم فيه ما لم يصل إلى جر الذيل الممنوع منه. ونقل القاضي عياض عن العلماء كراهة كل ما زاد على العادة وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة.

وفي حديث أبي هريرة عند البخاري مرفوعاً (بينما رجل يمشي تعجبه [نفسه][3] مرجل جمته، إذ خسف الله[4] به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة)[5].

---

(١) قول الطبري وما بعده عن فتح الباري ١٠/٢٦٢ [م].
(٢) هو ابن الحاج.
(٣) سقطت من النسخ وهي في البخاري.
(٤) لفظ الجلالة في ش وهو في البخاري أيضاً، وسقط من النسخ.
(٥) هو في البخاري برقم ٥٧٨٩.

وفي الطبراني وأبي داود (إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر فيها، فنظر الله إليه فمقته، فأمر الأرض فأخذته).

وهذا الوعيد المذكور يتناول الرجال والنساء على هذا الفعل المخصوص، وقد فهمت ذلك أم سلمة رضي الله عنها، فأخرج النسائي والترمذي - وصححه - من طريق أيوب عن نافع عن ابن عمر: فقالت أم سلمة فكيف تصنع النساء بذيولهن فقال: يرخين شبراً فقالت: إذاً تنكشف أقدامهن، قال: فيرخينه ذراعاً لا يزدن عليه.

[الخلاصة في طول الإزار]

وحاصل ما ذكر في ذلك: أن للرجال حالين، حال استحباب: وهو أن يقتصر بالإزار على نصف الساق، وحال جواز: وهو إلى الكعبين، وكذلك للنساء حالان: حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر، وحال جواز بقدر ذراع[1]، وأن الإسبال يكون في الإزار والقميص والعمامة، وأنه لا يجوز إسباله تحت الكعبين إن كان للخيلاء، وإن كان لغيرها فهو مكروه للتنزيه.

قال النووي: وظواهر الأحاديث في تقييدها بالخيلاء يدل على أن التحريم مخصوص بالخيلاء، قال: وهذا نص الشافعي على الفرق كما ذكرنا انتهى.

[التحقيق في طول ثياب النساء]

تنبيه: قال العراقي في شرح الترمذي: الذراع الذي رخص

---

(١) عن فتح الباري ١٠/٢٥٩ [م].

للنساء فيه، هل ابتداؤه من الحد الممنوع منه الرجال، وهو من الكعبين، أو من الحد المستحب وهو أنصاف الساقين، أو حده من أول ما يمس الأرض؟

الظاهر أن المراد الثالث: بدليل حديث أم سلمة الذي رواه أبو داود والنسائي ـ واللفظ له ـ وابن ماجه، قالت: سئل رسول الله ﷺ كم تجر المرأة من ذيلها؟ قال: شبراً، قالت: إذاً ينكشف عنها، قال: فذراع لا تزيد عليه، فظاهره: أن لها أن تجر على الأرض منه ذراعاً.

قال: والظاهر أن المراد بالذراع ذراع اليد وهو شبران، لما في ١٧٠/أ سنن/ ابن ماجه عن ابن عمر قال: رخص رسول الله ﷺ لأمهات المؤمنين شبراً، ثم استزدنه فزادهن شبراً، فدل على أن الذراع المأذون فيه شبران، وهو الذراع الذي يقاس به الحصر اليوم. انتهى.

وإنما جاز ذلك للنساء لأجل الستر لأن المرأة كلها عورة إلا ما استثني.

[لباس الرأس]

وقد كان له ﷺ عمامة تسمى السحاب، ويلبس تحتها القلانس اللاطئة[1].

والقلانس: جمع قلنسوة ـ بفتح القاف وسكون النون وضم المهملة وفتح الواو، وقد تبدل ياء تحتية، وقد تبدل ألفاً وتفتح السين،

---

(١) أي اللاصقة.

يقال: قلنساة، وقد تحذف النون من هذه بعدها هاء تأنيث ـ غشاء مبطن يستر به الرأس، قاله الفراء[1]. في شرح «الفصيح»[2].

وقال ابن هشام: هي التي يقول لها العامة الشاشية، وفي «المحكم»[3]: هي ملابس الرؤوس، معروفة، وقال أبو هلال العسكري: هي التي تغطى بها العمائم وتستر من الشمس والمطر، كأنها عنده رأس البرنس. انتهى.

وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: (دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء)، وفي رواية لأنس عند البخاري (دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر) وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء، زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس.

ويجمع بينهما: بأن العمامة السوداء كانت فوق المغفر.

وجمع بينهما القاضي عياض: بأن أول دخوله كان على رأسه المغفر، ثم بعد ذلك كان على رأسه العمامة بعد إزالة المغفر، بدليل قوله في حديث عمرو بن حريث عن أبيه (خطب الناس وعليه عمامة سوداء) لأن الخطبة إنما كانت عند باب الكعبة بعد تمام فتح مكة. قال الولي بن العراقي: وهو أولى وأظهر في الجمع من الأول. وقد تقدم نحو ذلك في غزوة فتح مكة.

---

(١) الفراء: أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبدالله الأسدي، مولاهم، نزيل بغداد، النحوي المشهور صدوق في الحديث، وكان ورعاً متديناً، مات بطريق مكة سنة سبع ومائتين، وله سبع وستون.

(٢) كتاب «الفصيح» لثعلب.

(٣) لابن سيدة.

وعن ابن عمر قال: (كان النبي ﷺ إذا اعتم سدل) رواه الترمذي في الشمائل، زاد مسلم (وقد أرخى طرفها بين كتفيه).

وقد روى أبو محمد بن حيان[1] في كتاب «أخلاق النبي ﷺ» من حديث ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يعتم قال: يدير كور العمامة على رأسه ويغرسها من ورائه ويرخي لها ذؤابة بين كتفيه.

وروى مسلم من حديث عمرو بن حريث قال: (رأيت النبي ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه) وعنده أيضاً عن جابر قال: (دخل مكة وعليه عمامة سوداء) ولم يذكر فيه ذؤابة، فدل على أنه لم يكن يرخيها دائماً بين كتفيه.

لكن قد يقال: إن دخوله مكة كان وعليه أهبة القتال والمغفر على رأسه، فلبس في كل موطن ما يناسبه.

وقال ابن القيم في الهدي النبوي: وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر في سبب الذؤابة شيئاً بديعاً: وهو أن النبي ﷺ إنما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه بالمدينة لما رأى رب العزة فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، فوضع يده[2] بين كتفي فعلمت ما بين السماء والأرض. الحديث وهو في الترمذي، وسئل عنه البخاري فقال: صحيح. قال: فمن تلك الغداة أرخى الذؤابة بين كتفيه. قال[3]: وهذا من العلم الذي تنكره ألسنة الجهال وقلوبهم، قال: ولم أر هذه الفائدة في شأن الذؤابة لغيره. انتهى.

وعبارة غير الهدي: وذكر ابن تيمية أنه ﷺ لما رأى ربه واضعاً

(١) هو الحافظ الملقب بأبي الشيخ.
(٢) في ط: كفه، قال الشارح وفي رواية: كفه.
(٣) أي ابن القيم.

يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة. انتهى لكن قال العراقي بعد أن ذكره: لم نجد لذلك أصلاً. انتهى.

وروى ابن أبي شيبة عن علي قال: عممني رسول الله ﷺ بعمامة سدل طرفها على منكبي وقال: إن الله أمدني يوم/ بدر ويوم حنين ١٧٠/ب بملائكة معممين هذه العمة وقال: إن العمامة حاجز بين المسلمين وبين المشركين.

قال عبد الحق الإشبيلي[١]: وسنة العمامة ـ بعد فعلها ـ أن يرخي طرفها ويتحنك به، فإن كانت بغير طرف ولا تحنيك فذلك يكره عند العلماء، واختلف في وجه الكراهة، فقيل لمخالفة السنة فيها، وقيل: لأنها كذلك عمائم الشياطين.

وجاءت الأحاديث في إرسال طرفها على أنواع: منها ما تقدم أنه أرسل طرفها على منكب علي، ومنها: أن عبد الرحمن بن عوف قال: عممني رسول الله ﷺ فسدلها بين يدي ومن خلفي[٢]. ذكره أبو داود[٣].

وعن ابن عباس أنه رأى النبي ﷺ وعليه عمامة دسماء أي سوداء. رواه الترمذي[٤].

---

(١) عبد الحق الإشبيلي، العلامة الحافظ الفقيه الأزدي، والاشبيلي نسبة إلى إشبيلية، كان عالماً بالحديث وعلله عارفاً بالرجال، زاهداً، له تصانيف كثيرة، مات سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وله إحدى وسبعون سنة.

(٢) قال العراقي: يحتمل أن المراد أرخى طرفها الواحد من خلفه والآخر من بين يديه.

(٣) سنده ضعيف وفيه راو لم يسم.

(٤) وكذا البخاري مطولاً.

وفي حديث ركانة أنه ﷺ قال: إن فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس. رواه الترمذي أيضاً[١].

وعن أبي كبشة الأنماري قال: كانت كمام[٢] أصحاب النبي ﷺ بطحاً. رواه الترمذي أيضاً. وفي رواية أكمة، وهما جمع كثرة وقلة، الكمة[٣]: القلنسوة، يعني أنها كانت منبطحة غير منتصبة.

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كانت له كمة بيضاء، رواه الدمياطي.

[أحب الثياب إليه ﷺ]

وكان أحب الثياب إليه ﷺ القميص، كما في الشمائل للترمذي، من حديث أم سلمة قالت: (كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص)[٤].

وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ في رهط من مزينة لنبايعه وإن قميصه لمطلق الأزرار - أو قال: زر قميصه مطلق - قال: فأدخلت يدي في جيب قميصه فمسست الخاتم. رواه الترمذي[٥].

---

(١) وقال غريب وليس إسناده بالقائم، قال السخاوي: هو واه.

(٢) كمام: جمع كُمة: وهي القلنسوة المدورة. القاموس المحيط [م].

(٣) كذا في د وفي النسخ: وهما جمع كثرة وقلة للكمة القلنسوة... وقال الشارح: القلنسوة بالجر بدل.

(٤) وكذا رواه أبو داود في اللباس والنسائي في الزينة.

(٥) ورواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان.

وعن أنس قال: كان قميص رسول الله ﷺ قطناً قصير الطول والكمين، رواه الدمياطي.

وعن أنس بن مالك قال: كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ يلبسه الحبرة. رواه الترمذي(١).

والحبرة: ضرب من البرود فيه حمرة.

وعن أبي رمثة قال: رأيت رسول الله ﷺ وعليه بردان أخضران رواه الترمذي.

وعن عطاء(٢) عن أبي يعلى عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالبيت مضطبعاً ببرد أخضر. رواه أبو داود(٣).

وعن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه أن النبي ﷺ لبس جبة رومية ضيقة الكمين. رواه الترمذي(٤).

وعن أبي ذر: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض. رواه البخاري(٥).

وعن عائشة قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط شعر أسود، رواه الترمذي(٦).

---

(١) ورواه البخاري ومسلم وأبو داود.
(٢) في أبي داود والترمذي والنسائي لا ذكر لعطاء، وهو عن ابن يعلى عن يعلى، وابن يعلى هو صفوان بن يعلى بن أمية ثقة روى له الستة.
(٣) في ش رواه الترمذي وهو صحيح أيضاً.
(٤) رواه الترمذي مختصراً، وهو في الصحيحين وغيرهما مطولاً.
(٥) وكذا رواه مسلم.
(٦) ورواه مسلم أيضاً.

وعن أنس قال كان رسول الله ﷺ يلبس الصوف، وكان له ﷺ كساء ملبد يلبسه ويقول: (إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد) رواه الشيخان[1].

[ملابس المتصوفة]

فإن قلت قد علم من هذا، ومن سيرة السلف الصالح، بذاذة[2] الهيئة ورثاثة[3] الملابس[4]، فما بال الشاذلية من الصوفية يجملون هيآتهم وملابسهم، وطريقهم الاقتداء بالسنة الشريفة والسلف الصالح.

أجاب العارف الرباني علي الوفائي[5]، أذاقنا الله حلاوة مشربه، ومن خطه الكريم نقلت بما لفظه: ذلك لأنهم نظروا إلى المعاني والحكم. فوجدوا السلف الصالح لما وجدوا أهل الغفلة والشغل لدنياهم منهمكين على الزينة الظاهرة، تفاخراً بدنياهم واطمئناناً إليها وإشعاراً بأنهم من أهلها، خالفوهم إظهاراً لحقارة ما حقره الحق مما عظمه الغافلون بالغنى[6] عما اطمأن إليه الغافلون، فكأن أطمارهم يومئذٍ تقول الحمد لله الذي أغنانا به عما أفقر نفسه إليه من همه دنياه. فلما طال الأمد وقست القلوب بنسيان/ ذلك المعنى، واتخذ الغافلون ١/١٧١

(١) قال الشارح: ولم أره فيهما ولا في أحدهما بهذا اللفظ في مظانه.
(٢) بذاذة الهيئة: أي سوؤها.
(٣) أي عدم حسنها، فهو بمعنى البذاذة.
(٤) هذا العلم والاستنتاج من المصنف فيه نظر، إذ ليس هذا سيرة النبي ﷺ، انظر تفصيل ذلك في كتاب «التربية الجمالية في الإسلام» للمحقق [م].
(٥) في ب الوفوي.
(٦) في ط بالفناء

رثاثة الأطمار وبذاذة الهيئة حيلة على [جلب][1] دنياهم انعكس الأمر[2]، فصار مخالفة هؤلاء في ذلك لله هو قول السلف وطريقتهم كما تقدم.

قال: وقد أرشد الأستاذ أبو الحسن الشاذلي[3]، قدس الله سره العزيز، إلى ذلك بقوله لبعض من أنكر عليه جمال هيئته من أصحاب الرثاثة: يا هذا هيئتي هذه تقول: الحمد لله، وهيئتك هذه تقول: أعطوني شيئاً من دنياكم.

والقوم أفعالهم دائرة مع الحكمة الربانية مرادهم مرضاة ربهم. انتهى ما قاله سيدي على وفا.

[بحث في الجمال]

وقد ورد في الحديث الصحيح عنه ﷺ، (إن الله جميل يحب الجمال)[4] وفي الحديث الآخر (إن الله نظيف يحب النظافة)[5] وفي السنن عن أبي الأحوص الجشمي عن أبيه قال: رآني النبي ﷺ وعلي أطمار - وفي رواية النسائي: وعلى ثوب دون - فقال: هل لك من مال؟ قلت: نعم، قال: من أي المال؟ قلت: من كل ما آتى الله من الإبل

---

(١) في ش.

(٢) من المعلوم أن الإسلام منهج ثابت وليس ردود فعل [م].

(٣) تقي الدين علي بن عبدالله بن عبد الجبار، شيخ الطائفة، قال ابن دقيق العيد: ما رأيت أعرف بالله من الشاذلي. مبدأ ظهوره بشاذلة في الغرب الأقصى. كان العز بن عبد السلام يحضر مجلسه، مات سنة ست وخمسين وستمائة متوجهاً إلى مكة...

(٤) أخرجه مسلم والترمذي.

(٥) أخرجه ابن عدي عن ابن عمر مرفوعاً ولكنه ضعيف.

والشاء، قال: فكثر[1] نعمته وكرامته عليك، وفي رواية النسائي قال: فإذا آتاك الله مالاً فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته.

وفي حديث جابر أنه ﷺ رأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال: (ما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه، ورأى رجلاً عليه ثياب وسخة فقال: ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه) رواه أحمد.

وفي السنن: (إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده).

فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه، وهو جمال باطن، فيجب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها، ولأجل محبته تعالى للجمال أنزل على عباده لباساً يجمل ظواهرهم، وتقوى تجمل بواطنهم فقال تعالى: **﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾**[2] وقال في أهل الجنة: **﴿ولقاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾**[3] فجمل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير.

وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والهيئة، فيبغض القبيح وأهله ويحب الجمال وأهله. ولكن ضل في هذا الموضع فريقان:

فريق قالوا: كل ما خلق الله تعالى جميل، فهو يحب كل ما خلقه، ونحن نحب جميع ما خلقه فلا نبغض منه شيئاً، قالوا: ومن

---

(١) أي أظهر، وفي ب: فلير.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٦.

(٣) سورة الإنسان، الآية ١١.

رأى الكائنات منه رآها كلها جميلة، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿**الذي أحسن كل شيء خلقه**﴾[1] وهؤلاء قد عدموا الغيرة لله من قلوبهم، والبغض في الله، والمعاداة فيه[2]، وإنكار المنكر وإقامة الحدود.

والفريق الثاني، قالوا: قد ذم الله جمال الصور، وتمام القامة والخلقة، فقال عن المنافقين: ﴿**وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم**﴾[3]، وفي صحيح مسلم مرفوعاً (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)، قالوا: وقد حرم الله علينا لباس الحرير والذهب، وآنية الذهب والفضة، وذلك من أعظم جمال الدنيا. وقال تعالى: ﴿**لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه**﴾[4] وفي الحديث (البذاذة من الإيمان)[5] وقد ذم الله المسرفين، والسرف كما يكون في الطعام والشراب يكون في اللباس.

وفصل النزاع أن يقال: الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع: منه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم.

فالمحمود منه، ما كان لله وأعان على طاعة الله، وتنفيذ أوامره، والاستجابة له، كما كان النبي ﷺ يتجمل للوفود، وهو نظير/ لباس آلة الحرب للقتال، ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه، فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه. ١٧١/ب

---

(١) سورة السجدة، الآية ٧.

(٢) هذه الجملة سقطت من ش.

(٣) سورة المنافقون، الآية ٤.

(٤) سورة طه، الآية ١٣١.

(٥) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه. قال الشارح: البذاذة من الإيمان، أي من أخلاق أهله إن قصد به تواضعاً وزهداً وكف نفس عن فخر وتكبر، لا إظهار فقر.

والمذموم منه: ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء، وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه، فإن كثيراً من الناس[1] ليس له همة في سوى ذلك.

وأما ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا عن هذين القصدين، وتجرد عن الوصفين.

والمقصود من هذا الحديث أن الله تعالى يحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والشعور المكروهة، والختان وتقليم الأظافر وغير ذلك مما وردت به السنة، والله أعلم.

[لبس الأحمر من الثياب]

وعن جابر بن سمرة قال: رأيت النبي ﷺ في ليلة [مقمرة][2] أضحيان[3]، فجعلت أنظر إليه ﷺ وإلى القمر، وعليه حلة حمراء، فإذا هو أحسن عندي من القمر. رواه الدارمي والترمذي.

وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: رأيت النبي ﷺ وعليه حلة حمراء كأنني أنظر إلى بريق ساقيه. قال سفيان[4]: أراه حبرة.

وعن البراء بن عازب قال: ما رأيت أحداً من الناس أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ. رواهما الترمذي.

---

(١) في (ب، ط): النفوس.
(٢) في (ب، ط)
(٣) أي مقمرة منيرة لا ظلمة فيها ولا غيم من أولها إلى آخرها.
(٤) سفيان هو راوي الحديث عن عون، قيل هو الثوري، وقيل ابن عيينة.

وفي البخاري ومسلم: رأيته في حلة حمراء لم أر شيئاً قط أحسن منه.

وفي رواية لأبي داود[1] ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ.

وقوله: من ذي لمة: - بكسر اللام - أي شعر الرأس، دون الجمة، سميت بذلك لأنها ألمت بالمنكبين، فإذا زادت فهي الجمة.

وفي النسائي: ما رأيت رجلاً أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ.

قال في القاموس: الحلة - بالضم - إزار ورداء، برد أو غيره، ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة.

[حكم لبس الثوب الأحمر]

قال ابن القيم: وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتاً[2]، ولا يخالطها غيرها، وإنما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود، كسائر البرود اليمانية، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط، وإلا فالأحمر البحت ينهى عنه أشد النهي، وفي صحيح البخاري: (أنه ﷺ نهى عن المياثر[3] الحمر)[4] وفي صحيح

---

(1) وكذا رواه الترمذي.

(2) بحتاً، أي خالصة.

(3) قال في فتح الباري: المياثر: جمع ميثرة، قال أبو عبيد: المياثر الحمر التي جاء النهي عنها كانت من مراكب العجم من ديباج وحرير، وقال الطبري هي وعاء يوضع على سرج الفرس أو رحل البعير من الأرجوان. ثم ذكر أقوالاً أخرى ۱۰/۳۰۷ [م]

(4) رقم الحديث في البخاري ٥٨٤٩

مسلم عن ابن عمر قال: (رأى النبي ﷺ علي ثوبين معصفرين فقال: إن هذا لباس الكفار فلا تلبسهما) ومعلوم أن ذلك إنما يصبغ صباغاً أحمر.

قال: وفي جواز لبس الأحمر من الثياب والجوخ وغيرهما نظر، وأما كراهته فشديدة، فكيف يظن بالنبي ﷺ أنه لبس الأحمر القاني، كلا لقد أعاذه الله منه، وإنما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء والله أعلم. انتهى.

وقال النووي: اختلف العلماء في الثياب المعصفرة، وهي المصبوغة بعصفر فأباحها جميع العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وبه قال الإمام الشافعي وأبو حنيفة ومالك، ولكنه قال: غيرها أفضل منها. وفي رواية عنه أنه أجاز لبسها في البيوت وأفنية الدور وكرهه في المحافل والأسواق وغيرها.

وقال جماعة من العلماء: هو مكروه كراهة تنزيه، وحملوا النهي على هذا، لأنه ثبت أنه ﷺ لبس حلة حمراء. وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أنه ﷺ صبغ بالصفرة. وحمل بعضهم النهي على المحرم بالحج أو العمرة.

١/١٧٢ وقد أتقن البيهقي/ المسألة في «معرفة السنن»[١] فقال: نهى الشافعي الرجل عن المزعفر، وأباح له المعصفر، قال الشافعي: وإنما رخصت في المعصفر لأني لم أجد أحداً يحكي عنه ﷺ النهي عنه، إلا ما قال علي رضي الله عنه أنه ﷺ نهاني ولا أقول نهاكم. قال البيهقي: وقد جاءت أحاديث تدل على [أن][٢] النهي على العموم، ثم ذكر

---

(١) اسم كتاب.

(٢) في ش.

حديث مسلم (أن هذه من لباس الكفار) وأحاديث غيرها، ثم قال: ولو بلغت هذه الأحاديث الشافعي لقال بها إن شاء الله تعالى، ثم ذكر بإسناده ما صح عن الشافعي أنه قال: إذا صح الحديث بخلاف قولي فاعملوا بالحديث ودعوا قولي. وفي رواية: مذهبي.

قال البيهقي: قال الشافعي: وأنهى الرجل الحلال بكل حال أن يتزعفر وآمره إذا تزعفر أن يغسله، قال البيهقي: فتبع السنة في المزعفر فمتابعتها في المعصفر أولى به، انتهى.

ورأيت في فتاوى شيخنا العلامة قاسم أحد أئمة الحنفية ومحققيها كراهته للتحريم مع صحة الصلاة فيه، واستدل له بما ذكرته، وبما في حديث طاووس عند الحاكم وقال على شرطهما عن ابن عمرو بن العاص قال: دخلت على النبي ﷺ وعلي ثوب معصفر، قال: من أين لك هذا؟ قال: صنعته[1] لي أهلي فقال ﷺ: احرقه[2] انتهى.

وعن جابر بن عبدالله قال: كان رسول الله ﷺ يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة، وعن يحيى بن عبدالله بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يصبغ ثيابه بالزعفران قميصه ورداءه وعمامته. رواهما الدمياطي. وهو عند أبي داود بلفظ: يصبغ بالورس والزعفران ثيابه حتى عمامته، وكذا رواه من حديث زيد بن أسلم وأم سلمة وابن عمر، لكن يعارضه ما في الصحيح أنه ﷺ نهى عن التزعفر والله أعلم.

---

(١) في ش صبغته.

(٢) المقصود الزجر.

[صفة إزاره ﷺ]

وأما صفة إزارة ﷺ ، فعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال: أخرجت إلينا عائشة كساء وإزاراً غليظاً فقالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين، رواه البخاري، وفي رواية(١): إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن، وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة، وفي رواية(٢): كساء ملبداً.

قال ابن الأثير: أي مرقعاً، يقال: لبدت القميص ألبده، ولبدته، ويقال للخرقة التي يرقع بها صدر القميص. اللبدة: وقيل الملبد: الذي ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبد.

وروى مسلم من حديث عائشة قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود.

والمرط: ـ بكسر الميم وإسكان الراء ـ كساء من صوف أو خز، يؤتزر به.

والمرحل: بتشديد الحاء المهملة المفتوحة، كمعظم، هو الذي فيه صور الرحال، قال في القاموس في مادة رح ل: وكـ«معظم»: برد فيه تصاوير رحل، قال: وتفسير الجوهري إياه بإزار خز فيه علم، غير جيد، إنما ذلك تفسير المرجل ـ بالجيم ـ، وقال في مادة رج ل ـ يعني بالجيم ـ: وبرد مرجل كمعظم، فيه صور الرجال، انتهى.

وقال النووي: والصواب(٣) الذي رواه الجمهور، وضبطه

---

(١) موصولة عند مسلم، معلقة عند البخاري.

(٢) للبخاري في كتاب الخمس.

(٣) سقطت من ش.

المتقنون: بالحاء المهملة، أي عليه صور رحال الإبل، ولا بأس بهذه الصورة، وإنما يحرم تصوير الحيوان.

وقال الخطابي، المرحل، الذي فيه خطوط والله أعلم.

وعن عروة: أن طول رداء النبي ﷺ أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر،

وعن عروة أيضاً: أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد رداء أخضر في طول أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر.

وعن معن بن عيسى قال حدثنا محمد بن هلال قال: رأيت على هشام بن عبد الملك/ برد النبي ﷺ من حبرة له حاشيتان. ١٧٢/ب

وعن ابن عمر قال: دخلت على رسول الله ﷺ وعليه إزار يتقعقع[1].

وعن يزيد بن أبي حبيب أنه ﷺ كان يرخي الإزار بين يديه ويرفعه من ورائه.

وعن ابن عباس قال: رأيت رسول الله ﷺ يأتزر تحت سرته وتبدو سرته، ورأيت عمر يأتزر فوق سرته، رواها كلها الدمياطي.

[لبس الطيلسان]

(فصل) وعن أسماء بنت أبي بكر، أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية، لها لبنة ديباج، وفرجاها مكفوفان بالديباج، وقالت: هذه

---

(١) أي يصوت عند رد بعضه على بعض لجدته.

جبة رسول الله ﷺ، كانت عند عائشة، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها. رواه مسلم[1].

وقوله: جبة طيالسة: بإضافة جبة إلى طيالسة.

وكسروانية: بكسر الكاف وفتحها، والسين ساكنة والراء مفتوحة، نسبة إلى كسرى ملك الفرس.

ولبنة: بكسر اللام وإسكان الباء، رقعة في جيب القميص.

وفيه: جواز لبس ما له فرجان وأنه لا كراهة فيه، وأن المراد بالنهي عن الحرير المتمحض منه، أو ما أكثره منه[2]، وأنه ليس المراد تحريم كل جزء منه، بخلاف الخمر والذهب فإنه يحرم كل جزء منهما، قاله النووي.

(لطيفة) قيل: لما كان رسول الله ﷺ لا يبدو منه إلا طيب، كان آية ذلك في بدنه الشريف أنه لا يتسخ له ثوب، فما اتسخ له ثوب قط، وقال ابن سبع في «الشفاء» والسبتي في «أعذب الموارد وأطيب الموالد»: لم يكن القمل يؤذيه تعظيماً له وتكريماً ﷺ لكن يشكل عليه ما رواه أحمد والترمذي في الشمائل عن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يفلي ثوبه ويحلب شاته، ومن لازم التفلي وجود شيء يؤذي في الجملة، إما قملاً أو برغوثاً أو نحو ذلك. ويمكن أن يجاب: بأن التفلي لاستقذار وجود ما علق بثوبه الشريف من غيره، ولو لم يحصل منه أذى في حقه ﷺ، وهذا فيه بحث، لأن أذى القمل هو غذاؤه من البدن على ما أجرى الله العادة، وإذا امتنع الغذاء لا

---

(١) في كتاب اللباس من صحيحه برقم (١٠).

(٢) هذه الجملة سقطت من ش.

يعيش الحيوان عادة. ونقل الفخر الرازي: أن الذباب لا يقع على ثيابه قط، وأنه لا يمتص دمه البعوض.

وأما الطيلسان[1] ـ وهو بفتح اللام، واحدة الطيالسة، والهاء في الجمع للعجمة لأنه فارسي معرب، وهو الساج أيضاً، وقال ابن خالويه في شرح «الفصيح» يقال للطيلسان الأخضر: الساج، وفي «المجمل» لابن فارس: الطاق الطيلسان ـ فقال ابن القيم: لم ينقل عنه ﷺ أنه لبسه، ولا أحد من أصحابه، بل ثبت في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ أنه ذكر الدجال فقال: يخرج معه سبعون ألفاً من يهود أصبهان عليهم الطيالسة. ورأى أنس جماعة عليهم الطيالسة فقال: ما أشبههم بيهود خيبر.

قال: ومن هاهنا كرهه جماعة من السلف والخلف، لما روى أبو داود والحاكم في المستدرك أنه قال:(من تشبه بقوم فهو منهم) وفي الترمذي: (ليس منا من تشبه بغيرنا) وأما ما جاء في حديث الهجرة أنه ﷺ جاء إلى أبي بكر رضي الله عنه متقنعاً بالهاجرة، فإنما فعله ﷺ تلك الساعة ليختفي بذلك للحاجة، ولم يكن عادته التقنع. وقد ذكر أنس عنه ﷺ أنه كان يكثر القناع. وهذا إنما كان يفعله للحاجة من الحر ونحوه. قال شيخ الإسلام الولي بن العراقي في شرح تقريب الأسانيد: التقنع معروف وهو تغطية الرأس بطرف العمامة أو برداء/ أو نحو ذلك. انتهى.

١/١٧٣

وقال ابن الحاج في «المدخل»: وأما قناع الرجل فهو أن يغطى رأسه بردائه ويرد طرفه على أحد كتفيه. انتهى.

---

(١) قال ابن قرقول: شبه الأردية يوضع على الرأس والكتفين والظهر.

وأما قول ابن القيم: إنه ﷺ إنما فعل ذلك للحاجة، فيرد عليه حديث سهل بن سعد أنه ﷺ كـان يكثر القنـاع. رواه البيهقي في الشعب والترمذي[١]، وللبيهقي في الشعب أيضاً وابن سعد في طبقاته من حديث أنس بلفظ: يكثر التقنع، فهذا وما أشبهه يرد قول ابن القيم: أنه لم ينقل عنه أنه ﷺ لبسه.

وأما قوله: ولا أحد من أصحابه، فيرده ما أخرجه الحاكم في المستدرك، بسند على شرط الشيخين عن مرة بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة فقربها، فمر رجل مقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذٍ على الهدى، فقمت فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنـه. وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن أبي العلاء قال: رأيت الحسن ابن علي يصلي[٢] وهو مقنع رأسه، وأخرج ابن سعد عن سليمان بن المغيرة قال: رأيت الحسن يلبس الطيالسة، وأخرج عن عمارة بن زاذان قال: رأيت على الحسن طيلساناً أندقياً[٣].

وأما ما ذكـره ابن القيم من قصة اليهـود، فقال الحـافظ ابن حجر: إنما يصلح الاستدلال به في الوقت الذي تكون الطيالسة من شعارهم، وقد ارتفع ذلك في هذه الأزمنة فصار ذلك داخلاً في عموم المباح، وقد ذكره ابن عبد السلام في أمثلة البدعـة المباحـة[٤]. وقد يصير من شعار قوم فيكون تركه من الإخلال بالمروءة.

وقيل: إنما أنكر أنس ألوان الطيالسة لأنها كانت صفراء. والله أعلم.

---

(١) إسناده ضعيف، قاله الحافظ العراقي.

(٢) كلمة (يصلي) سقطت من ط.

(٣) نسبة إلى أندق، قرية في سمرقند.

(٤) في ط: في أمثلة المباح.

[الخاتم]

وأما الخاتم ففي الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ورق[1]، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس.

وفيهما أيضاً عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ لبس خاتم فضة فيه فص حبشي، وكان يجعل فصه مما يلي كفه.

وأخرج أحمد والنسائي والترمذي والبزار في مسنده عن بريدة أن النبي ﷺ رأى في يد رجل خاتماً من حديد، فقال مالي أجد منك ريح الأصنام، ثم قال له: اتخذه من فضة ولا تزد على مثقال.

[حكم لبس الخاتم]

وقد اختلف العلماء في لبسه في الجملة، فأباحه كثير من أهل العلم من غير كراهة، ومنهم من كرهه إذا قصد به الزينة، ومنهم من كرهه إلا لذي سلطان، لحديث أبي داود والنسائي عن أبي ريحانة أن النبي ﷺ نهى عن لبس الخاتم إلا لذي سلطان. ولأنه ﷺ إنما اتخذه لحاجة ختم الكتب التي يبعثها إلى الملوك، كما في حديث أنس أنه ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي فقيل له إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بختم فصاغ خاتماً ونقش فيه: محمد رسول الله[2]، وإنما لبسه أبو بكر رضي الله عنه لأجل ولايته، فإنه كان يحتاج إليه كما كان ﷺ يحتاج إليه وكذلك عمر وعثمان.

---

(١) أي فضة.

(٢) متفق عليه.

وحكى ابن عبد البر عن طائفة من العلماء كراهة لبسه مطلقاً، احتجاجاً بحديث أنس أنه ﷺ نبذه ولم يلبسه. وفي الشمائل للترمذي عن ابن عمر أنه ﷺ اتخذ خاتماً من فضة فكان يختم به ولا يلبسه. وفي الصحيحين من حديث أنس أنه رأى في يده ﷺ خاتماً من ورق يوماً واحداً، ثم إن الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق ولبسوها، فطرح رسول الله ﷺ خاتمه فطرح الناس خواتيمهم.

والصواب: القول الأول، فإن لبس النبي ﷺ الخاتم إنما كان في الأصل لأجل المصلحة لختم الكتب/ التي يرسلها إلى الملوك، ثم استدام لبسه ولبسه أصحابه معه، ولم ينكره عليهم، بل أقرهم عليه، فدل ذلك على الإباحة المجردة.

١٧٣/ب

وأما حديث النهي عن الخاتم إلا لذي سلطان فقال ابن رجب: ذكر بعض أصحابنا أن أحمد ضعفه.

وأما ما جاء في حديث الزهري عن أنس أنه ﷺ لبسه يوماً واحداً ثم ألقاه. فقد أجيب عنه بثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه وهم من الزهري، وسهو جرى على لسانه لفظ الورق، وإنما الذي لبسه يوماً واحداً ثم ألقاه كان من ذهب، كما ثبت ذلك من غير وجه في حديث ابن عمر وأنس أيضاً.

الثاني: أن الخاتم الذي رمى به ﷺ لم يكن كله فضة، وإنما كان حديداً عليه فضة، وروى أبو داود عن معيقيب الصحابي ـ وكان على خاتم النبي ﷺ ـ قال: كان خاتم النبي ﷺ من حديد ملوي عليه فضة. فلعل هذا هو الذي لبسه يوماً واحداً ثم طرحه، ولعله هو الذي كان يختم به ولا يلبسه.

الثالث: إن طرحه إنما كان لئلا يظن أنه سنة مسنونة، فإنهم اتخذوا الخواتيم لما رأوه قد لبسه فتبين بطرحه أنه ليس بمشروع ولا سنة.

[حكم الخواتيم بحسب معدنها]

ثم إن الخاتم قد يكون تارة من ذهب، وتارة من فضة، وتارة يكون من حديد، وتارة من صفر أو رصاص أو نحوها، وتارة من عقيق:

● فأما الذهب ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال: (نهانا رسول الله ﷺ عن خاتم الذهب وآنية الفضة). وفيهما عن أبي هريرة عنه ﷺ: (أنه نهى عن خاتم الذهب)، وفيهما أيضاً عن ابن عمر أنه ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب فجعله في يمينه وجعل فصه مما يلي باطن كفه، فاتخذ الناس خواتيم الذهب. قال: فصعد رسول الله ﷺ المنبر فألقاه ونهى عن التختم بالذهب.

وهو مذهب الأئمة الأربعة: مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وأكثر العلماء.

ورخصت فيه طائفة منهم إسحاق بن راهويه وقال: مات خمسة من أصحابه ﷺ خواتيمهم من ذهب. قال مصعب بن سعد: رأيت على طلحة وسعد وصهيب خواتيم من ذهب. وعن حمزة بن أبي أسيد والزبير بن المنذر بن أبي أسيد أنهما نزعا من يد أبي أسيد خاتماً من ذهب حين مات، وكان بدرياً[1]، رواهما البخاري في تاريخه. وروى

(١) الظاهر أنهم لم يبلغهم النهي أو حملوه على التنزيه.

النسائي عن سعيد بن المسيب قال: قال عثمان لصهيب ما لي أرى عليك خاتم الذهب فقال: قد رآه من هو خير منك فلم يعبه[1]، قال: من هو؟ قال: رسول الله ﷺ[2].

● وأما خاتم الفضة، فأباحه كثير من العلماء، ولبسه ﷺ وجماعة من أصحابه.

قال الرافعي: يجوز للرجل التختم بالفضة، وكذا قال النووي في الروضة وغيرها، وكتب أصحابنا طافحة بجوازه.

وروى أبو داود، وصححه ابن حبان، من حديث بريدة بن الحصيب أن النبي ﷺ قال للابس خاتم الحديد: ما لي أرى عليك حلية أهل النار، فطرحه وقال: يا رسول الله، من أي شيء أتخذه؟ قال: من ورق ولا تتمه مثقالاً.

وأخرجه أيضاً النسائي والترمذي وقال: غريب. وأخرجه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما والضياء في المختارة مما ليس في الصحيحين ورجاله رجال الصحيحين إلا عبدالله بن مسلم المعروف بأبي طيبة،

---

(١) الظاهر أنه رآه قبل النهي أو حمله على التنزيه.

(٢) ذكر المصنف أربعة وذكر الحافظ الخامس فقال: وأغرب ما ورد في ذلك ما جاء عن البراء الذي روى النهي... قال محمد بن مالك: رأيت خاتماً من ذهب على البراء فقال: قسم رسول الله ﷺ قسماً فألبسنيه فقال: البس ما كساك الله ورسوله. ويجمع بين روايته وفعله: بأنه فهم الخصوصية له من قوله البس ما كساك الله ورسوله. يؤيد ذلك رواية أحمد؛ كان الناس يقولون للبراء لم تتختم بالذهب وقد نهى عنه رسول الله ﷺ فيذكر لهم هذا الحديث ثم يقول: كيف تأمروني أن أضيع ما قال رسول الله ﷺ: البس ما كساك الله ورسوله.

وهو محدث مشهور، وتصحيح ابن حبان لحديثه دال على قبوله، فأقل أحواله أن يكون من درجة الحسن.

والأصل في النهي كونه للتحريم، ولأن الأصل في استعمال الفضة للرجال التحريم/ إلا ما رخص فيه، فإذا حد فيه حد وجب الوقوف عنده، وبقي ما عداه على الأصل. وقد قال ابن الرفعة في باب ما يكره لبسه من «الكفاية»: وينبغي أن ينقص وزنه عن مثقال. لأن رسول الله ﷺ رأى رجلاً، وساق الحديث. وقوله ينبغي، يصلح للوجوب وغيره، وحمله عليه أولى، لأنه ساق الحديث مساق الاحتجاج لهذا الحكم، فلا يصرف النهي عن حقيقته إلا بصارف. 1/174

وظاهر صنيع ابن الملقن في شرح منهاج النووي يقتضيه، فإنه قال في زكاة النقد: فرع في أبي داود وصحيح ابن حبان من حديث بريدة أنه ﷺ قال لذلك الرجل.. فذكر الحديث فساقه سوق الفروع التي لا خلاف فيها بين الأصحاب، وظاهر ذلك تحريم المثقال.

وفي «القوت» للأذرعي: لم يتعرض أصحابنا لمقدار الخاتم ولعلهم اكتفوا بالعرف، فما خرج عنه كان إسرافاً كما قالوا في الخلخال للمرأة ونحوه، والصواب الضبط بما نص عليه في الحديث وليس في كلامهم ما يخالفه، هذا لفظه. وهو يشير إلى هذا الحديث.

وكذا مشى عليه ابن العماد في التعقيبات وعبارته: وإذا جاز لبس الخاتم فشرطه أن لا يبلغ به مثقالاً للحديث. انتهى.

لكن قال الحافظ العراقي في شرح الترمذي: إن النهي في قوله: «ولا تتمه مثقالاً» محمول على التنزيه، فيكره أن يبلغ به وزن مثال. قال: وفي رواية لأبي داود، في رواية صاحب المعالم: «ولا تتمه مثقالاً ولا قيمة مثقال» وليست هذه الزيادة في رواية اللؤلؤي. ومعنى هذه

الزيادة أنه ربما وصل الخاتم بالنفاسة في صنعته إلى أن يكون قيمة مثقال فهو داخل في النهي أيضاً. انتهى.

وقد أفتى العلامة السراج العبادي بأنه يجوز أن يبلغ به مثقالاً وأن ما زاد عليه حرام.

● وأما خاتم الحديد، فأخرج أبو داود في الخاتم من سننه، والبيهقي في شعب الإيمان والأدب وغيرهما من تصانيفه من طريقه، والنسائي في الزينة من سننه، وابن حبان في صحيحه: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وعليه خاتم من شبه ـ وهو بفتح المعجمة والموحدة، وبإسكانها وكسر المعجمة، نوع من النحاس كانت الأصنام تتخذ منه، وسمي بذلك لشبهه بالذهب لوناً ـ فقال: ما لي أجد منك ريح الأصنام، فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد، فقال: ما لي أرى عليك حلية أهل النار فطرحه. وأخرجه الترمذي لكنه قال: من صفر بدل من شبه، وهما بمعنى.

قال النووي في شرح المهذب: قال صاحب الإبانة[١]: يكره الخاتم من حديد أو شبه، وتابعه صاحب البيان فقال: يكره الخاتم من حديد أو نحاس أو رصاص لحديث بريدة.

وقال صاحب التتمة[٢]: لا يكره الخاتم من حديد أو رصاص لحديث الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال للذي خطب الواهبة نفسها: اطلب ولو خاتماً من حديد. قال: ولو كان فيه كراهة لم يأذن فيه.

---

(١) هو الفوراني.

(٢) هو المتولي.

وفي سنن أبي داود بإسناد جيد عن معيقيب الصحابي: كان خاتمه ﷺ من حديد ملوي عليه فضة.

والمختار: أنه لا يكره لهذين الحديثين.

وقال في شرح مسلم في الكلام على حديث المرأة الواهبة نفسها: وفي هذا الحديث جواز اتخاذ خاتم الحديد، وفيه خلاف للسلف حكاه القاضي، ولأصحابنا في كراهته وجهان أصحهما لا يكره لأن الحديث في النهي عنه ضعيف. انتهى.

ولعل تضعيف النووي للحديث إنما هو بالنسبة إلى/ مقاومة حديث سهل بن سعد في الصحيحين وغيرهما[1] في قصة الواهبة نفسها لا مطلقاً، كيف وله في ذلك شواهد عدة، إن لم ترقه[2] إلى درجة الصحة لم تدعه ينزل عن درجة الحسن. ١٧٤/ب

● وأما خاتم العقيق: فعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: تختموا بالعقيق، واليمين أحق بالزينة. وفي سنده مجهول، وروي بلفظ تختموا بالعقيق فإنه ينفي الفقر.

وروى يعقوب بن إبراهيم عن عائشة مرفوعاً: تختموا بالعقيق فإنه مبارك. ويعقوب متروك.

وروى أبو بكر بن شعيب عن فاطمة رضي الله عنها مرفوعاً: من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيراً. وهذا أيضاً لا يثبت.

وكذا ورد فيه أحاديث غير هذه، وكلها كما قال الحافظ ابن

---

(١) كذا في ش وفي النسخ: وغيره.

(٢) في ش: ترفعه.

رجب لا تثبت، وقال العقيلي: لا يصح في التختم بالعقيق عن النبي ﷺ شيء.

وروى ابن فنجويه في كتاب الخواتيم له بإسناد ضعيف عن علي مرفوعاً: من تختم بالياقوت الأصفر منع الطاعون، وإسناده ضعيف.

[فص الخاتم]

وأما فص خاتمه ﷺ، فروى أنس أن النبي ﷺ اتخذ خاتماً من فضة، فصه منه. أخرجه البخاري وغيره.

وفي صحيح مسلم أن خاتمه ﷺ كان فصه حبشياً.

قال النووي: قال العلماء: يعنى حجراً حبشيـاً، أي فصاً من جزع أو عقيق، فإن معدنهما بالحبشة واليمن. انتهى، فإن صح أنهم كانوا يعنون بالحبشي العقيق فيكون له خاتمان: أحدهما فصه عقيق، والآخر فصه فضة، وفي شرح مسلم للنووي حكاية أنه ﷺ كان له في وقت خاتم فصه منه، قال: وفي حديث آخر فصه من عقيق، انتهى. لكن لم يرو عنه ﷺ أنه لبس خاتماً كله عقيقاً.

[نقش الخاتم]

وأما نقش خاتمه ﷺ ، ففي صحيح مسلم (عن أنس أن النبي ﷺ صنع خاتماً من ورق نقش فيه: محمد رسول الله. وقال للناس: إني اتخذت خاتماً من فضة ونقشت فيه: محمد رسول الله، فلا ينقش أحد على نقشه).

قال الترمذي: معنى قوله: «لا تنقشوا عليه» نهي أن ينقش أحد على خاتمه: محمد رسول الله.

وفي رواية للنسائي: (اتخذ خاتماً من ورق فصه حبشي، ونقش فيه: محمد رسول الله).

وفي رواية البخاري والترمذي (وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر).

قال في فتح الباري: ظاهره أنه لم يكن فيه زيادة على ذلك، وأنه كان على هذا الترتيب، لكن لم تكن كتابته على الترتيب العادي، فإن ضرورة الاحتياج إلى أن يختم به تقتضي أن تكون الأحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستوياً، وأما قول بعض الشيوخ أن كتابته كانت من فوق يعني الجلالة أعلى الأسطر الثلاثة، ومحمد أسفلها، فلم أر التصريح بذلك في شيء من الأحاديث، بل رواية الاسماعيلي يخالف ظاهرها ذلك، فإنه قال: محمد سطر، والسطر الثاني رسول، والسطر الثالث: الله[1].

وعن ابن عمر أنه ﷺ كان يلبس خاتمه في يمينه، فلما قبض صار في يد أبي بكر في يمينه، فلما قبض صار في يد عمر في يمينه، ثم صار في يد عثمان في يمينه، ثم ذهب يوم الدار عليه: «لا إله إلا الله». رواه بركة بن محمد الحلبي، كما حكاه ابن رجب في كتاب الخواتيم، ثم قال: وهي رواية ساقطة جداً، فإن بركة مذكور بالكذب، وفي لفظه ما يدل على بطلانه، وهو قوله: ذهب يوم الدار عليه: لا إله إلا الله، فإنه إنما سقط في بئر أريس قبل يوم الدار، وقد عاش عثمان بعده مدة

---

(١) فتح الباري ١٠/٣٢٩.

١٧٥/ا واتخذ له خاتماً عوضه، وإنما كان نقشه، محمد رسول الله/ لا كلمة الإخلاص. انتهى.

[اتخاذ أكثر من خاتم]

تنبيه: قال شيخ الإسلام الشرف المناوي[١]: وتحصل السنة بلبس الخاتم مطلقاً، ولو مستعاراً أو مستأجراً، لكن الأوفق للسنة لبسه بالملك، والاستدامة على ذلك، ويجوز تعداد الخواتيم اتخاذاً، وأما الاستعمال فمفهوم كلام الرافعي عدم الجواز، وبه صرح المحب الطبري فقال: المتجه أنه لا يجوز للرجل أن يلبس خاتمين من فضة في يديه أو في إحداهما، لأن استعمال الفضة حرام إلا ما وردت به الرخصة، ولم ترد إلا في خاتم واحد، لكن ذكر الخوارزمي في الكافي أنه يجوز له أن يلبس زوجاً في يد وفرادى[٢] في الأخرى، فإن لبس في كل واحدة زوجاً فقال الصيدلاني في الفتاوى لا يجوز. وقال الدارمي في الاستذكار يكره للرجل لبس فوق خاتمين، فاقتصاره على الكراهة يدل على عدم الحرمة، وإذا تقرر ذلك فالمسألة ذات خلاف، والذي يظهر كلام المحب الطبري، فإن تسامحنا اعتمدنا على ما أفتى به الصيدلاني. انتهى.

[التختم في اليمين واليسار]

ويجوز التختم في اليمين واليسار، واختلف الناس في أفضلهما،

(١) المناوي: شرف الدين يحيى بن محمد المناوي ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وبرع في الفقه والأصول وسمع الحديث وتصدى للإقراء والإفتاء وله تصانيف، توفي سنة إحدى وسبعين وثمانمائة.

(٢) في (ط، ب) فرداً.

فقيل: اليسار، وهو نص الإمام أحمد، في رواية صالح قال: التختم في اليسار أحب إلي، وهو مذهب الإمام مالك، ويروى أنه كان يلبسه في يساره، وكذلك الإمام الشافعي. وفي صحيح مسلم عن أنس قال: (كان خاتم النبي ﷺ في هذه وأشار إلى الخنصر في يده اليسرى). وفي سنن أبي داود (عن ابن عمر أنه كان ﷺ يتختم في يساره) وروى إسماعيل بن مسلم عن السليطي[1] قال: أتيت النبي ﷺ في ليلة قمراء، وكأني أنظر إلى عكن بطنه، وكأنها القباطي وإلى وبيص خاتمه في يساره. واسماعيل هذا قال البخاري: تركه ابن المبارك، وربما روى عنه. وقد ذكر بعض الحفاظ ـ كما أفاده الحافظ ابن رجب ـ أن التختم في اليسار مروي عن عامة الصحابة والتابعين.

ورجحت طائفة التختم في اليمين، وهو قول ابن عباس، وعبدالله بن جعفر، وروى حماد بن سلمة قال: رأيت ابن أبي رافع يتختم في يمينه فسألته عن ذلك فقال: رأيت عبدالله بن جعفر يتختم في يمينه، وقال: كان ﷺ يتختم في يمينه، رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال: قال محمد ـ يعني البخاري ـ هذا أصح شيء روي عن النبي ﷺ في هذا الباب.

وفي الشمائل للترمذي عن جابر أنه ﷺ كان يتختم في يمينه. وهذا فيه ضعف، لحال عبدالله بن ميمون.

ويروى من حديث عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه

---

(١) السليطي: نسبة إلى جده الأعلى إذ هو محمد بن أحمد بن محمد... ابن سليط التميمي، كان شيخاً صالحاً، كذا في اللباب، فشرح به الشارح ما هنا، ولا يصح إذ هذا الشيخ لم يرو عنه إسماعيل بن مسلم ولا هو بصحابي، فهو ينابذ قوله، قال أتيت النبي...

عن جابر بن عبدالله قال: قبض رسول الله ﷺ والخاتم في يمينه، وعباد بن صهيب متروك أيضاً.

وروى البزار في مسنده من حديث عبيد بن القاسم عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ كان يتختم في يمينه، وقبض والخاتم في يمينه. وعبيد هذا كذاب.

قال الحافظ ابن رجب: وقد جاء التصريح بأن تختمه ﷺ في يساره كان آخر الأمرين في حديث رواه سليمان بن محمد عن عبدالله ابن عطاء عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان يتختم في يمينه ثم إنه حوله إلى يساره.

وقال وكيع: التختم في اليمين ليس بسنة.

ونص أحمد: أنه يكره التختم في السبابة والوسطى. وروي عن علي أنه قال: (نهاني رسول الله ﷺ أن أتختم في هذه أو هذه وأومأ إلى السبابة والوسطى)[1] والله أعلم.

وفي اللباب: وكان ﷺ يتختم، وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يستذكر به الشيء[2]، ورواه ابن عدي بسند ضعيف/ من حديث واثلة بلفظ: كان ﷺ إذا أراد حاجة أوثق في خاتمه خيطاً.

١٧٥/ب

وروى أبو يعلى عن ابن عمر أنه ﷺ كان إذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في أصبعه خيطاً ليذكرها. وكذا هو في رابع الخلعيات. لكن فيه سالم بن عبد الأعلى أبو الفيض، رماه ابن حبان بالوضع بل اتهمه أبو حاتم بهذا الحديث.

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

(٢) رواه الدارقطني وضعفه.

[لبس السراويل]

وأما السراويل فاختلف هل لبسها النبي ﷺ أم لا؟ فجزم بعض العلماء بأنه ﷺ لم يلبسه، ويستأنس له بما جزم به النووي في ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه من كتاب تهذيب الأسماء واللغات: أنه رضي الله عنه لم يلبس السراويل في جاهلية ولا إسلام إلا يوم قتله. فإنهم كانوا أحرص شيء على اتباعه ﷺ.

لكن قد ورد في حديث عند أبي يعلى الموصلي في مسنده بسند ضعيف جداً عن أبي هريرة قال: دخلت السوق يوماً مع رسول الله ﷺ فجلس إلى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم، وكان لأهل السوق وزان يزن فقال له رسول الله ﷺ: اتزن وأرجح، فقال الوزان إن هذه الكلمة ما سمعتها من أحد، فقال أبو هريرة فقلت له: كفى بك من الوهن والجفاء في دينك ألا تعرف نبيك، فطرح الميزان، ووثب إلى يد رسول الله ﷺ يريد أن يقبلها فجذب يده ﷺ منه وقال: يا هذا إنما تفعل هذا الأعاجم بملوكها، ولست بملك، إنما أنا رجل منكم، فوزن فأرجح وأخذ رسول الله ﷺ السراويل. قال أبو هريرة: فذهبت لأحمله عنه فقال: صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله إلا أن يكون ضعيفاً يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم، قال: قلت يا رسول الله، وإنك[1] لتلبس السراويل؟ قال: أجل، في السفر والحضر، وبالليل والنهار، فإني أمرت بالستر، فلم أجد شيئاً أستر منه.

وكذا أخرجه ابن حبان في الضعفاء عن أبي يعلى، ورواه

---

(١) في (أ، ش) فإنك.

الطبراني في الأوسط، والدارقطني في الأفراد، والعقيـلي في الضعفاء، ومداره على يوسف بن زياد الواسطي[1].

لكن قد صح شراء النبي ﷺ له[2].

وفي الهدي: والظاهر أنه ﷺ إنما اشتراه ليلبسه. وقد روي أنه لبس السراويل، وكانوا يلبسونه في زمانه وبإذنه.

قال أبو عبدالله الحجازي في حاشيته على «الشفاء»: وما قاله في الهدي من أنه ﷺ لبس السراويل، قالوا: سبق قلم والله أعلم.

وقد أورد أبو سعيد النيسابوري ذكر الحديث في تجارته ﷺ من كتابه «شرف المصطفى».

وقد ترجم البخاري في اللباس من صحيحه: باب السراويل، وأورد فيه حديث المحرم لكونه لم يرد فيه شيء على شرطه.

[لبس الخف]

وأما الخف: فروى الترمذي عن بريدة أن النجاشي أهدى للنبي ﷺ خفين أسودين ساذجين[3]، فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما.

---

(١) أي انفرد به، وهو واه، بل ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال الحافظ وغيره: ضعيف.

(٢) روى أحمد وأصحاب السنن الأربعةَ عن سويد بن قيس قال: جلبت أنا ومخرقة العبد بزا من هجر فأتينا مكة، فجاءنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى، فتساومنا سراويل فبعناه منه، فوزن ثمنه وقال للوزان: زن وأرجح.

(٣) غير منقوشين، أو لا شعر عليهما، أو على لون واحد، قال الولي العراقي: وهذه اللفظة تستعمل في العرف كذلك ولم أجدها في كتب اللغة بهذا المعنى، ولا رأيت المصنفين في غريب الحديث ذكروها.

وعن المغيرة بن شعبة قال: أهدى دحية للنبي ﷺ خفين فلبسهما. وقال إسرائيل عن جابر عن عامر: وجبة[1] فلبسهما حتى تخرقا، لا يدري النبي ﷺ أذكيان[2] هما أم لا. رواه الطبراني[3].

[لبس النعل]

وأما نعله ﷺ، والنعل ـ كما قال صاحب المحكم ـ ما وقيت به القدم، ففي البخاري عن قتادة عن أنس (أن نعل النبي ﷺ كان لها قبالان). والقبالان: تثنية القبال، وهو زمام النعل، وهو السير الذي يكون بين الأصبعين.

1/176 وعن ابن عباس قال: كان لنعل النبي ﷺ / قبالان مثنى شراكهما[4]، رواه الترمذي في الشمائل، وفيها أيضاً عن أبي هريرة قال: كان لنعل رسول الله ﷺ قبالان.

وعن عيسى بن طهمان قال: أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين جرداوين لهما قبالان، فحدثني ثابت بعد عن[5] أنس: أنهما كانتا نعلي النبي ﷺ[6].

وعن عبيد بن جريج أنه قال لابن عمر: رأيتك تلبس النعال

---

(1) معطوفة على خفين، أي أهدى له خفين وجبة.
(2) في ط: أمذكيان.
(3) وكذا الترمذي في شمائله وجامعه.
(4) مثنى: من التثنية وهو من جعل الشيء اثنين، والشراك: أحد سيور النعل.
(5) (عن) سقطت من ط.
(6) رواه البخاري والترمذي في الشمائل.

السبتية، قال: إني رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها[1].

وعن عمرو بن حريث قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي في نعلين مخصوفتين[2].

وعن عائشة كان رسول الله ﷺ يحب التيمن ما استطاع في ترجله [3] وتنعله وطهوره رواه الترمذي [4].

وعن أبي هريرة، قال ﷺ: إذا تنعل أحدكم فليبدأ باليمين، فإذا نزع فليبدأ بالشمال، لتكن اليمين أولهما تنعل وآخرهما تنزع[5].

وكان ﷺ ينهى أن ينتعل الرجل قائماً. رواه أبو داود والترمذي.

وقد ذكر أبو اليمن بن عساكر تمثال نعله الكريمة عليه أفضل الصلاة والسلام في جزء مفرد رويته قراءة وسماعا. وكذا أفرده بالتأليف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج من أهل المرية بالأندلس وكذا غيرهما. ولم أثبتها هنا اتكالاً على شهرتها وصعوبة ضبط تسطيرها إلا على حاذق.

ومن بعض ما ذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركتها، ما

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) أي مخروزتين، والحديث رواه الترمذي وفيه راو مبهم، لكن صح أنه كان يخصف نعله.

(٣) أي تسريح شعره.

(٤) قصر العزو على الترمذي فيه تقصير شديد فقد رواه الشيخان والأربعة والإمام أحمد.

(٥) رواه البخاري وأبو داود والترمذي.

ذكره أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد، وكان شيخاً صالحاً[1] قال: حذوت هذا المثال لبعض الطلبة فجاءني يوماً فقال لي رأيت البارحة من بركة هذا النعل عجباً. أصاب زوجي وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت: اللهم أرني بركة صاحب هذا النعل، فشفاها الله للحين.

وقال أبو إسحاق: قال أبو القاسم بن محمد: ومما جرب من بركته أن من أمسكه عنده متبركاً به كان له أماناً من بغي البغاة وغلبة العداة وحرزاً من كل شيطان مارد وعين كل حاسد، وإن أمسكته المرأة الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطلق تيسر أمرها بحول الله وقوته، ولله در أبي اليمن بن عساكر حيث قال:

يا منشداً في رسم ربع خال ... ومناشداً لدوارس الأطلال
دع ندب آثار وذكر مآثر ... لأحبة بانوا وعصر خال
والثم ثرى الأثر الكريم فحبذا ... إن فزت منه بلثم ذا التمثال
أثر له بقلوبنا أثر لها ... شغل الخلي بحب ذات الخال
قبِّل لك الإقبال نعلي أخمص ... حل الهلال بها محل قبال
ألصق بها قلباً يقلبه الهوى ... وجلاً على الأوصاب والأوجال
صافح بها خداً وعفر وجنة ... في تربها وجداً وفرط فعال[2]
سَبِيُل[3] حر جوى ثوى بجوانح ... في الحب ما جنحت إلى الإبلال
يا شبه نعل المصطفى روحي الفدا ... لمحلك الأسمى الشريف العال

---

(١) كذا في ش، وفي النسخ: وربما قال.
(٢) في ش: تغال. أي زيادة تعلق في محبتها.
(٣) في ط سيبلى، وفي ش سبيل.

هملت لمرآك العيون وقد نأى مرمى[1] العيان بغير ما إهمال

١٧٦/ب وتذكرتْ عهد العقيق فتأثرت شوقاً عقيقَ المدمع الهطال/

وصَبَتْ فواصلت الحنين إلى الذي ما زال بالي منه في بلبال

أذكرتني قَدَماً لها قِدَم العلا والجود والمعروف والإفضال

أذكرتني من لم يزل ذكري له يعتاد في الأبكار والآصال

ولها المفاخر والمآثر في الدنا والدين والأقوال والأفعال

لو أن خدي يحتذى نعلاً لها لبلغت من نيل المنى آمال

أو أن أجفاني لوطء نعالها أرض سمت عزاً بذا الإذلال

وما أحسن قول أبي الحكم بن المرحل[2] في قصيدة ذكرها أبو إسحاق بن الحاج:

بوصف حبيبي طرز الشعر ناظمه ونمنم خد الطرس[3] بالنقش راقمه

رؤوف عطوف أوسع الناس رحمة وجادت عليهم بالنوال غمائمه

له الحسن والإحسان في كل مذهب فآثاره محبوبة ومعالمه

به ختم الله النبيين كلهم وكل فعال صالح فهو خاتمه

أحب رسول الله حباً لو أنه تقاسمه قومي كفتهم قسائمه

كأن فؤادي كلما مرَّ ذكره من الوُرْق[4] خفاق أصيبت قوادمه

أهيم إذا هبت نواسم أرضه ومن لفؤادي أن تهب نواسمه

(١) في ش: مرقى.
(٢) أحد فضلاء المغاربة له نظم حسن. قاله الحافظ في تبصيره.
(٣) الطرس: الصحيفة. والمراد هنا: الورق الأبيض.
(٤) جمع ورقاء: الحمام.

فـأنشق مسكـاً طيبـاً فكـأنمـا نـوافجـه[1] جاءت بـه ولـطائمـه[2]
ومما دعـاني والـدعـاوى كـثـيرة إلى الشـوق أن الشـوق ممـا أكـاتمـه
مثـال لنعـلي من أحب هـويتـه فهـا أنـا في يـومي وليـلي ألاثمـه[3]
أجـر عـلى رأسي ووجـهـي أديمـه وألـثـمـه طـوراً وطـوراً ألازمـه
أمـثـله في رجـل أكـرم مـن مشى فـتبصره عـيـني ومـا أنـا حـالمـه
أحـرك خـدي ثـم أحـسـب وقـعـه عـلى وجنتي خـطوا هنـاك يـداومـه
ومن لي بـوقـع النعـل في حر وجنتي لماش علت فـوق النجـوم بـراجمـه[4]
سـأجعله فـوق الـترائـب عـوذة[5] لقلبي لعـل القلب يـبرد حـاجمـه[6]
وأربـطة فـوق الشؤون[7] تميـمـة لجفني لعـل الجفن يـرقـأ سـاجمـه[8]
ألا بـأبي تمـثـال نـعـل محـمـد لـطاب لحاذيه وقـدس خـادمه[9]
يـود هـلال الأفـق لـو أنـه هـوى يـزاحمـنـا في لـثـمـه ونـزاحمـه
ومـا ذاك إلا أن حـب نـبـيـنـا يـقـوم بـأجسـام الخـليقـة لازمـه
سـلام عـليـه كـلما هـبت الـصـبـا وغـنت بـأغـصـان الأراك حمـائمـه

(١) جمع نافجة: وعاء المسك.
(٢) في ط: لواطمه. ولطائم جمع لطيمة: وعـاء المسك، أو عـير تحمله وهو المناسب هنا.
(٣) في (أ، ش) لاثمه، ولثم: قبل.
(٤) البراجم: رؤوس السلاميات من ظهر الكف.
(٥) عوذة: رقية، والترائب: عظام الصدر.
(٦) في (أ، ب) جاجمه، وحاجمه: حرارته الشديدة.
(٧) هي مواصل قبائل الرأس كما في القاموس.
(٨) ساجمه: دمعه السائل.
(٩) أي لقد طاب ذلك التمثال، وحاذيه: صانعه، وقدس: طهر.

ولأبي بكر أحمد بن الإمام أبي محمد عبدالله بن الحسين القرطبي[1] رحمه الله:

ونعل خضعنا هيبة لبهائها	وإنا متى نخضع لها أبداً نعلو
فضعها على أعلى المفارق إنها	حقيقتها تاج وصورتها نعل
بأخمص خير الخلق حازت مزية	على التاج حتى باهت المفرق الرجل
طريق الهدى عنها استنارت لمبصر	وإن بحار الجود من فيضها حلوا
١٧٧/أ سلونا ولكن عن سواها وإنما	نهيم بمغناها الغريب وما نسلوا/
فما شاقنا مذ راقنا رسم عزها	حميم ولا مال كريم ولا نسل
شفاء لذي سقم رجاء لبائس	أمان لذي خوف كذا يحسب الفضل

[فراشه عليه السلام]

وأما فراشه ﷺ، فقد كان ﷺ آخذاً من ذلك بما تدعو ضرورته إليه، وترك ما سوى ذلك.

وفي صحيح مسلم قوله ﷺ: (فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف، والرابع للشيطان)

قال العلماء: معناه ما زاد على الحاجة فاتخاذه إنما هو للمباهاة والاختيال، والالتهاء بزينة الدنيا، وما كان بهذه الصفة فهو مذموم، وكل مذموم يضاف للشيطان لأنه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه، وقيل:

(١) كان مقرئاً مجوداً، فقيهاً محدثاً ضابطاً، نحوياً ماهراً، أديباً كاتباً، متين الدين صادق الورع معرضاً عن الدنيا أقرأ ببلده مالقة القرآن ودروس الفقه.. توفي بمصر وهو في طريقه إلى الحج سنة ثنتين وخمسين وستمائة وكان مولده سنة سبع وستمائة.

إنه على ظاهره، وإنه إذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل، وأما تعداد الفراش للزوج والزوجة فلا بأس به لأنه قد يحتاج كل واحد منهما إلى فراش عند المرض ونحوه.

وعن عائشة: (إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدماً حشوه الليف) رواه الشيخان.

وروى البيهقي من حديثها، قالت: دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ قطيفة مثنية، فبعثت إلي بفراش حشوه الصوف، فدخل علي رسول الله ﷺ فقال: ما هذا يا عائشة؟ قلت؛ يا رسول الله، فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت إلي بهذا، فقال: رديه يا عائشة فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة.

وعن عبدالله بن مسعود: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في جنبه. الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح[1]. والطبراني ولفظه: دخلت على النبي ﷺ وهو في غرفة كأنها حمام. وهو نائم على حصير، وقد أثر في جنبه فبكيت، فقال: ما يبكيك يا عبدالله؟ قلت: يا رسول الله كسرى وقيصر يطؤون على الخز والديباج والحرير، وأنت نائم على هذا الحصير قد أثر بجنبك، فقال: فلا تبك يا عبدالله، فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة.

وقوله: كأنها بيت حمام ـ بتشديد الميم ـ أي أن فيها من الحر والكرب كما في بيت الحمام.

وعن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: دخلت

---

(١) ورواه الإمام أحمد.

على رسول الله ﷺ وهو على حصير، قال: فجلست، فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، وإذا إهاب معلق، فابتدرت عيناي، فقال: ما يبكيك يا ابن الخطاب، فقال: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار، وأنت نبي الله وصفوته، وهذه خزائنك. قال: يا ابن الخطاب، أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا. رواه ابن ماجه بإسناد صحيح. والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ولفظه:

قال عمر رضي الله عنه: استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مشربة[١]، وإنه لمضطجع على خصفة[٢] وإن بعضه لعلى التراب، وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً، وإن فوق رأسه لإهابَ عطين[٣]، وفي ناحية المشربة قرظ[٤]، فسلمت عليه وجلست فقلت: أنت نبي الله وصفوته، وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير، فقال: أولئك عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وإنا قوم أخرت لنا طيباتنا في آخرتنا[٥].

---

(١) غرفة مرتفعة يرقى إليها.

(٢) وعاء من خوص التمر.

(٣) إهابَ: بالنصب اسم إن بحذف الألف على لغة ربيعة، وعطين: أي متغيراً منتناً.

(٤) ورق السلم الذي يدبغ به.

(٥) هو بعض حديث المشربة الذي أخرجه الشيخان، فيه بعض المغايرة في الألفاظ، والمعنى واحد.

وعن عائشة، كان لرسول الله ﷺ سرير مُرَمَّل بالبَرْدي[1]، عليه كساء أسود، وقد حشوناه/ بالبردي، فدخل أبو بكر وعمر عليه فإذا النبي ﷺ نائم عليه، فلما رآهما استوى جالساً، فنظرا فإذا أثر السرير في جنب رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله ما يؤذيك[2] خشونة ما نرى من فراشك وسريرك، وهذا كسرى وقيصر على فرش الحرير والديباج فقال ﷺ: لا تقولا هذا، فإن فراشي كسرى وقيصر في النار، وإن فراشي وسريري هذا عاقبته إلى الجنة. رواه ابن حبان في صحيحه.

١٧٧/ب

ويروى أنه ﷺ ما عاب مضجعاً قط، إن فرش له اضطجع، وإلا اضطجع على الأرض.

وتغطى ﷺ باللحاف، قال ﷺ: ما أتاني جبريل وأنا في لحاف امرأة منكن غير عائشة[3].

---

(١) نبات يعمل منه الحصر، والمعنى: أن قوائم السرير موصولة مغطاة بما نسج من ذلك النبات ورمال الحصير: ضلوعه المداخلة فيه كالخيوط في الثوب.
(٢) بحذف همزة الاستفهام تخفيفاً، أي: أما يؤذيك؟
(٣) رواه البخاري.

النوع الثالث

في سيرته ﷺ في نكاحه

قد كان ﷺ يأخذ من الجماع بالأكمل، مما تحفظ به الصحة، وتتم به اللذة وسرور النفس، وتحصل به مقاصده التي وضع لأجلها.

[مقاصد النكاح]

فإن الجماع في الأصل وضع لثلاثة أشياء، هي مقاصده الأصلية.

أحدها: حفظ النفس ودوام النوع الإنساني إلى أن تتكامل العدة التي قدر الله تعالى بروزها إلى هذا العالم.

الثاني[1]: قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة، وهذه هي الفائدة التي في الجنة، إذ لا تناسل هناك، ولا احتقان يستفرغه الإنزال، وفضلاء الأطباء يرون أن الجماع من أسباب حفظ الصحة. لكن لا ينبغي إخراج المني إلا في طلب النسل، وإخراج ما احتقن منه، فإنه إذا دام احتقانه أحدث أمراضاً رديئة، منها الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك، وقد يبرئ استعماله من هذه الأمراض

(١) سقط الثالث من قلم المصنف، قال الشارح: صوابه ـ كما في زاد المعاد ـ: الثاني: إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن. الثالث: قضاء الوطر.

كثيراً، فإنه إذا طال احتباسه فسد واستحال إلى كيفية سمية توجب أمراضاً رديئة.

قال محمد بن زكريا[1]: من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى أعضائه واستدت[2] مجاريها، وتقلص ذكره، وقد رأيت جماعة تركوه لنوع من التقشف فبردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كآبة بلا سبب، وقلت شهواتهم وهضمهم. أشار إليه في زاد المعاد.

[من منافعه]

ومن منافعه: غض البصر، وكف النفس، والقدرة على العفة عن الحرام، وتحصيل ذلك للمرأة، فهو ينفع نفسه في دنياه وآخرته، وينفع المرأة، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة، والتمادح به سيرة ماضية، ولذلك كان ﷺ يتعاهده ويقول كما في حديث أنس عند الطبراني في الأوسط، والنسائي في سننه[3]: حبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة. أي لمناجاته فيها ربه، زاد الإمام أحمد في الزهد: وأصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن[4].

فمحبة النساء والنكاح من كمال الإنسان، هذا خليل الله إبراهيم، إمام الحنفاء، كان عنده سارة أجمل نساء العالمين، أحب

---

(١) أحد علماء الطب.

(٢) في ش: وانسدت.

(٣) وهو عند أحمد في كتاب الزهد ووهم من عزاه لمسنده.

(٤) كذا نسب ابن القيم هذه الزيادة لكتاب الزهد، وتعقبه السيوطي: بأنه مر على الزهد مراراً فلم يجدها فيه.

هاجر وتسرى بها. وذكر سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه(١) قال: كان الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام يزور هاجر في كل يوم من الشام على البراق شغفاً بها وقلة صبر عنها(٢). وهذا داود عليه الصلاة والسلام كان عنده تسع وتسعون امرأة فأحب تلك المرأة وتزوج بها فكمل المائة(٣) وهذا سليمان ابنه كان يطوف في الليلة على تسعين امرأة.

[حديث «حبب إلي من دنياكم»]

تنبيه: قد وقع في الإحياء للغزالي، وتفسير آل عمران من الكشاف، وكثير من/ كتب الفقهاء: حبب إلي من دنياكم ثلاث. وقالوا: إنه عليه الصلاة والسلام قال «ثلاث» ولم يذكر إلا اثنتين: الطيب والنساء. قالوا: ومنه قول الشاعر: ١٧٨/أ

---

(١) أي سعد بن أبي وقاص.

(٢) هذا موقوف صحابي.

(٣) جاء في تفسير «صفوة التفاسير» للشيخ الصابوني في تفسير سورة ص: نقل بعض المفسرين من القصص الإسرائيلية ما يتنافى مع العقيدة الإسلامية في «عصمة الأنبياء. ومن هذه الأباطيل المدسوسة ما روي من أمر عشق داود عليه السلام لزوجة قائد جيشه حين رآها... فأعجبته وعشقها فدبر مكيدة لزوجها بإرساله إلى المعارك حتى تخلص منه.. ثم تزوجها.. وهذا كله كذب وزور ولذا قال علي رضي الله عنه: «من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة» وهو حد الفرية على الأنبياء. انتهى ملخصا. أقول: والغريب أن الشارح أقر ذلك وقال: إن داود سأل الرجل أن يطلقها فطلقها بطيب خاطره. ا.هـ وهو أمر غير مقبول أيضاً لأنه يتنافى وصفات الأنبياء [المحقق].

إن الأحامرة[1] الثلاثة أهلكت مالي وكنت بهن قدماً مولعا
الخمر والماء القراح وأطلي بالزعفران فلا أزال مولعا

وذكرها ابن فورك في جزء مفرد ووجهها وأطنب في ذلك، وهذا عندهم يسمى «طيا» وهو أن يذكر جمع ثم يؤتى ببعضه ويسكت عن ذكر باقيه لغرض للمتكلم، وأنشد الزمخشري عليه:

كانت حنيفة أثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

وفائدة الطي عندهم تكثير ذلك الشيء.

لكن قال ابن القيم وغيره: من رواه «حبب إلي من دنياكم ثلاث» فقد وهم، ولم يقل ﷺ: ثلاث، والصلاة ليست من أمور الدنيا التي تضاف إليها. انتهى، نعم تضاف إليها لكونها ظرفاً لوقوعها فقط، فهي عبادة محضة.

وقال شيخ الإسلام والحفاظ ابن حجر في تاريخ الكشاف: إن لفظ «ثلاث» لم تقع في شيء من طرقه، وزيادته مفسدة للمعنى.

وكذا قال شيخ الإسلام الولي ابن العراقي في أماليه، وعبارته: ليست هذه اللفظة وهي «ثلاث» في شيء من كتب الحديث، وهي مفسدة للمعنى، فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا.

وكذا صرح به الزركشي وغيره، كما حكاه شيخنا في المقاصد الحسنة وأقره.

---

(١) جمع أحمر. فالخمر أحمر، ووصف الماء به مجاز إذ لا لون له. والطلاء بالزعفران ليس من الثلاثة. أقول: وهكذا اكتفى بذكر بعض الثلاثة. [م].

[التأمل في قوله: «حبب»]

وقال ابن الحاج في المدخل: انظر إلى حكمة قوله ﷺ «حبب» ولم يقل: أحببت، وقال: «من دنياكم» فأضافها إليهم دونه عليه الصلاة والسلام، فدل على أن حبه كان خاصاً بمولاه تعالى، وجعلت قرة عينه في الصلاة، فكان ﷺ بشريَّ الظاهر، ملكوتي الباطن. وكان ﷺ لا يأتي إلى شيء من أحوال البشرية إلا تأنيساً لأمته وتشريعاً لها، لا أنه محتاج إلى شيء من ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك**﴾[1] فقال: «لكم» ولم يقل: إني ملك، فلم ينف الملكية عنه إلا بالنسبة إليهم، أعني في معانيه ﷺ لا في ذاته الكريمة، إذ إنه ﷺ يلحق بشريته ما يلحق البشر، ولهذا قال سيدي أبو الحسن الشاذلي في صفته ﷺ: هو بشر ليس كالأبشار، كما أن الياقوت حجر ليس كالأحجار. وهذا منه ـ رحمه الله ـ على سبيل التقريب للفهوم، فدل على أنه ﷺ ملكي الباطن، ومن كان ملكي الباطن ملك نفسه. انتهى.

[حديث مما لا يصح]

وها هنا لطيفة: روى أنه ﷺ لما قال: حبب إلي من دنياكم[2] النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة، قال أبو بكر: وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا: النظر إلى وجهك، وجمع المال للإنفاق

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

(٢) أثبت الشارح هنا كلمة (ثلاث) وكذا في أقوال الصحابة. وقال المصحح وقع فيها اختلاف النسخ.

عليك، والتوسل بقرابتك إليك. وقال عمر: وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بأمر الله، وقال عثمان: وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا إشباع الجائع وإرواء الظمآن وكسوة العاري، وقال علي بن أبي طالب: وأنا يا رسول الله حبب إلي من الدنيا الصوم في الصيف، وإقراء الضيف والضرب بين يديك بالسيف. قال الطبري: خرجه الجندي. كذا قال والعهدة عليه[1].

[قوته ﷺ في النكاح]

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش. رواه الطبراني[2].

وقال أنس: (كان ﷺ يدور على نسائه في الساعة/ الواحدة من الليل، وهن إحدى عشرة، قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين) رواه البخاري من طريق قتادة[3]. ١٧٨/ب

قال ابن خزيمة[4]: تفرد بذلك معاذ بن هشام عن أبيه.

---

(١) هو مما لا يصح.

(٢) حديث ضعيف. فيه سعيد بن بشير.

(٣) رواه البخاري برقم ٢٦٨.

(٤) ابن خزيمة: محمد ابن إسحاق بن خزيمة، الحافظ الكبير المعروف عند المحدثين بإمام الأئمة، مصنفاته تزيد على مائة وأربعين. مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة عن نحو تسعين سنة.

ورواه سعيد بن أبي عروبة[1] وغيره عن قتادة فقال: (تسع نسوة)[2] انتهى.

وكذا رواه البخاري من طريق سعيد بن أبي عروبة أيضاً بلفظ (وله يومئذ تسع نسوة)[3].

وقد جمع بينهما ابن حبان في صحيحه بأن حمل ذلك على حالتين، لكنه وهم في قوله: إن الأولى كانت في أول قدومه المدينة، حيث كان تحته تسع نسوة، والحالة الثانية في آخر الأمر، حيث اجتمع عنده إحدى عشرة امرأة.

وموضع هذا الوهم منه: أنه ﷺ لما قدم المدينة لم يكن تحته سوى سودة ثم دخل على عائشة بالمدينة، ثم تزوج أم سلمة وحفصة وزينب بنت خزيمة في السنة الرابعة، ثم زينب بنت جحش في الخامسة، ثم جويرية في السادسة، ثم صفية وأم حبيبة وميمونة في السابعة، هؤلاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور... لكن تحمل رواية هشام على أنه ضم مارية وريحانة إليهن وأطلق عليهن لفظ «نسائه» تغليباً[4].

فإن قلت: وطء المرأة في يوم الأخرى ممنوع، والقسم وإن لم يكن واجباً عليه ﷺ لكنه التزمه تطييباً لنفوسهن.

أجيب: باحتمال إذن صاحبة اليوم له، أو أنه في يوم لم يثبت فيه

---

(١) ثقة حافظ له تصانيف، كثير التدليس، مات سنة ست وخمسين ومائة وروى له الستة.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه البخاري برقم ٢٨٤.

(٤) عن فتح الباري من قوله «وقد جمع بينهما ابن حبان» ١/٣٧٨ [م].

قسم بعد، كيوم قدومه من سفر، أو اليوم الذي بعد كمال الدورة، لأنه يستأنف القسم فيما بعد، أو أنه من خصائصه ﷺ ، وقد اختص في باب النساء بأشياء، كما سيأتي إن شاء الله تعالى[1].

وعن طاووس ومجاهد: أعطي ﷺ قوة أربعين رجلاً في الجماع. رواه ابن سعد.

وفي رواية عن مجاهد: قوة بضع وأربعين رجلاً كل رجل من أهل الجنة. رواه الحارث بن أبي أسامة.

وعند أحمد والنسائي، وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه: إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة في الأكل والشرب والجماع والشهوة.

وعن صفوان بن سليم مرفوعاً: أتاني جبريل بقدر، فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجلاً في الجماع. رواه ابن سعد.

[من حكم تعدد زوجاته ﷺ]

ولما كان ﷺ ممن أقدر على القوة في الجماع وأعطي الكثير منه، أبيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره.

قال ابن عباس: تزجوا فإن أفضل هذه الأمة أكثرها نساء[2]. يشير إليه ﷺ ، وقيد بهذه الأمة ليخرج مثل سليمان عليه السلام فإنه كان أكثر نساء.

---

(۱) هذه الفقرة في (أ، ش) وردت بعد خبر طاووس.

(۲) رواه البخاري.

ووقع عند الطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: تزوجوا فإن خيرنا أكثرنا نساء، قيل المعنى: خير أمة محمد ﷺ من كان أكثر نساء من غيره ممن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل.

قال الحافظ أبو الفضل العسقلاني: والذي يظهر أن مراد ابن عباس بـ«الخير» النبي ﷺ وبـ«الأمة» أخصاء أصحابه، وكأنه أشار إلى أن ترك التزويج مرجوح، إذ لو كان راجحاً ما آثر النبي ﷺ غيره، وكان - مع كونه أخشى الناس لله وأعلمهم به - يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الأحكام التي لا يطلع عليها الرجال، ولإظهار المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان لا يجد ما يستمتع به من القوت غالباً، وإن وجد فكان يؤثر بأكثره، ويصوم كثيراً ويواصل، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، ولا يطاق ذلك إلا مع قوة البدن، وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال المقويات من مأكول ومشروب، وهي عنده ﷺ نادرة أو معدومة.

وقال بعض العلماء: لما كان الحر لفضله على العبد يستبيح من النساء أكثر مما/ يستبيح العبد، وجب أن يكون النبي ﷺ لفضله على جميع الأمة يستبيح من النساء أكثر مما تستبيحه الأمة. ١٧٩/أ

قالوا: ومن فوائد ذلك، زيادة التكليف بهن مع تحمل أعباء الرسالة، فيكون ذلك أعظم لمشاقه وأكثر لأجره، ومنها: أن النكاح في حقه عبادة، ومنها: نقل محاسنه الباطنة، وقد تزوج ﷺ أم حبيبة وكان أبوها في ذلك الوقت عدوه، وصفية وقد قتل أباها وعمها وزوجها، فلو لم يطلعن من باطن أحواله على أنه أكمل خلق الله لكانت الطباع البشرية تقتضي ميلهن إلى آبائهن وقرابتهن، فكان في كثرة النساء عنده بيان لمعجزاته وكماله باطناً، كما عرف الرجال منه الظاهر.

[الحض على الزواج]

وقد رغب ﷺ في النكاح. فروى أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار مرفوعاً: (تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم)

وفي ابن ماجه عن أبي هريرة رفعه: (انكحوا فإني مكاثر بكم الأمم)

وهو معنى ما اشتهر على الألسنة: تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم[1]، ولم أقف عليه بهذا اللفظ.

وأرشد ﷺ من لم يستطع الباءة إلى الصوم، لأن كثرته تقلل مادة النكاح، وتضعف ما يجده المرء من الحرارة القوية التي تبعثه على النكاح، وخص الشباب في قوله: «يا معشر الشباب»[2] لأن للشباب من شهوة النكاح ما ليس لغيرهم. وقد ظهر لك أن النكاح أعظم في الأجر والثواب من الصيام، فإنه ﷺ لم يأمر أولاً بالصوم إنما أمر به عند عدم الطول إلى النكاح، وإذا كان النكاح ينوى به التناسل لتكثير هذه الأمة المحمدية فهو بلا شك أفضل.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لأطأ النساء ومالي إليهن حاجة، رجاء أن يخرج الله من ظهري من يكاثر به محمد ﷺ الأمم يوم القيامة. ذكره ابن أبي جمرة.

---

(١) أورده عياض بلفظ: تناكحوا تناسلوا أباهي بكم الأمم يوم القيامة، وقال مخرجه: أخرجه ابن مردويه في تفسيره عن ابن عمر مرفوعاً بسند ضعيف.

(٢) رواه الشيخان وأحمد والأربعة عن ابن مسعود بلفظ: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء).

وانظر كون نبينا ﷺ ـ بالإجماع ـ أعبد الناس، مع ما طبعت عليه بشريته من حب الجماع، وكيف لم يخل بعبادته شيئاً، لأنه ﷺ لم يكن يأتيها إلا على مشروعيتها، وهذا هو غاية الكمال في البشرية، لأنه يرجع ما طبع عليه تابعاً لما أمر به.

وقد روي عنه ﷺ أنه قال: لا رهبانية في الإسلام[1]. وهي ترك النساء، ولو كان تركهن أفضل لشرع ذلك في ديننا، إذ هو خير الأديان.

[خصوصية سليمان عليه السلام]

وقد قال سليمان عليه السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة. رواه البخاري.

وهذا فيه معجزة لسليمان عليه السلام، إذ البشر عاجز عن الطواف على مائة امرأة في ليلة واحدة، فأظهر الله تعالى قدرته بأن أعطى لسليمان عليه السلام القوة على ذلك فكان فيها معجزة وإظهار قدرة وإبداء حكمة، رداً على من ربط الأشياء بالعوائد فيقول: لا يكون كذا إلا من كذا، ولا يتولد كذا إلا من كذا، فألقى الله في صلب سليمان ماء مائة رجل.

وكان له ثلاثمائة زوجة وألف سرية[2] وهذا لا يعطي تفضيل سليمان عليه السلام على نبينا ﷺ، إذ سيدنا محمد لم يعط إلا ماء أربعين رجلاً، ولم يكن له غير عشر نسوة، لأن مرتبة نبينا ﷺ في

---

(١) روى الإمام أحمد قوله ﷺ لعثمان بن مظعون: (إن الرهبانية لم تكتب علينا) المسند ٣/٢٢٦ [م].

(٢) الله أعلم بصحة هذا؟!

الأفضلية لا يساويه فيها أحد، وسليمان تمنى أن يكون ملكاً فأعطي ذلك، وأعطي هذه القوة في الجماع لكي يتم له الملك على خرق العادة من كل الجهات ليمتاز بذلك. فكان نساؤه من جنس ملكه الذي لا ينبغي لأحد من بعده كما طلب.

١٧٩/ب ونبينا محمد ﷺ لما خير بين أن يكون/ نبياً ملكاً أبى ذلك، واختار أن يكون نبياً عبداً، فأعطي من الخصوصية ذلك القدر لكونه ﷺ اختار الفقر والعبودية فأعطي الزائد لخرق العادة في النوع الذي اختار وهو الفقر والعبودية، فكان ﷺ يربط على بطنه الأحجار من شدة الجوع والمجاهدة، وهو على حاله في الجماع لم ينقصه شيئاً، والناس أبداً إذا أخذهم الجوع والمجاهدة لا يستطيعون ذلك، فهو أبلغ في المعجزة، قاله في بهجة النفوس، والله أعلم.

النوع الرابع

في نومه ﷺ

[هيئة نومه ﷺ]

كان ﷺ ينام أول الليل ويستيقظ في أول النصف الثاني، فيقوم فيستاك ويتوضأ، ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه، وكان ينام على جانبه الأيمن، ذاكراً الله حتى تغلبه عيناه، غير ممتلئ البدن[1] من الطعام والشراب، لأنه ﷺ كان يحب التيامن في شأنه كله، وليرشد أمته، لأن في الاضطجاع على الشق الأيمن سراً، وهو أن القلب معلق في الجانب الأيسر، فإذا نام الرجل على الجانب الأيسر استثقل نوماً، لأنه يكون في دعة واستراحة فيثقل نومه، فإذا نام على الشق الأيمن فإنه يقلق ولا يستغرق في النوم لقلق القلب، وطلبه مستقره وميله إليه.

قالوا: وكثرة النوم على الجانب الأيسر ـ وإن كان أهنأ ـ مضر بالقلب بسبب ميل الأعضاء إليه، فتنصب المواد فيه.

وأما قول القاضي عياض في الشفاء: وكان نومه على جانبه الأيمن استظهاراً على قلة النوم.. الخ، ففيه شيء، لأنه ﷺ لا ينام قلبه، فسواء كان نومه على الجانب الأيمن أو الأيسر فهذا الحكم ثابت

---

(١) في ش: البطن.

له، وما علله به إنما يستقيم في حق من ينام قلبه، وحينئذٍ فالأحسن تعليله بحب التيامن، أو بقصده التعليم، كما مر.

وأردأ النوم، النوم على الظهر، ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم، وأردأ منه أن ينام منبطحاً على وجهه، وفي سنن ابن ماجه أنه ﷺ مر برجل في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله وقال: قم، أو اقعد، فإنها نومة جهنمية.

[فراشه ﷺ]

وكان ﷺ ينام على النطع[1] تارة، وعلى الفراش تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة. وكان فراشه أدماً[2] حشوه ليف[3].

وكان له مسح[4] ينام عليه[5].

[الدعاء قبل النوم]

وكان ﷺ إذا أخذ مضجعه وضع كفه تحت خده الأيمن وقال: رب قني عذابك يوم تبعث عبادك[6]. وفي رواية: يوم تجمع عبادك[7].

(١) ما اتخذ من الجلد.
(٢) الأدم: الجلد المدبوغ.
(٣) في الصحيحين والترمذي عن عائشة قالت: (إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدماً حشوه ليف).
(٤) فراش خش غليظ.
(٥) رواه الترمذي.
(٦) رواه أحمد والترمذي واللفظ له.
(٧) رواها الترمذي.

وقال أبو قتادة: كان ﷺ إذا عرَّس[1] بليل اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه[2].

وقال ابن عباس: كان ﷺ إذا نام نفخ[3].

وعن حذيفة كان ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: باسمك اللهم أموت وأحيا[4].

وقالت عائشة: كان يجمع كفيه فينفث فيهما ويقرأ: **﴿قل هو الله أحد﴾**، و **﴿قل أعوذ برب الفلق﴾** و **﴿قل أعوذ برب الناس﴾** ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده. يصنع ذلك ثلاث مرات[5].

وقال أنس: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، وكم ممن لا كافي له ولا مؤوي[6]. روى ذلك الترمذي[7].

[لا ينام قلبه ﷺ]

وكان ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، رواه البخاري من حديث عائشة، قاله لها عليه الصلاة والسلام لما قالت له: أتنام قبل أن توتر.

---

(١) أي نزل وهو مسافر للاستراحة.
(٢) رواه أحمد في المسند ٥/٣٠٩ والترمذي.
(٣) رواه الترمذي وفي البخاري (نام ﷺ حتى نفخ).
(٤) رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي.
(٥) رواه الشيخان وغيرهما.
(٦) رواه مسلم وغيره.
(٧) أي الأحاديث السابقة.

وإنما كان/ ﷺ لا ينام قلبه لأن القلب إذا قويت فيه الحياة لا ١/١٨٠ ينام إذا نام البدن، وكمال هذه الحالة لنبينا ﷺ ، ولمن أحيا الله قلبه بمحبته واتباع رسوله من ذلك جزء، بحسب نصيبه منها، فمستيقظ القلب وغافله، كمستيقظ البدن ونائمه، وإلى هذا الذي ذكرته أشار صاحب المعارف العلية والحقائق السنية سيدي علي ابن سيدي محمد وفا:

عيني تنام لكن قلبي والله ما ينام
وكيف ينام عاشق مسبي في الحب مستهام
ناظر إلى وجه الحبيب شاخص على الدوام
أتاه في المعنى مرسوم أن يمحي الرسوم
فقال بالحي القيوم يا سعد من يقوم(١)

وقد جمع العلماء بين هذا الحديث وبين حديث نومه ﷺ في الوادي عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وحميت حتى أيقظه عمر رضي الله عنه بالتكبير(٢).

فقال النووي: له جوابان، أحدهما: أن القلب إنما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والألم ونحوهما، ولا يدرك ما يتعلق بالعين لأنها نائمة والقلب يقظان، والثاني: أنه كان له حالان، حال كان قلبه لا ينام وهو الأغلب، وحال ينام فيه قلبه وهو نادر، فصادف هذا، أي قصة(٣) النوم عن الصلاة. قال: والصحيح المعتمد هو الأول والثاني ضعيف.

---

(١) من الواضح أن هذا ليس من الشعر الموزون [م].
(٢) أخرجه الشيخان، وهو عند البخاري برقم ٣٤٤.
(٣) كذا في ش وفي فتح الباري، وفي النسخ: قضية.

قال في فتح الباري: وهو كما قال، ولا يقال: القلب ـ وإن كان لا يدرك ما يتعلق بالعين من رؤية الفجر مثلاً ـ لكنه يدرك إذا كان يقظاناً مرور الوقت الطويل، فإن من ابتداء طلوع الفجر إلى أن حميت الشمس مدة طويلة، لا تخفى على من لم يكن مستغرقاً، لأنا نقول: يحتمل أن يقال: كان قلبه ﷺ إذ ذاك مستغرقاً بالوحي، ولا يلزم من ذلك وصفه بالنوم، كما كان يستغرق ﷺ حالة إلقاء الوحي في اليقظة، وتكون الحكمة في ذلك بيان التشريع بالفعل، لأنه أوقع في النفس، كما في قصة سهوه في الصلاة، وقريب من هذا جواب ابن المنير: أن القلب يحصل له السهو في اليقظة لمصلحة التشريع، ففي النوم بطريق الأولى، أو على السواء[1].

وقال ابن العربي في القبس: النبي ﷺ كيفما اختلف حاله من نوم أو يقظة في حق وتحقيق، ومع الملائكة في كل طريق، إن نسي فبآكد من المنسي اشتغل، وإن نام فبقلبه ونفسه على الله أقبل، ولهذا قالت الصحابة كان ﷺ إذا نام لا نوقظه حتى يستيقظ، لأنا لا ندري ما هو فيه، فنومه عن الصلاة أو نسيانه لشيء منها لم يكن عن آفة، وإنما كان بالتصرف من حالة إلى حالة مثلها لتكون لنا سنة. انتهى.

وقد أجيب عن أصل الإشكال بأجوبة أخرى ضعيفة منها: أن معنى قوله:«لا ينام قلبي» أي لا يخفى عليه حالة انتقاض وضوئه، ومنها: أن معناه، لا يستغرقه النوم حتى يوجد منه الحدث، وهذا قريب من الذي قبله.

قال ابن دقيق العيد، كأن قائل هذا أراد تخصيص يقظة القلب بإدراك حالة الانتقاض، وذلك بعيد، وذلك أن قوله ﷺ:«إن عيني

(١) عن فتح الباري من قوله: فقال النووي ١/٤٥٠ [م].

تنامان ولا ينام قلبي» خرج جواباً عن قول عائشة: أتنام قبل أن توتر؟ وهذا كلام لا تعلق له بانتقاض الطهارة الذي تكلموا فيه. وإنما هو جواب يتعلق بأمر الوتر، فتحمل يقظته على تعلق القلب باليقظة للوتر، وفرق بين من شرع في النوم مطمئن القلب به، وبين من شرع فيه متعلقاً باليقظة.

قال: وعلى هذا فلا تعارض ولا إشكال/ في حديث النوم حتى طلعت الشمس، لأنه يحتمل أنه اطمأن في نومه لما أوجبه تعب السير[1] معتمداً على من وكله بكلاءة الفجر، انتهى. ١٨٠/ب

ومحصله تخصيص اليقظة المفهومة من قوله «ولا ينام قلبي» بإدراكه وقت الوتر إدراكاً معنوياً لتعلقه به، وأن نومه في حديث الباب كان نوماً مستغرقاً، ويؤيده قول بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، كما في حديث أبي هريرة عند مسلم، ولم ينكر عليه، ومعلوم أن نوم بلال كان مستغرقاً، وقد اعترض عليه: بأن ما قاله يقتضي اعتبار خصوص السبب، وأجاب، بأنه يعتبر إذا قامت عليه قرينة، وأرشد إليها السياق، وهو هنا كذلك.

ومن الأجوبة الضعيفة أيضاً: قول من قال: كان قلبه يقظاناً وعلم بخروج الوقت، لكن ترك إعلامهم بذلك لمصلحة التشريع، والله أعلم انتهى[2].

---

(١) في ط بعد كلمة السير: مجتمعاً. وهي ليست في فتح الباري المنقول عنه.
(٢) عن فتح الباري من قوله: وقد أجيب ١/ ٤٥٠ ـ ٤٥١

المقصد الرّابع

في

معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته، وما خص به من خصائص آياته وبدائع كراماته.

وفيه فصلان

الفصل الأول

في معجزاته ﷺ

[تعريف المعجزة وشروطها]

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم، والرسول العظيم ـ سلك الله بي وبك مناهج سنته، وأماتنا على محبته، بمنه ورحمته ـ أن المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها، فعلم أن لها شروطاً:

● **أحدها**: أن تكون خارقة للعادة، كانشقاق القمر، وانفجار الماء من بين الأصابع، وقلب العصا حية، وإخراج ناقة من صخرة، وإعدام جبل.

فخرج غير الخارق للعادة، كطلوع الشمس كل يوم.

● **الثاني**: أن تكون مقرونة بالتحدي، وهو طلب المعارضة والمقابلة.

قال الجوهري: يقال: تحديت فلاناً، إذا باريته في فعل ونازعته للغلبة.

وفي القاموس: نحوه.

وفي الأساس: حدا، يحدو، وهو حادي الإبل، واحتدى بها حداء إذا غنى، ومن المجاز: تحدى أقرانه إذا باراهم ونازعهم للغلبة. وأصله: الحداء، يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان، فيتحدى كل واحد منهما صاحبه، أي يطلب حداءه. كما يقال: توفاه بمعنى استوفاه، وفي بعض الحواشي الموثوق بها، كانوا عند الحدو يقوم حاد عن يمين القطار[1] وحاد عن يساره، يتحدى كل واحد منهما صاحبه، بمعنى يستحديه، أي يطلب منه حداءه، ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل مباراة. انتهى من حاشية الطيبي على الكشاف.

وقال المحققون: التحدي، الدعوى[2] للرسالة. انتهى.

● والشرط الثالث من شروط المعجزة: أن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة.

وعبر عنه بعضهم بقوله: دعوى الرسالة مع أمن المعارضة.

وهو أحسن من التعبير: بعدم المعارضة، لأنه لا يلزم من عدم المعارضة امتناعها. والشرط إنما هو عدم إمكانها.

وقد خرج بقيد «التحدي» الخارق من غير تحد، وهو الكرامة للولي.

وبـ«المقارنة» الخارق المتقدم على التحدي، كإظلال الغمام، وشق الصدر، الواقعين لنبينا ﷺ قبل دعوى الرسالة، وكلام عيسى في المهد، وما شابه ذلك مما وقع من الخوارق قبل دعوى الرسالة، فإنها

---

(١) القطار: عدد من الإبل على نسق واحد.

(٢) في ط: الدعوة. وهو تصحيف.

ليست معجزات إنما هي كرامات، ظهورها على الأولياء جائز، والأنبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء فيجوز ظهورها عليهم أيضاً، وحينئذٍ يسمى «إرهاصاً» أي تأسيساً للنبوة كما صرح به العلامة السيد الجرجاني في شرح المواقف، وغيره، وهو مذهب جمهور أئمة الأصول وغيرهم.

وخرج أيضاً بقيد «المقارنة» المتأخر عن التحدي/، بما يخرجه عن المقارنة العرفية، نحو ما روي بعد وفاته ﷺ من نطق بعض الموتى بالشهادتين وشبهه، مما تواترت به الأخبار. ١٨١/أ

وخرج أيضاً بـ«أمن المعارضة» السحر المقرون بالتحدي، فإنه يمكن معارضته بالإتيان بمثله من المرسل إليهم.

واختلف: هل السحر قلب الأعيان وإحالة الطبائع أم لا؟

فقال بالأول قائلون، حتى جوزوا للساحر أن يقلب الإنسان حماراً.

وذهب آخرون: إلى أن أحداً لا يقدر على قلب عين ولا إحالة طبيعة إلا الله تعالى لأنبيائه، وأن الساحر والصالح لا يقلبان عيناً. قالوا: ولو جوزنا للساحر ما جاز على النبي فأي فرق عندكم بينهما؟ فإن لجأتم إلى ما ذكره القاضي أبو بكر الباقلاني من الفرق[1] بالتحدي فقط قيل لكم هذا باطل من وجوه:

أحدها: أن اشتراط التحدي قول لا دليل عليه، لا من كتاب ولا من سنة، ولا من قول صاحب ولا إجماع، وما تعرى من البرهان فهو باطل.

---

(١) أي بين النبي وبين الساحر.

الثاني: أن أكثر آياته ﷺ وأعمها وأبلغها كانت بلا تحد، كنطق الحصى، ونبع الماء، ونطق الجذع، وإطعامه المئين من صاع، وتفله في العين، وتكليم الذراع، وشكوى البعير، وكذا سائر معجزاته العظام، ولعله لم يتحد بغير[1] القرآن، وتمني الموت.

قالوا: فأف لقول لا يبقي من الآيات ما يسمى معجزة إلا هذين الشيئين، ويلقي معجزات كالبحر المتقاذف بالأمواج، ومن قال إن هذه ليست بمعجزات ولا آيات فهو إلى الكفر أقرب منه إلى البدعة.

قالوا: وقد كان ﷺ يقول عند ورود آية من هذه الآيات: ﴿**أشهد أني رسول الله**﴾[2]، كما قال ذلك عند تحققهم مصداق قوله في الإخبار عن الذي أنكى في المشركين قتلاً في المعركة: إنه من أهل النار، فقتل نفسه بمحضر ذلك الذي اتبعه من المسلمين[3]. قالوا:

والوجه الثالث: وهو الدافع لهذا القول، قوله تعالى: ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون**﴾[5] فسمى الله تلك المعجزات المطلوبات من الأنبياء آيات، ولم يشترط تحدياً من غيره.

---

(١) في (ب، ط): بسوى.

(٢) هو في البخاري وله شاهد في مسلم.

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٠٩.

(٥) سورة الإسراء، الآية ٥٩.

فصح أن اشتراط التحدي باطل محض، انتهى ملخصاً من تفسير الشيخ أبي أمامة بن النقاش.

وأجيب: بأنه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الإتيان بالمثل الذي هو في المعنى الأصلي[1] للتحدي، بل يكفي للتحدي دعوى الرسالة والله أعلم.

● الرابع من شروط المعجزة: أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها، فلو قال مدعي الرسالة: آية نبوتي أن تنطق يدي، أو هذه الدابة، فنطقت يده أو الدابة بكذبه فقالت: كذب وليس هو نبي، فإن الكلام الذي خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدعي، لأن ما فعله الله تعالى لم يقع على وفق دعواه. كما يروى أن مسيلمة الكذاب ـ لعنه الله ـ تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت وذهب ما فيها من الماء.

فمتى اختل شرط من هذه لم تكن معجزة.

ولا يقال: قضية ما قلتم: أن ما توفرت فيه الشروط الأربعة من المعجزات لا يظهر إلا على أيدي الصادقين، وليس كذلك، لأن المسيح الدجال يظهر على يديه من الآيات العظام ما هو مشهور، كما وردت به الأخبار الصحيحة، لأن ما ذكر فيمن يدعي الرسالة وهذا فيمن يدعي الربوبية.

وقد قام الدليل العقلي على أن بعثة بعض الخلق غير مستحيلة، فلم يبعد أن يقيم الله الأدلة على صدق مخلوق أتى عنه بالشرع والملة، ودلت القواطع على كذب المسيح الدجال فيما يدعيه للتغير من/حال ١٨١/ب

(١) في (أ) هو معنى الأصل للتحدي، وفي (ش): الحقيقي.

إلى حال، وغير ذلك من الأوصاف التي تليق بالمحدثات ويتعالى عنها رب البريات ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1].

[معجزة أم آية؟]

فإن قلت أي الاسمين أحق وأولى بما أتت به الأنبياء، هل لفظ «المعجزة» أو لفظ «الآية» أو «الدليل»؟

فالجواب: إن كبار الأئمة يسمون معجزات الأنبياء: دلائل النبوة، وآيات النبوة، ولم يرد أيضاً في القرآن لفظ «المعجزة» بل ولا في السنة أيضاً، وإنما فيهما لفظ «الآية» و«البينة» و«البرهان». كما في قصة موسى ﴿**فذانك برهانان من ربك**﴾[2]، في العصا واليد، وفي حق نبينا ﷺ ﴿**قد جاءكم برهان من ربكم**﴾[3].

وأما لفظ الآيات فكثير. بل هو أكثر من أن نسرده هنا، كقوله تعالى: ﴿**وإذا جاءتهم آية**﴾[4] و﴿**إن في ذلك لآيات**﴾[5].

وأما لفظ المعجز إذ أطلق فإنه لا يدل على كون ذلك آية إلا إذا فسر المراد به، وذكرت شرائطه، وقد كان كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزاً إلا ما كان للأنبياء فقط، ومن أثبت للأولياء خوارق عادات سماها: كرامات، والسلف كانوا يسمون هذا وهذا معجزاً كالإمام أحمد وغيره، بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوة النبي فإن

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.
(٢) سورة القصص، الآية ٣٢.
(٣) سورة النساء، الآية ١٧٤.
(٤) سورة الأنعام، الآية ١٢٤.
(٥) سورة الرعد، الآية ٣.

هذا يجب اختصاصه به. وقد يسمون الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولي، فإن الدليل مستلزم للمدلول، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول، فلذلك كان آية وبرهاناً، انتهى.

[دلائل النبوة]

وإذا علمت هذا، فاعلم أن دلائل نبوة نبينا ﷺ كثيرة، والأخبار بظهور معجزاته شهيرة.

فمن دلائل نبوته: ما وجد في التوراة والإنجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته، وخروجه بأرض العرب، وما خرج بين يدي أيام مولده ومبعثه من الأمور العجيبة الغريبة القادحة في سلطان الكفر، الموهنة لكلمتهم المؤيدة لشأن العرب المنوهة لذكرهم، كقصة الفيل، وما أحل الله تعالى بأصحابه من العقوبات والنكال، وخمود نار فارس وسقوط شرفات[1] إيوان كسرى، وغيض ماء بحيرة ساوة، ورؤيا الموبذان[2]، وما سمع من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه، وانتكاس

(١) في (ب، ط): شرافات.

(٢) اسم لحاكم المجوس: كقاضي القضاة للمسلمين. رأى ليلة مولده ﷺ إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها.

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة تعليقاً على قول ابن كثير عن حديث الغزالة «من نسبه إلى النبي ﷺ فقد كذب» قال: ومثله.. أن ليلة مولد النبي ﷺ ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس.. وغاضت بحيرة ساوه.. ورأى المؤبذان رؤيا وفسرها له كاهن العرب سطيح.. فهذا الحديث ليس بصحيح ولا يجوز قوله.. ولا يغرنك ذكر بعض العلماء له في كتب السيرة أو التاريخ. [عن كتاب المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري تحقيق أبو غدة ص ١٨] [المحقق].

الأصنام المعبودة وخرورها لوجهها من غير دافع لها من أمكنتها، إلى سائر ما روي وما نقل في الأخبار المشهورة من ظهور العجائب في ولادته وأيام حضانته وبعدها إلى أن بعثه الله نبياً.

ولم يكن له ﷺ ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه، ولا قوة فيقهر بها الرجال، ولا أعوان على الرأي الذي أظهره، والدين الذي دعا إليه، وكانوا يجتمعون على عبادة الأصنام، وتعظيم الأزلام، مقيمين على عادة الجاهلية في العصبة والحمية، والتعادي والتباغي وسفك الدماء، وشن الغارة ولا تجمعهم ألفة دين، ولا يمنعهم عن سوء أفعالهم نظر في عاقبة، ولا خوف عقوبة ولائمة، فألف ﷺ بين قلوبهم وجمع كلمتهم، حتى اتفقت الآراء وتناصرت القلوب، وترادفت الأيدي، فصاروا إلباً[1] واحداً في نصرته، وعنقاً[2] واحداً إلى طلعته، وهجروا بلادهم وأوطانهم، وجفوا قومهم وعشائرهم في محبته، وبذلوا مهجهم وأرواحهم في نصرته، ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في إعزاز كلمته، بلا دنيا بسطها لهم، ولا أموال أفاضها عليهم، ولا عوض في العاجل أطمعهم في نيله يرجونه[3]، أو ملك أو شرف في الدنيا يحوزونه، بل كان من شأنه ﷺ أن يجعل الغني فقيراً[4]، والشريف أسوة الوضيع، فهل يلتئم مثل هذه الأمور، أو يتفق مجموعها لأحد هذا سبيله، من قبيل الاختيار العقلي والتدبير الفكري، لا والذي بعثه بالحق، وسخر له/ هذه الأمور، ما يرتاب عاقل في شيء من ذلك، ١٨٢/أ

(١) أي جمعا.

(٢) أي جمعا.

(٣) في (أ، ش، د) يحوونه.

(٤) أي يحمله على صرف أمواله في الجهاد ونحوه من أنواع القرب، كأبي بكر، أو بأن يصيره كالفقير في تهذيب النفس وعدم الفخر.

وإنما هو أمر إلهي، وشيء غالب سماوي، ناقض للعادات، يعجز عن بلوغه قوى البشر، ولا يقدر عليه إلا من له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين.

[من الدلائل: أميته ﷺ]

ومن دلائل نبوته ﷺ أنه كان أمياً، لا يخط كتاباً بيده ولا يقرؤه، ولد في قوم أميين، ونشأ بين أظهرهم في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار الماضين، ولم يخرج في سفر ضارباً إلى عالم فيعكف عليه، فجاءهم بأخبار التوراة والإنجيل والأمم الماضية، وقد كان ذهبت معالم تلك الكتب، ودرست وحرفت عن مواضعها، ولم يبق من المتمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحها وسقيمها إلا القليل، ثم حاجَّ كل فريق من أهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق المتكلمين وجهابذة النقاد المتفننين لم يتهيأ لهم[1] نقض ذلك. وهذا أدلُّ شيء على أنه أمر جاءه من عند الله تعالى.

[من الدلائل: القرآن]

ومن ذلك، القرآن العظيم، فقد تحدى بما فيه من الإعجاز، ودعاهم إلى معارضته والإتيان بسورة من مثله، فنكلوا عنه وعجزوا عن الإتيان بشيء منه.

قال بعض العلماء: إن الذي أورده ﷺ على العرب من الكلام أعجزهم عن الإتيان بمثله أعجب في الآية، وأوضح في الدلالة من

(١) كذا في د، وفي النسخ: له.

إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، لأنه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين في اللسن بكلام مفهوم[1] المعنى عندهم، فكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد المسيح عند إحياء الموتى، لأنهم لم يكونوا يطمعون فيه، ولا إبراء الأكمه والأبرص ولا يتعاطون علمه، وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة، فدل على أن العجز عنه إنما كان ليصير علماً على رسالته، وصحة نبوته، وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح.

وقال أبو سليمان الخطابي: وقد كان ﷺ من عقلاء الرجال عند أهل زمانه، بل هو أعقل خلق الله على الإطلاق. وقد قطع القول فيما أخبر به عن ربه تعالى بأنهم لا يأتون بمثل ما تحداهم به فقال: ﴿**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا**﴾[2] فلولا علمه بأن ذلك من عند الله علام الغيوب، وأنه لا يقع فيما أخبر عنه خلف، وإلا لم يأذن له عقله أن يقطع القول في شيء، بأنه لا يكون وهو يكون. انتهى.

وهذا أحسن ما يقال في هذا المجال وأبدعه وأكمله وأبينه، فإنه نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة، وبالتقصير عن بلوغ الغرض في المناقضة، صارخاً بهم على رؤوس الأشهاد، فلم يستطع أحد منهم الإلمام به مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد، فقال ـ وكان بما ألقى إليهم من الأخبار عليماً خبيراً ـ: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض**

---

(١) كذا في ش، وفي النسخ: مفهم.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤.

ظهيرا﴾[1] فرضيت هممهم السرية[2] وأنفسهم الشريفة الأبية بسفك الدماء وهتك الحرم[3].

وقد ورد من الأخبار في قراءة النبي ﷺ بعض ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا من أهل الفصاحة والبلاغة، واقرارهم بإعجازه جمل كثيرة: فمنها ما روي عن محمد بن كعب قال: حدثت أن عتبة ابن ربيعة قال ذات يوم ـ وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد ـ يا معشر قريش، ألا أقوم إلى هذا فأعرض عليه أموراً لعله يقبل منا بعضها ويكف عنا. قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث ـ فيما قاله عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك ـ فلما فرغ قال رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟/ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل، فقال رسول الله ﷺ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾[4] حتى بلغ: ﴿قرآناً عربياً﴾ فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت لها، وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها ثم قال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال: سمعت [قال][5]، فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم

١٨٢/ب

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٨.
(٢) أي الشريفة.
(٣) كذا في ش، وفي النسخ: الحريم. أي فعلوا ذلك عناداً، وعجزاً عن الإتيان بمثله.
(٤) أول سورة فصلت.
(٥) في ش.

قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: والله إني قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ. قال: فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة. قرأ ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل من الرحمن الرحيم**﴾ حتى بلغ ﴿**فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**﴾[1] فأمسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب. رواه البيهقي وغيره.

وفي حديث إسلام أبي ذر، ووصف أخاه أنيساً فقال: والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس، وقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم، وأنه انطلق وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي ﷺ، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر، كاهن، ساحر، لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعته على أقراء[2] الشعر فلم يلتئم، ولا يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، وإنه لصادق وإنهم لكاذبون. رواه مسلم والبيهقي.

وعن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة، وكان زعيم قريش في الفصاحة: أنه قال للنبي ﷺ: اقرأ علي، فقرأ عليه: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى**﴾[3] إلى آخر الآية. قال: أعد، فأعاد ﷺ، فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة[4] وإن أعلاه

(١) سورة فصلت، الآية ١٣.

(٢) أي أنواعه وأنحاءه.

(٣) سورة النحل، الآية ٩٠.

(٤) أي: حسناً وبهجة.

لمثمر وإن أسفله لمغدق[1] وما يقول هذا بشر، ثم قال لقومه: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى[2].

وفي خبره الآخر: حين جمع قريشاً عند حضورهم الموسم وقال: إن وفود العرب تردنا[3]، فأجمعوا فيه رأياً، لا يكذب بعضكم بعضاً، فقالوا: نقول هو كاهن، قال: والله ما هو بزمزمته ولا سجعه، قالوا: مجنون. قال: ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا بوسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر. قد عرفنا الشعر كله. رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه، ما هو بشاعر. قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر، ولا نفثه ولا عقده، قالوا: فما نقول؟ قال: ما أنتم قائلون من هذا شيئاً إلا وأنا أعرف أنه باطل، رواه ابن إسحاق والبيهقي.

وأخرج أبو نعيم من طريق ابن إسحاق، حدثني إسحاق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال: لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو ابن الجموح لابنه: أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل، فقرأ عليه ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إلى قوله ﴿الصراط المستقيم﴾ فقال: ما أحسن هذا وأجمله، أو كل كلامه مثل هذا قال: يا أبت وأحسن من هذا.

وقال بعض العلماء: إن هذا القرآن لو وجد مكتوباً في مصحف

---

(١) الغدق: هو كثرة الماء، أراد بأسفله ما تضمنه من المعاني.
(٢) رواه البيهقي مرسلاً.
(٣) كذا في أ وفي النسخ: ترد.

في فلاة من الأرض، ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة/ أنه منزل من عند الله، وأن البشر لا قدرة لهم على تأليف مثل ذلك، فكيف إذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقال: إنه كلام الله، وتحدى الخلق كلهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، فكيف يبقى مع هذا شك. انتهى.

١٨٣/ا

[وجوه إعجاز القرآن]

واعلم أن وجوه إعجاز القرآن لا تنحصر، لكن قال بعضهم: قد اختلف العلماء في إعجازه على ستة أوجه:

• **أحدها**: أن وجه إعجازه[١] هو الإيجاز والبلاغة، مثل قوله: **﴿ولكم في القصاص حياة﴾**[٢] فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة أحرف معاني كلام كثير.

وحكى أبو عبيد: أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: **﴿فاصدع بما تؤمر﴾**[٣] فسجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام. وسمع آخر رجلاً يقرأ: **﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً﴾**[٤] قال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام.

وحكى الأصمعي: أنه رأى جارية خماسية أو سداسية[٥] وهي

---

(١) في (ب، ط): إعجاز القرآن.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧٩.

(٣) سورة الحجر، الآية ٩٤.

(٤) سورة يوسف، الآية ٨٠.

(٥) أي بلغت خمساً أو ستاً.

تقول: استغفر الله من ذنوبي كلها، فقلت لها: مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم؟ فقالت:

استغفر الله لذنبي كله   قتلت إنساناً بغير حله
مثل غزال ناعم في دله   انتصف الليل ولم أصله[1]

فقلت لها: قاتلك الله ما أفصحك، فقالت: أو تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى: ﴿**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾[2] فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوماً نائماً في المسجد، فإذا هو برجل قائم على رأسه، يتشهد شهادة الحق، فأعلمه أنه من بطارقة الروم، ممن يحسن كلام العرب وغيرها، وأنه سمع رجلاً من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع الله فيها ما أنزل[3] على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة. وهي قوله تعالى: ﴿**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه**﴾[4] الآية.

وقد رام قوم من أهل الزيغ والإلحاد، أوتوا طرفاً من البلاغة، وحظاً من البيان، أن يضعوا شيئاً يلبسون به، فلما وجدوه مكان النجم من يد المتناول، مالوا إلى السور القصار، كسورة الكوثر والنصر

(١) في ط: أصل له. قال الشارح: إخبار عن ذنب آخر، أي لم أتهجد فيه.
(٢) سورة القصص، الآية ٧.
(٣) هذه عبارة الأصل وفي النسخ: قد جمع فيها ما أنزل الله.
(٤) سورة النور، الآية ٥٢.

وأشباههما، لوقوع الشبهة على الجهال فيما قل عدد حروفه، لأن العجز إنما يقع في التأليف والاتصال.

وممن رام ذلك من العرب في التشبث[1] بالسور القصار، مسيلمة الكذاب فقال: يا ضفدع نقي كم تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الماء تكدرين، ولا الشراب تمنعين. فلما سمع أبو بكر رضي الله عن هذا قال: إنه كلام لم يخرج من إل.

قال ابن الأثير: أي من ربوبية، و«الإل» بالكسر هو الله تعالى. وقيل: الإل الأصل الجيد، أي لم يجئ من الأصل الذي جاء منه القرآن.

ولما سمع مسيلمة الكذاب ـ لعنه الله ـ «والنازعات» قال: والزارعات زرعاً والحاصدات حصداً والذرايات قمحاً، والطاحنات طحناً، والحافرات حفراً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر. إلى غير ذلك من الهذيان، مما ذكرت في الوفود من المقصد الثاني بعضه والله أعلم.

وقال آخر: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى، من بين شراسيف[2] وأحشى[3].

وقال آخر: الفيل ما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له ذنب وثيل[4]، ومشفر طويل، وإن ذلك من خلق ربنا لقليل.

---

(١) في (ب، د): التشبيه، والتشبث معناه: التعلق.
(٢) جمع شرسوف: غضروف معلق بكل ضلع.
(٣) هذا القول سقط من (ب، د).
(٤) أي طويل يشبه الحبل في امتداده.

ففي هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة ما لا خفاء به على من لا يعلم، فضلاً عمن يعلم.

● **والثاني**: أن إعجازه هو الوصف/ الذي صار به خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع، فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه من جنس كلامهم، ومستعملة في نظمهم ونثرهم، ولذلك تحيرت عقولهم، وتدلهت[1] أحلامهم، ولم يهتدوا إلى مثله في حسن كلامهم[2]، فلا ريب أنه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه، وفي بلاغته قد أصاب المعاني بصائب سهمه، فإنه حجة الله الواضحة، ومحجته اللائحة، ودليله القاهر، وبرهانه الباهر، ما رام معارضته شقي إلا تهافت تهافت الفراش في الشهاب، وذل ذل النقد[3] حول الليوث الغضاب.

١٨٣/ب

وقد حكي عن غير واحد ممن عارضه أنه اعترته روعة وهيبة كفَّته عن ذلك، كما حكي عن يحيى بن حكيم الغزال[4] - بتخفيف الزاي وقد تشدد - وكان بليغ الأندلس في زمانه أنه قد رام شيئاً من هذا، فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها، وينسج بزعمه على منوالها، فاعترته خشية ورقة، حملته على التوبة والإنابة.

وحكي أيضاً أن ابن المقفع[5] - وكان أفصح أهل وقته - طلب

---

(١) أي دهشت وتحيرت.

(٢) في ط: كلامه.

(٣) في ب: الصيد، والنقد: نوع من الغنم قبيح الشكل.

(٤) شاعر أندلسي بديع القول مات سنة خمس وخمسين ومائتين.

(٥) عبدالله بن المقفع فصيح بليغ، من أصل فارسي، ولد سنة ١٠٦ هـ ونشأ =

ذلك ورامه، ونظم كلاماً وجعله مفصلاً، وسماه سوراً، فاجتاز يوماً بصبي يقرأ في مكتب قوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر..﴾[1] الآية، فرجع ومحى ما عمل وقال: أشهد أن هذا لا يعارض أبداً، وما هو من كلام البشر.

ولله در العارف سيدي محمد وفا حيث قال، يعني النبي ﷺ والقرآن المعظم:

لـه آيـة الفـرقـان في عـين جمعـه	جـوامـع آيات بهـا اتضـح الـرشـد
حـديث نـزيـه عن حـدوث منـزهٌ	قـديم صفـات الـذات ليس لـه ضـد
بـلاغ بـليـغ لـلبـلاغـة مـعـجـز	لـه مـعـجـزات لا يـعـد لهـا عـد
تحلت بـروح الـوحي حلة نـسجـه	عقـود اعتـقـاد لا يحـل لهـا عقـد
وغـايـة أربـاب البـلاغـة عجزهم	لـديـه وإن كـانـوا هم الألسن اللد
فـأفـاكهم بـالإفـك أعـيـاه غيـه	تصـدى ولـلأسـماع عن غيـه صـد
قـلى الله أقـوالاً يهـاجـر هجـرهـا	هـوانـاً بهـا الـورهـاء والبهم البلد[2]
تـلاها فتـلَّ الفحش في القبـح وجهها	وعن ريبهـا الألبـاب نـزهها الـزهـد
لقـد فـرق الفـرقـان شمـل فـريقـه	بجمـع رسـول الله واستعلن الـرشـد
أتى بـالهـدى صـلى عـليـه إلهـه	ولم يـلهُ بـالأهـواء إذ جـاءه الجـد

● **والثالث**: أن وجه إعجازه هو أن قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة

= بالبصرة وفيها تلقى العلم والأدب، جمع بين الثقافتين العربية والفارسية، له «الأدب الكبير» و«الأدب الصغير». [المحقق].

(١) سورة هود، الآية ٤٤.

(٢) الورهاء: الحمقاء، والبهم: أولاد الضأن والبقر، البلد: جمع بليد.

وطلاوة، لا يزال غضاً طرياً، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد، ويعادى إذا أعيد، وكتابنا يستلذ به في الخلوات، ويؤنس بتلاوته في الأزمات، وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك، حتى أحدث أصحابها لها لحوناً وطرقاً، يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها، ولهذا وصف ﷺ القرآن بأنه لا يخلق[1] على كثرة الرد، ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه، هو الفصل ليس بالهزل، لا تشبع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به[2]. أشار إليه القاضي عياض[3].

● **والرابع**: أن وجه إعجازه هو ما فيه من الإخبار بما كان، مما علموه وما لم يعلموه، فإذا سألوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه/ ١/١٨٤ كالذي حكاه من قصة أهل الكهف وشأن موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام، وحال ذي القرنين، وقصص الأنبياء مع أممها، والقرون الماضية في دهرها.

● **والخامس**: أن وجه إعجازه هو ما فيه من علم الغيب، والإخبار بما يكون، فيوجد على صدقه وصحته، مثل قوله تعالى لليهود: **﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾** ثم قال: **﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم﴾**[4] فما تمناه أحد منهم.

---

(١) أي لا يبلى.

(٢) الحديث رواه الترمذي، واقتصر المصنف على بعضه وقدم وأخر.

(٣) من قوله: هو أن قارئه..

(٤) سورة البقرة، ٩٤ ـ ٩٥.

ومثل قوله تعالى لقريش: ﴿**فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا**﴾[1] فقطع بأنهم لا يفعلون فلم يفعلوا.

وتعقب: بأن الغيوب التي اشتمل عليها القرآن وقع بعضها في زمنه ﷺ، كقوله تعالى: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾[2] وبعضها بعد مدة كقوله تعالى: ﴿**ألم غلبت الروم**﴾[3] فلو كان كما قالوا لنازعوا وقع المتوقع، وبأن الإخبار عن الغيب جاء[4] في بعض سور القرآن واكتفى منهم بمعارضة سورة غير معينة، فلو كان كذلك لعارضوه بقدر أقصر سورة لا غيب فيها.

● **السادس**: أن وجه إعجازه هو كونه جامعاً لعلوم كثيرة، لم تتعاط العرب فيها الكلام، ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد منهم، ولا يشتمل عليها كتاب، بين الله فيه خبر الأولين والآخرين وحكم المتخلفين وثواب المطيعين وعقاب العاصين.

فهذه ستة أوجه[5]، يصح أن يكون كل واحد منها إعجازاً،

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤.

(٢) سورة الفتح، الآية ١.

(٣) سورة الروم، الآية ١.

(٤) في ط: وقع.

(٥) تكلم العلماء في إعجاز القرآن كثيراً، وأفرده المؤلفون بكتب خاصة به، وتحدثوا عن وجوهه، وقد قال في الشفاء بعدما ذكر الموضوع: وإذا عرفت ما ذكر من وجوه إعجاز القرآن عرفت أنه لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين... وما يزال مرور الزمن يظهر من المعجزات لهذا القرآن العظيم ما لم يكن معروفاً في الماضي، ومع تقدم العلم المادي في نهاية القرن الرابع عشر الهجري ظهرت أشياء كثيرة من معجزات القرآن عرفت بالإعجاز العلمي تناولت الإنسان والكون.. يضاف إلى ذلك الإعجاز البياني في =

فإذا جمعها القرآن فليس اختصاص أحدها بأن يكون معجزاً بأولى من غيره، فيكون الإعجاز بجميعها. وقد قال تعالى: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**﴾[١] فلم يقدر أحد أن يأتي بمثل [هذا][٢] القرآن في زمن رسول الله ﷺ ولا بعده على نظمه وتأليفه وعذوبة منطقه وصحة معانيه، وما فيه من الأمثال والأشياء التي دلت على البعث وآياته، والإنباء بما كان و[بما][٣] يكون، وبما فيه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والامتناع من إراقة الدماء، وصلة الأرحام، إلى غير ذلك، فكيف يقدر على ذلك أحد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء البلغاء، والشعراء الفهماء، من قريش وغيرها، وهو ﷺ في مدة ما عرفوه قبل نبوته وأداء رسالته أربعين سنة لا يحسن نظم كتاب، ولا عقد حساب، ولا يتعلم سحراً، ولا ينشد شعراً، ولا يحفظ خبراً، ولا يروي أثراً، حتى أكرمه الله بالوحي المنزل، والكتاب المفصل، فدعاهم إليه وحاجهم به، قال الله تعالى: ﴿**قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون**﴾[٤]، وشهد له في كتابه بذلك فقال تعالى: ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون**﴾[٥].

= صورته الجديدة التي تكلم عنها سيد قطب ـ رحمه الله ـ تحت عنوان التصوير الفني في القرآن [المحقق].

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٢) في ط.

(٣) في (ب، ط).

(٤) سورة يونس، الآية ١٦.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٨.

[معجزات أخرى]

وأما ما عـدا القرآن من معجـزاته ﷺ ، كنبـع الماء من بـين أصابعه، وتكثير الطعام ببركته، وانشقاق القمر، ونطق الجماد، فمنه ما وقع التحدي به، ومنه ما وقع دالاً على صدقه من غير سبق تحد، ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده ﷺ من خوارق العادات شيء كثير- كما يقطع بجود حاتم، وشجاعة علي - وإن كانت أفراد ذلك ظنية وردت موارد الآحاد، مع أن كثيـراً من المعجزات النبـوية قـد اشتهر ورواه العدد الكثير، والجم الغفير، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والأخبار، وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك.

فلو ادعى مدع أن غالب هذه الوقائع مفيد للقطع النظري لما كان مستبعداً، وذلك أنه لا مرية أن رواة الأخبار في كل طبقـة قد حدثوا بهذه الأخبار في الجملة، ولا يحفظ عن أحد من أصحابه مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك. / ولا الإنكار عليه فيما هنالك، فيكون الساكت منهم كالناطق، لأن مجموعهم محفـوظ عن الإغضاء عـلى الباطل، وعلى تقدير أن يوجد من بعضهم إنكار أو طعن على بعض من روى شيئاً من ذلك فإنما هو من جهة توقف في صدق الراوي أو تهمته بكـذب، أو توقف في ضبـطه أو نسبته إلى سـوء الحفظ، أو جـواز الغلط، ولا يوجد أحد منهم طعن في المروي، كما وجد منهم في غير هذا الفن[1] من الأحكام وحروف القرآن[2] ونحو ذلك والله أعلم.

١٨٤/ب

---

(١) أي كالذي وجد منهم من الخلاف في أحكام الفقه نفسها، ولم يكن الخلاف قاصراً على السند ورجاله [م] قال الشارح: كما وقع بين عمر وابن عباس في إنكاره عليه نكاح المتعة.

(٢) في ط: القراءات.

[شمول معجزاته ﷺ وتنوعها]

وأنت إذا تأملت معجزاته وباهر آياته وكراماته ﷺ وجدتها شاملة للعلوي والسفلي، والصامت والناطق، والساكن والمتحرك، والمائع والجامد، والسابق واللاحق، والغائب والحاضر، والباطن والظاهر، والعاجل والآجل، إلى غير ذلك، مما لو عد لطال، كالرمي بالشهب الثواقب، ومنع الشياطين من استراق السمع في الغياهب[1]، وتسليم الحجر والشجر عليه، وشهادتها له بالرسالة بين يديه، ومخاطبتها له بالسيادة، وحنين الجذع، ونبع الماء من كفه في الميضأة والتور والمزادة، وانشقاق القمر، ورد العين من العور، ونطق البعير والذئب والجمل، وكالنور المتوارث من آدم إلى جبهة أبيه من الأزل، وما سوى ذلك من المعجزات التي تداولتها الحملة، ونقلتها عن الألسنة الأُول النقلة، مما لو أعملنا أنفسنا في حصرها لفني المداد في ذكرها. ولو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه الكريم به من مواهبه، ولكان الملم بساحل بحرها مقصراً عن حصر بعض فخرها، ولقد صح لـ[بعض][2] محبيه أن ينشدوا فيه[3]:

وعلى تفنن واصفيه لنعته　　يفنى الزمان وفيه ما لم[4] يوصف

وأنه لخليق بمن ينشد[5]

---

(١) جمع غيهب، وهو الظلمة.
(٢) في (أ، ط).
(٣) هو من قول ابن الفارض.
(٤) في ط: مالا.
(٥) هو من قول الخنساء.

فما بلغت كف امرئ متناولاً   من المجد إلا والذي نال أطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحه   ولو حذقوا إلا الذي فيه أفضل

ولله در إمام العارفين سيدي محمد وفا فلقد كفى وشفى بقوله:

ما شئت قل فيه فأنت مصدق   فالحب يقضي والمحاسن تشهد

ولقد أبدع الإمام الأديب شرف الدين الأبوصيري حيث قال:

دع ما ادعته النصاري في نبيهم   واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف   وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له   حد فيعرب عنه ناطق بفم

يعني أن المداح وإن انتهوا إلى أقصى الغايات والنهايات لا يصلون إلى شأوه، إذ لا حدَّ له، ويحكى أنه رؤي الشيخ عمر بن الفارض السعدي في النوم فقيل له: لم لا مدحت النبي ﷺ فقال:

أرى كل مدح في النبي مقصراً   وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله   عليه فما مقدار ما يمدح الورى

قال الشيخ بدر الدين الزركشي: ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين ـ كأبي تمام والبحتري وابن الرومي ـ مدحه ﷺ ، وكان مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه، فإن المعاني دون مرتبته، والأوصاف دون وصفه، وكل غلو في حقه تقصير، فيضيق على البليغ بحال النظم، وعند التحقيق إذا اعتبرت جميع الأمداح التي فيها غلو بالنسبة إلى من قرضت له وجدتها صادقة في حق النبي ﷺ ، حتى كأن الشعراء على صفاته كانوا يعتمدون وإلى أمداحه كانوا يقصدون، وقد

أشار الأبوصيري بقوله: «دع ما ادعته/ النصارى في نبيهم» إلى ما ١/١٨٥ أطرت النصارى به عيسى ابن مريم من اتخاذه إلها.

قال النيسابوري: إنهم صحفوا في الإنجيل «عيسى نبي وأنا ولدته» فحرفوا الأول بتقديم الباء الموحدة وخففوا اللام في الثاني، فلعنة الله على الكافرين[1].

فإن قلت: هل ادعى أحد في نبينا ﷺ ما ادعي في عيسى؟

أجيب: بأنهم قد كادوا أن يفعلوا نحو ذلك حين قالوا له ﷺ: أفلا نسجد لك؟ قال: لو كنت آمراً أحد أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها[2]. فنهاهم عما عساه يبلغ بهم من العبادة.

وقد جاء في صفته في حديث ابن أبي هالة: ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، أي: مقارب في مدحه غير مفرط فيه. وقال ابن قتيبة معناه؛ إلا أن يكون ممن له عليه منة، فيكافئه الآخر، وغلطه ابن الأنباري: بأنه لا ينفك أحد من إنعام رسول الله ﷺ، لأن الله بعثه رحمة للعالمين، فالثناء عليه فرض عليهم، لا يتم الإسلام إلا به. قال: وإنما المعنى: لا يقبل الثناء إلا من رجل عرف حقيقة إسلامه.

---

(١) هذا الكلام يصح لو كان الإنجيل باللغة العربية؟! ومن المعروف أن الأناجيل الموجودة لا صلة لها بعيسى أصلاً، فليست القضية تحريف بعض الكلمات.. انظر محاضرات في النصرانية للمرحوم «محمد أبو زهرة»، [المحقق].

(٢) روى ابن ماجه وابن حبان عن ابن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: ما هذا قال: يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فأردت أن أفعل ذلك بك قال: لا تفعل فإني لو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها..

[تقسيم المعجزات حسب زمنها]

ثم إن حاصل معجزاته وباهر آياته وكراماته ﷺ كما نبه عليه القطب القسطلاني يرجع إلى ثلاثة أقسام:

ماض: وجد قبل كونه، فقضى بمجده.

ومستقبل: وقع بعد مواراته في لحده.

وكائن معه من حين حمله ووضعه إلى أن نقله الله إلى محل فضله وموطن[1] جمعه.

فأما القسم الأول الماضي وهو ما كان قبل ظهوره إلى هذا الوجود، فقد ذكرت منه جملة في المقصد الأول، كقصة الفيل وغير ذلك، مما هو تأسيس لنبوته وإرهاص لرسالته، قال الإمام فخر الدين الرازي: ومذهبنا: أنه يجوز تقديم المعجزة تأسيساً وإرهاصاً، قال: ولذلك قالوا: كانت الغمامة تظله، يعني في سفره قبل النبوة، خلافاً للمعتزلة القائلين بأنه لا يجوز أن تكون المعجزة قبل الإرسال. انتهى.

وقد تقدم أول هذا المقصد: أن الذي عليه جمهور أئمة الأصول وغيرهم: أن هذا ونحوه مما هو متقدم على الدعوى لا يسمى معجزة، بل تأسيساً للرسالة وكرامة للرسول ﷺ.

وأما القسم الثاني: وهو ما وقع بعد وفاته ﷺ فكثير جداً، إذ في كل حين يقع لخواص أمته من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى كالاستغاثة به وغير ذلك مما يأتي في المقصد الأخير، في أثناء الكلام على زيارة قبره [الشريف][2] المنير.

---

(١) في ط: موضع. (٢) في ط.

وأما القسم الثالث: وهو ما كان معه من حين ولادته إلى وفاته، فكالنور الذي خرج معه حتى أضاء له قصور الشام وأسواقها، حتى رؤيت أعناق الإبل ببصرى، ومسح الطائر على فؤاد أمه حتى لم تجد ألماً لولادته، والطواف به في الآفاق، إلى غير ذلك. وكانشقاق القمر عند اقتراحه عليه، وانضمام الشجرتين لما دعاهما إليه، وكإطعام الجيش الكثير من النزر[1] اليسير، في عدة من المواضع واستيلاء الفجائع، وغير ذلك مما أمده الله تعالى به من المعجزات، وأكرمه به من خوارق العادات، تأييداً لإقامة حجته، وتمهيداً لهداية محجته، وتأييداً لسيادته في كل أمة، وتسديداً لمن ادكر بعد أمة، مما تتبعه يخرج عن مقصود الاختصار، إذ هو باب فسيح المجال منيع المنال، لكني أنبه من ذلك على نبذة يسيرة، وأنوه في أثنائها بجملة خطيرة. فأقول وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

[معجزة انشقاق القمر]

أما معجزة انشقاق القمر، فقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾[2]/ الآية، والمراد وقوع انشقاقه، ١٨٥/ب ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ فإن ذلك ظاهر في أن المراد بقوله: «انشق» وقوع انشقاقه، لأن الكفار لا يقولون ذلك[3] يوم القيامة، وإذا تبين أن قولهم إنما هو في

---

(١) في ط: الزاد.

(٢) سورة القمر، الآية ١.

(٣) أي قولهم: «سحر مستمر».

الدنيا تبين وقوع الانشقاق وأنه المراد بالآية التي زعموا أنها سحر، وسيأتي ذلك صريحاً في حديث ابن مسعود وغيره.

واعلم أن القمر لم ينشق لأحد غير نبينا ﷺ ، وهو من أمهات معجزاته ﷺ . وقد أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه لأجله ﷺ ، فإن كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه طلبوا منه آية تدل على صدقه في دعواه، فأعطاه الله هذه الآية العظيمة، التي لا قدرة لبشر على إيجادها، دلالة على صدقه ﷺ في دعواه الوحدانية لله تعالى، وأنه منفرد بالربوبية، وأن هذه الآلهة التي يعبدونها باطلة لا تنفع ولا تضر، وأن العبادة إنما تكون لله وحده لا شريك له.

قال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة، لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماوات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس فيما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر. انتهى.

وقال ابن عبد البر: قد روى هذا الحديث ـ يعني حديث انشقاق القمر ـ جماعة كثيرة من الصحابة، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا. وتأيد بالآية الكريمة. انتهى.

وقال العلامة ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب، والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر، منصوص عليه في القرآن، مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود، ثم قال: وله طرق أخر شتى، بحيث لا يمترى في تواتره. انتهى.

وقد جاءت أحاديث الانشقاق في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم: أنس، وابن مسعود، وابن عباس، وعلي، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عمر، وغيرهم. فأما أنس وابن عباس فلم يحضرا ذلك، لأنه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين، وكان ابن عباس إذ ذاك لم يولد، وأما أنس فكان ابن أربع سنين أو خمس بالمدينة، وأما غيرهما فيمكن أن يكون شاهد ذلك.

ففي الصحيحين: من حديث أنس رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما، وقوله: شقتين ـ بكسر الشين المعجمة ـ أي نصفين.

ومن حديث ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ اشهدوا[1].

وفي الترمذي من حديث ابن عمر، في قوله تعالى: ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ قال: قد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، انشق فلقتين: فلقة دون الجبل، وفلقة فوق الجبل، فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا.

وعند الإمام أحمد، من حديث جبير بن مطعم قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس.

وعن عبدالله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله

---

(١) رواه الشيخان. ورقمه عند مسلم ٢٨٠٠.

ﷺ، فقال كفار قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، قال: فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال: فجاء السفار فأخبروهم بذلك، رواه أبو داود الطيالسي.

ورواه البيهقي بلفظ: انشق القمر بمكة فقالوا: سحركم ابن أبي كبشة، فاسألوا السفار، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق/ وإن لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر، فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا: رأيناه. ١٨٦/أ

وعند أبي نعيم في الدلائل من حديث ضعيف عن ابن عباس قال: اجتمع المشركون الى رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، فسأل ربه فانشق.

وعند البخاري مختصراً من حديث ابن عباس بلفظ: إن القمر انشق على عهد رسول الله ﷺ، وابن عباس وإن كان لم يشاهد القصة كما قدمته، ففي بعض طرقه أنه حمل الحديث عن ابن مسعود.

وعند مسلم من حديث شعبة[١] عن قتادة بلفظ فأراهم انشقاق القمر مرتين.

---

(١) في ش، سعيد، قال الشارح: سعيد بن أبي عروبة، وما يوجد في غالب نسخ المصنف «شعبة» مخالف للواقع، والذي في مسلم عن سعيد.
أقول: رجعت إلى صحيح مسلم، فلم أجد ما قاله الشارح. والموجود هو ما ذكره المصنف. انظر صحيح مسلم ٢١٥٨/٤ ـ ٢١٥٩ الأحاديث ٢٨٠٠ ـ ٢٨٠٣ [المحقق].

وكذا في مصنف عبد الرزاق عن معمر بلفظ مرتين أيضاً.

واتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة بلفظ: فرقتين، كما في حديث جبير عند أحمد.

وفي حديث ابن عمر فلقتين ـ باللام ـ كما قدمته.

وفي لفظ من حديث جبير: فانشق باثنتين.

وفي رواية عن ابن عباس عند أبي نعيم في الدلائل: فصار قمرين.

ووقع في نظم السيرة للحافظ أبي الفضل العراقي: وانشق مرتين بالإجماع.

قال الحافظ ابن حجر: وأظن قوله:«بالإجماع» يتعلق بـ«انشق» لا بـ«مرتين»، فإني لا أعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه ﷺ.

ولعل قائل «مرتين» أراد: فرقتين. وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات.

وقد وقع في رواية البخاري من حديث ابن مسعود: ونحن بمنى، وهذا لا يعارض قول أنس: إن ذلك كان بمكة، لأنه لم يصرح بأنه ﷺ كان ليلتئذٍ بمكة. فالمراد أن الانشقاق كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة والله أعلم.

[منكرو معجزة انشقاق القمر]

وقد أنكر هذه المعجزة جماعة من المبتدعة، كجمهور الفلاسفة،

متمسكين بأن الأجرام العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام، وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الإسراء، إلى غير ذلك.

وجواب هؤلاء: إن كانوا كفاراً أن يناظروا أولاً على ثبوت دين الإسلام، فإذا تمت اشتركوا مع غيرهم ممن أنكر ذلك من المسلمين، ومتى سلَّم المسلم بعض ذلك دون بعض لزم التناقض. وأيضاً لا سبيل إلى إنكار ما ثبت في القرآن من الانخراق والالتئام في القيامة، وإذا ثبت هذا استلزم الجواز، ووقوعه معجزة للنبي ﷺ.

وقد أجاب القدماء عن ذلك، فقال أبو إسحاق الزجاج في «معاني القرآن»: أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر، ولا إنكار للعقل فيه، لأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء، كما يكوره يوم القيامة ويفنيه. انتهى.

وأما قول بعض الملاحدة: لو وقع هذا النقل [جاء][1] متواتراً واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته، ولم يختص بها أهل مكة، لأنه أمر صدر عن حس ومشاهدة، فالناس فيه شركاء، والدواعي متوفرة على رواية كل غريب، ونقل ما لم يعهد، ولو كان لذلك أصل لخلد في كتب التسيير والتنجيم، إذ لا يجوز إطباقهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره.

فأجاب عنه الخطابي وغيره: بأن هذه القصة خرجت عن الأمور التي ذكروها، لأنه شيء طلبه خاص من الناس، فوقع ليلاً، لأن القمر لا سلطان له بالنهار، ومن شأن الليل أن يكون الناس فيه نياماً ومستكنين في الأبنية، والبارز منهم في الصحراء إذا كان يقظاناً يحتمل

---

(١) كلمة (جاء) من فتح الباري ولم ترد في النسخ، ولا يصح المعنىبدونها [م].

١٨٦/ب أن يتفق أنه كان في ذلك الوقت مشغولاً بما يلهيه من سمر/وغيره. ومن المستبعد أن يقصدوا إلى مراكز القمر ناظرين إليه ولا يغفلوا عنه، فقد يجوز أنه وقع ولم يشعر به أكثر الناس، وإنما رآه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه، ولعل ذلك إنما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر، وقد يكون القمر حينئذٍ في بعض المنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض، كما يكون ظاهراً لقوم غائباً عند قوم، وكما[1] يجد الكسوف أهل بلد دون بلد آخر.

وقد أبدى الخطابي حكمة بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه كالقرآن بما حاصله: إن معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامة أعقبت هلاك من كذب بها من قومه، والنبي ﷺ بعث رحمة للعالمين، فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية، فاختص بها القوم الذين بعث منهم، لما أوتوه من فضل العقول وزيادة الأفهام، ولو كان إدراكها عاماً لعوجل من كذب بها كما عوجل من قبلهم. انتهى.

وكذا أجاب ابن عبد البر بنحوه[2].

[خبر لا أصل له]

تنبيه: ما يذكره بعض القصاص: أن القمر دخل في جيب النبي ﷺ وخرج من كمه، فليس له أصل، كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن شيخه العماد بن كثير.

---

(١) في (ب، ط): ربما.

(٢) هذا الموضوع (انكار معجزة القمر) بكامله من فتح الباري ١٨٥/٧ مع تقديم وتأخير [المحقق].

[رد الشمس: لم يثبت]

وأما رد الشمس له ﷺ، فروي عن أسماء بنت عميس أن النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: أصليت يا علي؟ فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والأرض، وذلك في الصهباء[1] في خيبر، رواه الطحاوي في مشكل الحديث، كما حكاه القاضي عياض في الشفاء وقال: قال الطحاوي: إن أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة. انتهى.

قال بعضهم: هذا الحديث ليس بصحيح، وإن أوهم تخريج القاضي عياض له في الشفاء عن الطحاوي من طريقين، فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال: إنه موضوع بلا شك وفي سنده أحمد بن داود وهو متروك الحديث كذاب، كما قال الدارقطني. وقال ابن حبان: كان يضع الحديث.

قال ابن الجوزي: وقد روى هذا الحديث ابن شاهين فذكره ثم قال: وهذا حديث باطل، قال: ومن تغفل واضعه أنه نظر إلى صورة فضيلة، ولم يلمح[2] عدم الفائدة فيها، فإن صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاء، ورجوع الشمس لا يعيدها أداء. انتهى.

وقد أفرد ابن تيمية تصنيفاً مفرداً في الرد على الروافض ذكر فيه

(١) الصهباء: اسم موضع على مرحلة من خيبر.
(٢) في ط: يلح له.

الحديث بطرقه ورجاله وأنه موضوع، والعجب من القاضي مع جلالة قدره وعلو خطره في علوم الحديث كيف سكت عنه موهماً صحته، ناقلاً ثبوته، موثقاً رجاله. انتهى.

وقال شيخنا: قال أحمد: لا أصل له، وتبعه ابن الجوزي فأورده في الموضوعات.

ولكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض، وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس، وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. انتهى.

ورواه الطبراني في معجمه الكبير بإسناد حسن كما حكاه شيخ الإسلام ابن العراقي في شرح التقريب عن أسماء بنت عميس ولفظه: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل علياً في حاجة فرجع وقد صلى النبي ﷺ العصر، فوضع ﷺ رأسه في حجر علي ونام، فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال ﷺ اللهم إن عبدك علياً احتبس بنفسه/ على نبيه فرد عليه الشمس، قالت أسماء: فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض، وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت وذلك بالصهباء. 1/187

وفي لفظ آخر: كان ﷺ إذا نزل عليه الوحي يغشى عليه، فأنزل الله عليه يوماً وهو في حجر علي، فقال له النبي ﷺ : صليت العصر يا علي؟ فقال: لا، يا رسول الله، فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر، قالت أسماء: فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حين ردت حتى صلى العصر.

قال: وروى الطبراني أيضاً في معجمه الأوسط بإسناد حسن عن جابر: أن رسول الله ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار.

وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي [في روايته][1] عن ابن إسحاق، مما ذكره القاضي عياض: لما أسري بالنبي ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى تجئ؟ قال يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون، وقد ولى النهار، ولم تجئ، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس. انتهى.

وهذا يعارضه قوله في الحديث[2]: لم تحبس الشمس على أحد إلا ليوشع بن نون، يعني حين قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم، فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم.

قال الحافظ ابن كثير: فيه أن هذا كان من خصائص يوشع، فيدل على ضعف الحديث الذي رويناه أن الشمس رجعت حتى صلى علي بن أبي طالب، وقد صححه أحمد بن صالح المصري، ولكنه منكر، ليس في شيء من الصحاح والحسان، وهو مما تتوفر الدواعي على نقله، وتفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها. انتهى[3].

ويحتمل الجمع: بأن المعنى لم تحبس [الشمس][4] على أحد من الأنبياء غيري إلا ليوشع، والله أعلم.

وكذا روى حبس الشمس لنبينا ﷺ أيضاً يوم الخندق، حين

---

(١) في الأصل.
(٢) أخرجه أحمد برجال الصحيح.
(٣) قول الحافظ ابن كثير لم يرد في (د).
(٤) في ط.

شغل عن صلاة العصر، فيكون حبس الشمس مخصوصاً بنبينا ﷺ ويبوشع، كما ذكره القاضي عياض في الإكمال، وعزاه لمشكل الآثار، ونقله النووي في شرح مسلم في باب حل الغنائم عن عياض، وكذا الحافظ ابن حجر في باب الأذان في تخريج أحاديث الرافعي ومغلطاي في الزهر الباسم، وأقروه.

وتعقب: بأن الثابت في الصحيح وغيره: أنه ﷺ صلى العصر في وقعة الخندق بعد ما غربت الشمس. كما سبق في غزوتها.

وذكر البغوي في تفسيره: أنها حبست لسليمان عليه السلام أيضاً، لقوله: (ردوها علي)[1]. ونوزع فيه بعدم ذكر الشمس في الآية، فالمراد: الصافنات الجياد والله أعلم.

قال القاضي عياض: واختلف في حبس الشمس المذكور هنا، فقيل: ردت على أدراجها وقيل: وقفت ولم ترد، وقيل: بطء حركتها. قال: وكل ذلك من معجزات النبوة. انتهى.

وأما ما روي من طاعات الجمادات وتكليمها له بالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت به الأخبار، فمنها تسبيح الطعام والحصا في كفه الشريف ﷺ .

[تسبيح الحصى: حديثه ضعيف]

فخرج محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات قال: أخبرنا أبو اليمان قال حدثنا شعيب عن الزهري قال: ذكر الوليد بن سويدان رجلاً من بني سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة: عن أبي

(١) سورة ص، الآية ٣٣.

ذر قال: هجرت يوماً من الأيام، فإذا النبي ﷺ قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فأخبرني أنه ببيت عائشة، فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس، وكأني حينئذٍ أرى أنه في وحي، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: ما جاء بك قلت الله ورسوله، فأمرني أن أجلس فجلست إلى جنبه، لا أسأله عن شيء ولا يذكره لي، فمكثت غير كثير، فجاء أبو بكر/ يمشي مسرعاً فسلم عليه، فرد عليه السلام، ١٨٧/ب ثم قال: ما جاء بك؟ قال: جاء بي الله ورسوله، فأشار بيده أن اجلس، فجلس إلى ربوة مقابل النبي ﷺ، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك، ثم قال له رسول الله ﷺ مثل ذلك، وجلس إلى جنب أبي بكر، ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلى جنب عمر، ثم قبض رسول الله ﷺ على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك، فسبحن في يده، حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله ﷺ، ثم ناولهن أبا بكر، وجاوزني، فسبحن في كف أبي بكر، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن وصرن حصى، ثم ناولهن عمر، فسبحن في كفه، كما سبحن في كف أبي بكر، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه، كما سبحن في كف أبي بكر وعمر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن.

وقال الحافظ ابن حجر: قد اشتهر على الألسنة تسبيح الحصى. ففي حديث أبي ذر قال: تناول النبي ﷺ سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً، ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم وضعهن في يد عمر فسبحن، ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن، أخرجه البزار، والطبراني في الأوسط.

وفي رواية الطبراني: فسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا، قال البيهقي في «الدلائل»: كذا رواه

صالح بن أبي الأخضر ـ ولم يكن بالحافظ ـ عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي عن أبي ذر.

والمحفوظ ما رواه شعيب عن أبي حمزة عن الزهري قال: ذكر الوليد بن سويد أن رجلاً من بني سليم كان كبير السن، انتهى.

وليس لحديث تسبيح الحصى إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها، لكنه مشهور عند الناس[1].

وما أحسن قول سيدي محمد وفا رحمه الله تعالى حيث قال:

لسبحة ذاك الوجه قد سبح الحصا ومن سح سحب الكف قد سبح الرعد

وقال[2] الآخر:

يا حبذا لو لثمت كفاً قد سبحت وسطها الحصاء

[تسبيح الطعام]

وقد أخرج البخاري من حديث ابن مسعود: كنا نأكل مع النبي ﷺ الطعام، ونحن نسمع تسبيح الطعام[3].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرض النبي ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي ﷺ فسبح. رواه القاضي عياض في «الشفاء» ونقله عنه الحافظ أبو الفضل في فتح الباري[4].

---

(١) عن فتح الباري ٥٩٢/٦ [المحقق].

(٢) في ط: وقوله الآخر.

(٣) هذا لفظ الترمذي ولفظ الحديث عند البخاري «ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل» ورقمه ٣٥٧٩

(٤) ذكره ابن حجر في الفتح دون أي تعليق عليه. قال الشارح: ذكره القاضي =

واعلم أن التسبيح من قبيل الألفاظ الدالة على معنى التنزيه. واللفظ يوجد حقيقة ممن قام به اللفظ، فيكون في غير من قام به مجازاً، فالطعام والحصا والشجر ونحو ذلك، كل منها متكلم باعتبار خلق الكلام فيها حقيقة، وهذا من قبيل خرق العادة.

وفي قوله: «ونحن نسمع تسبيحه» تصريح بكرامة الصحابة لسماع هذا التسبيح وفهمه وذلك ببركته ﷺ.

[تسليم الحجر]

ومن ذلك تسليم الحجر عليه ﷺ: خرج مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن)

وقد اختلف في هذا الحجر، فقيل: هو الحجر الأسود، وقيل: حجر غيره بزقاق يعرف به بمكة، والناس يتبركون بلمسه، ويقولون: إنه هو الذي كان يسلم على النبي ﷺ متى اجتاز به.

وقد ذكر الإمام أبو عبدالله، محمد بن رشيد ـ بضم الراء ـ في رحلته مما ذكره في «شفاء الغرام» عن علم الدين/ أحمد بن أبي بكر بن خليل قال: أخبرني عمي سليمان قال: أخبرني محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف قال: أخبرني أبو حفص الميانشي قال: أخبرني كل من لقيته بمكة أن هذا الحجر ـ يعني المذكور[1] ـ هو الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم.

١٨٨/١

= بلا إسناد تعليقاً، قال السيوطي: ولم أجده في كتب الحديث. يعني المشهورة.

(١) في كلام ابن رشيد: أنه الحجر المبني في الجدار المقابل لدار أبي بكر المشهورة بسوق الليل.

وروى الترمذي والدارمي والحاكم وصححه، عن علي بن أبي طالب قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله.

وعن عائشة قال: قال رسول الله ﷺ: لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. رواه البزار وأبو نعيم.

وعن جابر بن عبدالله قال: لم يكن النبي ﷺ يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له(١).

ومن ذلك: تأمين أسكفة الباب(٢) وحوائط البيت على دعائه ﷺ، عن أبي أسيد الساعدي قال قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب: يا أبا الفضل، لا ترم منزلك أنت وبنوك غداً حتى آتيكم، فإن لي فيكم حاجة. فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى، فدخل عليهم فقال: السلام عليكم، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، قال: كيف أصبحتم؟ قالوا: أصبحنا بخير بحمد الله، فقال لهم: تقاربوا، فتقاربوا يزحف بعضهم إلى بعض، حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته فقال: يا رب، هذا عمي وصنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه، قال: فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت: آمين آمين آمين، رواه البيهقي في الدلائل وابن ماجه مختصراً(٣).

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل عن جابر بلفظه: ومثله لا يقال بالرأي.

(٢) أي عتبة الباب العليا.

(٣) رواه عبدالله بن عثمان الوقاصي، قال عنه ابن معين: لا أعرفه، وقال أبو حاتم: يروي أحاديث مشبهة (قاله النجار في تخريج أحاديث الوفا لابن الجوزي) [المحقق].

ومن ذلك كلامه للجبل وكلام الجبل له ﷺ، عن أنس قال: صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أحداً، فرجف بهم، فضربه النبي ﷺ برجله وقال: اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان. رواه أحمد والبخاري والترمذي وأبو حاتم.

قال ابن المنير: قيل الحكمة في ذلك أنه لما رجف أراد رسول الله ﷺ أن يبين أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم، وأن تلك رجفة الغضب، وهذه هزة الطرب، ولهذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه، فأقر الجبل بذلك فاستقر، انتهى.

وأحد: جبل بالمدينة، وهو الذي قال فيه: (أحد جبل يحبنا ونحبه) رواه البخاري ومسلم.

واختلف في المراد بذلك، فقيل: أراد به أهل المدينة، كما قال تعالى: ﴿**واسأل القرية**﴾ أي أهلها، قاله الخطابي، وقال البغوي فيما حكاه الحافظ المنذري: الأولى إجراؤه على ظاهره، ولا ينكر وصف الجمادات بحب الأنبياء والأولياء، وأهل الطاعة، كما حنت الأسطوانة على مفارقته ﷺ حتى سمع الناس حنينها إلى أن سكنها، وكما أخبر أن حجراً كان يسلم عليه قبل الوحي، فلا ينكر أن يكون جبل أحد وجميع أجزاء المدينة تحبه وتحن إلى لقائه حاله مفارقته إياها. انتهى.

وقال الحافظ المنذري: هذا الذي قاله البغوي جيد.

وعن ثمامة عن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة، ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، فركضه برجله وقال: اسكن ثبير، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان. خرجه النسائي والترمذي والدارقطني.

والحضيض: القرار من الأرض عند منقطع الجبل.

وركضه برجله: أي ضربه بها.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت/ الصخرة، فقال ﷺ: ١٨٨/ب اسكن حراء، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد.

وفي رواية: وسعد بن أبي وقاص، ولم يذكر علياً. خرجهما مسلم وانفرد بذلك.

وخرجه الترمذي في مناقب عثمان، ولم يذكر «سعداً» وقال: «اهدأ» مكان «اسكن» وقال: حديث صحيح.

وخرجه الترمذي أيضاً عن سعيد بن زيد وذكر أنه كان عليه العشرة إلا أبا عبيدة. وقال: اثبت حراء.

وكذا رواه الخلعي عنه بنحوه، ولم يذكر أبا عبيدة بن الجراح. ورواه أيضاً إسحاق البغدادي فيما رواه الكبار عن الصغار، والآباء عن الأبناء، ولله در القائل:

ومال حراء من تحته فرحاً به ... لولا مقال «اسكن» تضعضع وانقضا

وحراء وثبير: جبلان متقابلان معروفان بمكة.

واختلاف الروايات تحمل على أنها قضايا تكررت. قاله الطبري وغيره.

لكن صحح الحافظ ابن حجر: أنه «أحد» قال: ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدد القصة، ثم ظهر لي أن الاختلاف فيه من سعيد، فإني وجدته في مسند الحارث بن أبي أسامة عن روح بن عبادة فقال

فيه: «أحد» أو «حراء» بالشك. وقد أخرجه أحمد من حديث بريدة بلفظ حراء وإسناده صحيح. وأخرجه أبو يعلى من حديث سهل بن سعد بلفظ «أحد» وإسناده صحيح فقوى احتمال تعدد القصة.

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة ما يؤيد تعدد القصة، فذكر أنه كان على حراء ومعه المذكورون هنا وزاد معهم غيرهم.

ولما طلبته ﷺ قريش قال له ثبير: اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله، فقال له حراء: إلي يا رسول الله رواه في «الشفاء» وهو حديث مروي في الهجرة من السيرة[1].

وحراء مقابل لثبير، والوادي بينهما، وهو على يسار السالك إلى منى، وحراء قبلي ثبير مما يلي شمال الشمس.

وهذه الواقعة غير واقعة ثور في خبر الهجرة. هذا هو الظاهر والله أعلم.

قال السهيلي في حديث الهجرة: وأحسب في الحديث أن ثوراً ناداه أيضاً، لما قال له ثبير: اهبط عني.

[كلام الشجر]

ومن ذلك كلام الشجر له وسلامها عليه وطواعيتها له، وشهادتها له بالرسالة ﷺ.

أخرج البزار وأبو نعيم من حديث عائشة قالت: قال رسول الله

---

(١) ذكره في الشفاء بلا إسناد بلفظ: وقد روي..

ﷺ: لما أوحي إلي جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سفيان طلحة بن نافع [عن جابر](1) قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين، قد خضب بالدماء، ضربه بعض أهل مكة، فقال له: مالك؟ فقال له رسول الله ﷺ: فعل بي هؤلاء وفعلوا، فقال له جبريل: أتحب أن أريك آية؟ فقال: نعم، قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادع تلك الشجرة فدعاها، قال فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع إلى مكانها، فأمرها فرجعت إلى مكانها، فقال رسول الله ﷺ حسبي حسبي، ورواه الدارمي من حديث أنس.

وعن علي قال: كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله، رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب.

وخرج الحاكم في مستدركه بإسناد جيد عن ابن عمر قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فأقبل أعرابي، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: أين تريد قال: إلى أهلي، قال: هل لك إلى خير، قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله/ وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله ﷺ: هذه الشجرة فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خداً، فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت، ثم رجعت إلى منبتها، الحديث. ورواه الدارمي أيضاً بنحوه.

١٨٩/١

---

(١) في ش.

وقوله: تخد ـ بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ـ أي تشق الأرض.

وعن بريدة: سأل أعرابي النبي ﷺ آية، فقال له: قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك، قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها، وبين يديها وخلفها، فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة[1] حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ فقالت: السلام عليك يا رسول الله، فقال الأعرابي: مرها فلترجع إلى منبتها، فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت. فقال الأعرابي: ائذن لي أن أسجد لك، قال: لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. رواه [البزار][2] في الشفاء[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك رسول الله؟ قال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة، أتشهد أني رسول الله؟ [قال: نعم][4] فدعاه رسول الله فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ، ثم قال: ارجع فعاد، فأسلم الأعرابي، رواه الترمذي وصححه.

وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي: ثم سرنا حتى نزلنا منزلاً فنام النبي ﷺ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ رسول الله ﷺ ذكرت له، فقال: هي شجرة

---

(١) أي مسرعة في مشيها. قال تعالى: ﴿فالمغيرات صبحاً﴾.

(٢) في ب، وفي أ، رواه البزار، فقط.

(٣) أي رواه البزار ونقله في الشفاء بلا عزو.

(٤) قال الشارح: سقطت من قلم المصنف أو نساخه. وهي في الرواية.

استأذنت ربها أن تسلم علي فأذن لها. الحديث رواه البغوي في شرح السنة(1).

وفي حديث جابر بن عبدالله: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح(2)، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة(3) من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش(4) الذي يصانع قائده، ثم فعل بالأخرى كذلك، حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال: التئما علي بإذن الله فالتأمتا. الحديث رواه مسلم.

والمنصف: ـ بفتح الميم ـ الموضع الوسط بين الموضعين.

والتلاؤم: الاجتماع.

ولله در الأبوصيري حيث قال:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة   تمشي إليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطراً لما كتبت   فروعها من بديع الخط في اللقم(5)

فشبه آثار مشي الشجر لما جات إليه ﷺ بكتابة كاتب أوقعها على نسبة معلومة في أسطر منظومة.

---

(1) ورواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي.
(2) أي: واسعاً.
(3) أي: مطهرة.
(4) الذي وضع في أنفه خِشاش، أي عود من خشب لينقاد بسهولة.
(5) اللقم ـ بفتح اللام والقاف، وبضم اللام وفتح القاف ـ الطريق أو وسطه. كما في القاموس.

وإذا كانت الأشجار تبادر لامتثال أمره ﷺ حتى تخر ساجدة بين يديه، فنحن أولى بالمبادرة لامتثال ما دعا إليه زاده الله شرفاً لديه.

وتأمل قول الأعرابي: «ائذن لي أن أسجد لك» لما رأى من سجود الشجرة، فرأى أنه أحرى بذلك، حتى أعلمه ﷺ أن ذلك لا يكون إلا لله، فحق على كل مؤمن أن يلازم السجود للحق[1] المعبود، ويقوم على ساق العبودية، وإن لم يكن له قدم كما قامت الشجرة.

[حنين الجذع]

ومن ذلك: حنين الجذع شوقاً إليه ﷺ.

اعلم أن «الحنين» مصدر مضاف إلى الفاعل. والمراد: شوقه وانعطافه إلى النبي ﷺ، والذي في الأحاديث المسوقة هنا أنه صوت، ولعل المراد منه الدلالة على الشوق، أي الصوت الدال/ على شوقه إلى رسول الله ﷺ. ١٨٩/ب

والجذع: واحد جذوع النخل، وهو بالذال المعجمة.

وقد روي حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك.

قال العلامة التاج ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب: والصحيح عندي أن حنين الجذع متواتر:

رواه البخاري عن نافع عن ابن عمر.

ورواه أحمد من رواية أبي جناب عن أبيه عن ابن عمر.

---

(١) في ش: للرب.

ورواه ابن ماجه وأبو يعلى الموصلي وغيرهما من رواية حماد بن سلمة، عن ثابت عن أنس، وإسناده على شرط مسلم.

ورواه الترمذي وصححه، وأبو يعلى وابن خزيمة والطبراني [والحاكم][1] وصححه وقال: على شرط مسلم، يلزمه إخراجه من رواية إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس.

ورواه الطبراني من رواية الحسن عن أنس.

ورواه أحمد[2] وابن منيع[3] والطبراني وغيرهم، من رواية حماد ابن سلمة عن عمار بن أبي عامر عن ابن عباس.

ورواه أحمد والدارمي وأبو يعلى وابن ماجه وغيرهم من رواية الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه.

ورواه الدارمي من رواية أبي حازم عن سهل بن سعد.

ورواه أبو محمد الجوهري من رواية عبد العزيز أبي رواد[4] عن نافع عن تميم الداري.

ثم قال: ولست أدعى أن التواتر حاصل بما عددت من الطريق، بل من طرق أخرى كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والأجزاء وغيرها، وإنما ذكرت في المشاهد منها أو في بعضها، ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند آخرين. انتهى.

---

(١) في ش.
(٢) في ش: أحمد بن منيع والطبراني وغيرهما.
(٣) ابن منيع: أبو عبد الرحمن البغوي نزيل بغداد ثقة حافظ مات سنة أربع وأربعين ومائتين.
(٤) في (ط، د) عبد العزيز بن أبي رواد.

وقال الحافظ ابن حجر: في فتح الباري، حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك، والله أعلم، انتهى.

وقال البيهقي: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف، انتهى.

وهذه الآية من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا ﷺ.

قال الشافعي - فيما نقله ابن أبي حاتم عنه، في مناقبه -: ما أعطى الله نبياً ما أعطى نبينا محمداً ﷺ، فقيل له: أعطي عيسى إحياء الموتى، قال: أعطي محمد حنين الجذع حتى سمع صوته، فهو أكبر من ذلك.

وقال القاضي عياض: حديث حنين الجذع مشهور منتشر، والخبر به متواتر، أخرجه أهل الصحيح، ورواه من الصحابة بضعة عشر، منهم: أبي بن كعب، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وسهل بن سعد، وأبو سعيد الخدري، وبريدة، وأم سلمة، والمطلب بن أبي وداعة، انتهى.

فأما حديث أبي، فرواه الشافعي من حديث الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي إلى جذع إذ كان المسجد عريشاً، وكان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: هل لك أن نجعل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة، وتسمع الناس خطبتك؟ قال: نعم، فصنع له ثلاث درجات، هي التي على المنبر، فلما صنع وضعه رسول الله ﷺ موضعه الذي هو فيه، فكان إذا

بدا لرسول الله ﷺ أن يخطب عليه، تجاوز الجذع الذي كان يخطب عليه، خار حتى تصدع وانشق، فنزل رسول الله ﷺ لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع إلى المنبر، الحديث.

وأما حديث جابر، فرواه البخاري من طرق، وفي لفظ له: أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل من الأنصار: ألا نجعل لك منبراً؟ قال: إن شئتم، فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة رفع[1] إلى المنبر، فصاحت النخلة فنزل رسول الله ﷺ/ وضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها[2]. 1/190

وفي لفظ: قال جابر بن عبدالله: كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار[3] - وهو بكسر العين: النوق الحوامل -

وفي حديث أبي الزبير عن جابر - عند النسائي في الكبرى -: اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج. انتهى.

والخلوج: - بفتح الخاء المعجمة، وضم اللام الخفيفة وآخره جيم - الناقة التي انتزع منها ولدها.

والحنين: صوت المتألم المشتاق عند الفراق.

---

(1) رفع بالراء وفي رواية بالدال بدلها.

(2) البخاري: رقم الحديث ٣٥٨٤

(3) البخاري: رقم الحديث ٣٥٨٥

وإنما يشتاق إلى بركة الرسول ويتأسف على مفارقته أعقل العقلاء. والعقل والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحياة، وهذا يدل على أن الله عز وجل خلق فيه الحياة والعقل والشوق ولهذا حنَّ وأنَّ.

فإن قيل: مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري: أن الأصوات لا يستلزم خلقها في المحل خلق الحياة ولا العقل.

أجيب: بأنه كذلك، ونحن لم نجعل الحياة لازمة، إلا أن الشوق إلى الحق شوقاً معنوياً[1] عقلياً لا طبيعياً بهيمياً. ومذهب الشيخ أبي الحسن أن الذكر المعنوي والكلام النفسي يستلزمان الحياة استلزام العلم لها. وقد بينا أن هذه المعاني وجدت في الجذع، وأطلق الحاضرون حينئذ على صوته أنه حنين، وفهموا أنه شوق إلى الذكر وإلى مقام الحبيب عنده، وقد عامله النبي ﷺ هذه المعاملة، فالتزمه كما يلتزم الغائب أهله وأعزته يبرد غليل شوقهم إليه وأسفهم عليه، ولله در القائل[2]:

وحن إليه الجذع شوقاً ورقة ... ورجع صوتاً كالعشار مرددا
فبادره ضماً فقر لوقته ... لكل امرئ من دهره ما تعودا

وأما حديث أنس، فرواه أبو يعلى الموصلي بلفظ: إن رسول الله ﷺ كان يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يخطب الناس، فجاءه رومي فقال: ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم؟ فصنع له منبراً له درجتان ويقعد على الثالثة، فلما قعد رسول الله ﷺ على المنبر جأر الجذع كجؤر الثور، حتى ارتج المسجد لجؤاره حزناً على

---

(١) كذا في النسخ، والصواب رفع (شوقاً) قال الشارح: خبر محذوف أولى من تخريجه على نصب أن الجزأين والتقدير: إن يكون شوقاً.

(٢) هو الشاعر: صالح بن الحسين.

رسول الله ﷺ فنزل إليه رسول الله ﷺ عن المنبر فالتزمه وهو يجأر، فلما التزمه سكت. ثم قال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده، لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزناً على رسول الله ﷺ، فأمر به ﷺ فدفن. ورواه الترمذي وقال: صحيح غريب.

وكذا رواه ابن ماجه والإمام أحمد من طريق الحسن عن أنس ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره إلى خشبة، فلما كثر الناس قال: ابنوا لي منبراً، أراد أن يسمعهم، فبنوا له عتبتين، فتحول من الخشبة إلى المنبر، قال: فأخبر أنس بن مالك أنه سمع الخشبة تحن حنين الواله، قال: فما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكتت.

ورواه أبو القاسم البغوي وزاد فيه: فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.

ولله در القائل:

وألقى حتى في الجمادات حبه ... فكانت لإهداء السلام له تُهدى

وفارق جذعاً كان يخطب عنده ... فأنَّ أنين[1] الأم إذ تجد الفقدا

يحن إليه الجذع يا قوم هكذا ... أما نحن أولى أن نحنَّ له وجدا/ ١٩٠/ب

إذا كان جذع لم يطق بعد ساعة ... فليس وفاء أن نطيق له بعدا

وأما حديث سهل بن سعد، ففي الصحيحين من طرق.

وأما حديث ابن عباس فعند الإمام أحمد بإسناد على شرط مسلم، ورواه ابن ماجه.

---

(١) في ط: حنين.

وأما حديث ابن عمر، ففي البخاري.

وأما حديث أبي سعيد الخدري، فعند عبد بن حميد.

وأما حديث عائشة، فعند البيهقي وفي آخره: أنه خير الجذع بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة.

وأما حديث بريدة، فعند الدارمي وفيه: أن النبي ﷺ قال: إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك، ويجدد لك خوص وثمرة، وإن شئت أغرسك في الجنة فتأكل أولياء الله من ثمرك؟ ثم أصغى له النبي ﷺ ليسمع ما يقول، فقال: بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه، فسمعه من يليه[1]، فقال النبي ﷺ : قد فعلت، ثم قال: اختار دار البقاء على دار الفناء.

وأما حديث أم سلمة، فعند أبي نعيم في الدلائل.

والقصة واحدة، وما في ألفاظها مما ظاهره التغاير هو من الرواة. وعند التحقيق ترجع إلى معنى واحد، فلا نطيل بذكر ذلك والله أعلم.

[معجزات كلام الحيوانات[2]]

وأما كلام الحيوانات وطاعتها له ﷺ :

---

(١) أي الجذع أو النبي. والخوص: ورق النخيل.

(٢) جاء في كتاب «أسنى المطالب» تأليف العالم درويش الحوت، «مدحه ﷺ بغير ما ورد مثل... أن الغزالة سلمت عليه، وكلمه الجمل والحمار والذئب والضب لا يجوز مطلقاً، لأنه كذب وافتراء عليه ﷺ . نعم مدحه =

فمنها: سجود الجمل وشكواه إليه ﷺ. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش النخل والزرع، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا، فقاموا فدخل الحائط، والجمل في ناحية فمشى رسول الله ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله، قد صار مثل الكلب الكَلِب، وإنا نخاف عليك صولته، فقال رسول الله ﷺ: ليس علي منه بأس، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كان قط، حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله، هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك، فقال رسول الله ﷺ: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، رواه أحمد والنسائي.

والحائط: هو البستان.

وقوله: نسني عليه: ـ بالنون والسين المهملة ـ أي نستقي عليه.

وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي: بينا نحن نسير مع النبي ﷺ

= من أعظم القربات وأجلها... ولكن يجب معه تحري الصدق، ومدحه بما صح إذ هو ـ زاده الله تشريفاً وتكريماً ـ غني عن المدح بالكذب بما مدحه الله به في كتابه العزيز في المواطن المتعددة... ص ٣٠٧

أقول: ورد في بعضها أحاديث ضعيفة لا يصدق في حقها إطلاق الكذب عليها وإن كان ما ذهب إليه الشيخ الحوت هو المذهب الصحيح إذ ينبغي التمسك بالصحيح [المحقق].

إذ مررنا ببعير يسنى عليه، فلما رآه البعير جرجر، فوضع جرانه، فوقف عليه النبي ﷺ فقال: أين صاحب هذا البعير، فجاءه، فقال: بعنيه، فقال: بل نهبه لك يا رسول الله، وإنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره، فقال: أما إذ ذكرت هذا من أمره، فإنه شكا كثرة العمل، وقلة العلف، فأحسنوا إليه، رواه البغوي في شرح السنة.

والجران: بكسر الجيم، قال ابن فارس: مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره.

وروى الإمام أحمد قصة أخرى نحو ما تقدم من حديث جابر ضعيفة السند، والبيهقي بإسناد جيد.

وكذا روى الطبراني قصة أخرى عن عكرمة عن ابن عباس: لكن بإسناد ضعيف. والإمام أحمد أيضاً من حديث يعلى بن مرة.

وأخرج ابن شاهين في الدلائل عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، قال: وكان أحب ما استتر به النبي ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل، فدخل حائط رجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ فذرفت عيناه، فأتاه النبي/ﷺ فمسح ذفراه[1]، وفي رواية فسكن، ثم قال: من رب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله، فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه. قال في المصابيح: وهو حديث صحيح، قال: ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن مهدي بن ميمون.

١٩١/أ

---

(١) في ط: ذفريه. قال الشارح: بالألف مقصور.

والحائش: ـ بالحاء المهملة وبالشين المعجمة ممدوداً ـ هو جماعة النخل، لا واحد له من لفظه.

وقوله: ذفران: تثنية[1] ذفرا، بكسر الذال المعجمة مقصور، وهو الموضع الذي يعرف من قفا البعير عند أذنه.

ومنها: سجود الغنم له ﷺ، عن أنس بن مالك قال: دخل رسول الله ﷺ حائطاً للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الأنصار، وفي الحائط غنم فسجدت له، فقال أبو بكر: يا رسول الله، نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم، فقال رسول الله ﷺ: لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد[2]. رواه أبو محمد عبدالله بن حامد الفقيه في كتاب دلائل النبوة بإسناد ضعيف. وذكره القاضي عياض في الشفاء[3] وذكر أيضاً عن جابر بن عبدالله عن رجل أتى النبي ﷺ وآمن به وهو على بعض حصون خيبر، وكان في غنم يرعاها لهم، فقال: يا رسول الله، كيف لي بالغنم، قال: احصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها، ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها.

ومنها: قصة كلام الذئب وشهادته له بالرسالة.

اعلم أنه قد جاء حديث قصة كلام الذئب في عدة طرق من حديث أبي هريرة وأنس وابن عمر وأبي سعيد الخدري.

فأما حديث أبي سعيد، فرواه الإمام أحمد بإسناد جيد ولفظه:

---

(١) في ش: تأنيث ذفر، قال في هامش (ب) ولعلها أصح إذ لو كانت تثنية لقال فيما تقدم: ذفريه.

(٢) في ط: إلا لله.

(٣) بدون عزو.

عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه وقال: ألا تتقي الله؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي، فقال الراعي: يا عجباً، ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك: محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما سبق. قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي بالصلاة جامعة، ثم خرج فقال للأعرابي: أخبرهم، فأخبرهم.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه أبو سعد الماليني والبيهقي.

وأما حديث أنس فأخرجه أبو نعيم في الدلائل.

وأما حديث أبي هريرة، فرواه سعيد بن منصور في سننه قال: جاء الذئب فأقعى بين يدي رسول الله ﷺ وجعل يبصبص بذنبه، فقال رسول الله ﷺ: هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئاً. قالوا: والله لا نفعل، وأخذ رجل من القوم حجراً رماه به، فأدبر الذئب وله عواء، فقال رسول الله ﷺ: الذئب وما الذئب.

وروى الغوي في شرح السنة وأحمد وأبو نعيم بسند صحيح عن أبي هريرة أيضاً قال: جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منه شاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال فصعد الذئب على تل فأقعى واستثفر وقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعته مني فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئب يتكلم، فقال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم، ولا تتبعونه، قال: وكان الرجل يهودياً، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره وأسلم فصدقه النبي ثم قال ﷺ /: إنها أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك ١٩١/ب

الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده.

واستثفر: - بالسين والمثناة ثم المثلثة والفاء آخره راء - كاستفعل، أي جعل ذنبه بين رجليه كما يفعل الكلب.

قال القاضي عياض: وفي بعض الطرق عن أبي هريرة: فقال الذئب أنت أعجب مني واقفاً على غنمك وتركت نبياً لم يبعث الله قط أعظم منه عنده قدراً، وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب، فتصير من جنود الله. قال الراعي: من لي بغنمي؟ قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع، فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى، وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي ﷺ يقاتل، فقال له النبي ﷺ: عد إلى غنمك تجدها بوفرها، فوجدها كذلك، وذبح للذئب شاة منها.

وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبياً، فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب، فعجبا من ذلك فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد بن عبدالله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار، فقال أبو سفيان: واللات والعزى، لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفاً - بضم الخاء المعجمة - أي فاسدة متغيرة، بمعنى: يقع الفساد والتغير في أهلها.

ومن ذلك حديث الحمار: أخرج ابن عساكر عن أبي[1] منظور[2] قال: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر أصاب حماراً أسود، فكلم رسول الله

---

(١) في ط: ابن.

(٢) قال في الإصابة: غير منسوب جاء ذكره في خبر واه.

ﷺ الحمار، فكلمه الحمار، فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً كلهم لا يركبه إلا نبي، وقد كنت أتوقعك أن تركبني، لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك وقد كنت قبلك لرجل يهودي وكنت أتعثر به عمداً، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري، فقال له النبي ﷺ: فأنت يعفور، فكان رسول الله ﷺ يبعثه إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله ﷺ، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله ﷺ. ورواه أبو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل، لكن الحديث مطعون فيه. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات(١).

وفي معجزاته ﷺ ما هو أعظم من كلام الحمار وغيره.

ومن ذلك: من حديث الضب، وهو مشهور على الألسنة، ورواه البيهقي في أحاديث كثيرة، لكنه حديث غريب ضعيف. قال المزي(٢): لا يصح إسناداً ولا متناً، وذكره القاضي عياض في الشفاء، وقد روي من حديث عمر أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه، إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضباً جعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله، فلما رأى الجماعة قال من هذا؟

---

(١) وقال ابن حبان: لا أصل له وليس سنده بشيء. وقال الزرقاني: لا أصل له [٨/٢٩٧].

(٢) الحافظ أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن الذكي عبد الرحمن، الحلبي الأصل، الدمشقي المنشأ، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، ونشأ بالمزة - قرية بدمشق - أقبل على الحديث ورحل وسمع الكثير، صنف تهذيب الكمال والأطراف.. مات سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة.

قالوا: نبي الله، فأخرج الضب من كمه وقال: واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب. وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: يا ضب، فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة، قال: من تعبد؟ قال: الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه، قال: فمن أنا؟ قال: رسول رب العالمين وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك فأسلم الأعرابي. الحديث بطوله/، وهو مطعون فيه وقيل إنه موضوع. لكن معجزاته ﷺ فيها ما هو أبلغ من هذا وليس فيه ما ينكر شرعاً خصوصاً وقد رواه الأئمة فنهايته الضعف لا الوضع، والله أعلم. ١٩٢/أ

ومن ذلك: حديث الغزالة[1]. روى حديثها البيهقي من طرق، وضعفه جماعة من الأئمة، لكن طرقه يقوي بعضها بعضاً.

---

(١) قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: «قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/٤٣٤: «أما تسليم الغزالة فلم نجد له إسناداً لا من وجه قوي ولا من وجه ضعيف» قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ١٥٦ بعد نقله كلام الحافظ ابن كثير واقراره له: «ولكن قد ورد الكلام - يعني: ورد تكليم الغزالة لرسول الله ﷺ لا تسليمها - في الجملة في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض أوردها شيخنا - أي الحافظ ابن حجر - في المجلس الحادي والستين من «تخريج أحاديث المختصر» انتهى كلام السخاوي ويعني بالمختصر «مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه» «قلت: هي أحاديث ضعيفة واهية، لا يصح الاعتماد عليها في إثبات ما هو خرق للعادة وإذا كانت لتعدد طرقها لا يحكم الحديثي عليها بالوضع، فإن إثبات مضمونها لا يقبل ولا يثبت إلا بالحديث الصحيح الرجيح، ولدى النظر في أسانيدها يتبين أنها لا تخلو من مطاعن شديدة مردية، فلا تغفل، وبالنظر في متونها يتبدى تعارض شديد فيما بينها، وفي الجمع بينها تعسف ظاهر، كما أشار=

وذكره القاضي عياض في الشفاء، ورواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد فيه مجاهيل، عن حبيب بن محصن عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: بينما رسول الله ﷺ في صحراء من الأرض، إذا هاتف يهتف: يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فإذا ظبية مشدودة في وثاق، وأعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس، فقال: ما حاجتك؟ قالت: صادني هذا الأعرابي، ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع، قال: وتفعلين؟ فقالت: عذبني الله عذاب العشار إن لم أعد، فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها النبي ﷺ فانتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله ألك حاجة؟ قال: تطلق هذه الظبية، فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجليها الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

وكذا رواه الطبراني بنحوه، وساق الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب من باب الزكاة. ونقل شيخنا الحافظ أبو الخير السخاوي عن ابن كثير: أنه لا أصل له، وأن من نسبه إلى النبي ﷺ فقد كذب، ثم قال شيخنا: لكن ورد في الجملة في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض أوردها شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج أحاديث المختصر والله أعلم. انتهى.

وفي شرح مختصر ابن الحاجب للعلامة ابن السبكي، وتسبيح الحصى رواه الطبراني وابن أبي عاصم من حديث أبي ذر، وتسليم

= إليه العلامة الزرقاني في شرح المواهب اللدنية «١٥١/٥» عن كتاب «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» للعلامة علي القاري، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص ٨٠ [المحقق].

الغزالة رواه أبو نعيم الأصبهاني والبيهقي في دلائل النبوة، ونحن نقول فيهما: وإن لم يكونا متواترين فلعلهما استغني عنهما بنقل غيرهما، أو لعلهما تواترا إذ ذاك، انتهى.

ومن ذلك، داجن البيوت، وهو ما ألفها من الحيوان، كالطير والشاة وغيرهما، روى قاسم بن ثابت عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عندنا داجن، فإذا كان عندنا رسول الله ﷺ قر وثبت مكانه، فلم يجئ ولم يذهب، وإذا خرج رسول الله ﷺ جاء وذهب، وذكره القاضي عياض بسنده[1].

[معجزة نبع الماء]

وأما نبع الماء الطهور من بين أصابعه ﷺ، وهو أشرف المياه، فقال القرطبي: قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه ﷺ في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة، يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي، ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ، حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه، وقد نقل ابن عبد البر عن المزني[2] أنه قال: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه، لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم. انتهى[3].

---

(١) وأخرجه أحمد والبزار وغيرهما.

(٢) المزني: اسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، الإمام الجليل صاحب التصانيف، الزاهد المتقلل من الدنيا، مجاب الدعوة، توفي سنة أربع وستين ومائتين.

(٣) عن فتح الباري ٦/ ٥٨٥.

وقد روى حديث نبع الماء جماعة من الصحابة، منهم: أنس وجابر وابن مسعود.

فأما حديث أنس ففي الصحيحين قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع يده في ذلك الإناء، فأمر الناس أن يتوضؤوا/ منه، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم[1]. وفي لفظ البخاري: كانوا ثمانين رجلاً[2]، وفي لفظ له: فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم، قال: فقلنا لأنس كم كنتم قال: كنا ثلاثمائة[3].

١٩٢/ب

قوله: «حتى توضؤوا من عند آخرهم» قال الكرماني: حتى للتدريج، ومن للبيان، أي: توضأ الناس حتى توضأ الذين هم عند آخرهم، وهو كناية عن جميعهم، و«عند» بمعنى «في» لأن «عند» وإن كانت للظرفية الخاصة لكن المبالغة تقتضي أن تكون لمطلق الظرفية، فكأنه قال: الذين هم في آخرهم. وقال التيمي: المعنى توضأ القوم حتى وصلت النوبة إلى الآخر، وقال النووي: «من» هنا بمعنى «إلى» وهي لغة، وتعقبه الكرماني بأنها شاذة، قال: ثم إن «إلى» لا يجوز أن تدخل على «عند» ويلزم عليه وعلى ما قاله التيمي أن لا يدخل إلا خبر، لكن ما قاله الكرماني من أن «إلى» لا تدخل على عند لا يلزم مثله في «من» إذا وقعت بمعنى «إلى» وعلى توجيه النووي يمكن أن يقال عند زائدة. قاله في فتح الباري[4].

---

(١) رقمه في البخاري ٣٥٧٣.

(٢) رقمه في البخاري ٣٥٧٥.

(٣) رقمه في البخاري ٣٥٧٢.

(٤) فتح الباري ١/٢٧١.

وروى هذا الحديث أيضاً عن أنس، ابن شاهين، ولفظه: قال كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، فقال المسلمون: يا رسول الله، عطشت دوابنا وإبلنا، فقال: هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن بشيء، فقال: هاتوا صحيفة، فصب الماء ثم وضع راحته في الماء، قال: فرأيتها تخلل عيوناً بين أصابعه، قال: فسقينا إبلنا ودوابنا وتزودنا، فقال: اكتفيتم؟ فقالوا: نعم اكتفينا يا نبي الله، فرفع يده فارتفع الماء.

وأخرج البيهقي عن أنس أيضاً، قال: خرج النبي ﷺ إلى قباء فأُتي من بعض بيوتهم بقدح صغير، فأدخل يده فلم يسعه القدح، فأدخل أصابعه الأربعة ولم يستطع أن يدخل إبهامه، ثم قال للقوم: هلموا إلى الشراب، قال أنس: بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعاً.

وأما حديث جابر: ففي الصحيحين، قال: عطش الناس يوم الحديبية، وكان رسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها، وجهش[1] الناس نحوه، فقال: ما لكم؟ فقالوا يا رسول الله ما عندنا ماء نتوضأ به ولا نشربه إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[2].

وقوله: «يفور»، أي يغلي ويظهر متدفقاً.

وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط، قال لي رسول الله ﷺ: يا جابر ناد:

(١) أي: أسرع،
(٢) هو في البخاري برقم ٣٥٧٦.

الـوضوء، وذكـر الحديث بـطوله، وأنـه لم يجد إلا قـطرة في عـزلاء شجب[1] فأتى به النبي ﷺ فغمـزه وتكلم بشيء لا أدري ما هـو، وقال: ناد بجفنة الركب، فأتيت بها فوضعتها بـين يديـه، وذكر أن النبي ﷺ بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب عليه جابر، فقال: بسم الله، فـرأيت الماء يفـور من بين أصـابعـه، ثم فـارت الجفنـة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بـالاستقاء فـاستقوا حتى رووا، فقلت: هل بقي من أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يـده من الجفنة وهي ملأى.

وروى حديث جابر أيضاً الإمام أحمد في مسنده بلفظ: اشتكى أصحاب رسول الله ﷺ إليه العطش، فدعا بعس[2] فصب فيه شيئاً من الماء، فوضع رسول الله ﷺ فيـه يده، وقـال: استقوا فـاستقى الناس، فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه.

١/١٩٣ وفي لفظ من حديث له أيضاً/: فوضع رسول الله ﷺ كفه في الإناء ثم قال: بسم الله، ثم قال: أسبغوا الـوضوء، قـال جابـر: فوالذي ابتلاني ببصري، لقد رأيت العيون، عيون الماء يومئذٍ تخرج من بين أصابعه ﷺ فما رفعها حتى توضؤوا أجمعون.

ورواه أيضاً عنه البيهقي في الدلائل قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصابنا عطش فجهشنا إلى رسول الله ﷺ قال: فوضع يده في تور من ماء بين يديه، قال: فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون قال: خذوا بسم الله، فشربنا، فوسعنا وكفانا، ولو كنا مائة ألف لكفانا، قلت لجابر: كم كنتم؟ قال: ألفاً وخمسمائة.

---

(١) عزلاء: أي فم القربة الأسفل أو مصب الماء من الراوية، والمعنى فم قربة معلقة بعود.

(٢) قدح كبير.

وأخرجه ابن شاهين من حديث جابر أيضاً، وقال: أصابنا عطش بالحديبية فجهشنا إلى رسول الله ﷺ، الحديث.

وأخرجه أيضاً ـ عن جابر ـ أحمد من طريق نبيح العنزي عنه، وفيه: فجاء رجل بإداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره، فصبه رسول الله ﷺ في قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء، ثم انصرف وترك القدح، قال: فتزاحم الناس على القدح فقال: على رسلكم، فوضع كفه في القدح ثم قال: أسبغوا الوضوء قال: فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه.

وأما حديث ابن مسعود، ففي الصحيح من رواية علقمة: بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله ﷺ: اطلبوا من معه فضل ماء، فأتي بماء فصبه في إناء، ثم وضع كفه فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ.

وظاهر هذا أن الماء ينبع من بين أصابعه بالنسبة إلى رؤية الرائي، وهو في نفس الأمر ـ للبركة الحاصلة فيه ـ يفور ويكثر، وكفه ﷺ في الإناء، فيراه الرائي نابعاً من بين أصابعه.

وظاهر كلام القرطبي: أنه نبع من نفس اللحم الكائن في الأصابع، وبه صرح النووي في شرح مسلم، ويؤيده قول جابر: فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه، وفي رواية: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، وهذا هو الصحيح، وكلاهما معجزة له ﷺ.

وإنما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع إناء تأدباً مع الله تعالى، إذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وإيجادها من غير أصل.

وروى ابن عباس قال: دعا النبي ﷺ بلالاً فطلب الماء، فقال: لا والله ما وجدت الماء، قال: فهل من شن؟ فأتاه بشن فبسط كفه فيه فانبعث تحت يده عين، فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ، رواه الدارمي وأبو نعيم، وكذا رواه الطبراني وأبو نعيم من حديث أبي ليلى الأنصاري وأبو نعيم من طريق القاسم بن عبدالله بن أبي رافع عن أبيه عن جده.

[معجزة تفجر الماء]

ومن ذلك تفجير الماء ببركته، وانبعاثه بمسه ودعوته.

روى مسلم في صحيحه عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال لهم: إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي، قال: فجئناها، وقد سبق إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبض[1] بشيء من ماء، فسألهما رسول الله ﷺ هل مسستما من مائها شيئاً؟ قالا: نعم، فسبهما[2] وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء، ثم غسل ﷺ به وجهه ويديه ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس ثم قال ﷺ : يا معاذ، يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً[3].
أي بساتين وعمراناً، وهذا أيضاً من معجزاته ﷺ .

---

(١) تبض: أي تسيل وتقطر، والشراك: هو سير النعل، ومعناه: ماء قليل جداً.

(٢) لمخالفتهما الأمر عمداً وكانا من المنافقين.

(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل رقم (١٠).

ورواه القاضي عياض في الشفاء بنحوه من طريق/ مالك في ١٩٣/ب الموطأ، وزاد فقال: قال في حديث ابن إسحاق: فانخرق من الماء ماله[١] حس كحس الصواعق.

وفي البخاري، في غزوة الحديبية، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: أنهم نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه[٢].

والثمد: ـ بالمثلثة والتحريك ـ الماء القليل.

وقوله: «يتبرضه الناس تبرضاً» ـ بالضاد المعجمة ـ أي يأخذونه قليلاً قليلاً، والبرض: الشيء القليل.

وقوله: «فما زال يجيش» ـ بفتح المثناة التحتية، وبالجيم، آخره شين ـ أي: يفور ماؤه ويرتفع.

وفي رواية: أنه ﷺ توضأ فتمضمض [ودعا][٣] ومج في بئر الحديبية من فمه، فجاشت بالماء كذلك[٤].

وفي مغازي أبي الأسود عن عروة: أنه توضأ في الدلو، ومضمض فاه ثم مج فيه، وأمر أن يصب في البئر، ونزع سهماً من كنانته وألقاه في البئر ودعا الله تعالى، ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفتيها، فجمع بين الأمرين.

---

(١) في ش: ماء له.
(٢) رواه البخاري برقم ٢٧٣١.
(٣) في ش.
(٤) هو في البخاري برقم ٤١٥٠ و٤١٥١.

وكذا رواه الواقدي من طريق أوس بن خولى.

وهذه القصة غير القصة السابقة في ذكر نبع الماء من بين أصابعه ﷺ مما رواه البخاري في المغازي من حديث جابر: عطش الناس بالحديبية وبين يدي رسول الله ﷺ ركوة فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه. الحديث.

فبين القصتين مغايرة، وجمع ابن حبان بينهما: بأن ذلك وقع في وقتين، انتهى.

فحديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند إرادة الوضوء، وحديث البراء كان لإرادة ما هو أعم من ذلك. ويحتمل أن يكون الماء لما تفجر من أصابعه ويده في الركوة، وتوضؤوا كلهم وشربوا أمر حينئذٍ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها. انتهى.

وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع مما رواه البخاري[1] في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة، وبئرها لا تروي خمسين شاة، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فقعد رسول الله ﷺ على جباها، قال البراء: وأتي بدلو منها فبصق ودعا، وقال سلمة: فإما دعا وإما بصق فيها، فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم، وقال في رواية البراء: ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال: دعوها ساعة.

قوله: «على جَبَاها» ـ بفتح الجيم والموحدة والقصر ـ ما حول البئر، وبالكسر: ما جمعت فيها من الماء.

---

(١) عند البخاري من حديث البراء برقم ٤١٥١. قال الشارح: وأما حديث سلمة فرواه مسلم.

وقوله: «وركابهم» أي الإبل التي يسار عليها.

وفي الصحيحين عن عمران بن الحصين قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فاشتكى إليه الناس من العطش، فنزل فدعا فلاناً ـ كان يسميه أبو رجاء ونسبه عوف ـ ودعا علياً، وقال: اذهبا فابتغيا الماء، فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء، فجاءا بها إلى النبي ﷺ ، فاستنزلوها عن بعيرها، ودعا النبي ﷺ بإناء ففرَّغ فيه من أفواه المزادتين أو السطيحتين، وأوكأ أفواههما، وأطلق العزالى[1]، ونودي في الناس: اسقوا واستقوا، فسقى من سقى، واستقى من شاء، وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها، وأيم الله لقد أقلع عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملأة منها حين ابتدأ فيها، فقال النبي ﷺ : اجمعوا لها، فجمعوا لها من بين عجوة ورقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاماً، فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها قال لها: تعلمين ما رزأنا من مائك شيئاً ولكن الله هو الذي سقانا، فأتت أهلها فقالت: العجب، لقيني رجلان فذهبا بي إلى الرجل الذي/ يقال له الصابئ ففعل كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر الناس كلهم أو إنه لرسول الله حقاً، فقالت لقومها: [ما أرى أن هؤلاء يدعونكم عمداً][2] فهل لكم في الإسلام. الحديث[3].

1/194

وعن أبي قتادة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء غداً إن شاء الله، فانطلق الناس لا يلوي

---

(1) جمع عزلى، وهي مصب الماء من الراوية، ولكل مزادة عزلاوان من أسفلها.

(2) في (ط، ش) وهي في البخاري.

(3) رواه البخاري برقم ٣٤٤.

أحـد على أحـد، فبينا رسـول الله ﷺ يسير حتى ابهـارَّ الليل - أي ابيض - فمال عن الطريق فوضع رأسه ثم قال احفظوا علينا صلاتنا، فكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ والشمس في ظهره، ثم قال: اركبوا، فركبنا فسرنا، حتى إذا ارتفعت الشمس نزل، ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء، فتوضأ منها وضوءاً، قال: وبقي شيء من ماء، ثم قال: احفظ علينا ميضأتك، فسيكون لها نبأ، ثم أذن بلال بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ ركعتين ثم صلى الغداة، وركب وركبنا معه، فانتهينا إلى الناس حين اشتد النهار وحمي كل شيء، وهم يقولون: يا رسول الله هلكنا وعطشنا، فقال: لا هلك عليكم، ودعا بالميضأة فجعل يصب وأبو قتادة يسقيهم فلم يعدُ أن رأى الناس ماء في الميضأة فتكابوا عليها، فقال رسول الله ﷺ : أحسنوا الملأ[1] كلكم سيروى، قال: ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصب وأسقيهم، حتى ما بقي غيري وغيرِ رسول الله ﷺ ، ثم صب فقال لي: اشرب، فقلت: لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله، فقال: إن ساقي القوم آخرهم، قال: فشربت وشرب، الحديث رواه مسلم[2].

وعن أنس قال: أصاب الناس سنة[3] عـلى عهد رسـول الله ﷺ ، فبينما النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة، قام أعرابي فقـال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قـزعة[4]، فـوالذي نفسي بيـده ما وضعهـما حتى ثار

(١) الملأ: الخلق والعشرة. كذا في هامش مسلم. وقال الشارح: الملء، أي لأوانيكم.

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد برقم ٣١١ وقد حذف منه المصنف كثيراً.

(٣) أي شدة وجهد من الجدب.

(٤) قزعة: أي قطعة من سحاب متفرق أو رقيقة.

السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد، حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي أو غيره وقال: يا رسول الله، تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه فقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجوبة، وسال الوادي قناة شهراً، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود. وفي رواية قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر، فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس. رواه البخاري ومسلم.

و«الجوبة» - بفتح الجيم والموحدة بينهما واو ساكنة - الحفرة المستديرة الواسعة، وكل منفتق بلا بناء جوبة، أي حتى صار الغيم والسحاب محيطاً بآفاق المدينة.

و«الجود»: - بفتج الجيم وإسكان الواو - المطر الواسع الغزير.

وعن عبدالله بن عباس، أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثنا عن ساعة العسرة فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى إن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله لنا، قال: أتحبون ذلك؟ قال: نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء[1] فانسكبت، فملؤوا ما معهم من آنية، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر، قال الحافظ المنذري:

---

(١) أي غيمت وظهر فيها سحاب، من قولهم: قال كذا، إذا تهيأ له واستعد.

أخرجه البيهقي في الدلائل، وشيخه ابن بشران ثقة، ودعلج ثقة، وابن خزيمة أحد الأئمة، ويونس احتج به مسلم في صحيحه/ وابن ١٩٤/ب وهب وعمرو بن الحارث ونافع بن جبير احتج بهم البخاري ومسلم، وعتبة فيه مقال[1].

وقد رواه القاضي عياض في الشفاء مختصراً[2] وروى ابن إسحاق في مغازيه نحوه.

وروى صاحب «مصباح الظلام» عن عمرو بن شعيب: أن أبا طالب قال: كنت مع ابن أخي - يعني النبي ﷺ - بذي المجاز، فأدركني العطش، فشكوت إليه فقلت: يا ابن أخي عطشت، وما قلت له ذلك وأنا أرى عنده شيئاً إلا الجزع، فثنى وركه ثم نزل وقال: يا عم، أعطشت؟ فقلت: نعم، فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء، فقال: اشرب يا عم فشربت، وكذا رواه ابن سعد وابن عساكر.

[معجزات تكثير الطعام]

ومن ذلك: تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه ﷺ.

عن جابر، في غزوة الخندق قال: فانكفأت إلى امرأتي، فقلت هل عندك شيء، فإني رأيت بالنبي ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بُهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي ﷺ فساررته فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير. فتعال أنت ونفر معك.

---

(١) قال أحمد: ضعيف ليس بالقوي، وفي التقريب: صدوق له أوهام.

(٢) رواه عياض بلا سند.

فصاح النبي ﷺ : يا أهل الخندق، إن جابراً صنع سؤراً، فحي هلا بكم، فقال ﷺ : لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء [برجال][1] فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال: ادع خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها، وهم ألف. فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو، رواه البخاري ومسلم[2].

وقوله: «فانكفأت» أي: انقلبت.

وقوله: «داجن» يعني سمينة.

وقوله: «فذبحتها» بسكون الحاء، و«طحنت» بسكون التاء، يعني إن الذي ذبح هو جابر، والتي طحنت هي امرأته سهيلة بنت معوذ الأنصارية.

وقوله: «سورا» بضم المهملة وسكون الواو بغير همز. قال ابن الأثير: أي طعاماً يدعو إليه الناس. قال: اللفظة فارسية.

وقوله: «فحي هلا بكم» كلمة استدعاء فيه حث، أي هلموا مسرعين.

وقوله: «واقدحي» أي: اغرفي.

وقوله: «إن برمتنا لتغط» بالغين المعجمة والطاء المهملة، أي: تغلي ويسمع غطيطها.

---

(١) في النسخ عدا (ش)، ولفظ «برجال» لم أره عند الشيخين [المحقق].

(٢) هو عند البخاري برقم ٤١٠٢ وعند مسلم في كتاب الأشربة برقم ١٤١.

وعن أنس قال: قال أبو طلحة لأم سليم، لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء، فقالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً، فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه - أي أدارت بعض الخمار على رأسي مرتين كالعمائم - ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فسلمت عليه، فقال لي رسول الله ﷺ: أرسلك أبو طلحة؟ فقلت: نعم، قال: لطعام؟ قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا، فانطلق وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: هلمي يا أم سليم ما عندك، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففت، وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة، ثم لعشرة، فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً. رواه البخاري ومسلم[1].

١/١٩٥ والمراد بالمسجد - هنا - الموضع الذي/ أعده النبي ﷺ للصلاة فيه حين محاصرة الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق.

وفي رواية لمسلم: أنه قال: ائذن لعشرة، فدخلوا فقال: كلوا

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٥٧٨ ومسلم في كتاب الأشربة برقم ١٤٢.

وسموا الله، فأكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي ﷺ وأهل البيت وترك سؤراً[1]. أي بقية وهو بالهمز.

وفي رواية للبخاري: قال: أدخل علي عشرة، حتى عد أربعين، ثم أكل النبي ﷺ، فجعلت أنظر هل نقص منها شيء؟[2].

وفي رواية يعقوب: أدخل علي ثمانية ثمانية، فما زال حتى دخل عليه ثمانـون، ثم دعاني ودعـا أمي وأبا طلحـة فأكلنـا حتى شبعنا. انتهى[3].

وهذا يدل على تعدد القصة، فإن أكثر الروايات فيها أنه أدخلهم عشرة عشرة سوى هذه، قاله الحافظ ابن حجر، قال: وظاهره أنه ﷺ دخل لمنزل أبي طلحة وحده، وصرح بذلك في رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى ولفظه: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى الباب قال لهم: اقعدوا ودخل. وفي رواية يعقوب عن أنس: فقال أبو طلحة:يا رسول الله إنما أرسلت أنساً يدعوك وحدك، ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى، وفي رواية عمرو بن عبدالله عن أنس: فقال أبو طلحة: إنما هو قرص، فقال: إن الله سيبارك فيه[4].

قال العلماء: وإنما أدخلهم عشرة عشرة ـ والله أعلم ـ لأنها كانت

---

(١) عند مسلم في كتاب الأشربة برقم ١٤٣.

(٢) عند البخاري برقم (٥٤٥٠).

(٣) قال الشارح: رواية يعقوب عن أنس عند مسلم، أقول: رواية يعقوب عند مسلم في الأشربة برقم ١٤٣ وليس فيها «ثمانيـة ثمانيـة» والذي في فتح الباري: رواية يعقوب عن أنس عند أبي نعيم وأصله عند مسلم. ٦/٥٨٩ [المحقق].

(٤) عن فتح الباري بتقديم وتأخير ٦/٥٩٠.

قصعة واحدة، لا يمكن الجماعة الكثيرة أن يقدروا على التناول منها مع قلة الطعام، فجعلهم عشرة عشرة لينالوا من الأكل ولا يزدحموا.

وأما قوله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة؟ قلت نعم، قال: لطعام؟ قلت: نعم، فقال لمن معه قوموا»: فظاهره: أن النبي ﷺ فهم أن أبا طلحة استدعاه إلى منزله، فلذلك قال لمن عنده قوموا، وأول الكلام يقتضي أن أم سليم وأبا طلحة أرسلا الخبز مع أنس؟!

[فيجمع: بأنهما أرادا بإرسال الخبز مع أنس](١) أن يأخذه النبي ﷺ فيأكله، فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس حول النبي ﷺ استحيى، وظهر له أن يدعو النبي ﷺ ليقوم معه وحده إلى المنزل فيحصل مقصودهم من إطعامه.

ويحتمل أن يكون ذلك عن رأي من أرسله، عهد إليه أنه إذا رأى كثرة الناس أن يستدعي النبي ﷺ وحده، خشية أن لا يكفي ذلك النبي ﷺ هو ومن معه، وقد عرفوا إيثاره ﷺ، وأنه لا يأكل وحده.

ووقع في رواية يعقوب بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس ـ عند أبي نعيم وأصله عند مسلم ـ فقال لي أبو طلحة: يا أنس اذهب فقم قريباً من رسول الله ﷺ، فإذا قام فدعه حتى يتفرق عنه أصحابه، ثم اتبعه حتى إذا قام على عتبة بابه فقل له: إن أبي يدعوك، وفيه: فقال أبو طلحة: يا رسول الله إنما أرسلت أنساً يدعوك وحدك(٢)، ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى، فقال: ادخل فإن الله سيبارك فيما عندك.

---

(١) سقطت من المخطوطات (ا، ب، د) وهي في فتح الباري ـ الأصل المنقول عنه ـ ولا يتم المعنى بدونها.

(٢) نقلاً عن فتح الباري، من قوله: «وأما قوله..» ٦/٥٨٩.

وفي رواية مبارك بن فضالة: فقال هل من سمن؟ فقال أبو طلحة: قد كان في العكة شيء فجاء بها، فجعلا يعصرانها حتى خرج، ثم مسح رسول الله ﷺ القرص فانتفخ، وقال: بسم الله، فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص في الجفنة يتسع[1].

وفي رواية النضر بن أنس: فجئت بها ففتح رباطها ثم قال: بسم الله، اللهم أعظم فيها البركة[2]، وعرف بهذا المراد بقوله [في رواية الصحيحين][3]: «فقال فيها ما شاء الله أن يقول».

وفي رواية أنس عند أحمد: أن أبا طلحة رأى رسول الله ﷺ طاوياً.

وعند أبي يعلى من طريق محمد بن سيرين عن أنس: أن أبا طلحة بلغه أنه ليس عند رسول الله ﷺ طعام فآجر نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يومه ذلك ثم جاء به/ الحديث[4]. ١٩٥/ب

وفي رواية عمرو بن عبدالله بن أبي طلحة عند مسلم وأبي يعلى قال: رأى أبو طلحة رسول الله ﷺ مضطجعاً ينقلب ظهراً لبطن. وفي رواية يعقوب بن عبدالله بن أبي طلحة عند مسلم أيضاً عن أنس قال: جئت رسول الله ﷺ فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم وقد

---

(١) في ط: ينتفخ، وهذه الرواية عند الإمام أحمد.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) زيادة في ش.

(٤) قال الشارح: وهو مخالف للروايات السابقة واللاحقة. وهذا يؤيد تعدد الحادثة، وإليه أومأ الحافظ ابن حجر وإن لم يفصح به ا.هـ مختصراً [م].

عصب بطنه بعصابة، فسألت بعض أصحابه فقال من الجوع، فذهبت إلى أبي طلحة فأخبرته، فدخل على أم سليم فقال: هل من شيء[1].

وفي رواية محمد بن كعب عن أنس عند أبي نعيم قال: جاء أبو طلحة إلى أم سليم فقال: أعندك شيء؟[2] فإني مررت على النبي ﷺ وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجراً.

وعن أبي هريرة قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقال عمر: يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، فقال: نعم، فدعا بنطع فبسط، ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال: خذوا في أوعيتكم، فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه. قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة. رواه مسلم.

وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ عروساً بزينب، فعمدت أمي أم سليم إلى تمر وسمن وأقط فصنعت حيساً، فجعلته في تور، فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ فقل: بعثت بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام، فقال رسول الله ﷺ: ضعه، ثم قال: اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً، رجالاً سماهم، وادع لي من لقيت، فدعوت من سمى ومن لقيت، فرجعت فإذا البيت غاص بأهله، قيل لأنس: عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة، فرأيت النبي ﷺ وضع يده

---

(١) الروايتان عند مسلم، كتاب الأشربة رقم ١٤٢.

(٢) سقط هذا القسم من الرواية من (ب، د).

على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله، ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه، ويقول لهم: اذكروا اسم الله، وليأكل كل رجل مما يليه، قال: فأكلوا حتى شبعوا، فخرجت طائفة [بعد طائفة][1] حتى أكلوا كلهم، قال لي: يا أنس ارفع فرفعت، فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت. رواه البخاري ومسلم.

وعن جابر أن أم مالك كانت تهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمناً، فيأتيها بنوها فيسألونها الأدم، وليس عندهم شيء، فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيه سمناً، فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته، فأتت النبي ﷺ فقال: أعصرتيها؟ قالت: نعم، قال: لو تركتيها ما زال قائماً. رواه مسلم[2].

وعنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه، فأطعمه شطر وسق من شعير، فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم. رواه مسلم أيضاً.

والحكمة في ذهاب بركة السمن حين عصرت العكة، وإعدام [بركة][3] الشعير حين كاله، أن عصرها وكيله مضاد للتسليم على رزق الله تعالى، ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة، وتكلف الإحاطة بأسرار حكم الله تعالى وفضله، فعوقب فاعله بزواله، قاله النووي.

وعن أبي العلاء سمرة بن جندب قال: كنا مع النبي ﷺ

---

(١) زيادة في (أ، ط).
(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل برقم ٨.
(٣) في (ب، ط).

١٩٦/١ نتداول[1] من قصعة من غدوة/ حتى الليل، يقوم عشرة ويقعد عشرة، قلنا: فما كانت تمد؟ قال: من أي شيء تعجب، ما كانت تمد إلا من هاهنا، وأشار بيده إلى السماء، رواه الترمذي والدارمي.

وعنه: أُتي النبي ﷺ بقصعة فيها لحم، فتعاقبوها من غدوة حتى الليل، يقوم قوم ويقعد آخرون، فقال رجل لسمرة: هل كانت تمد؟ قال: ما كانت تمد إلا من هاهنا، وأشار بيده إلى السماء. رواه الدارمي وابن أبي شيبة والترمذي والبيهقي والحاكم وصححوه، وأبو نعيم.

وفي حديث عبد الرحمن بن أبي بكر: كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، وذكر الحديث أنه عجن صاع، وصنعت شاة فشوي سواد بطنها، قال: وأيم الله، ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حزَّ له حزة من سواد بطنها، ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير. رواه البخاري[2].

وعن أبي هريرة قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أدعو أهل الصفة، فتتبعتهم حتى جمعتهم، فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا، وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع. رواه ابن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم.

وعن علي بن أبي طالب: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وكانوا أربعين، منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق[3]، فصنع

---

(١) في ب: نتناول.
(٢) ورواه مسلم.
(٣) الجذعة من الضأن ما أتى عليه ثمانية أشهر، والفرق: إناء يسع اثني عشر صاعاً.

لهم مداً من طعام، فأكلوا حتى شبعوا، وبقي كما هو، ثم دعا بعس[1] فشربوا حتى رووا، وبقي كأنه لم يشرب منه، رواه في الشفاء[2].

[معجزات إبراء ذوي العاهات]

ومن ذلك: إبراء ذوي العاهات، وإحياء الموتى، وكلامهم، وكلام الصبيان وشهادتهم له ﷺ بالنبوة.

روى البيهقي في الدلائل: أنه ﷺ دعا رجلاً إلى الإسلام، فقال: لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي، فقال ﷺ : أرني قبرها، فأراه إياه، فقال ﷺ : يا فلانة، فقالت: لبيك وسعديك. فقال ﷺ : أتحبين أن ترجعي[3] إلى الدنيا؟ فقالت: لا والله يا رسول الله، إني وجدت الله خيراً لي من أبوي، ورأيت الآخرة خيراً لي من الدنيا[4].

وروى الطبري[5] عن عائشة أن النبي ﷺ نزل الحجون كئيباً حزيناً، فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسروراً قال: سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها.

وكذا روي من حديث عائشة أيضاً إحياء أبويه ﷺ حتى آمنا به، أورده السهيلي وكذا الخطيب في السابق واللاحق، لكن قال

---

(١) قدح من خشب يروى الثلاثة أو الأربعة.
(٢) ذكره في الشفاء بلا إسناد، وقد أخرجه أحمد والبيهقي بسند جيد مطولاً.
(٣) كذا في ش، وفي النسخ: أن ترجعين، وهي لغة كما قال الشارح.
(٤) أورد هذه القصة في «الشفاء» ولم يذكر مخرجه السيوطي من رواه.
(٥) في (ب، ط) الطبراني.

السهيلي: إن في إسناده مجاهيل، وقال ابن كثير: إنه منكر جداً، وتقدم البحث في ذلك في أوائل المقصد الأول.

وعن أنس أن شاباً من الأنصار توفي ولـه أم عجوز عميـاء، فسجيناه وعزيناها، فقالت: مات ابني؟ قلنا: نعم، قالت: اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة، فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا. رواه ابن عدي وابن أبي الدنيا والبيهقي وأبو نعيم.

وعن النعمان بن بشير قال: كان زيد بن خارجة من سروات[1] الأنصار، فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر إذ خرَّ فتوفي، فأعلمت به الأنصار، فأتوه فاحتملوه إلى بيته فسجوه كساء وبردين، وفي البيت نساء من نساء الأنصار يبكين عليه، ورجال من رجالهم، فمكث على حـاله حتى إذا كـان بين المغـرب والعشاء الآخرة سمعوا صوت قائل يقول: أنصتوا أنصتوا، فنظروا فإذا الصوت من تحت الثياب، فحسروا عن وجهه وصدره، فإذا القائل يقول على لسانه: محمد رسول الله النبي الأمي خاتم النبيين، لا نبي بعده، كان ذلك في الكتاب الأول، ثم قال: صدق صدق، ثم قال: هذا رسول الله، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله/ وبركاته. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت. ١٩٦/ب

وعن سعيد بن المسيب أن رجلاً من الأنصار توفي، فلما كفن أتاه القوم يحملونه تكلم فقال: محمد رسول الله، أخرجه أبو بكر بن الضحاك.

وأخرج أبو نعيم: أن جابراً ذبح شاة وطبخها، وثرد في الجفنة،

---

(١) أي أشراف.

وأتى به رسول الله ﷺ فأكل القوم، وكان ﷺ يقول لهم: كلوا ولا تكسروا عظماً، ثم إنه ﷺ جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فإذا بالشاة قد قامت تنفض أذنيها، كذا رواه والله أعلم؟!

وعن معرض بن معيقيب اليماني قال: حججت حجة الوداع، فدخلت داراً بمكة، فرأيت فيها رسول الله ﷺ، ورأيت منه عجباً، جاء رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد، فقال له رسول الله ﷺ: يا غلام، من أنا؟ قال: أنت رسول الله، قال: صدقت بارك الله فيك، ثم إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب، فكنا نسميه مبارك اليمامة. رواه البيهقي من حديث معرض[1] - بالضاد المعجمة -.

وعن فهد بن عطية، أن النبي ﷺ أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال له: من أنا؟ قال: أنت رسول الله، رواه البيهقي[2].

وعن ابن عباس قال: إن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابني به جنون، وإنه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا، فمسح رسول الله ﷺ صدره فثع ثعة وخرج من جوفه مثل الجرو الأسود يسعى. رواه الدارمي[3].

وقوله: «ثع» يعني قاء.

وأصيبت[4] يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على

---

(١) قال ابن دحية وغيره: إنه موضوع. قال في الإصابة: معرض وشيخه مجهولان.

(٢) رواه البيهقي مرسلاً، قال الشارح: عجب للمصنف يعزوه له ويتبع عياضاً في قوله فهد أو فهر، مع أنه لم يعزه لأحد.

(٣) وكذا أحمد وابن أبي شيبة والبيهقي.

(٤) كذا في ش، وفي النسخ: أصيب.

وجنته، فأتى بها إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي امرأة أحبها أخشى إن رأتني تقذرني[1] فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردها إلى موضعها وقال: [بسم الله][2] اللهم اكسه جمالاً، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما نظراً، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى.

وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر: من أنت؟ فقال:

أبونا الذي سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فوصله عمر وأحسن جائزته.

قال السهيلي: ورواه محمد بن أبي عثمان [عن عمار بن نصر][3] عن مالك بن أنس عن محمد بن عبدالله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان قال: أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا على وجنتي، فأتيت بهما النبي ﷺ فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان، قال الدارقطني: هذا حديث غريب تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة، ورواه الدارقطني عن إبراهيم الحربي عن عمار بن نصر.

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن قتادة قال: كنت يوم أحد أتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله ﷺ، فكان آخرها سهماً ندرت[4]

---

(١) أي تكرهني.
(٢) زيادة في ط.
(٣) في (ط، ش).
(٤) أي سقطت.

منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت إلى رسول الله ﷺ، فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال: اللهم قِ قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه، فاجعلها أحسن عينيه وأحدَّهما نظراً.

وفي البخاري في غزوة خيبر أنه ﷺ قال: أين علي بن أبي طالب فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع[1].

وعند الطبراني من حديث علي قال: فما رمدت ولا صدعت منذ دفع إلي رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر.

وفي رواية مسلم من طريق إياس بن سلمة عن أبيه قال: فأرسلني النبي ﷺ إلى علي فجئت به أقوده أرمد، فبصق في عينيه فبرأ.

وعند الحاكم/ من حديث علي قال: فوضع ﷺ رأسي في حجره ١/١٩٧ ثم بصق في راحته فدلك بها عيني. وعند الطبراني: فما اشتكيتها حتى الساعة، ودعا لي ﷺ فقال: اللهم أذهب عنه الحر والقر، قال: فما اشتكيتهما حتى يومي هذا.

وأصيب سلمة يوم خيبر أيضاً بضربة في ساقه، فنفث فيها ﷺ ثلاث نفثات فما اشتكاها قط. رواه البخاري.

ونفث في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئاً، وكان وقع على بيض حية، فكان يدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين سنة وإن عينيه لمبيضتان، رواه ابن أبي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وأبو نعيم.

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٢١٠)

الفصل الثاني

فيما خصه الله تعالى به من المعجزات وشرفه به على سائر الأنبياء من الكرامات والآيات البينات

[فضله ﷺ]

اعلم نور الله قلبي وقلبك، وقدس[1] سري وسرك، أن الله تعالى قد خص نبينا ﷺ بأشياء لم يعطها لنبي قبله، وما خص نبي بشيء إلا وكان لسيدنا محمد ﷺ مثله، فإنه أوتي جوامع الكلم، وكان نبياً وآدم بين الروح والجسد، وغيره من الأنبياء لم يكن نبياً إلا في حال نبوته وزمان رسالته.

ولما أعطي هذه المنزلة علمنا أنه ﷺ الممد لكل إنسان كامل مبعوث[2] ويرحم الله الأديب شرف الدين الأبوصيري فلقد أحسن حيث قال:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها   فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها   يظهرن أنوارها للناس في الظلم

---

(١) أي طهَّر.

(٢) الممد: اسم فاعل من أمد، وهذا التعبير فيه إشكال كبير، فالممد هو الله تعالى.

قال العلامة ابن مرزوق: يعني أن كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فإنما اتصلت بكل واحد منهم من نور محمد ﷺ وما أحسن قوله: «فإنما اتصلت من نوره بهم» فإنه يعطي أن نوره ﷺ لم يزل قائماً به ولم ينقص منه شيء، ولو قال: فإنما هي من نوره لتوهم أنه وزع عليهم وقد لا يبقى له منه شيء. وإنما كانت آيات كل واحد من نوره ﷺ لأنه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن - أي تلك الكواكب - أنوار تلك الشمس للناس في الظلم. فالكواكب ليست مضيئة بالذات وإنما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس. فكذلك الأنبياء قبل وجوده ﷺ كانوا يظهرون فضله فجميع ما ظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام سواه من الأنوار فإنما هو من نوره الفائض ومدده الواسع من غير أن ينقص منه شيء.

وأول ما ظهر ذلك في آدم عليه السلام، حيث جعله الله خليفة وأمده بالأسماء كلها من مقام جوامع الكلم التي لمحمد ﷺ فظهر بعلم الأسماء كلها على الملائكة القائلين: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾[1]، ثم توالت الخلائف في الأرض إلى أن وصل إلى زمان وجود صورة جسم نبينا ﷺ الشريف لإظهار حكم منزلته، فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور، وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الأنبياء، ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته، والنبوات كلها تحت لواء رسالته، فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة إلا وقد أعطي ﷺ مثلها.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٣٠).

[مقارنة مع الأنبياء في الفضائل]

● فآدم عليه الصلاة والسلام(1) أعطي أن الله تعالى خلقه بيده، فأعطي سيدنا محمد ﷺ شرح صدره، وتولى الله تعالى شرح صدره بنفسه، وخلق فيه الإيمان والحكمة، وهو الخلق النبوي، فتولى من آدم الخلق الوجودي ومن سيدنا محمد ﷺ الخلق النبوي، مع أن المقصود ـ كما مر ـ من خلق آدم خلق نبينا في صلبه، فسيدنا محمد ﷺ المقصود وآدم الوسيلة، والمقصود سابق على الوسيلة.

197/ب وأما سجود الملائكة لآدم، فقال فخر الدين الرازي/ في تفسيره: إن الملائكة أمروا بالسجود لآدم لأجل أن نور محمد ﷺ كان في جبهته(2)، ولله در القائل:

تجليت جل الله في وجه آدم فصلى له الأملاك حين توسلوا(3)

وعن أبي عثمان الواعظ، فيما حكاه الفاكهاني قال: سمعت الإمام سهل بن محمد يقول: هذا التشريف الذي شرف الله تعالى به محمداً ﷺ بقوله: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾(4) الآية أتم وأجمع من تشريف آدم عليه السلام بأمر الملائكة له بالسجود، لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف، فتشريف يصدر عنه

---

(1) قال الشارح: ولما ذكر أن الله جمع له ﷺ خصائص الأنبياء وزاده عليهم، فصل بعض ذلك: وهو ـ في غالبه ـ تابع لابن المنير في معراجه.

(2) هذا القول يحتاج إلى دليل [المحقق].

(3) في ش: توسل، وفي (ب، د): توصل.

(4) سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

تعالى وعن الملائكة والمؤمنين أبلغ من تشريف تختص به الملائكة، انتهى.

قال بعضهم: وأما تعليم آدم أسماء كل شيء، فأخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلت لي أمتي في الماء والطين، وعلمت الأسماء كلها كما علم آدم الأسماء كلها». فكما أن آدم علم أسماء العلوم كلها كذلك نبينا ﷺ، وزاد عليه ـ واصل الله صلاته وسلامه عليه ـ بعلم ذواتها. ولله در الأبوصيري حيث قال:

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الأسماء

ولا ريب أن المسميات أعلى رتبة من الأسماء، لأن الأسماء يؤتى بها لتبين المسميات، فهي المقصودة بالذات، وإليه الإيماء بقوله: «ذات العلوم»، والأسماء مقصودة لغيرها فهي دونها، ففضل العالم بحسب فضل معلومه.

● وأما إدريس عليه السلام، فرفعه الله مكاناً علياً، فأعطي سيدنا محمد ﷺ المعراج، ورفع إلى مكان لم يرفع إليه غيره.

● وأما نوح عليه السلام فنجاه الله تعالى ومن آمن معه من الغرق ونجاه من الخسف، فأعطي سيدنا محمد ﷺ أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء. قال الله تعالى: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾[1].

وأما قول الفخر الرازي في تفسيره: «أكرم الله نوحاً بأن أمسك

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٣

سفينته على الماء، وفعل بمحمد[1] ﷺ أعظم منه. روي أنه ﷺ كان على شط ماء وقعد عكرمة بن أبي جهل فقال: إن كنت صادقاً فادع ذلك الحجر الذي في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق، فأشار إليه ﷺ فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدي رسول الله ﷺ وشهد له بالرسالة، فقال له النبي ﷺ: يكفيك هذا؟ فقال: حتى يرجع إلى مكانه». فلم أره لغيره والله أعلم بحاله[2].

● وأما إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمروذ برداً وسلاماً، فأعطي سيدنا محمد ﷺ نظير ذلك، إطفاء نار الحرب عنه ﷺ وناهيك بنار حطبها السيوف ووهجها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد، قال الله تعالى: ﴿**كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله**﴾[3] فكم أرادوا أن يطفئوا النور بالنار، وأبى الجبار إلا أن يتم نوره وأن يخمد شرورهم ويحمد لمحمد ﷺ سروره وظهوره.

ويذكر أنه ﷺ مر ليلة المعراج على بحر النار الذي دون سماء الدنيا مع سلامته منه، كما روي مما رأيته في بعض الكتب[4].

وروى النسائي أن محمد بن حاطب قال: كنت طفلاً فانصب القدر علي واحترق جلدي كله، فحملني أبي إلى رسول الله ﷺ فتفل

---

(١) في ش: وفضل محمد.

(٢) عكرمة من مسلمة الفتح، وهذا الحديث لا ينطبق على ما عرف من حياة عكرمة وإسلامه، يضاف إلى ذلك أنه قول بلا سند. [المحقق].

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٤.

(٤) قال الشارح: الله أعلم بصحته، وأقول ليت المصنف نزه كتابه عن مثل ذلك [المحقق].

ﷺ في جلدي ومسح بيده على المحترق وقال: أذهب الباس رب الناس، فصرت صحيحاً لا بأس بي.

وأما ما أعطيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام من مقام الخلة فقد أعطيه نبينا ﷺ، وزاد بمقام المحبة، وقد روي في حديث الشفاعة أن الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذا قيل له: اتخذك الله خليلاً فاشفع لنا قال: «إنما كنت خليلاً/ من وراء وراء»[1] اذهبوا إلى غيري إلى أن تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فيقول: «أنا لها، أنا لها» وهذا يدل على أن نبينا ﷺ كان خليلاً مع رفع الحجاب وكشف الغطاء ولو كان خليلاً من وراء وراء لاعتذر كما اعتذر إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وفيه تنبيه ظاهر على أنه ﷺ فاز برؤية الحق سبحانه وكشف له الغطاء حتى رأى الحق بعيني رأسه، كما سيأتي البحث في ذلك إن شاء الله تعالى في المقصد الخامس. ١٩٨/١

والملخص من هذا: أن النبي ﷺ نال درجة الخلة التي اشتهرت لإبراهيم عليه الصلاة والسلام على وجه نطق إبراهيم بأن نصيب سيدنا محمد ﷺ منه الأعلى، بمفهوم قوله عن نفسه: إنما كنت خليلاً من وراء وراء فلم يشفع، ففيه دليل على أنه إنما يشفع من كان خليلاً لا من وراء وراء بل مع الكشف والعيان وقرب المكانة من حظيرة القدس، لا المكان، وذلك مقام محمد ﷺ بالدليل والبرهان.

ومما أعطيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، انفراده في أهل الأرض بعبادة الله تعالى وتوحيده، والانتصاب للأصنام بالكسر والقسر، أعطي سيدنا ﷺ كسرها بأسرها بمحضر من أولي نصرها

---

(١) ورد هذا اللفظ عند مسلم، كتاب الإيمان رقم ٣٢٩، وحديث الشفاعة في البخاري برقم (٧٥١٠).

بقضيب ليس مما يكسر إلا بقوة[1] ربانية ومادة إلهية، اجتزأ فيها بالأنفاس عن الفاس، وما عول على المعول، ولا عرض في القول ولا تمرض من الصول بل قال جهراً بغير سر: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً**﴾[2].

ومما أعطيه الخليل عليه الصلاة والسلام بناء البيت الحرام، ولا خفاء أن البيت جسد وروحه الحجر الأسود بل هو سويداء القلب، بل جاء «أنه يمين الرب»[3] كناية عن استلامه كما تستلم الأيمان عند عقد العهود والأيمان، وقد أعطي سيدنا محمد ﷺ أن قريشاً لما بنت البيت بعد تهدمه ولم يبق إلا وضع الحجر تنافسوا على الفخر الفخم والمجد الضخم، ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل، فاتفق دخول سيدنا محمد ﷺ فقالوا: هذا الأمين، فحكموه في ذلك فأمر ببسط ثوب ووضع الحجر فيه ثم قال: يرفع كل بطن بطرف، فرفعوه جميعاً، ثم أخذه سيدنا محمد ﷺ فوضعه في موضعه، فادخر الله تعالى له ذلك المقام ليكون منقبة له على مدى الأيام.

● وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من قلب العصا حية غير ناطقة، فأعطي سيدنا محمد ﷺ حنين الجذع، وقد مرت قصته.

وحكى الإمام الرازي ـ في تفسيره ـ وغيره: أنه لما أراد أبو جهل أن يرميه ﷺ بالحجر رأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوباً.

---

(١) في (ب، ط): بقدرة.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨١.

(٣) روى الديلمي عن أنس مرفوعاً: الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله.

وأما ما أعطيه موسى عليه السلام أيضاً من اليد البيضاء، وكان بياضها يغشى البصر، فأعطي سيدنا محمد ﷺ أنه لم يزل نوراً ينتقل في أصلاب الآباء وبطون الأمهات من لدن آدم إلى أن انتقل إلى عبدالله أبيه. وأعطى ﷺ قتادة بن النعمان وقد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجوناً[1] وقال: انطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشراً، ومن خلفك عشراً، فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج فإنه شيطان، فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج. رواه أبو نعيم.

وأخرج البيهقي، وصححه الحاكم عن أنس قال: كان عباد بن بشر وأسيد بن حضير عند رسول الله ﷺ في حاجة: حتى ذهب من الليل ساعة، وهي ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا، فأضاءت لهما عصا أحدهما، فمشيا في ضوئها، حتى إذا فترقت بهم الطريق أضاءت للآخر عصاه، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ هديه، ورواه البخاري بنحوه في الصحيح[2].

وأخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وأبو نعيم عن حمزة الأسلمي قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم[3] وإن أصابعي لتنير.

/١٩٨ ومما / أعطيه موسى عليه السلام أيضاً انفلاق البحر له، أعطي نبينا محمد ﷺ انشقاق القمر - كما مر - فموسى تصرف في عالم الأرض

---

(١) أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٦٥.

(٣) أي: وما أشرف على الهلاك منهم.

وسيدنا محمد ﷺ تصرف في عالم السماء، والفرق بينهما واضح، قاله ابن المنير.

وذكر ابن حبيب أن بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف، يكون بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطرة من البحر المحيط، قال[1]: فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا ﷺ حتى جاوزه ـ يعني ليلة الإسراء ـ وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام[2].

ومما أعطيه موسى عليه السلام إجابة دعائه، أعطي نبينا محمد ﷺ من ذلك ما لا يحصى.

ومما أعطيه موسى عليه السلام تفجير الماء له من الحجارة، أعطي سيدنا محمد ﷺ أن الماء تفجر من بين أصابعه، وهذا أبلغ لأن الحجر من جنس الأرض التي ينبع منها الماء، ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم، ويرحم الله القائل:

وكل معجزة للرسل قد سلفت ... وافى بأعجب منها عند إظهار

فما العصا حية تسعى بأعجب من ... شكوى البعير ولا من مشي أشجار

ولا انفجار معين[3] الماء من حجر ... أشد من سلسل من كفه جار

ومما أعطيه موسى عليه السلام الكلام، أعطي سيدنا محمد ﷺ

---

(١) أي ابن المنير.

(٢) هذا البحر ـ المكفوف ـ لم يذكره رواة الصحيح لمعجزة المعراج، وذكر ذلك بغير دليل يخالف المنهج العلمي الذي اختطه المنهج الإسلامي. والذي حدا ببعضهم إلى هذا التمحل هو إيجاد معجزة لنبينا محمد ﷺ بإزاء كل معجزة لنبي سابق. وهو منهج خاطئ، فالمعجزات أمر خارق للعادة لا يصح إثباته إلا بالحديث الصحيح . [المحقق].

(٣) في ط: عين.

مثله ليلة الإسراء وزيادة الدنو [والتدلي][1]، وأيضاً كان مقام المناجاة في حق نبينا ﷺ فوق السماوات العلى وسدرة المنتهى، والمستوى[2]، وحجب النور[3] والرفرف[4]، ومقام المناجاة لموسى عليه السلام طور سيناء.

● وأما ما أعطيه هارون عليه الصلاة والسلام من فصاحة اللسان، فقد كان نبينا ﷺ من الفصاحة والبلاغة بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل. ولقد قال له بعض أصحابه: ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال: وما يمنعني وإنما نزل القرآن بلساني، لسان عربي مبين.

وقد كانت فصاحة هارون غايتها في العبرانية، والعربية أفصح منها. وهل كانت فصاحة هارون معجزة أم لا؟ قال ابن المنير: الظاهر أنها لم تكن معجزة، ولكن فضيلة، ولم يتحد نبي من الأنبياء بالفصاحة إلا نبينا محمد ﷺ، لأن هذه الخصوصية لا تكون لغير الكتاب العزيز، وهل فصاحته ﷺ في جوامع الكلم التي ليست من التلاوة ولكنها معدودة من السنة، هل تحدى بها أم لا؟ فظاهر قوله ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم» أنه من التحدث بنعمة الله عليه وخصائصه، ولا خلاف أنها باعتبار ما اشتملت عليه من الإخبار بالمغيبات ونحوها معجزة.

● وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام من شطر الحسن، فأعطي نبينا ﷺ الحسن كله، وستأتي الإشارة إلى ذلك إن شاء الله تعالى في مقصد الإسراء. ومن تأمل ما نقلته في صفته تبين له

(١) في (ب، ش).
(٢) المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام.
(٣) قال الشارح: بالنسبة للمخلوق.
(٤) أي البساط.

من ذلك التفصيل التفضيل على كل مشهور بالحسن في كل جيل.

وأما ما أعطيه يوسف عليه السلام أيضاً من تعبير الرؤيا، فالذي نقل عنه من ذلك ثلاث منامات، أحدها: حين رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر، والثاني: منام صاحبي السجن، والثالث: منام الملك، وقد أعطي نبينا ﷺ من ذلك ما لا يدخله الحصر، ومن تصفح الأخبار وتتبع الآثار/ وجد من ذلك العجب العجاب، وستأتي نبذة من ذلك إن شاء الله تعالى. ١/١٩٩

● وأما ما أعطيه داود عليه الصلاة والسلام من تليين الحديد له، فكان إذا مسح الحديد لان، فأعطي نبينا ﷺ أن العود اليابس اخضر في يده وأورق، ومسح ﷺ شاة أم معبدة الجرباء، فبرئت ودرت.

● وأما ما أعطيه سليمان عليه الصلاة والسلام من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح، والملك الذي لم يعطه أحد من بعده، فقد أعطي سيدنا محمد ﷺ مثل ذلك وزيادة.

أما كلام الطير والوحش فنبينا ﷺ كلمه الحجر، وسبح في كفه الحصى، وهو جماد، وكلمه ذراع الشاة المسمومة ـ كما تقدم في غزوة خيبر ـ، وكذلك كلمه الظبي وشكا إليه البعير ـ كما مر ـ. وروي أن طيراً فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه ويكلمه فيقول: أيكم فجع هذا بولده، فقال رجل أنا فقال: اردد ولده. ذكره الرازي ورواه أبو داود بلفظ: كنا مع النبي ﷺ في سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش ـ أي تدنو ـ من الأرض، فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها، الحديث. وقصة كلام الذئب مشهورة[1].

---

(١) سبق تخريج ذلك والحديث عنه [المحقق].

وأما الريح التي كانت غدوها شهر ورواحها شهر، تحمله أين أراد من أقطار الأرض، فقد أعطي سيدنا محمد ﷺ البراق الذي هو أسرع من الريح، بل أسرع من البرق الخاطف، فحمله من الفرش إلى العرش في ساعة زمانية، وأقل مسافة ذلك سبعة آلاف سنة، وتلك مسافة السماوات، وأما إلى المستوى وإلى الرفرف فذلك ما لا يعلمه إلا الله تعالى. وأيضاً: فالريح سخرت لسليمان لتحمله إلى نواحي الأرض، ونبينا ﷺ زويت له الأرض - أي جمعت - حتى رأى مشارقها ومغاربها، وفرق بين من يسعى إلى الأرض، وبين من تسعى له الأرض.

وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين فقد روي أن أبا الشياطين إبليس اعترض سيدنا محمد ﷺ وهو في الصلاة، فأمكنه الله منه وربطه بسارية من سواري المسجد[1]. وخير مما أوتيه سليمان من ذلك إيمان الجن بمحمد ﷺ، فسليمان استخدمهم ومحمد استسلمهم.

وأما عد الجن من جنود سليمان في قوله تعالى: ﴿**وحشر لسليمان جنوده من الجن**﴾[2] فخير منه عد الملائكة، جبريل ومن معه من جملة أجناده ﷺ، باعتبار الجهاد وباعتبار تكثير السواد على طريقة الأجناد.

وأما عد الطير من جملة أجناده، فأعجب منه حمامة الغار

---

(١) الحديث في هذا المعنى في الصحيحين ولكن لم يصرحا بذكر إبليس بل الظاهر أن المراد غير إبليس ولفظ البخاري قال ﷺ: (إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان «رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي») رقم الحديث ٤٦١ وهو عند مسلم في كتاب المساجد برقم ٣٩. [المحقق].

(٢) سورة النمل، الآية ١٧.

وتوكيرها في الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه، والغرض من استكثار الجند إنما هو الحماية، وقد حصلت من أعظم شيء بأيسر شيء.

وأما ما أعطيه من الملك، فنبينا ﷺ خيّر بين أن يكون نبياً ملكاً ونبيا عبداً، فاختار ﷺ أن يكون نبياً عبداً. ولله در القائل:

يا خير عبد على كل الملوك ولي

● وأما ما أعطيه عيسى عليه الصلاة والسلام من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، فأعطي سيدنا محمد ﷺ أنه رد العين إلى مكانها بعدما سقطت فعادت أحسن ما كانت، وفي دلائل البيهقي قصة الرجل الذي قال للنبي ﷺ لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي، وفيه أنه ﷺ أتى قبرها فقال: يا فلانة، فقالت: لبيك وسعديك يا رسول الله، الحديث، وقد مر. وروي أن امرأة معاذ بن عفراء - وكانت برصاء - فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ فمسح عليها بعصا فأذهب الله البرص منها، ذكره الرازي، وأيضاً قد سبح الحصى في كفه ﷺ، وسلم عليه الحجر، وحن لفراقه الجذع، وذلك أبلغ من تكليم الموتى لأن هذا من جنس ما لا يتكلم.

١٩٩/ب وأما ما أعطيه عيسى أيضاً/ من أنه كان يعرف ما تخفيه الناس في بيوتهم، فقد أعطي نبينا ﷺ من ذلك ما لا يحصى، وسيأتي من ذلك إن شاء الله تعالى ما يكفي ويشفي.

وأما ما أعطيه عيسى أيضاً من رفعه إلى السماء، فقد أعطي نبينا ﷺ ذلك ليلة المعراج، وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجاة والحظوة في الحضرة المقدسة بالمشاهدات.

[ما خص به ﷺ]

وبالجملة: فقد خص الله تعالى نبينا ﷺ من خصائص التكريم بما لم يعطه أحداً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقد روى جابر عنه ﷺ أنه قال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل حيث كان، ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة) رواه البخاري. وفي رواية: (وبعثت إلى الناس كافة)[١].

وزاد البخاري في روايته ـ في الصلاة ـ عن محمد بن سنان (من الأنبياء)[٢].

وعند الإمام أحمد: (أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي، ولا أقوله فخراً) وفيه: (وأعطيت الشفاعة فاخترتها لأمتي، فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً). وإسناده كما قال ابن كثير جيد.

وليس المراد حصر خصائصه ﷺ في هذه الخمس المذكورة. فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون) فذكر الخمسة المذكورة في حديث جابر إلا الشفاعة، وزاد خصلتين وهما:

---

(١) هي في البخاري في كتاب الصلاة.

(٢) هي عند قوله: لم يعطهن أحد «من الأنبياء» قبلي.

أعطيت جوامع الكلم وختم بي النبيون، فتحصل منه ومن حديث جابر سبع خصال.

ولمسلم أيضاً من حديث حذيفة: (فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة) وذكر خصلة الأرض كما تقدم، قال: وذكر خصلة أخرى. وهذه الخصلة المبهمة قد بينها ابن خزيمة والنسائي، وهي: وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش، يشير إلى ما حطه الله تعالى عن أمته من الإصر وتحميل ما لا طاقة لهم به، ورفع الخطأ والنسيان، فصارت الخصال تسعاً.

ولأحمد من حديث علي أعطيت أربعاً لم يعطهن أحد من أنبياء الله تعالى [قبلي][1] أعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعلت أمتي خير الأمم، وذكر خصلة التراب، فصارت الخصال ثنتي عشرة خصلة.

وعند البزار من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه: فضلت على الأنبياء، غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وجعلت أمتي خير الأمم، وأعطيت الكوثر، وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه. وذكر ثنتين مما تقدم.

وله من حديث ابن عباس رفعه: فضلت على الأنبياء بخصلتين: كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه فأسلم. قال: ونسيت الأخرى.

فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة، ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع.

---

(١) في ش.

وقد ذكر أبو سعيد[1] النيسابوري في كتاب «شرف المصطفى» أن عدد الذي خص به ﷺ ستون خصلة. وطريق الجمع أن يقال: لعله ﷺ اطلع أولاً على بعض ما اختص له، ثم اطلع على الباقي. ومن لا يرى مفهوم العدد حجة يدفع هذا الإشكال من أصله. وقد ذكر بعض العلماء أنه ﷺ أوتي ثلاثة آلاف معجزة وخصيصية.

[الخلاف في فائدة العلم بالخصائص]

وقد اختلف في العلم بخصائصه ﷺ، فقال الصيمري من الشافعية: منع أبو علي بن خيران الكلام فيها، لأنه أمر انقضى فلا معنى للكلام فيه/. ١/٢٠٠

وقال إمام الحرمين: قال المحققون ذكر الاختلاف في مسائل الخصائص خبط غير مفيد، فإنه لا يتعلق به حكم ناجز تمس إليه حاجة، وإنما يجري الخلاف فيما لا يوجد بد من إثبات حكم فيه، فإن الأقيسة لا مجال لها، والأحكام الخاصة تتبع فيها النصوص، وما لا نص فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب من غير فائدة.

وقال النووي - في الروضة والتهذيب - بعد نقله هذين الكلامين: وقال سائر الأصحاب لا بأس به، وهو الصحيح، لما فيه من زيادة العلم، فهذا كلام الأصحاب، والصواب الجزم بجواز ذلك، بل استحبابه، ولو قيل وجوبه لم يكن بعيداً، لأنه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتاً في الحديث الصحيح فعمل به أخذاً بأصل التأسي، فوجب بيانها لتعرف، فلا يعمل بها، فأي فائدة أهم من هذه الفائدة، وأما ما يقع في ضمن الخصائص مما لا فائدة فيه اليوم فقليل

(١) في (ب، ط): سعد.

لا تخلو أبواب الفقه عن مثله للتدريب ومعرفة الأدلة، وتحقيق الشيء على ما هو عليه. انتهى كلام النووي.

[مراجع الخصائص]

وقد تتبعت ما شرف الله تعالى به نبينا ﷺ من الخصائص والآيات، وأكرمه به من الفضائل والكرامات من كتب العلماء، كالخصائص لابن سبع، وخصائص الروضة للنووي، ومختصرها للحجازي، وشرح الحاوي لابن الملقن، وشرح البهجة لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، واللفظ المكرم في خصائص النبي ﷺ للشيخ قطب الدين الخيضري، واستفدت منه كثيراً في فصل المعجزات، مع ما رأيته أثناء مطالعتي لفتح الباري، وشرح مسلم للنووي، وشرح تقريب الأسانيد للعراقي وغير ذلك مما يطول ذكره، فتحصل لي من ذلك جملة.

وقد قسمها غيَر واحد من الأئمة أربعة أقسام.

[القسم الأول: الخصائص من الواجبات]

الأول ما اختص به ﷺ من الواجبات، والحكمة في ذلك زيادة الزلفى والدرجات، فإنه لن يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترض عليهم. قال بعضهم: خص الله تعالى نبيه ﷺ بواجبات عليه لعلمه بأنه أقوم بها منهم، وقيل ليجعل أجره بها أعظم.

● فاختص ﷺ بوجوب الضحى على المذهب، لكن قول عائشة في الصحيح: (ما رأيت رسول الله ﷺ يسبح سبحة الضحى) يدل

على ضعف أنها كانت واجبة عليه. قال الحافظ ابن حجر: ولم يثبت ذلك في خبر صحيح. انتهى. وسيأتي مزيد لذلك إن شاء الله تعالى في ذكر صلاة الضحى في مقصد عباداته ﷺ.

وهل كان الواجب عليه أقل الضحى أو أكثرها، أو أدنى الكمال؟ قال الحجازي: لا نقل فيه، لكن في مسند أحمد: أمرت بركعتي الضحى ولم تؤمروا بهما.

• ومنها الوتر وركعتا الفجر، كما رواه الحاكم في المستدرك وغيره، ولفظ أحمد والطبراني: ثلاث علي فريضة وهن لكم تطوع، الوتر وركعتا الفجر وركعتا الضحى.

قال بعضهم: وقد ثبت أنه ﷺ صلى الوتر على الراحلة. قال: ولو كان واجبا لما جاز فعله على الراحلة.

وتعقب: بأن فعله على الراحلة من الخصائص أيضاً كما سيأتي فيما اختص به ﷺ من المباحات، إن شاء الله تعالى. وأجيب بأنه يحتاج إلى دليل.

وهل كان الواجب عليه أقل الوتر أم أكثره؟ أم أدنى الكمال؟ قال الحجازي: لم أر فيه نقلاً.

• ومنها صلاة الليل، قال تعالى: ﴿**ومن الليل فتهجد به نافلة لك**﴾[1] أي فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة، أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك، وهذا ما صححه الرافعي ونقله النووي عن الجمهور، ثم قال: وحكى الشيخ أبو حامد أن الشافعي نص على أنه نسخ وجوبه في حقه، كما نسخ في حق غيره.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٩.

● ومنها السواك، واستدلوا لـه بما رواه أبـو داود من حديث عبدالله بن أبي حنظلة بن أبي عامر أن رسول/ الله ﷺ أمر بالوضوء عند كل صلاة طاهراً أو غير طاهر، فلما شق عليه ذلك أمر بالسواك لكل صلاة. وفي إسناده محمد بن إسحاق، وقد رواه بالعنعنة وهـو مدلس. ٢٠٠/ب

وحجة من لم يجعله واجباً عليه، ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: ما جاءني جبريـل إلا أوصاني بالسواك حتى خشيت أن يفرض عـلي وعلى أمتي. وإسنـاده ضعيف. وروى أحمد في مسنده من حديث واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله ﷺ : أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب علي، وإسناده حسن. والخصائص لا تثبت إلا بدليل صحيح، قاله في شرح تقريب الأسانيد.

● ومنها الأضحية، قال الله تعالى: ﴿**فصل لربك وانحر**﴾[1]، وروى الدارقطني والحاكم عن ابن عباس أنه ﷺ قال: ثلاث هن علي فرائض، وهن لكم تطوع: النحر والوتر وركعتا الفجر.

● ومنها **المشاورة**، قال الله تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾[2]، فظاهره الإيجاب، ويقال إنـه استحباب، استـمالة للقلوب، ومعنـاه: استخـراج آرائهم، ونقـل البيهقي في «معـرفـة السنن والآثـار» عن النص[3]: أن المشورة غير واجبة عليه، كما نبه عليه الحجازي وغيره.

واختلف في المعنى الذي لأجله أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالمشاورة

---

(١) سورة الكوثر، الآية ٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

(٣) أي نص الشافعي.

مع كمال عقله وجزالة رأيه وتتابع الوحي عليه، ووجوب طاعته على أمته.

فقال بعضهم: هو خاص في المعنى، وإن كان عاماً في اللفظ، أي: وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد، يدل عليه قراءة ابن عباس: وشاورهم في بعض الأمر.

وقال الكلبي: يعني ناظرهم في لقاء العدو، ومكائد الحرب عند الغزو.

وقال قتادة ومقاتل: كانت سادات العرب إذا لم تشاور في الأمر شق عليهم، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يشاورهم، فإن ذلك أعطف لهم وأذهب لأضغانهم، وأطيب لنفوسهم.

وقال الحسن: قد علم الله أن ما به إليهم حاجة، ولكنه أراد أن يستن به من بعده.

وحكى القاضي أبو يعلى، في الذي أمر بالمشاورة فيه قولين: أحدهما: في أمر الدنيا خاصة، والثاني: في الدين والدنيا وهو الأصح، قاله المعافى بن زكريا في تفسيره.

والحكمة في المشاورة في الدين التنبيه لهم على علل الأحكام، وطريق الاجتهاد.

وأخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾ قال رسول الله ﷺ: أما إن الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لأمتي.

وعند الترمذي الحكيم من حديث عائشة، رفعته: إن الله أمرني بمداراة الناس، كما أمرني بإقامة الفرائض.

● ومنها مصابرة العدو وإن كثر عددهم.

● ومنها تغيير المنكر إذا رآه، لكن قد يقال: كل مكلف تمكن من تغييره يلزمه، فيقال: المراد أنه لا يسقط عنه ﷺ بالخوف بخلاف غيره.

● ومنها قضاء دين من مات مسلما معسرا، روى مسلم حديث: (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه، ومن ترك مالاً فلورثته).

قال النووي: كان هذا القضاء واجباً عليه ﷺ، وقيل: تبرع منه، والخلاف وجهان لأصحابنا وغيرهم، قال: ومعنى الحديث: أنه ﷺ قال: أنا قائم بمصالحكم في حياة أحدكم أو موته، أنا وليه في الحالين، فإن كان عليه دين قضيته من عندي إن لم يخلف وفاء، وإن كان له مال فلورثته، لا آخذ منه شيئاً، وإن خلف عيالاً محتاجين ضائعين فليأتوا إلي فعلي نفقتهم ومؤنتهم، انتهى.

وفي وجوب قضائه على الإمام من مال المصالح وجهان، / لكن قال الإمام: من استدان وبقي معسراً إلى أن مات لم يقض دينه من بيت المال، فإن كان ظلم بالمطل ففيه احتمال، والأولى: لا، والله أعلم.

1/201

● ومنها **تخيير نسائه** ﷺ في فراقه، وإمساكهن بعد أن اخترنه في أحد الوجهين، وترك التزوج عليهن والتبدل بهن مكافأة لهن، ثم نسخ ذلك، لتكون المنة له ﷺ عليهن، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها**﴾[1] الآية.

واختلف في تخييره لهن على قولين، أحدهما: أنه خيرهن بين

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٨.

اختيار الدنيا فيفارقهن، واختيار الآخرة فيمسكهن، ولم يخيرهن في الطلاق، وهذا هو قول الحسن وقتادة، والثاني: أنه خيرهن بين الطلاق والمقام معه، وهذا قول عائشة ومجاهد والشعبي ومقاتل.

واختلفوا في السبب الذي لأجله خير ﷺ نساءه على أقوال:

أحدها: أن الله تعالى خيره بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة على الدنيا، فاختار الآخرة وقال: اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين[1]، فلما اختار ذلك أمره الله تعالى بتخيير نسائه ليكن على مثل اختياره. حكاه أبو القاسم النميري.

الثاني: لأنهن تغايرن عليه.

والثالث: لأن أزواجه طالبنه وكان غير مستطيع، فكان أولهن أم سلمة سألته ستراً معلماً، وسألته ميمونة حلة يمانية، وسألته زينب ثوباً مخططاً وهو البرد اليماني، وسألته أم حبيبة ثوباً سحوليا، وسألته كل واحدة شيئاً إلا عائشة. حكاه النقاش.

والرابع: أن أزواجه ﷺ اجتمعن يوماً فقلن: نريد ما تريد النساء من الحلي فأنزل الله تعالى آية التخيير، حكاه النقاش أيضاً.

وذلك أنه لما نصر الله تعالى رسوله وفتح عليه قريظة والنضير، ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم، فقعدن حوله وقلن يا رسول الله، بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق. وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال، وأن يعاملن بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم، فأمره الله أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن لئلا يكون لأحد منهن عليه منة في الصبر على ما اختاره من خشونة العيش.

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره.

فلما اخترنه وصبرن معه عوضهن الله على صبرهن بأمرين: أحدهما، أن جعلهن أمهات المؤمنين تعظيماً لحقهن وتأكيداً لحرمتهن، وتفضيلهن على سائر النساء بقوله: ﴿**لستن كأحد من النساء**﴾[1]، والثاني: أن حرم الله عليه طلاقهن والاستبدال بهن فقال تعالى: ﴿**لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج**﴾[2] الآية، فكان تحريم طلاقهن مستداماً، وأما تحريم التزوج عليهن فنسخ، قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء، يعني اللاتي حرمن عليه، وقيل: الناسخ لتحريمهن قوله تعالى: ﴿**إنا أحللنا لك أزواجك**﴾[3] الآية.

وقال النووي في الروضة: لما خيرهن فاخترنه كافأهن على حسن صنيعهن بالجنة فقال: ﴿**فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً**﴾[4]. انتهى.

وإنما اختص ﷺ بوجوب التخيير لنسائه بين التسريح والإمساك، لأن الجمع بين عدد منهن يوغر صدورهن بالغيرة التي هي من أعظم الآلام، وهو إيذاء يكاد ينفر القلب ويوهن الاعتقاد، وكذا إلزامهن على الصبر والفقر يؤذيهن، ومهما ألقى زمام الأمر إليهن خرج عن أن يكون ضرراً، فنزه عن ذلك منصبه العالي. وقيل له: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك**﴾.

● ومنها: إتمام كل تطوع شرع فيه، حكاه في الروضة وأصلها، قال النووي: وهو ضعيف. وفرعه بعض الأصحاب[5]: على أنه كان

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٢.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٥٢.
(٣) سورة الأحزاب، الآية ٥٠.
(٤) سورة الأحزاب، الآية ٢٩.
(٥) في الأصل: بعضهم.

يحرم عليه ﷺ إذا لبس لأمته[1] أن ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل. ذكره في تهذيب الأسماء واللغات.

● ومنها: أنه كان يلزمه ﷺ أداء فرض الصلاة بلا خلل. قاله الماوردي: قال العراقي في شرح المهذب/: إنه كان معصوماً عن نقص الفرائض. انتهى، والمراد خلل لا يبطل الصلاة. ٢٠١/ب

● وقال بعضهم: كان يجب عليه ﷺ إذا رأى ما يعجبه أن يقول: لبيك إن العيش عيش الآخرة، ثم قال: هذه كلمة صدرت منه ﷺ في أنعم حالة، وهو يوم حجه بعرفة، وفي أشد حالة، وهو يوم الخندق، انتهى.

● ومنها: أنه ﷺ كان يؤخذ عن الدنيا حالة الوحي، ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وسائر الأحكام، كما ذكره في زوائد الروضة عن ابن القاص والقفال، وكذا ذكره ابن سبع.

● ومنها: **أنه كان ﷺ يغان على قلبه فيستغفر الله سبعين مرة.** ذكره ابن القاص ونقله ابن الملقن في الخصائص، ورواه مسلم وأبو داود من حديث الأغر المزني بلفظ: (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) هذا لفظ مسلم، وقال أبو داود «في كل يوم»، قال الشيخ ولي الدين بن العراقي[2]: والظاهر أن الجملة الثانية مرتبة على الأولى، وأن سبب الاستغفار: الغين، ويدل لذلك قوله في رواية النسائي في عمل اليوم والليلة: إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله كل يوم مائة مرة، وفي رواية له أيضاً: فاستغفر الله. وألفاظ الحديث يفسر بعضها بعضاً. ويحتمل من حيث اللفظ أن تكون الجملة الثانية

(١) أي درعه.
(٢) في ش: ولي الدين العراقي.

كلاماً برأسه غير متعلق بما قبله، فيكون ﷺ أخبر بأنه يغان على قلبه، وبأنه يستغفر الله في اليوم مائة مرة، انتهى.

وقال أبو عبيد: أصل الغين في هذا، ما يغشى القلب ويغطيه، وأصله: من غين السماء، وهو إطباق الغيم عليها.

وقال غيره: الغين يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية، كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس.

قال القاضي عياض ـ بعد حكايته ذلك ـ: فيكون المراد بهذا الغين إشارة إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان ﷺ دفع إليه من مقاساة البشر وسياسة الأمة ومعاناة الأهل، ومقاومة الولي والعدو[1]، ومصلحة النفس، وما كلفه من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة، وهو في كل هذا في طاعة ربه، وعبادة خالقه، ولكن لما كان ﷺ أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة، وأتمهم به معرفة، وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته، وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه، ومقامه هنالك أرفع حاليه، رأى ﷺ حالَ فترته عنها، وشغله بسواها غضاً من عليِّ حاله، وخفضاً من رفيع مقامه، فاستغفر الله من ذلك، قال: وهذا أولى وجوه الحديث وأشهرها، وإلى معنى ما أشرنا إليه مال كثير من الناس، وحام حوله فقارب ولم يرد، وقد قربنا غامض معناه، وكشفنا للمستفيد محياه، وهو مبني على جواز الفترة والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ، انتهى.

وتعقب: بأنه لا ترضى نسبته ﷺ إلى ذلك، لما يلزم عليه من تفضيل الملائكة بعدم الفترة عن التسبيح والمشاهدة، ولقوله ﷺ:

---

(١) أي القيام مع من يواليه بالمناصرة والحفظ، ودفع شر العدو.

«لست أنسى ولكن أُنسى لأسنّ» فهذه ليست فترة وإنما هي لحكمة مقصودة يثبت بها حكم شرعي، فالأولى أن يحمل على ما جعله علة فيه، وهو ما دفع إليه من مقاساة البشر وسياسة الأمة، ومعاناة الأهل، وحمل كل أعباء النبوة وحمل أثقالها. انتهى.

وقيل: الغين شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس، قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر: وهذا أشار إليه الرافعي في أماليه، وقال: إن والده كان يقرره.

وقيل: كانت حالة يطلع فيها على أحوال أمته فيستغفر لهم.

وقيل: هو السكينة التي تغشى قلبه، والاستغفار/ لإظهار ٢٠٢/ا العبودية لله تعالى، والشكر لما أولاه.

وقال شيخ الإسلام ابن العراقي أيضاً: هذه الجملة حالية، أخبر ﷺ أنه يغان على قلبه مع أن حاله الاستغفار في اليوم مائة مرة، وهي حال مقدرة، لأن الغين ليس موجوداً في حال الاستغفار، بل إذا جاء الاستغفار أذهب ذلك الغين. قال: وعلى تقدير تعلق إحدى الجملتين بالأخرى، وأن الثانية مسببة عن الأولى، فيحتمل أن يكون هذا الغين تغطية للقلب عن أمور الدنيا، وحجاباً بينه وبينها، فينجمع القلب حينئذٍ على الله تعالى ويتفرغ للاستغفار شكراً وملازمة للعبودية، قال: وهذا معنى ما قاله القاضي عياض، انتهى ومراده قوله في «الشفاء»: وقد يحتمل أن تكون هذه الإغانة حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذٍ شكراً لله تعالى، وملازمة لعبوديته إلى آخر كلامه.

قال الشيخ ابن العراقي: وهو عندي كلام حسن جداً، وتكون الجملة الثانية مسببة عن الأولى، لا بمعنى أنه يسعى بالاستغفار في إزالة الغين، بل بمعنى أن الغين أصل محمود، وهو الذي تسبب عنه

الاستغفار، وترتب عليه، وهذا أنزه الأقوال وأحسنها لأن الغين حينئذٍ وصف محمود وهو الذي نشأ عنه الاستغفار، وعلى الأول يكون «الغين» مما يسعى في إزالته بالاستغفار، وما ترتب الإشكال وجاء السؤال إلا على تفسير الغين بذلك، وأهل اللغة إنما فسروا الغين بالغشاء، فنحمله على غشاء يليق بحاله ﷺ، وهو الغشاء الذي يصرف القلب ويحجبه عن أمور الدنيا، لا سيما وقد رتب على الغشاء أمراً محموداً وهو الاستغفار، فما نشأ هذا الأمر الحسن إلا عن أمر حسن، انتهى.

وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه «لطائف المنن» أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فسألته عن هذا الحديث «إنه ليغان على قلبي» فقال لي: يا مبارك: ذلك غين الأنوار، لا غين الأغيار.

[القسم الثاني: الخصائص من المحرمات]

القسم الثاني: ما اختص به ﷺ مما حرم عليه:

● فمنها: تحريم الزكاة عليه، وكذا الصدقة على الصحيح المشهور المنصوص، قال ﷺ: (إنا لا نأكل الصدقة) رواه مسلم، ومن قال بإباحتها له يقول: لا يلزم من امتناعه من أكلها تحريمها، فلعله ترك ذلك تنزهاً مع إباحتها له، وهذا خلاف ظاهر الحديث. قال شيخ الإسلام ابن العراقي، في شرح التقريب: وعلى كل حال ففيه أن من خصائصه ﷺ الامتناع من أكل الصدقة إما وجوباً وإما تنزهاً، انتهى.

والحكمة من ذلك: صيانة منصبه الشريف عن أوساخ أموال الناس.

ومنها: تحريم الزكاة على آله ﷺ، وتحريم كون آله عمالاً على الزكاة في الأصح، وكذا يحرم صرف النذر والكفارة إليهم، وأما صدقة التطوع فتحل لهم في الأصح خلافاً للمالكية وهو وجه عندنا.

● ومنها: أنه يحرم عليه ﷺ أكل ما له رائحة كريهة، كثوم وبصل، لتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة.

والأكل متكئاً في أحد الوجهين فيهما، والأصح في الروضة كراهتهما، وتعقب السهيلي الاتكاء فقال: قد يكره لغيره أيضاً لأنه من فعل المتعظمين، وقد تقدم مزيد لذلك.

● ومنها: تحريم الكتابة والشعر، وإنما يتجه القول بتحريمهما ممن يقول إنه ﷺ كان يحسنهما، والأصح أنه كان لا يحسنهما، قال تعالى: **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾**[1] وقال تعالى: **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾**[2]، أي ما هو في طبعه، ولا يحسنه ولا تقتضيه جبلته ولا يصلح له.

وأجيب[3]: بأن المراد تحريم التوصل إليهما.

وهل عدم الشعر خاص به ﷺ أو بنوع الأنبياء؟ قال بعضهم: هو عام لقوله تعالى: **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾**/ لأنه لا يظهر فيه للخصوص نكتة. وتقدم في قصة الحديبية البحث في كونه ﷺ هل كان يحسن الكتابة أم لا. ٢٠٢/ب

● ومنها: نزع لأمته إذا لبسها، حتى يقاتل أو يحكم الله بينه وبين عدوه.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٨.

(٢) سورة يس، الآية ٦٩.

(٣) أي أجيب عن عدهما في الخصائص.

● ومنها: المن ليستكثر، ذكره الرافعي، قال الله تعالى: ﴿**ولا تمنن تستكثر**﴾[1] أي: لا تعط شيئاً لتعطى أكثر منه، بل أعط لربك، واقصد به وجهه، فأدبه بأشرف الآداب، قاله أكثر المفسرين، وقال الضحاك ومجاهد: هذا كان للنبي ﷺ خاصة، وليس على أحد من أمته، وقال قتادة: لا تعط شيئاً لمجازاة الدنيا، أي أعط لربك، وعن الحسن: لا تمنن على الله بعملك فتستكثره، وقيل: لا تمنن على الناس بالنبوة فتأخذ عليها أجراً وعوضاً من الدنيا.

● ومنها: مد العين إلى ما متع به الناس، قال الله تعالى: ﴿**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به**﴾ أي استحساناً له وتمنياً أن يكون لك مثله ﴿**أزواجاً منهم**﴾[2] أي أشكالاً وأشباهاً من الكفار، وهي المزاوجة بين الأشياء، وهي المشاكلة.

وعن ابن عباس: أصنافاً منهم، فإنه مستحقر بالإضافة إلى ما أوتيته، فإنه كمال مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذات.

● ومنها: خائنة الأعين، وهي الإيماء إلى مباح من قتل أو ضرب على خلاف ما يشعر به الحال، كما قيل له ﷺ في قصة رجل أراد قتله[3]: هلا أومأت إلينا بقتله، فقال: ما كان ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين[4].

ولا يحرم ذلك على غيره إلا في محظور، قاله الرافعي فيما نقله الحجازي في مختصر الروضة.

---

(١) سورة المدثر، الآية ٦.

(٢) سورة الحجر، الآية ٨٨.

(٣) هو عبدالله بن أبي سرح، وقد أسلم وحسن إسلامه.

(٤) رواه أبو داود والنسائي.

● ومنها: نكاح من لم تهاجر، في أحد الوجهين. قال الله تعالى: **﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾** أي مهورهن، سمى المهر أجراً لأن المهر أجر على البضع[1] وتقييد الإحلال بإعطائها معجله لا يتوقف الحل عليه، بل لإيثار الأفضل له، كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية في قوله: **﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك﴾** يعني من نساء بني زهرة **﴿اللاتي هاجرن معك﴾**[2] أي إلى المدينة، قالوا: والمراد هاجرن كما هاجرت، وإن لم تكن هجرتها في حال هجرته صلى الله عليه وسلم.

وظاهره يدل على أن الهجرة شرط في التحليل، وأن من لم تهاجر من النساء لم يحل له نكاحها. وقالت أم هانئ: خطبني ﷺ فاعتذرت إليه بعذر فعذرني، ثم أنزل الله تعالى: **﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾** إلى قوله: **﴿اللاتي هاجرن معك﴾** فلم أكن لأحل له، فإني لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء[3].

وعن بعض المفسرين: أن شرط الهجرة في التحليل منسوخ، ولم يذكر ناسخه.

وعن الماوردي قولان: أحدهما أن الهجرة شرط في إحلال كل النساء له ﷺ من غريبة وقريبة، والثاني: أنها شرط في إحلال بنات

---

(١) الأجر في اللغة المهر، قال في القاموس: الأجر ج أجور وآجار، والذكر الحسن والمهر ا.هـ وهذا الذي ذكره المصنف من أنه أجر على البضع لا يتناسب مع مفهوم قوله تعالى: **﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾** [المحقق].

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٥٠).

(٣) رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، عن ابن عباس.

عمه وبنات عماته المذكورات في الآية وليس شرطاً في إحلال الأجنبيات، وعنه أيضاً: أن المراد بالمهاجرات المسلمات.

● ومنها: تحريم إمساك من كرهته، قاله الحجازي وغيره.

● ومنها: نكاح الكتابية، لأن أزواجه أمهات المؤمنين وزوجات له في الآخرة، ومعه في درجته في الجنة، ولأنه ﷺ أشرف من أن يضع ماءه في رحم كافرة، قالوا: ولو نكح كتابية لهديت إلى الإسلام كرامة له.

● ومنها: نكاح الأمة المسلمة، ولو قدر نكاحه أمة كان ولده منها حراً، ولا تلزمه قيمته لتعذر الرق. قاله القاضي حسين، وقال أبو عاصم: تلزم، نقله الحجازي، ولا يشترط في حقه حينئذٍ خوف العنت ولا فقد الطول.

وأما التسري بالأمة فالأصح الحل، لأنه ﷺ استمتع بأمته ريحانة قبل أن تسلم، وعلى هذا، فهل عليه تخييرها بين أن تسلم فيمسكها أو تقيم على دينها فيفارقها؟ فيه وجهان: أحدهما: نعم لتكون من زوجاته في الآخرة، والثاني: لا، لأنه لما عرض على ريحانة الإسلام فأبت لم يزلها عن ملكه وأقام على الاستمتاع، وقد/ أسلمت بعد. ١/٢٠٣

● ومنها: تحريم الإغارة إذا سمع التكبير، كما ذكره ابن سبع في الخصائص.

[القسم الثالث: الخصائص من المباحات]

القسم الثالث: فيما اختص به ﷺ من المباحات:

● اختص ﷺ بإباحة المكث في المسجد جنباً، قاله صاحب

التلخيص. ومنعه القفال، قال النووي: وما قاله في التلخيص قد يحتج له بقوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري: يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك. قال الترمذي حسن غريب.

وقد يعترض على هذا الحديث بأن عطية ضعيف عند الجمهور.

ويجاب بأن الترمذي حكم بأنه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه، لكن إذا شاركه ﷺ علي في ذلك لم يكن من الخصائص.

وقد غلَّط إمام الحرمين وغيره صاحب التلخيص في الإباحة.

● واعلم أن معظم المباحات لم يفعلها ﷺ وإن جازت له.

● ومما اختص به أيضاً أنه لا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعاً، وفي اللمس وجهان، قال النووي: المذهب الجزم بانتقاضه به.

واستدل القائلون بالأول بنحو حديث عائشة، عند أبي داود، أن النبي ﷺ كان يقبل بعض أزواجه ثم يصلي ولا يتوضأ. ورواه النسائي أيضاً، وقال أبو داود: هو مرسل، إبراهيم التيمي لم يسمع من عائشة، وقال النسائي: ليس في هذا الباب حديث أحسن من هذا الحديث وإن كان مرسلاً.

● واختص أيضاً بإباحة الصلاة بعد العصر، فقد فاتته ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر. ثم واظب عليهما[1]، ذكره الحجازي[2]، وبجواز صلاة الوتر على الراحلة مع وجوبه عليه، كما ذكره في شرح المهذب وعبارته: كان من خصائصه ﷺ جواز فعل هذا

---

(١) رواه البخاري عن عائشة.

(٢) أي في جملة الخصائص.

الواجب الخاص به على الراحلة. وبالصلاة على الغائب عند أبي حنيفة ومالك.

● وبالقبلة في الصوم، مع قوة الشهوة، روى البخاري من حديث عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ يقبل بعض نسائه وهو صائم، وكان أملككم لإربه) قال الحافظ ابن حجر: فأشارت بذلك إلى أن الإباحة لمن يكون مالكاً لنفسه دون من لا يأمن الوقوع فيما يحرم. قال: وفي رواية حماد ـ عند النسائي ـ قال الأسود: قلت لعائشة: أيباشر الصائم؟ قالت: لا، قلت: أليس كان رسول الله ﷺ يباشر وهو صائم؟ قالت: إنه كان أملككم لإربه[1]. قال وظاهر هذا أنها اعتقدت خصوصية النبي ﷺ بذلك. قاله القرطبي، قال: وهو اجتهاد منها. ويدل على أنها لا ترى بتحريمها ولا بكونها من الخصائص: ما رواه مالك في الموطأ أن عائشة بنت طلحة كانت عند عائشة فدخل عليها زوجها وهو عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر فقالت له عائشة: ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتلاعبها وتقبلها؟ قال: أقبلها وأنا صائم؟ قالت: نعم.

● واختص أيضاً بإباحة الوصال في الصوم: كما سيأتي، وقال إمام الحرمين، هو قربة في حقه ﷺ.

● وأن يأخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج إليهما إذا احتاج، ويجب على صاحبهما البذل[2]. ويفدي بمهجته مهجة رسول

---

(١) بكسر الهمزة وإسكان الراء، أي عضوه، وبفتح الهمزة والراء، أي أغلبكم لهواه وحاجته.

(٢) هذه قضية مفترضة لم تحدث، ولا دليل على هذا الكلام من كتاب أو سنة، بل هناك دليل على عكس ذلك، فالمعروف من سيرته ﷺ أنه كان يؤثر على =

الله ﷺ . قال الله تعالى: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾[1]، ولو قصده ظالم وجب على من حضره أن يبذل نفسه دونه ﷺ ، كما وقاه طلحة بنفسه يوم أحد.

● وبإباحة النظر إلى الأجنبيات لعصمته، وسيأتي إن شاء الله تعالى في القسم الرابع حكم غيره ﷺ . وبجواز الخلوة بهن. قال في فتح الباري: الذي وضح لنا بالأدلة القوية أن من خصائصه ﷺ جواز الخلوة بالأجنبية/ والنظر إليها، ويدل له قصة أم حرام بنت ملحان في دخوله ﷺ عليها ونومه عندها وتفليتها رأسه، ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية، انتهى. ٢٠٣/ب

● ومنها نكاح أكثر من أربع نسوة، وكذلك الأنبياء، وفي الزيادة لنبينا ﷺ على التسع خلاف.

● ويجوز له النكاح بلفظ الهبة من جهة المرأة، قال الله تعالى: ﴿**وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي**﴾[2]، وأما من جهته ﷺ فلا بد من لفظ النكاح أو التزويج على الأصح في أصل الروضة، وحكاه الرافعي عن ترجيح الشيخ أبي حامد لظاهر قوله تعالى: ﴿**إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك**﴾

قال البيضاوي: في قوله تعالى: ﴿**وامرأة مؤمنة**﴾ الآية، أي

= نفسه. وأما الاستشهاد بالآية ﴿**النبي أولى المؤمنين..**﴾ فهو استشهاد في غير موضعه وبالرجوع إلى تفسير الآية يعلم أنها ليست دليلاً على ما ذهب إليه المصنف. بل إن مكارم الأخلاق التي تعارف عليها الناس تأبى هذا فما بالنا بمن جعله الله أسوة للناس؟! [المحقق].

(١) سورة الأحزاب، الآية ٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٥٠.

أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تـطلب مهراً إن اتفق [ذلك][1]، ولذلك نكَّرها.

واختلف في ذلك[2] والقائل به ذكر أنها ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة الأنصارية، وأم شريك بنت جابر، وخولـة بنت حكيم، قال: وقرئ «أن» بالفتح، أي لأن وهبت، أو مدة أن وهبت، كقولك: اجلس ما دام زيد خالساً، قال: وقوله (إن أراد النبي أن يستنكحها) شرط للشرط الأول في استحباب الحل، فإن هبتها نفسها منه لا توجب له إلا بإرادته نكاحها، فإنها جارية مجرى القبول، قال: والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ «النبي» ﷺ مكرراً. ثم الرجوع إليه في قوله: ﴿**خالصة لك من دون المؤمنين**﴾ إيذان بأنه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لأجله. انتهى.

وقال المعافى: وفي معنى «خالصة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن المرأة إذا وهبت نفسها له يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين. قاله أنس ابن مالك وابن المسيب. والثاني: أن له أن ينكحها بلا ولي ولا شهود دون غيره. قاله قتادة، والثالث: خالصة لك أن تملك عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين، قال: وهذا قول الشافعي وأحمد، وعن أبي حنيفة ينعقد النكاح بلفظ الهبة لغيره ﷺ أيضاً.

● وكذا يجوز له ﷺ النكاح بلا مهر ابتداء وانتهاء، كما تقدم أن المرأة إذا وهبت نفسها له ﷺ لا يلزمه صداقها. قال النووي: إذا وهبت امرأة نفسها له ﷺ فتزوجها بلا مهر حل له ذلك، ولا يجب

---

(١) في (ب، ط).

(٢) أي في وجود امرأة عنده ﷺ وهبت نفسها له، وقد نفى ابن عباس ذلك.

عليه بعد ذلك مهرها بالدخول، ولا بغير ذلك، بخلاف غيره فإنه لا يخلو نكاحه من وجوب مهر، إما مسمى وإما مهر المثل والله أعلم.

● وكذا يجوز له النكاح في حال الإحرام، قال النووي في شرح مسلم: قال جماعة من أصحابنا أنه ﷺ كان له أن يتزوج في حال الإحرام، وهو مما خص به دون الأمة، قال: وهذا أصح الوجهين عند أصحابنا. انتهى.

● وكذا يجوز له ﷺ النكاح بغير رضى المرأة، فلو رغب في نكاح امرأة خلية لزمها الإجابة، وحرم على غيره خطبتها، أو متزوجة وجب على زوجها طلاقها(١).

قال الغزالي(٢): ولعل السر فيه من جانب الزوج امتحان إيمانه

---

(١) هذه أمور لم تحدث، ولا دليل على أن الحكم كذلك لو حدثت، والغريب أن يفكر بعض الفقهاء - رحمهم الله - بهذه الطريقة، بل الغريب أن يتبادر لذهن مسلم أن ذلك يمكن أن يصدر عن النبي ﷺ، فهل يعقل أن يتزوج امرأة بغير رضاها، وهو الذي أمره الله تعالى أن يخير نساءه اللواتي في عصمته حتى يكون لهن كامل الرضى في استمرارهن معه؟!
والأدهى من ذلك أن يتمادى تصور بعضهم إلى أنه من خصوصياته إذا رغب في امرأة متزوجة أن على زوجها أن يطلقها له؟؟ ونتساءل: ما الفرق إذن بين الطغاة من الظلمة المتسلطين على الناس الذين يفعلون ذلك وبين الخصوصيات النبوية؟؟ إن هذا لو صدر من إنسان عادي من الناس لوصف بأسوأ الصفات، فكيف سمح للبعض تفكيرهم بأن يحدثوا له ﷺ هذه الخصوصية التي هو منها بريء في واقع الحقيقة والحال، كما هو بريء منها في تصور كل مسلم واع ينزه النبي ﷺ عن الصفات الرديئة. وكان يحسن بالمصنف أن ينزه كتابه عن ذكر هذه الأمور التي لا يحل نقلها لما فيها من طعن في الصفات التي ينبغي أن تكون لرسل الله تعالى. [المحقق].

(٢) نستغرب أن يكون الإمام الغزالي واحداً ممن أدلى بدلوه في هذه المسألة =

بتكليف النزول عن أهله، فإنه ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وولده والناس أجمعين)[1].

ويدل لهذه الخصيصة قصة زينب بنت جحش[2]، بنت عمته ﷺ أميمة بنت عبد المطلب، المنصوص عليها بقوله تعالى: ﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه**﴾ أي بنعمة الإسلام وهي أجل النعم ﴿**وأنعمت عليه**﴾ أي بالإعتاق بتوفيق الله لك، وهو زيد بن حارثة الكلبي، وكان من سبي الجاهلية، فملكه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه وخطب له زينب فأبت هي وأخوها عبدالله، ثم رضيا لما نزل قوله تعالى: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة**﴾ الآية وكان الرجل في الجاهلية/ وصدر الإسلام إذا تبنى ولد غيره يدعوه الناس به ويرث ميراثه وتحرم عليه زوجته، فنسخ الله تعالى التبني بقوله تعالى: ﴿**ادعوهم لآبائهم**﴾ وبهذه القصة يثبت الحكم بالقول والفعل، فأوحى الله إليه أن زيداً سيطلقها، وأنه ﷺ يتزوجها، وألقى في قلب زيد كراهتها فأراد فراقها فأتى رسول الله ﷺ فقال إني أريد أن أفارق صاحبتي قال مالك؟ أرابك منها شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله ما

١/٢٠٤

= المتخيلة، وأن يفهم الحديث من هذه الزاوية، علماً بأن الحديث عام ولا يدخل فيه هذا التصور [المحقق].

(١) الحديث في الصحيحين وغيرهما.

(٢) هذه القصة التي ساقها المصنف لا تدل على هذه الخصيصة ولا تصح شاهداً عليها، ولذا لم يبين وجه الشبه ورحم الله الإمام السبكي حيث قال: «. . . ولم يكن ﷺ تعجبه امرأة أحد من الناس، وقصة زينب إنما جعلها الله تعالى ـ كما في سورة الأحزاب ـ قطعاً لقول الناس: إن زيداً ابن محمد، وإبطالاً للتبني، قال: وبالجملة فهذا الموضع من منكرات كلامهم في الخصائص، وقد بالغوا في هذا الباب في مواضع واقتحموا فيها عظائم لقد كانوا في غنية عنها. شرح الزرقاني ٥/٢٣٥» [المحقق].

رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم علي بشرفها وتؤذيني بلسانها، فقال رسول الله ﷺ : ﴿**أمسك عليك زوجك واتق الله**﴾ أي في أمرها، فلا تـطلقها ضراراً وتعللاً ﴿**فلما قضى زيد منها وطراً**﴾ ولم يبق له فيهـا حاجة، وطلقها وانقضت عدتها زوجها الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿**زوجناكها**﴾ والمعنى أنه أمره بـتزويجها منـه، أو جعلها زوجتـه بلا واسطة عقد. ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء رسول الله ﷺ : إن الله تولى نكاحي، وأنتن زوجكن أولياؤكن.

وقيل إن زيداً كان السفير للتزويج[1]، وفي ذلك لزيد ابتـلاء عظيم وشاهد بين على قوة إيمانه.

وقد علل تعالى تزويجه إياها بقوله: ﴿**لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم**﴾ أي في أن يتزوجوا زوجات من كانوا يتبنونه إذا فارقوهن، وأن هؤلاء الزوجات ليست داخلات فيما حرم في قوله: ﴿**وحلائل أبنائكم**﴾.

وأما قوله: ﴿**وتخفي في نفسك**﴾ فمعناه: علمك أنه سيطلقها وتتزوجها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر في شيء أباحه لـه، بأن قال: ﴿**أمسك عليك زوجك**﴾ مع علمه أنه سيطلق، وهذا مروي عن علي بن الحسين، وعليه أهل التحقيق من المفسرين، كالزهري، وبكر بن العلاء، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم.

والمراد بقوله: ﴿**وتخشى الناس**﴾ إنما هو في إرجاف المنافقين في تزويج نسـاء الأبناء، والنبي ﷺ معصـوم في الحركـات والسكنات. ولبعض المفسرين هنا كلام لا يليق بمنصب النبوة.

---

(١) أخرج ذلك أحمد ومسلم والنسائي.

وقيل قوله: ﴿واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ خطاب من الله تعالى، أو من الرسول ﷺ لزيد، فإنه أخفى الميل إليها وأظهر الرغبة عنها لما توهم أن رسول الله ﷺ يريد أن تكون من نسائه.

قال جار الله: وكم من شيء مباح يتحفظ الإنسان منه ويستحي من إطلاع الناس عليه، فطموح قلب الإنسان إلى بعض مشتهياته من امرأة وغيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع، وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح أيضاً، وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب إليه، ولم يكن مستكرهاً عندهم أن ينزل الرجل منهم عن امرأته لصديقه ولا مستهجناً إذا نزل عنها أن ينكحها آخر، فإن المهاجرين حين دخلوا المدينة واستهم الأنصار بكل شيء، حتى إن الرجل منهم إذا كانت له امرأتان نزل عن إحداهما وأنكحها المهاجري[1]، فإذا كان الأمر مباحاً من جميع جهاته لم يكن فيه وجه من وجوه القبح. انتهى.

● وكذا يجوز له ﷺ النكاح بلا ولي وبلا شهود. قال النووي: الصحيح المشهور عند أصحابنا صحة نكاحه ﷺ بلا ولي ولا شهود لعدم الحاجة إلى ذلك في حقه عليه السلام، وهذا الخلاف في غير زينب أما زينب فمنصوص عليها والله أعلم.

قال العلماء: إنما اعتبروا الولي للمحافظة على الكفاءة، وهو ﷺ فوق الأكفاء، وإنما اعتبر الشهود لأمن الجحود، وهو ﷺ لا يجحد ولو

---

(١) رحم الله الزمخشري فإنه لا حاجة لهذه التبريرات. فإن الرسول ﷺ لم يستنزل زيداً عن امرأته ـ كما ذكر ذلك ـ ولا تنازل هو للنبي، وإنما طلق زوجته وهو لا يدري من سيتزوجها، ثم كان أمر الله تعالى للنبي أن يتزوجها إبطالاً لقضية التبني. [المحقق].

جحدت هي لم يرجع إلى قولها، بل قال العراقي/ في شرح المهذب، ٢٠٤/د تكون كافرة بتكذيبه.

وكان له ﷺ تزويج المرأة ممن شاء بغير إذنها وإذن وليها، وله إجبار الصغيرة من غير بناته، وزوج ابنة حمزة مع وجود عمها العباس، فيقدم على الأب.

وزوجه الله تعالى بزينب، فدخل عليها بـتزويج الله من غير عقد من نفسه. وعبر في الروضة عن هذا بقوله: وكانت المـرأة تحل لـه بتحليل الله تعالى.

● وأعتق أمته صفية وجعل عتقها صداقها[١] وقد اختلف في معناه، فقيل إنه أعتقها بشرط أن يتزوجها، فوجب له عليها قيمتها وكانت معلومة، فتزوجها بها، ويؤيده: قوله في رواية عبد العزيز بن صهيب: سمعت أنسـاً قال: سبى رسـول الله ﷺ صفية فـأعتقهـا وتزوجها، فقال ثابت لأنس: ما أصدقها، قال: نفسها فأعتقها، هكذا أخرجه البخاري في المغازي. وفي رواية حماد عن ثابت وعبد العزيز عن أنس في حديثه قال: وصارت صفية لرسول الله ﷺ ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها. قال عبد العزيز لثابت: يا أبا محمد أنت سألت أنساً ما أمهرها؟ قال: أمهرها نفسها، فتبسم[٢]. فهو ظاهر جداً في أن المجعول مهراً هو نفس العتق. والتأويل الأول لا بأس به، فإنه لا منافاة بينه وبين القواعد حتى لو كانت القيمة مجهولة، فإن في صحة العقد بالشرط المذكور وجهاً عند الشافعية.

---

(١) أخرجه البخاري عن أنس.

(٢) أي ثابت.

وقال آخرون: بل جعل نفس العتق المهر، ولكنه من خصائصه، وممن جزم بذلك الماوردي.

وقال آخرون: قوله: «أعتقها وتزوجها» معناه: أعتقها ثم تزوجها، فلما لم يعلم أنه ساق لها صداقاً قال: أصدقها نفسها، أي: لم يصدقها شيئاً فيما أعلم، ولم ينف أصل الصداق، ومن ثم قال أبو الطيب الطبري من الشافعية، وابن المرابط من المالكية ومن تبعهم: أنه قول أنس قاله ظناً من قبل نفسه ولم يرفعه. ويعارضه ما أخرجه الطبراني وأبو الشيخ من حديث صفية نفسها قالت: أعتقني النبي ﷺ وجعل عتقي صداقي. وهذا موافق لحديث أنس، وفيه رد على من قال: إن أنساً قال ذلك بناء على ظنه.

ويحتمل أن يكون أعتقها بشرط أن ينكحها من غير مهر، فلزمها الوفاء بذلك، وهذا خاص بالنبي ﷺ دون غيره.

ويحتمل: أنه أعتقها بغير عوض، وتزوجها بغير مهر في الحال، ولا في المآل، قال ابن الصلاح: معناه أن العتق حل محل الصداق وإن لم يكن صداقاً، قال: وهذا كقولهم الجوع زاد من لا زاد له، قال: وهذا الوجه أصح الأوجه وأقربها إلى لفظ الحديث، وتبعه النووي في «الروضة».

وممن جزم بأن ذلك كان من الخصائص يحيى بن أكثم فيما أخرجه البيهقي قال: وكذا نقله المزني عن الشافعي قال: وموضع الخصوصية، أنه أعتقها مطلقاً وتزوجها بغير مهر ولا شهود، وهذا بخلاف غيره. انتهى.

وقال النووي في شرح مسلم: الصحيح الذي اختاره المحققون،

أنه أعتقها تبرعاً بلا عوض ولا شرط، ثم تزوجها برضاها من غير صداق، والله أعلم. قاله الحافظ ابن حجر.

• واختلف في انحصار طلاقه ﷺ في الثلاث، وعلى الحصر، قيل: تحل له من غير محلل، وقيل: لا تحل له أبداً.

• وكان له نكاح المعتدة في أحد الوجهين، قال النووي: الصواب بامتناع نكاح المعتدة من غيره، والله أعلم.

• وفي وجوب نفقة زوجاته وجهان، قال النووي: الصحيح: الوجوب، انتهى.

ولا يجب عليه القسم فيما قاله طوائف من أهل العلم، وبه جزم الإصطخري من الشافعية، والمشهور عندهم وعند الأكثرين الوجوب.

وفي حل الجمع له بين المرأة وخالتها وعمتها وجهان، لا أختها وبنتها وأمها، قالوا: ومرجع غالب هذه الخصائص إلى أن النكاح في حقه كالتسري في حقنا.

• وكان له ﷺ أن يصطفي ما شاء من المغنم قبل القسمة من جارية وغيرها.

• وأبيح له القتال بمكة والقتل بها، وجواز/ دخول مكة بغير إحرام مطلقاً. ذكره ابن القاص، واستدلوا له بحديث أنس عند الستة: (دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر) وذلك من كونه ﷺ كان مستور الرأس بالمغفر، والمحرم يجب عليه كشف رأسه. ومن تصريح جابر والزهري ومالك بأنه لم يكن محرماً. ١/٢٠٥

وأبدى ابن دقيق العيد لستر الرأس احتمالاً فقال: يحتمل أن يكون لعذر. انتهى.

وتعقبه الشيخ ولي الدين ابن العراقي فقال: هذا يرده تصريح جابر وغيره: قال: وهذا الاستدلال في غير موضع الخلاف المشهور،

لأنه ﷺ كان خائفاً من القتال متأهباً، ومن كان كذلك فله الدخول عندنا بلا إحرام بلا خلاف عندنا[1]، ولا عند أحد[2] نعلمه.

وقد استشكل النووي في شرح المهذب ذلك، لأن مذهب الشافعي أن مكة فتحت صلحاً خلافاً لأبي حنيفة في قوله: إنها فتحت عنوة، وحينئذٍ فلا خوف.

ثم أجاب عنه: بأنه ﷺ صالح أبا سفيان، وكان لا يأمن غدر أهل مكة، فدخلها صلحاً وهو متأهب للقتال إن غدروا. انتهى.

وقد ذكرت ما في فتح مكة من المباحث في قصة فتحها من المقصد الأول.

ثم إن غيره ﷺ إذا لم يكن خائفاً، فقال أصحابنا: إن لم يكن ممن يتكرر دخوله، ففي وجوب الإحرام عليه قولان: أصحهما عند أكثرهم: أنه لا يجب، وقطع به بعضهم، فإن تكرر دخوله كالحطابين ونحوهم ففيه خلاف مرتب و[هو][3] أولى بعدم الوجوب وهو المذهب.

وقال الحنابلة بوجوب الإحرام إلا على الخائف وأصحاب الحاجات، وأوجبه المالكية في المشهور عندهم على غير ذوي الحاجات المتكررة، وأوجبه الحنفية مطلقاً إلا من كان داخل الميقات.

وقد تحرر أن المشهور من مذهب الشافعي: عدم الوجوب مطلقاً. ومن مذاهب الأئمة الثلاثة الوجوب إلا فيما استثنى.

---

(١) أي الشافعية.

(٢) في ط أحمد.

(٣) في ش.

● ومن خصائصه ﷺ أنه كان يقضي بعلمه من غير خلاف.

وأن يقضي لنفسه ولولده، وأن يشهد لنفسه ولولده[1].

ولا تكره له الفتوى والقضاء في حال الغضب، كما ذكره النووي في شرح مسلم، وقد قضى للزبير بشراج الحرة[2] بعد أن أغضبه خصم الزبير. لعصمته ﷺ، فلا يقول في الغضب إلا كما يقول في الرضى.

● وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة[3]، وليس لنا أن نصلي إلا على نبي أو ملك.

● وكان له أن يقتل بعد الأمان[4]، وأن يلعن من شاء بغير سبب: واستبعد ذلك[5].

● وجعل الله شتمه ولعنه قربة للمشتوم والملعون لدعائه ﷺ[6]

---

(١) وهذا لم يحدث منه ﷺ [المحقق].

(٢) موضع معروف بالمدينة. والمراد مجاري الماء الذي تسيل منه.

(٣) كما ورد في الصحيحين (... اللهم صل على آل أبي أوفى).

(٤) قال الشارح: كذا نقله إمام الحرمين والرافعي وغيرهما عن ابن القاص. وخطؤوه فيه..

أقول: كيف يكون هذا؟ والرسول ﷺ لم يقبل - كما سبق - أن تكون له خائنة الأعين، فهل تكون الخيانة بكاملها خصوصية له؟؟ ومرة أخرى كنا نتمنى لو أن المصنف نزه كتابه عن هذه الأقوال الساقطة [المحقق].

(٥) انظر التعليق السابق.

(٦) روى الشيخان قوله ﷺ :(اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه إنما أنا بشر فأيما مؤمن أذيته أو شتمته أو جلدته أو لعنته فاجعلها صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة).

[بذلك][1]. قاله ابن القاص، وردوه عليه، حكاه الحجازي في مختصر الروضة عن نقل الرافعي.

● وكان يقطع الأراضي قبل فتحها، لأن الله ملكه الأرض كلها. وأفتى الغزالي بكفر من عارض أولاد تميم الداري فيما أقطعهم. وقال: إنه ﷺ كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى[2].

[القسم الرابع: خصائص الفضائل]

القسم الرابع فيما اختص به ﷺ من الفضائل والكرامات.

[ما يتعلق بخلقه وولادته ﷺ]

● منها: أنه أول النبيين خلقاً، كما تقرر في أول هذا الكتاب، وأنه كان نبياً وآدم بين الروح والجسد، رواه الترمذي من حديث أبي هريرة.

● ومنها: أنه أول من أخذ عليه الميثاق كما مر.

● ومنها: أنه أول من قال: «بلى» يوم «ألست بربكم» رواه أبو سهل القطان في جزء من أماليه[3].

● ومنها: أن آدم وجميع المخلوقات خلقوا لأجله، رواه البيهقي وغيره.

---

(١) في ش.

(٢) إن كان المقصود أنه ﷺ بشَّر بعض أصحابه بالجنة فذلك وارد، وإن كان غير ذلك فيحتاج إلى دليل. [المحقق].

(٣) إسناده ضعيف.

● ومنها: أن الله كتب اسمه الشريف على العرش، وعلى كل سماء، وعلى الجنان وما فيها. رواه ابن عساكر عن كعب الأحبار[1].

● ومنها: أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين، آدم فمن بعده، أن يؤمنوا/به وينصروه، قال الله تعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه**﴾[2] قال علي بن أبي طالب: لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه[3]. ٢٠٥/ب

● ومنها: أنه وقع التبشير به في الكتب السالفة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

● ومنها: أنه لم يقع في نسبه من لدن آدم سفاح. رواه البيهقي والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل.

● ومنها: أنه نكست الأصنام لمولده رواه الخرائطي - في الهواتف - وغيره.

● ومنها: أنه ولد مختوناً مقطوع السرة، رواه الطبراني، وتقدم ما فيه من البحث في أول الكتاب.

● ومنها: أنه خرج نظيفاً، ما به قذر، رواه ابن سعد.

● ومنها: أنه وقع إلى الأرض ساجداً رافعاً أصبعيه كالمتضرع المبتهل. رواه أبو نعيم من حديث ابن عباس. ورأت أمه عند ولادته

---

(١) هو من الإسرائيليات، وحكم بعض الحفاظ بوضعه.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨١.

(٣) رواه ابن جرير في تفسير الآية المذكورة.

نوراً خرج منها أضاء له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات الأنبياء. رواه الإمام أحمد، وكان مهده ﷺ يتحرك بتحريك الملائكة، كما ذكره ابن سبع في الخصائص، وكان القمر يحدثه وهو في مهده، ويميل حيث أشار إليه، رواه ابن طغر بك في «النطق المفهوم» وغيره. وتكلم في المهد، رواه الواقدي وابن سبع، وظللته الغمامة في الحر، رواه أبو نعيم والبيهقي، ومال إليه فيء الشجرة إذا سبق إليه، رواه البيهقي.

- ومنها: شق صدره الشريف. رواه مسلم وغيره.

- **وغطه جبريل عند ابتداء الوحي ثلاث غطات. عدَّ هذه بعضهم من خصائصه ﷺ كما نقله الحافظ ابن حجر، قال: ولم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه جرى له عند ابتداء الوحي.**

[ذكره في القرآن عضواً عضواً]

- ومنها: أن الله تعالى ذكره في القرآن عضواً عضواً، فقلبه بقوله: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾[1] وقوله: ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك**﴾[2]، ولسانه بقوله: ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾[3]، وقوله: ﴿**فإنما يسرناه بلسانك**﴾[4]، وبصره بقوله: ﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾[5]، ووجهه بقوله: ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء**﴾[6]،

---

(١) سورة النجم، الآية ١١.
(٢) سورة الشعراء، الآية ١٩٤.
(٣) سورة النجم، الآية ٣.
(٤) سورة مريم، الآية ٩٧.
(٥) سورة النجم، الآية ١٧.
(٦) سورة البقرة، الآية ١٤٤.

ويده وعنقه بقوله: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾[1]، وظهره وصدره بقوله: ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك﴾[2]، واشتق اسمه من اسم الله «المحمود» ويشهد له ما أخرجه البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد[3] قال: كان أبو طالب يقول:

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وهو مشهور لحسان بن ثابت.

وسمي أحمد، ولم يسم به أحد قبله. رواه مسلم. ولأحمد من حديث علي: أعطيت أربعاً لم يعطهن أحد قبلي فذكر منها: وسميت أحمد.

[خصائص في بعض صفاته]

- ومنها أنه ﷺ كان يبيت جائعاً، ويصبح طاعماً يطعمه ربه ويسقيه من الجنة، كما سيأتي البحث فيه إن شاء الله تعالى في صيامه ﷺ من مقصد عباداته.

- وكان يرى من خلفه كما يرى أمامه. رواه مسلم.

ويرى في الليل وفي الظلمة كما يرى بالنهار والضوء. رواه البيهقي.

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٩.

(٢) سورة الشرح الآية ١ ـ ٣.

(٣) كذا في ش وفي النسخ يزيد، قال الشارح: علي بن زيد بن عبدالله بن زهير بن عبدالله بن جدعان.

● وكان ريقه يعذب الماء الملح، رواه أبو نعيم. ويجزي الرضيع، رواه البيهقي.

● ومنها: أنه ﷺ كان إذا مشى في الصخر غاصت قدماه فيه، كما هو مشهور قديماً وحديثاً على الألسنة[1]، ونطق به الشعراء في منظومهم، والبلغاء في منثورهم، مع اعتضاده[2] بوجود أثر قدمي الخليل إبراهيم عليه السلام في حجر المقام المنوه به في التنزيل في قوله تعالى: ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾ وهو البالغ تعيينه ـ وأنه أثره ـ مبلغ التواتر، القائل فيه أبو طالب.

ومـوطئ إبـراهيم في الصخـر رطبـة على قـدميـه حـافيـاً غيرنـا عـل

وبما في البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً من معجزة تأثير ضرب موسى في الحجر ستاً أو سبعاً إذ فرَّ/ بثوبه لما اغتسل. إذ ما خص نبي بشيء من المعجزات والكرامات إلا ولنبينا ﷺ مثله، كما نصوا عليه[3]، مع ما يؤيد ذلك: وهو وجود أثر حافر بغلته الشريفة ـ على ما قيل ـ في مسجد بطيبة، حتى عرف المسجد بها، بحيث يقال له

١/٢٠٦

(١) أنكره الحافظ السيوطي وقال: لم أقف له على أصل ولا سند، ولا رأيت من خرجه في شيء من كتب الحديث، وكذا أنكره غيره.

(٢) من الواضح أن هذا ليس بعاضد [المحقق].

(٣) ونتساءل فنقول: من الذي نص على ذلك؟! إن الله أعطى لكل نبي من المعجزات ما يتناسب مع عصره وقومه... ليكون له الحجة عليهم من جنس ما يتقنون.. وليس من الضرورة أن يكون للرسول ﷺ من المعجزات ما يماثل تلك المعجزات السابقة لجميع الأنبياء. إن هذا الافتراض الذي أقامه بعضهم وجعله أصلاً ونصاً هو الذي أدى إلى هذا التكلف، بإيراد ما ليس له أصل، أو التمسك بالضعيف من الأحاديث في مسألة لا ينبغي أن يقبل فيها إلا ما صح من الأحاديث وحسب [المحقق]

مسجد البغلة[1]، وما ذاك إلا من سره الساري فيها ليكـون ذلك أقوى في الآية. وأوضح في الدلالة على إيتائه ﷺ هذه الآية التي أوتيها الخليل في حجر المقام على وجه أعلى منه.

بل قال الزبير بن بكـار فيما نقله المجـد الشيرازي في المغـانم المطابة بعد ذكره لأثر البغلة ومسجدها: وفي غربي هذا المسجد أثر كأنه أثر مرفق يذكر أنه ﷺ اتكأ عليه ووضع مرفقه عليه، وعلى حجر آخر أثر الأصابع، والناس يتبركون بهما.

وقال السيد نور الدين السمهودي في كتابه «وفاء الوفا» بعد إيراد ذلك: قلت ولم أقف في ذلك على أصل إلا أن ابن النجار قال في المساجد التي أدركها خراباً بالمدينة ما لفظه: ومسجدان قرب البقيـع أحدهما يعـرف بمسجد الإجـابة، والثـاني يعرف بمسجـد البغلة، فيه إسطوان واحد، وهو خراب، وحوله نشز من الحجارة، فيه أثر يقولون إنه أثر حافر بغلة النبي ﷺ ، انتهى.

● وكان إبطه ﷺ لا شعر عليه، قاله القرطبي، وكان أبيض غير متغير اللون، كما ذكره الطبري وعده من الخصائص، وذكره بعض الشافعية، لحديث أنس ـ المتفق عليه ـ أنـه ﷺ كان يـرفع يـديه في الاستسقاء حتى يرى بياض إبطيه.

وقال الشيخ جمال الدين الأسنـوي[2] في «المهمات» إن بيـاض الإبط كان من خصائصه ﷺ . انتهى.

---

(١) وهذا ـ لو ثبت؟! ـ لا يكون دليلاً، إذ لا يلزم من وجود أثر حافر بغلته أن يكون هناك أثر لأقدامه ﷺ .

(٢) هو شيخ الشافعية، وصاحب التصانيف السائرة، إمام زمانه، توفي سنـة سبع وسبعين وسبعمائة.

قال في شرح تقريب الأسانيد: وما ادعاه من كون هذا من الخصائص فيه نظر، إذ لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه، بل لم يرد ذلك في شيء من الكتب المعتمدة، الخصائص لا تثبت بالاحتمال، ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض أبطيه أن لا يكون له شعر، فإن الشعر إذا نتف بقي المكان أبيض، وإن بقي فيه آثار الشعر، ولذلك ورد في حديث عبدالله بن أقرم الخزاعي، أنه صلى مع رسول الله ﷺ فقال: كنت أنظر إلى عفرة إبطيه إذا سجد، خرجه الترمذي، وحسنه، والنسائي وابن ماجه. وقد ذكر الهروي[1] في «الغريبين»[2]، وابن الأثير في «النهاية» أن العفرة بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفرة الأرض، وهو وجهها، وهذا يدل على أن آثار الشعر هو الذي جعل المكان أعفر، وإلا فلو كان خالياً من نبات الشعر جملة لم يكن أعفر.

نعم الذي تعتقد فيه ﷺ أنه لم يكن لإبطه رائحة كريهة، بل كان نظيفاً طيب الرائحة، كما ثبت في الصحيح.

● وكان ﷺ يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت غيره ولا سمعه.

● وكان تنام عينه ولا ينام قلبه. رواه البخاري.

● وما تثاءب قط. رواه ابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه من مرسل يزيد بن الأصم قال: ما تثاءب النبي ﷺ. وأخرج الخطابي من طريق مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال: ما تثاءب نبي قط، ويؤيد ذلك. أن التثاؤب من الشيطان. رواه البخاري.

● وما احتلم قط، وكذلك الأنبياء. رواه الطبراني. وكان عرقه أطيب من المسك. رواه أبو نعيم وغيره.

---

(١) أحمد بن محمد، أبو عبيد، المشهور.

(٢) غريب القرآن وغريب الحديث.

• وإذا مشى مع الطويل طاله، رواه البيهقي، ولم يقع له ظل على الأرض، ولا رؤي له ظل في شمس ولا قمر[1]. ويشهد له أنه ﷺ لما سأل الله تعالى أن يجعل في جميع أعضائه وجهاته نوراً، ختم بقوله: واجعلني نوراً.

• وكان ﷺ لا يقع على ثيابه ذباب قط. نقله الفخر الرازي[2]، ولا يمتص دمه البعوض، كذا نقله الحجازي وغيره[3]. وما آذاه القمل، قاله ابن سبع في «الشفاء»[4] والسبتي في «أعذب الموارد».

[حراسة السماء عند البعثة]

• ومنها: انقطاع الكهنة عند مبعثه[5]، وحراسة السماء من استراق السمع، والرمي بالشهب، قال ابن عباس: كانت الشياطين لا يحجبون عن السماوات، وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها، فيلقون على الكهنة، فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات، فلما ولد محمد ﷺ / منعوا من السماوات كلها، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب، وهو الشعلة من النار، فلا يخطئ أبداً، فمنهم من يقتله، ومنهم من يحرق وجهه، ومنهم من يخبله فيصير غولاً يضل الناس في البراري، وهذا لم يكن ظاهراً قبل مبعث النبي ٢٠٦/ب

---

(١) رواه الحكيم الترمذي مرسلاً؟!

(٢) رواه عن بعضهم. أقول: وهل يثبت هذا والذي قبله بمثل هذه الروايات؟! [المحقق].

(٣) وقد نوزع بعدم ثبوته.

(٤) أي شفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول وخصائصه.

(٥) أي أخبار الكهنة، لأن الكهنة لم ينقطعوا.

ﷺ ، ولم يذكره أحد قبل زمانه. وإنما ظهر في بدئ أمره، وكان ذلك أساساً لنبوته.

وقال معمر قلت للزهري: أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أفرأيت قوله: ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾[1] الآية، قال: غلظت وشدد أمرها حين بعث محمد ﷺ.

وقال ابن قتيبة: إن الرجم كان قبل مبعثه، ولكن لم يكن في شدة الحراسة إلا بعد مبعثه، وقيل: إن النجم كان ينقض ويرمي الشياطين ثم يعود إلى مكانه. ذكره البغوي.

[من خصائص الإسراء]

● ومنها أنه أتي بالبراق ليلة الإسراء مسرجاً ملجماً، قيل كانت الأنبياء إنما تركبه عرياناً.

ومنها أنه أسري به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى المحل الأعلى، وأراه من آيات ربه الكبرى، وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى، وأحضر الأنبياء له وصلى بهم وبالملائكة إماماً. وأطلعه على الجنة والنار. وعزيت[2] هذه للبيهقي.

● ومنها: أنه رأى الله تعالى بعينيه، كما يأتي في مقصد الإسراء إن شاء الله تعالى، وجمع الله له بين الكلام والرؤية، وكلمه تعالى في الرفيع الأعلى، وكلم موسى بالجبل.

● ومنها أن الملائكة تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره، وقاتلت معه ـ كما مر ـ في غزوة بدر وحنين.

(١) سورة الجن، الآية ٩.
(٢) أي اطلاعه على الجنة والنار.

[وجوب الصلاة والسلام عليه]

● ومنها: أنه يجب علينا أن نصلي ونسلم عليه، لآية ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي**﴾[1] إلى آخرها، ولم ينقل أن الأمم المتقدمة كان يجب عليهم أن يصلوا على أنبيائهم.

[خصائص تتعلق بالقرآن الكريم]

● ومنها: أنه أوتي الكتاب العزيز، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسة.

● ومنها: حفظ كتابه هذا من التبديل والتحريف، حتى سعى كثير من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة في تغييره وتبديل محكمه، فما قدروا على إطفاء شيء من نوره، ولا تغيير كلمة من كلمه، ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه، قال تعالى: ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾[2] الآية.

وكتابه يشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب، جامعاً لأخبار القرون السالفة والأمم البائدة، والشرائع الدائرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب، الذي قطع عمره في تعلم ذلك.

ويسر الله تعالى حفظه لمتعلميه، وقربه على متحفظيه[3]، كما قال تعالى: ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر**﴾[4]، وسائر الأمم لا يحفظ كتبها

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٦.
(٢) سورة فصلت، الآية ٤٢.
(٣) في ش: متحفيه، قال الشارح أي الذين اتحفوا به أي سروا بحفظه.
(٤) سورة القمر، الآية ١٧.

الواحد منهم، فكيف بالجم الغفير على مرور السنين عليهم، والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة.

- ومنها: أنه أنزل على سبعة أحرف تسهيلاً علينا، وتيسيراً وشرفاً ورحمة وخصوصية لفضلنا.
- ومنها: كونه آية باقية، لا تعدم ما بقيت الدنيا.
- ومنها: أنه تعالى تكفل بحفظه، فقال: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**[1] أي من التحريف والزيادة والنقصان، ونظيره قوله تعالى في صفة القرآن: **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه﴾**، وقوله: **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**[2].

فإن قلت: هذه الآية تنفي الاختلاف فيه، وحديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» المروي في البخاري عن عمر، يثبته.

فأجاب الجعبري في أول شرحه للشاطبية: بأن المثبت اختلاف تغاير، والمنفي اختلاف تناقض، فموردهما مختلف. انتهى.

فإن قلت: فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في الصحف، وقد وعد الله تعالى بحفظه، وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه؟

١/٢٠٧ فالجواب: - كما قال الرازي - إن جمعهم للقرآن كان/ من أسباب حفظ الله تعالى إياه، فإنه تعالى لما أراد حفظه قيضهم لذلك، قال: وقال أصحابنا: وفي هذه الآية دلالة قوية على أن البسملة آية من أول كل سورة، لأن الله تعالى قد وعد بحفظ القرآن، والحفظ لا معنى له إلا أن يبقى مصوناً عن التغيير، وإلا لما كان محفوظاً عن

---

(١) سورة الحجر، الآية ٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٨٢.

الزيادة، ولو جاز أن يظن بالصحابة أنهم زادوا لوجب أيضاً أن يظن بهم النقصان. وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة.

واختلف فيه، كيف يحفظ القرآن؟

فقال بعضهم: حفظه بأن يجعله معجزاً مبايناً لكلام البشر، يعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه، لأنهم لو زادوا فيه أو نقصوا منه تغير نظم القرآن، فيظهر لكل العقلاء أن هذا ليس من القرآن.

وقال آخرون: أعجز الخلق عن إبطاله وإفساده، بل[1] قيض جماعة يحفظونه ويدرسونه فيما بين الخلق إلى آخر بقاء التكليف.

وقال آخرون: المراد بالحفظ هو أن أحداً لو حاول أن يغير بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا: هذا كذب، حتى إن الشيخ المهيب لو اتفق له تغيير في حرف منه لقال الصبيان كلهم: أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا، ولم يتفق لشيء، من الكتب مثل هذا الكتاب، فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتغيير والتحريف، وقد صان الله تعالى هذا الكتاب العزيز عن جميع التحريف، مع أن دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده، وقد انقضى الآن ثمانية وتسعون سنة وثمانمائة سنة[2]، وهو بحمد الله في زيادة من الحفظ.

● ومنها: أنه ﷺ خص بآية الكرسي، وبالمفصل وبالمثاني، وبالسبع الطوال، كما في حديث ابن عباس بلفظ: وأعطيت خواتيم

---

(١) في ش: بأن.

(٢) هذه السنة هي التي صنف فيها المؤلف كتابه هذا.

سورة البقرة من كنوز العرش، وخصصت به دون الأنبياء، وأعطيت المثاني مكان التوراة، والمئين مكان الإنجيل، الحواميم مكان الزبور، وفضلت بالمفصل. رواه أبو نعيم في الدلائل.

وقال تعالى: **﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾**[1]، وفي البخاري من حديث أبي هريرة، عنه ﷺ: (أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم) سائره[2].

واختلفوا: لم سميت مثاني، فعن الحسن وابن عباس وقتادة لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل صلاة، وقيل لأنها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين، نصفها ثناء ونصفها دعاء، كما في حديث أبي هريرة عنه ﷺ: (يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)[3]. وقيل لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة. وعن مجاهد: لأن الله استثناها وادخرها لهذه الأمة، فما أعطاها غيرهم.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن السبع المثاني هي السبع الطوال، أولها سورة البقرة وآخرها سورة الأنفال مع التوبة، وقال بعضهم: سورة يونس بدل الأنفال: قال ابن عباس: وإنما سميت السبع الطوال مثاني لأن الفرائض والحدود والأمثال والخبر والعبر ثنيت فيها.

وقال طاووس: القرآن كله مثاني، قال الله تعالى: **﴿الله نزل**

---

(١) سورة الحجر، الآية ٨٧.

(٢) كذا وقع في النسخ وكلمة (سائره) ليست في البخاري ولا غيره، فسقط من المصنف لفظ «أي» التفسيرية.

(٣) رواه مالك ومسلم.

أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾[1]، وسمى القرآن مثاني لأن القصص ثنيت فيه والله أعلم.

[أعطي مفاتيح الخزائن]

● ومنها: أنه أعطي مفاتيح الخزائن[2]. قال بعضهم: وهي خزائن أجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم، فكل ما ظهر من رزق العالم فإن الاسم الإلهي لا يعطيه إلا عن محمد ﷺ الذي بيده المفاتيح، كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها إلا هو، وأعطى هذا السيد الكريم منزلة الاختصاص بإعطائه مفاتيح الخزائن.

[جوامع الكلم]

● ومنها: أنه أوتي جوامع الكلم، فالكلم جمع كلمة، وكلمات الله تعالى لا تنفد، فالكلمة منه كلمات، ولما علم جوامع الكلم أعطي الإعجاز بالقرآن الذي هو كلام الله تعالى، وهو المترجم عن الله تعالى، . فوقع الإعجاز في الترجمة التي هي له، فإن المعاني المجردة عن المواد لا يتصور الإعجاز بها/ وإنما الإعجاز ربط هذه المعاني بصور الكلم القائم من نظم الحروف، فهو لسان الحق وسمعه وبصره. ٢٠٧/ب

[عموم بعثته ﷺ]

● ومنها: أنه بعث إلى الناس كافة، قال بعضهم: وهو من

(١) سورة الزمر، الآية ٢٣.

(٢) رواه البخاري برقم ١٣٤٤.

الكفت، وهو الضم، قال الله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾[1] أي تضم الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها، كذلك ضمت شريعته ﷺ جميع الناس، فلا يسمع به أحد إلا لزمه الإيمان به، ولما سمع الجن القرآن يتلى قالوا: ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به﴾[2] الآية، فضمت شريعته الإنس والجن، وعمت رحمته التي أرسل بها العالم، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[3]، فمن لم تنله رحمته فما ذلك من جهته، وإنما ذلك من جهة القابل. فهو كالنور الشمسي أفاض شعاعه على الأرض، فمن استتر عنه في كنٍّ أو ظل جدار فهو الذي لم يقبل انتشار النور عليه، وعدل عنه، فلم يرجع إلى الشمس من ذلك منع. انتهى.

فإن قلت: إن نوحاً كان مبعوثاً إلى أهل الأرض بعد الطوفان، فإنه لم يبق إلا من كان مؤمناً معه، وقد كان مرسلاً إليه، وقد جاء في حديث جابر وغيره (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود)[4] وفي رواية (إلى الناس كافة)[5].

أجاب الحافظ ابن حجر، رحمه الله تعالى: بأن هذا العموم الذي حصل لنوح عليه السلام لم يكن في أصل بعثته، وإنما اتفق بالحادث الذي وقع، وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس. وأما نبينا ﷺ فعموم رسالته من أصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك.

(١) سورة المرسلات، الآية ٢٥.
(٢) سورة الأحقاف، الآية ٣١.
(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه البخاري.

وأما قول أهل الموقف لنوح ـ كما صح في حديث الشفاعة ـ: إنه أول رسول إلى أهل الأرض، فليس المراد به عموم بعثته، بل إثبات أولية إرساله، وعلى تقدير أن يكون مراداً فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى في عدة آيات على أن إرسال نوح كان إلى قومه، ولم يذكر أنه أرسل إلى غيرهم.

واستدل بعضهم لعموم بعثته: بكونه دعا على جميع من في الأرض فأهلكوا بالغرق إلا أهل السفينة، ولو لم يكن مبعوثاً إليهم لما أهلكوا، لقوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾[1]، وقد ثبت أنه أول الرسل.

وأجيب: بجواز أن يكون غيره أرسل إليهم في أثناء مدة نوح، وعلم نوح بأنهم لم يؤمنوا فدعا على من لم يؤمن من قومه وغيرهم.

فأجيب: وهذا جواب حسن، لكن لم ينقل أنه نبئ في زمن نوح غيره. ويحتمل أن يكون معنى الخصوصية لنبينا ﷺ في ذلك بقاء شريعته. انتهى[2].

وأما قول بعض اليهود: إن نبينا محمداً ﷺ إنما هو مبعوث إلى العرب خاصة، ففاسد. والدليل عليه أنهم ـ أي اليهود ـ سلموا أنه رسول صادق إلى العرب، فوجب أن يكون كل ما يقوله حقاً، وقد ثبت بالتواتر أنه يدعي أنه رسول إلى كل الناس، فلو كذبوه فيه لزم التناقض، أشار إليه صاحب المعالم[3].

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٥.

(٢) عن فتح الباري ١/٤٣٦ [المحقق].

(٣) أي معالم السنن شرح أبي داود للخطابي.

[النصرة بالرعب]

● ومنها: نصره ﷺ بالرعب مسيرة شهر[1]، والشهر قدر قطع القمر درجات الفلك المحيط، فهو أسرع قاطع، لعموم رعبه في قلوب أعدائه، فلا يقبل الرعب إلا عدوٌّ مقصود ليتميز السعيد من الشقي، ومفهوم هذا: أنه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة، ولا في أكثر منها، أما ما دونها فلا، لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب: (ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر) فالظاهر اختصاصه به مطلقاً.

وإنما جعل الغاية شهراً، لأنه لم يكن بين بلده ﷺ وبين أحد من أعدائه أكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق، حتى ولو كان وحده بغير عسكر، وهل هي حاصلة لأمته/ من بعده، فيه احتمال. ٢٠٨/ ا

[إحلال الغنائم]

● ومنها: إحلال الغنائم ولم تحل لأحد قبله[2].

وقد كان من تقدم على ضربين، منهم من لم يؤذن له في الجهاد، فلم تكن له مغانم، ومنهم من أذن له فيه، لكن كانوا إذا غنموا شيئاً لم يحل لهم أن يأكلوه، وجاءت نار فأحرقته[3].

قال بعضهم: أعطي ﷺ ما يوافق شهوة أمته، لأن النفوس لها التذاذ بها، لكونها حصلت لهم عن غير قهر منهم لتحصيلها وغلبة،

(١) متفق عليه من حديث جابر.
(٢) متفق عليه من حديث جابر.
(٣) إحراق النار للغنائم ورد في حديث أبي هريرة في الصحيحين.

فلا يريدون أن يفوتهم التنعم بها في مقابلة ما قاسوه من الشدة والتعب.

[الأرض مسجد وطهور]

● ومنها: جعل الأرض له ولأمته مسجداً وطهوراً[1]، والمراد: موضع سجود، أي لا يختص السجود منها بموضع دون غيره، ويمكن أن يكون مجازاً عن المكان المبني للصلاة، وهو من مجاز التشبيه، لأنه لما جازت الصلاة في جميعها كان كالمسجد في ذلك. وقيل المراد: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وجعلت لغيري مسجداً ولم تجعل له طهوراً، لأن عيسى كان يسيح في الأرض، ويصلي حيث أدركته الصلاة، قاله ابن التين ومن قبله الداودي. وقيل: إنما أبيح لهم في موضع يتيقنون طهارته، بخلاف هذه الأمة فأبيح لهم في جميع الأرض، إلا فيما تيقنوا نجاسته.

والأظهر: ما قاله الخطابي، وهو أن من قبله إنما أبيحت لهم الصلاة في أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع، ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ: «وكان من قبلي إنما كانوا يصلون في كنائسهم». وهذا نص في موضع النزاع فتثبت الخصوصية. ويؤيده ما رواه البزار من حديث ابن عباس، نحو حديث جابر وفيه: ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه، قاله في فتح الباري.

[استمرار معجزة القرآن]

● ومنها: أن معجزته ﷺ مستمرة إلى يوم القيامة، ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها، فلم يبق إلا خبرها.

---

(١) رواه الشيخان من حديث جابر.

والقرآن العظيم لم تزل حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة.

● ومنها أنه أكثر الأنبياء معجزة. قال القاضي عياض: أما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز، وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين بسورة ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ أو آية في قدرها، وذهب بعضهم: إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة، وذهب آخرون إلى أن كل جملة منتظمة منه معجزة، وإن كانت من كلمة أو كلمتين.

قال القاضي: والحق ما ذكرناه أولاً، لقوله تعالى: ﴿**فائتوا بسورة من مثله**﴾[1] فهو أقل ما تحداهم به، مع ما ينصر هذا القول من نظر وتحقيق يطول بسطه.

وإذا كان هذا، ففي القرآن من الكلمات نحو سبع وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم، وعدد كلمات ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ عشر كلمات، فيتجزأ القرآن على نسبة ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ أزيد من سبعة آلاف جزء، فكل واحد منها معجز في نفسه، ثم إعجازه ـ كما تقدم ـ بوجهين. طريق بلاغته، وطريق نظمه، فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه، ثم فيه وجوه إعجاز أخر، من الإخبار بعلوم الغيب، فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الإخبار عن أشياء من الغيب، كل خبر منها بنفسه معجز، فتضاعف العدد كرة أخرى.

ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها توجب التضعيف، هذا في حق القرآن، فلا يكاد يأخذ العدد معجزاته، ولا يحوي الحصر براهينه، انتهى.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣.

[خصوصية انشقاق القمر وغيرها]

● ومن ذلك انشقاق القمر وتسليم الحجر، وحنين الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ، ولم يثبت لواحد من الأنبياء مثل ذلك، كما ذكره ابن عبد السلام وغيره، وتقدم ما فيه من المباحث.

[ختم النبوة وتأبيد الشريعة]

● ومنها: أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، قال ﷺ: مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه/ إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين. رواه البخاري[1] ومسلم. ٢٠٨/ب

● ومنها: أن شرعه مؤبد إلى يوم الدين، وناسخ لجميع شرائع النبيين، وأنه أكثر الأنبياء تابعاً كما قال ﷺ: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة. رواه الشيخان من حديث أبي هريرة.

● ومنها أنه لو أدركه الأنبياء لوجب عليهم اتباعه، كما سيأتي تقريره إن شاء الله تعالى.

[إرساله إلى الجن كالإنس]

● ومنها أنه أرسل إلى الجن اتفاقاً، والدليل على ذلك قبل الإجماع: الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿**ليكون للعالمين نذيراً**﴾[2]،

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٥٣٤ و٣٥٣٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية ١.

وقد أجمع المفسرون على دخول الجن في هذه الآية، وهو مدلول لفظها، فلا يخرج عنه إلا بدليل.

وإن قيل إن الملائكة خارجون من ذلك فلا يضر، لأن العام المخصوص حجة عند جمهور العلماء والأصوليين، ولو بطل الاستدلال بالعمومات المخصوصة لبطل الاستدلال بأكثر الأدلة.

وقال تعالى في الأحقاف: ﴿**أجيبوا داعي الله**﴾[1]، فأمر بعضهم بعضاً بإجابته دليل على أنه داع لهم، وهو معنى بعثته إليهم، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما السنة، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (فضلت على الأنبياء بست) فذكر منها (وأرسلت إلى الخلق كافة) فإنه يشمل الإنس والجن، وحمله على الإنس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز. والكلام فيه كالكلام في آية الفرقان.

فإن قلت: إن قوله: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً**﴾[2] ﴿**ما أرسلناك إلا كافة للناس**﴾[3] ظاهر في اختصاص رسالته ﷺ بالإنس، واحتمال غير ذلك عدول عن الظاهر.

فالجواب: إن هذا إنما يتمشى على مذهب الدقاق القائل بأن مفهوم اللقب حجة، و«الناس» من قبيل اللقب، فإن المسألة المترجمة في الأصول «بمفهوم اللقب» لا تختص باللقب بل الأعلام كلها وأسماء الأجناس كلها كذلك ما لم تكن صفة. و«الناس» اسم جنس غير صفة

---

(١) سورة الأحقاف، الآية ٣١.
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٨.
(٣) سورة سبأ، الآية ٢٨.

فلا مفهوم له. فهذه الآية ليس فيها أصلاً ما يفهم منه أنه ليس رسولاً إلى غيرهم إلا على مذهب الدقاق، بل ولا يتم على مذهبه التمسك بهذا المفهوم أيضاً لأن الدقاق إنما يقول به حيث لم يظهر غرض آخر سواه في تخصيص ذلك الاسم، وحيث ظهر غرض لا يقول بالمفهوم، بل يحمل التخصيص على ذلك الغرض، والغرض في الآية التعميم في جميع الناس، وعدم اختصاص الرسالة ببعضهم، فلا يلزم نفي الرسالة عن غيرهم، لا على مذهب الدقاق ولا على مذهب غيره. وإنما خاطب الناس لأنهم الذين تغلب رؤيتهم والخطاب معهم، فمقصود الآية خطاب الناس، والتعميم فيهم لا النفي عن غيرهم، وهذا إذا قلنا إن لفظ الناس لا يشمل الجن، فإن قلنا إنه يشملهم فواضح.

والخلاف فيه مبني على الخلاف في اشتقاق «الناس»، هل هو من النوس، وهو الحركة، أو من الإنس ضد الوحشة؟ فإذا قلنا بالأول أطلق على الفريقين، ولكن استعماله في الإنس أغلب، فحيث أطلق فالمراد به ولد آدم، وإذا قلنا بالثاني فلا، لأنا لا نبصر الجن ولا نأنس بهم، فدخول الجن في الآية إما ممتنع وإما قليل فلا يحمل عليه، وبهذا يتبين ضعف الاستدلال بها، لكنها لا تدل على خلافه.

وأما قول الضحاك ومن تبعه: أن الرسل إلى الجن منهم، لقوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾[1] فهو ظاهر الآية، لكن لم يقل الضحاك ولا أحد غيره باستمرار ذلك في هذه الملة. وإنما محل الخلاف في ذلك في الملل المتقدمة خاصة، وأما في هذه الملة فنبينا محمد ﷺ هو المرسل إليهم وإلى غيرهم، ولم ينقل أحد عن الضحاك أن رسل الجن منهم مطلقاً، ولا ينبغي أن ينسب إليه ما

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٣٠.

يخالف الإجماع، على أن الأكثرين قالوا: لم تكن الرسل إلا من الإنس، ولم يكن من الجن قط رسول، لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك. ونظيره: ﴿يخرج منهما/ اللؤلؤ والمرجان﴾[1] وهما يخرجان من الملح دون العذب، وقيل الرسل من الجن رسل الرسل من بني آدم إليهم لا رسل الله، لقوله تعالى: ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾[2]، قاله بعض العلماء.

٢٠٩/١

[هل أرسل ﷺ إلى الملائكة؟]

ومنها أنه أرسل إلى الملائكة في أحد القولين، ورجحه السبكي. قال تعالى: **﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾**[3] ولا نزاع أن المراد بالعبد هاهنا محمد ﷺ، والعالم هو ما سوى الله تعالى، فيتناول جميع المكلفين من الجن والإنس والملائكة، وبطل بذلك قول من قال: إنه كان رسولاً إلى البعض دون البعض، لأن لفظ «العالمين» يتناول جميع المخلوقات، فتدل الآية على أنه رسول إلى جميع الخلق.

ولو قيل لمدعي «خروج الملائكة من هذا العموم» أقم الدليل عليه ربما عجز عنه، فإنه يحتمل أن يكون من الملائكة من أنذره ﷺ إما ليلة الإسراء وإما غيرها. لكن لا يلزم من الإنذار والرسالة إليهم في شيء خاص أن يكون بالشريعة كلها.

وإذا قلنا إن الملائكة هم مؤمنو الجن السماوية، فإذا ركب هذا

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٢٢.

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٢٩.

(٣) سورة الفرقان، الآية ١.

مع القول بعموم الرسالة للجن الذي قام الإجماع عليه، لزم عموم الرسالة لهم، لكن القول بأن الملائكة من الجن قول شاذ.

والجمهور: على أن «العالمين» في آية الفرقان عام مخصوص بالجن والإنس كما فسر بهما حديث «وأرسلت إلى الخلق كافة» المروي في مسلم.

وصرح الحليمي والبيهقي - في الباب الرابع من شعب الإيمان - بأنه ﷺ لم يرسل إلى الملائكة، وفي الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه.

وفي تفسير الإمام فخر الدين الرازي، والبرهان النسفي: حكاية الإجماع في تفسير آية الفرقان على أنه لم يكن رسولاً إليهم، كما حكاه العلامة الجلال المحلي[1] والله أعلم.

وعبارة النسفي: ثم إنهم قالوا هذه الآية تدل على أحكام: أولها: أن قوله: ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ يتناول جميع المكلفين من الجنّ والإنس والملائكة. لكنا أجمعنا على أنه ﷺ لم يكن رسولاً إلى الملائكة، بل يكون رسولاً إلى الجن والإنس جميعاً. وهو عبارة الإمام فخر الدين أيضاً[2].

وقد تعقب الجلال المحلي العلامةُ كمال الدين بن أبي شريف فقال: اعلم أن البيهقي نقل ذلك عن الحليمي، فإنه قال: هذا معنى

---

(١) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ولد بمصر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، واشتغل وبرع في الفنون، فقهاً وكلاماً وأصولاً، كان حاد الذكاء، توفي سنة أربع وستين وثمانمائة.

(٢) هذه الجملة الأخيرة سقطت من ش.

كلام الحليمي، وفي قوله هذا إشعار التبري من عهدته، وبتقدير أن لا إشعار فيه فلم يصرح بأنه مرضي عنده. وأما الحليمي فإنه وإن كان من أهل السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما نقله عنه موافق لقوله بأفضلية الملائكة، فلعله بناه عليه.

وأما ما ذكره من حكاية الرازي والنسفي الإجماع على أنه ﷺ لم يكن مرسلاً إليهم، فقد وقع في نسخ من تفسير الرازي «لكنا بيَّنا» بدل «أجمعنا»، على أن قوله: «أجمعنا» ليس صريحاً في إجماع الأمة، لأن مثل هذه العبارة تستعمل لإجماع الخصمين المتناظرين، بل لو صرح به لمنع، فقد قال الإمام السبكي في قوله: ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ قال المفسرون كلهم في تفسيرها للجن والإنس، وقال بعضهم: وللملائكة، انتهى.

وبالجملة: فالاعتماد على تفسير الرازي والنسفي في حكاية إجماع انفردا بحكايته أمر لا ينتهض حجة على طريقة علماء النقل، لأن مدارك نقل الإجماع من كلام الأئمة وحفاظ الأمة كابن المنذر وابن عبد البر، ومن فوقهما في الاطلاع كالأئمة أصحاب المذاهب المتبوعة ومن يلحق بهم في سعة دائرة الاطلاع والحفظ والإتقان لها من الشهرة عند علماء النقل ما يغني عن بسط الكلام فيها.

واللائق بهذه المسألة التوقف عن الخوض فيها على وجه يتضمن دعوى القطع في شيء من الجانبين، انتهى.

[رحمة للعالمين]

- ومنها: أنه أرسل رحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿وما

أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1] قال السمرقندي: يعني للجن والإنس، وقيل لجميع الخلق، رحمة للمؤمن بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان من القتل. وقال ابن عباس: رحمة للبر والفاجر، لأن كل نبي إذا كذب/ أهلك الله من كذبه، ومحمد ﷺ أخر من كذبه إلى الموت أو القيامة. وأما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والآخرة. فذاته ﷺ - كما روي - رحمة تعم المؤمن والكافر كما قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾[2] وقال ﷺ: (إنما أنا رحمة مهداة) رواه الدارمي والبيهقي من حديث أبي هريرة، وسيأتي في المقصد السادس مزيد لذلك إن شاء الله تعالى. والله الموفق.

٢٠٩/ب

[التكريم بأسلوب الخطاب له]

● ومنها: أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم في القرآن، فقال: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، يا داود، يا زكريا، يا يحيى، يا عيسى، ولم يُخاطَب هو فيه إلا بـ«يا أيها الرسول» «يا أيها النبي» «يا أيها المزمل» «يا أيها المدثر».

● ومنها أنه حرم على الأمة نداءه باسمه، قال تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾[3] أي لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه، ورفع الصوت به، والنداء وراء الحجرات، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، مع التوقير

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.
(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٣.
(٣) سورة النور، الآية ٦٣.

والتواضع وخفض الصوت، وقيل: لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض والمساهلة في الإجابة.

● ومنها: أنه يحرم الجهر له بالقول، قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾**[1].

قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: **﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾** كان أبو بكر لا يكلم النبي ﷺ إلا كأخي السرار[2].

وروي أنه ﷺ ما كان يسمع كلام عمر حتى يستفهمه مما يخفض صوته[3].

وكان ثابت بن قيس في أذنه وقر، وكان جهورياً، فلما نزلت تخلف عن رسول الله ﷺ ، فتفقده ودعاه، فقال: يا رسول الله لقد أنزلت عليك هذه الآية، وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط، فقال ﷺ لست هناك، إنك تعيش بخير وتموت بخير، وإنك من أهل الجنة[4]. قال أنس: فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة

---

(١) سورة الحجرات، الآية ٢.

(٢) قال ابن كثير: أخرجه الحافظ البزار عن أبي بكر: لما نزلت... قلت يا رسول الله والله لا أكلمك إلى كأخي السرار، قال: وإن كان ضعيفاً لكن من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة بنحو ذلك والله أعلم. (تفسير سورة الحجرات) [المحقق].

(٣) رواه البخاري برقم ٤٨٤٥ [المحقق].

(٤) رواه البخاري برقم ٤٨٤٦ بلفظ قريب [المحقق].

يمشي بين أيدينا، فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكشاف وانهزمت طائفة منهم، فقاتل حتى قتل[1].

● ومنها أنه يحرم نداؤه من وراء الحجرات قال الله تعالى: **﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾**، إذ العقل يقتضي حسن الأدب ومراعاة الحشمة **﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾**[2] أي لكان الصبر خيراً لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول ﷺ الموجبين للثناء والثواب[3].

[حبيب الله]

● ومنها أنه حبيب الله، وجمع له بين المحبة والخلة، وسيأتي تحقيق ذلك وما فيه من المباحث في آخر المقصد السابع، إن شاء الله تعالى.

● ومنها أنه تعالى أقسم على رسالته وبحياته وببلده وعصره، كما سيأتي ذلك في المقصد السادس إن شاء الله تعالى.

● ومنها أنه كلم بجميع أصناف الوحي، كما نقل عن ابن عبد السلام، وسبق تحقيقه في المبعث من المقصد الأول.

[نزول اسرافيل عليه]

● ومنها أن إسرافيل هبط عليه، ولم يهبط على نبي قبله،

(١) قال ابن كثير في تفسير سورة الحجرات. أخرجه الإمام أحمد. [المحقق].

(٢) سورة الحجرات، الآية ٥.

(٣) هذه الفقرة والتي قبلها، من قوله:«ومنها أنه يحرم الجهر له بالقول» لم تردا في (د، ش) في هذا المكان بل ذكرتا قبيل آخر هذا القسم.

أخرجه الطبراني من حديث ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي، ولا يهبط على أحد بعدي، وهو إسرافيل، فقال: أنا رسول ربك إليك أمرني أن أخبرك إن شئت نبياً عبداً، وإن شئت نبياً ملكاً، فنظرت إلى جبريل فأومأ إلي أن تواضع، فلو أني قلت نبياً ملكاً، لسارت الجبال معي ذهباً.

[سيد ولد آدم]

● ومنها أنه سيد ولد آدم، رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)، وعند الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر)[1].

وإنما قال ذلك إخباراً عما أكرمه الله تعالى به من الفضل والسؤدد، وتحدثا بنعمة الله عنده، وإعلاماً لأمته ليكون إيمانهم به على حسبه وموجبه، ولهذا أتبعه بقوله: «ولا فخر» أي إن هذه الفضيلة/ ٢١٠/ا التي نلتها كرامة من الله، لم أنلها من قبل نفسي، ولا بلغتها بقوتي، فليس لي أن أفتخر بها.

[مغفرة ذنوبه]

● ومنها أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال الله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾[2].

---

(١) ورواه الإمام أحمد، وابن ماجه.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: من خصائصه ﷺ أنه أخبره الله تعالى بالمغفرة ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، ويدل له قولهم في الموقف: نفسي نفسي.

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية ـ يعني آية الفتح ـ لم يشاركه فيها غيره.

وقد أخرج أبو يعلى والطبراني والبيهقي عن ابن عباس قال: إن الله فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء، قالوا: فما فضله على أهل السماء، قال: إن الله تعالى قال لأهل السماء: ﴿**ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم**﴾[1] وقال لمحمد ﷺ: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ فقد كتب له براءة، قالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾[2] وقال لمحمد: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس**﴾[3]، فأرسله إلى الإنس والجن.

[خاصية «أنه أكرم الخلق» وغيرها]

● ومنها أنه أكرم الخلق على الله، فهو أفضل من كل المرسلين، وجميع الملائكة المقربين، وسيأتي الجواب عن قوله ﷺ في حديث ابن عباس، عند مسلم: (ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) ونحو ذلك في المقصد السادس إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٩.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(٣) سورة سبأ، الآية ٢٨.

● ومنها إسلام قرينه. رواه مسلم من حديث ابن مسعود، والبزار من حديث ابن عباس.

● ومنها أنه لا يجوز عليه الخطأ، كما ذكره ابن أبي هريرة[1] والماوردي: وقال قوم: ولا النسيان، حكاه النووي في شرح مسلم.

● ومنها أن الميت يسأل عنه ﷺ في قبره، فعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: وأما فتنة القبر فبي يفتنون وعني يسألون، فإذا كان الرجل أجلس، فيقال له ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله. الحديث رواه أحمد والبيهقي[2].

[تحريم نكاح أمهات المؤمنين]

● ومنها أنه حرم نكاح أزواجه من بعده، قال الله تعالى: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾[3] أي هن في الحرمة كالأمهات، حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية، ولأنهن أزواج له في الآخرة، وهذا في غير المخيرات، فمن اختارت منهن الدنيا ففي حلها للأزواج طريقان: أحدهما طرد الخلاف[4]، والثاني: القطع بالحل واختاره الإمام[5] والغزالي.

وأزواجه اللاتي توفي عنهن محرمات على غيره أبداً، وفي جواز النظر إليهن وجهان: أشهرهما المنع، ويثبت لهن حكم الأمومة في

---

(١) في (أ) هبيرة.

(٢) وفي معناه عند الشيخين.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٦.

(٤) أي الخلاف الآتي في نهاية هذه الفقرة [المحقق].

(٥) أي إمام الحرمين.

احترامهن وطاعتهن وتحريم نكاحهن، لا في جواز الخلوة بهن والنفقة عليهن والميراث. ولا يتعدى ذلك إلى غيرهن فلا يقال بناتهن أخوات للمؤمنين على الأصح.

وقيل: إنما حرمن لأنه ﷺ حي في قبره، ولذا حكى الماوردي أنه لا يجب عليهن عدة الوفاة.

وفي التي فارقها في الحياة ـ كالمستعيذة ـ والتي رأى بكشحها بياضاً ـ أوجه: أحدها، يحرمن أيضاً، وهو الذي نص عليه الشافعي وصححه في الروضة، لعموم الآية، وليس المراد بمن بعده بعدية الموت، بل بعدية النكاح.

وقيل: لا.

والثالث: وصححه إمام الحرمين والرافعي في الصغير: تحريم المدخول بها فقط، لما روي أن الأشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمن عمر، فهم عمر برجمه[1] فأخبر أنها لم تكن مدخولاً بها فكف.

وفي أمة فارقها بعد وطئها أوجه ثالثها: تحرم إن فارقها بالموت ـ كمارية ـ ولا تحرم إن باعها في الحياة. انتهى.

[القسم على الله به]

● ومنها ما عده ابن عبد السلام أنه يجوز أن يقسم على الله به[2] وليس ذلك لغيره، قال ابن عبد السلام: وهذا ينبغي أن يكون

---

(١) في (ب، ط): برجمها.

(٢) مثل الشارح لهذا، بما رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً أعمى أتى رسول الله ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني... =

٢١٠/ب مقصوراً على النبي ﷺ ، لأنه سيد ولد آدم/، وأن لا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون هذا مما خص به لعلو درجته ومرتبته، انتهى.

[هل يحرم رؤية أشخاص أمهات المؤمنين؟]

● ومنها أنه يحرم رؤية أشخاص أزواجه في الأزر، وكذا يحرم كشف وجوههن وأكفهن لشهادة أو غيرها، كما صرح به القاضي عياض، وعبارته: فرض الحجاب مما اختصصن به، فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين، فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها، ولا إظهار شخوصهن وإن كن مستترات، إلا ما دعت إليه ضرورة من براز، ثم استدل بما في الموطأ، أن حفصة لما توفي عمر رضي الله عنه سترها النساء عن أن يرى شخصها، وأن زينب بنت جحش جعلت لها القبة فوق نعشها لتستر شخصها. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن، فقد كن بعد النبي ﷺ يحججن ويطفن، وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الأبدان لا الأشخاص. انتهى.

وأما حكم نظر غير أزواجه ﷺ ففي الروضة وأصلها عن الأكثرين: جواز النظر إلى وجه حرة كبيرة أجنبية وكفيها إذا لم يخف فتنة، مع الكراهة، وقوة كلام الشيخين: الرافعي والنووي تقتضي رجحانه، وصوبه في «المهمات» لتصريح الرافعي في الشرح بأن

= فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويقول: اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، اللهم إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي.

الأكـثرين عليه، لكن نقـل ابن العـراقي أن شيخـه البلقيني قـال: الترجيح بقوة المدرك[1]، والفتوى على ما في المنهاج، وقد جزم به في «التدريب»، وقوة كلام الشرح الصغير تقتضي رجحانه، وعلله باتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات. ونقلا في «الـروضة» و«أصلها» هذا الاتفاق وأقراه.

وعورض: بنقل القاضي عياض عن العلماء مطلقاً: أنه لا يجب على المرأة ستر وجهها في الطريق، وإنما هو سنة، وعلى الرجال غض البصر، وحكاه عنه النووي في شرح مسلم وأقره. قاله الشيخ نجم الدين ابن قاضي عجلون في تصحيح المنهاج والله أعلم.

وكان النكاح في حقه ﷺ عبادة مطلقاً، كما قاله السبكي، وهو في حق غيره ليس بعبادة عندنا، بل من المباحات، والعبادة عارضة له.

[خصائص تتعلق ببناته ﷺ]

● ومنها أن أولاد بناته ينسبون إليه، قال ﷺ في الحسن: [إن ابني هذا سيد] رواه أبو يعلى.

● ومنهـا أن كل نسب وسبب منقـطع يوم القيـامة إلا سببـه ونسبه. قال ﷺ: كـل سبب ونسب ينقطع يـوم القيامـة إلا سببي ونسبي[2]. والنسب بالولادة والسبب بالزواج.

قيل: إن أمته ينتفعون بالنسبة إليه يـوم القيامـة بخلاف أمـة غيره.

---

(١) أي الدليل.

(٢) رواه الحاكم والبيهقي.

● ومنها: أنه لا يتزوج على بناته. فعن المسور بن مخرمة أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر يقول: (إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها) أخرجه الشيخان، وصححه الترمذي.

وعنه (أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة بنت النبي ﷺ، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي ﷺ فقالت: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح ابنة أبي جهل. قال المسور: فقال النبي ﷺ فسمعته حين تشهد قال: أما بعد، فإني انكحت أبا العاصي بن الربيع، فحدثني فصدقني، وإن فاطمة بنت محمد بضعة مني، وإنما أكره أن يفتنوها، وإنه والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً. قال: فترك علي الخطبة): أخرجه الشيخان.

واسم بنت أبي جهل هذه: جويرية، أسلمت وبايعت، وتزوجها عتاب بن أسيد، ثم أبان بن سعيد بن العاصي.

١/٢١١ قال أبو داود: حرم الله تعالى على علي أن ينكح على فاطمة/ في حياتها، بقوله عز وجل: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[١].

وذكر الشيخ أبو علي السبخي[٢] في شرح التلخيص: أنه يحرم التزوج على بنات النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون ذلك خاصاً بفاطمة

(١) سورة الحشر، الآية ٧.
(٢) أحد علماء الشافعية.

رضي الله عنها، وقد علل ﷺ بأن ذلك يؤذيه، وإذايته ﷺ حرام بالاتفاق، وفي هذا تحريم أذى من يتأذى النبي ﷺ بتأذيه، لأن إيذاء النبي ﷺ حرام اتفاقاً، قليله وكثيره. وقد جزم ﷺ بأنه يؤذيه ما آذى فاطمة، فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به فهو يؤذي النبي ﷺ بشهادة هذا الخبر الصحيح.

وقد استشكل اختصاص فاطمة بذلك، مع أن الغيرة على النبي ﷺ أقرب إلى خشية الافتتان في الدين، ومع ذلك فكان ﷺ يستكثر من الزوجات، وتوجد منهن الغيرة، ومع ذلك ما راعى ﷺ ذلك في حقهن، كما راعاه في حق فاطمة؟

وأجيب: بأن فاطمة كانت إذ ذاك فاقدة من تركن إليه ممن يؤنسها ويزيل وحشتها من أم أو أخت، بخلاف أمهات المؤمنين، فإن كل واحدة منهن كانت ترجع إلى من يحصل لها معه ذلك، وزيادة عليه وهو زوجهن ﷺ لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخواطر، بحيث إن كل واحدة منهن ترضى منه لحسن خلقه وجميل خلقه بجميع ما يصدر منه، بحيث لو وجد ما يخشى وجوده من الغيرة لزال عن قرب.

[لا اجتهاد في محراب نبوي]

● ومنها: أنه لا يجتهد في محراب صلى إليه يمنة ولا يسرة، وأفتى شيخ الإسلام أبو زرعة ابن العراقي في شخص امتنع من الصلاة إلى محراب النبي ﷺ وقال: أنا أجتهد وأصلي، بأنه إن فعل ذلك مع الاعتراف بأنه على ما كان في زمن النبي ﷺ فهو ردة، وإن ذكر تأويلاً بأن قال: ليس هو الآن على ما كان عليه في زمنه ﷺ بل غير عما كان

عليه، فهذا سبب اجتهادي، لم يحكم بردته، وإن لم يكن هذا التأويل صحيحاً.

[من رآه في المنام رآه حقاً]

● ومنها أن من رآه في المنام فقد رآه حقاً فإن الشيطان لا يتمثل به.

وفي رواية مسلم (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو لكأنما رآني في اليقظة، لا يتمثل الشيطان بي)[1].

قال الحافظ ابن حجر: ووقع عند الإسماعيلي: (فقد رآني في اليقظة) بدل قوله (فسيراني) ومثله عند ابن ماجه وصححه الترمذي من حديث ابن مسعود.

وفي رواية أبي قتادة ـ عند مسلم أيضاً ـ (من رآني فقد رأى الحق).

وله أيضاً من حديث جابر (من رآني في المنام فقد رآني، فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي) وفي رواية (من رآني في المنام فقد رآني فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي).

وفي حديث أبي سعيد عند البخاري (فإن الشيطان لا يتكونني)[2] أي لا يتكون كوني، فحذف المضاف ووصل المضاف إليه بالفعل.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الرؤيا رقم الحديث ١١ وكذا الأحاديث الأخرى لمسلم بعد هذا الحديث.

(٢) رواه البخاري برقم ٦٩٩٧.

وفي حديث أبي قتادة عند البخاري (لا يتراءى بي)[1] بالراء، بوزن يتعاطى، ومعناه: لا يستطيع أن يتمثل بي، يعني أن الله تعالى وإن أمكنه من التصور في أي صورة أراد فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي ﷺ.

وقد ذهب إلى هذا جماعة، فقالوا في الحديث: إن محل ذلك إذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها، ومنهم من ضيق الذرع في ذلك حتى قال: لا بد أن يراه على صورته التي قبض عليها، حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة.

وعن حماد بن زيد قال: كان محمد - يعني ابن سيرين - إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ قال: صف الذي رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها قال: لم تره، وسنده صحيح.

وقد أخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب: حدثني أبي قال: قلت لابن عباس، رأيت النبي ﷺ / في المنام، قال: صفه لي، قال: فذكرت الحسن بن علي فشبهته به، قال: قد رأيته، وسنده جيد. ٢١١/ب

لكن يعارضه: ما أخرجه ابن أبي عاصم من وجه آخر عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: (من رآني في المنام فقد رآني، فإني أرى في كل صورة) وفي سنده ابن التوأمة وهو ضعيف لاختلاطه، وهو من رواية من سمع منه بعد الاختلاط.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: رؤيته ﷺ بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة، ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال، فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة، وإدراك الصفات إدراك المثال.

---

(١) رواه البخاري برقم ٦٩٩٥.

قال: وقد شذ بعض القدرية فقال: الرؤيا لا حقيقة لها أصلاً.

قال وقوله: «فسيراني» معناه فسيرى تفسير ما رأى، لأنه حق وغيب، وأما قوله: «فكأنما رآني» فهو تشبيه ومعناه: أنه لو رآني في اليقظة لطابق ما رآه في المنام، فيكون الأول حقاً وحقيقة، والثاني حقاً وتمثيلاً.

قال: وهذا كله إذا رآه على صورته المعروفة، فإن رآه على خلاف صفته فهي أمثال. فإن رآه مقبلاً عليه مثلاً فهو خير للرائي، وعلى العكس فبالعكس.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد بقوله «فقد رآني» أو «فقد رأى الحق» أن من رآه على صورته المعروفة في حياته كانت رؤياه حقاً، ومن رآه على غير صورته كانت رؤيا تأويل، انتهى.

وتعقبه النووي فقال: هذا ضعيف، بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة أو غيرها، انتهى.

وتعقبه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر فقال: لم يظهر لي من كلام القاضي عياض ما ينافي ذلك، بل ظاهر قوله أنه يراه حقيقة في الحالين، لكن في الأولى تكون الرؤيا مما لا يحتاج إلى تعبير، والثانية: مما يحتاج إلى التعبير.

وقال بعضهم؛ معناه، أن من رآه على صورته التي كان عليها[1]. ويلزم من قول من قال: «إنه لا تكون رؤيته إلا على صورته

(١) كذا في جميع النسخ ومنها الشرح، والجملة غامضة. وهي في فتح الباري المنقول عنه: «معناه أن من رآه رآه على صورته التي كان عليها» ١٢/٣٨٤ [المحقق].

المعلومة» أن من رآه على غير صفته أن تكون رؤياه من أضغاث الأحلام. ومن المعلوم أنه يرى في النوم على حالة بخلاف حالته في الدنيا من الأحوال اللائقة به، ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشيء مما كان عليه أو ينسب إليه لعارض عموم قوله: (فإن الشيطان لا يتمثل بي). فالأولى أن ننزه رؤياه، وكذا رؤيا شيء منه، أو مما ينسب إليه عن ذلك، فإنه أبلغ في الحرمة، وأليق بالعصمة، كما عصم من الشيطان في يقظته.

فالصحيح في تأويل هذا الحديث: أن مقصوده أن رؤيته في كل حالة ليست باطلة ولا أضغاثاً، بل هي حق في نفسها، ولو رؤي على غير صورته، فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان، بل هو من قبل الله، وهذا قول القاضي أبي بكر الطيب وغيره. ويؤيده قوله «فقد رأى الحق» أشار إليه القرطبي.

وقال ابن بطال: قوله: «فسيراني في اليقظة» يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق، وليس المراد أنه يراه في الآخرة، لأنه سيراه يوم القيامة في اليقظة جميع أمته، من رآه في النوم ومن لم يره.

وقال المازري: إن كان المحفوظ «فكأنما رآني في اليقظة» فمعناه ظاهر، وإن كان المحفوظ «فسيراني في اليقظة» احتمل أن يكون أراد أهل عصره ممن لم يهاجر إليه، فإنه إذ رآه في المنام جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك في اليقظة، وأوحى الله بذلك إليه ﷺ.

وقيل معناه: سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها.

وأجاب القاضي عياض: باحتمال أن تكون رؤياه له في النوم على الصفة التي عرف بها، ووصف عليها، موجبة لتكرمته في الآخرة، وأن

٢١٢/ا يراه رؤية خاصة/ من القرب منه، أو الشفاعة له، بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات. قال: ولا يبعد أن يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية نبيه ﷺ مدة.

وحمله ابن أبي جمرة على محمل آخر، فذكر عن ابن عباس أو غيره، أنه رأى النبي ﷺ في النوم، فبقي بعد اليقظة متفكراً في هذا الحديث، فدخل على بعض أمهات المؤمنين ـ لعلها خالته ميمونة ـ فأخرجت له المرآة التي كانت للنبي ﷺ فنظر فيها صورة النبي ﷺ ولم ير صورة نفسه.

وقال الغزالي: ليس معنى قوله: «فقد رآني» أنه رأى جسمي وبدني وإنما المراد أنه رأى مثالاً صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي إليه، وكذلك قوله: «فسيراني في اليقظة» ليس المراد أنه يرى جسمي وبدني. قال: والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية، والنفس غير المثال المتخيل، فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ﷺ ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق. قال: ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام، فإن ذاته تعالى منزهة عن الشكل والصورة، ولكن تنتهي تعريفاته تعالى إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره، ويكون ذلك المثال آلة حقاً في كونه واسطة في التعريف، فيقول الرائي: رأيت الله عز وجل في المنام، لا يعني أني رأيت ذات الله تعالى، كما يقول في حق غيره.

وقال الغزالي أيضاً في بعض فتاويه: من رأى الرسول ـ يعني في المنام ـ لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة، وإنما رأى مثاله لا شخصه، ثم قال: وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل.

وقال الطيبي: المعنى من رآني في المنام بأي صفة كنت فليبشر وليعلم أنه قد رآني الرؤيا الحق، أي رؤية الحق لا الباطـل، وكذا قوله: «فقد رآني» فالشرط والجزاء إذا اتحدا دل على الغاية في الكمال، أي فقد رآني رؤيا ليس بعدها شيء.

والحاصل من الأجوبة:

أنـه على التشبيـه والتمثيل ويـدل عليه قـوله «فكـأنما رآني في اليقظة».

ثانيها: معناه، سيرى في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة.

ثالثها: أنه خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.

رابعها: المراد أنه يراه في المرآة التي كانت له إن أمكنه ذلك، قال شيخ مشايخنا الحافظ ابن حجر: وهذا من أبعد المحامل.

خامسها: أنه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية، لا مطلق من رآه حينئذٍ ممن لم يره في المنام.

والصواب كما قدمناه في رؤيته ﷺ التعميم، على أي حالة رآه الرائي بشرط أن يكون على صورته الحقيقية في وقت ما، سواء كان في شبابه أو رجوليته أو كهوليته، أو آخر عمره، وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائي، كما قال بعض علماء التعبير: إن من رآه شيخاً فهو غاية سلم، ومن رآه شاباً فهو غاية حرب.

وقال أبو سعيد[1] أحمد بن محمد بن نصر: من رأى نبياً على حاله وهيئته فذلك دليل على صلاح الرائي وكمال جاهه وظفـره بمن

(١) كذا في النسخ. وفي فتح الباري المنقول عنه: سعد.

عاداه، ومن رآه متغير الحال عابساً مثلاً فذلك دال على سوء حال الرائي.

وقال العارف ابن أبي جمرة: من رآه في صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي، وإن كان في جارحة من جوارحه شين أو نقص فذلك خلل في الرائي من جهة الدين. قال: وهذا هو الحق. وقد جرب ذلك فوجد على هذا الأسلوب، وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل أو لا؟ لأنه ﷺ نوراني مثل المرآة الصقيلة، ما كان في الناظر إليها من حسن أو غيره تصور فيها، وفي ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها، كذلك/ يقال في كلامه ﷺ في النوم: أنه يعرض على سنته، فما وافقها فهو حق، وما خالفها فالخلل في سمع الرائي، فرؤيا الذات الكريمة حق، والخلل إنما هو في سمع الرائي له أو بصره، قال: وهذا غير ما سمعته في ذلك، انتهى[1].

٢١٢/ب

وقال بعضهم: ليست رؤيته ﷺ رؤيا عين، إنما يرى بالبصائر، وذلك لا يستدعي حصر المرئي بل يرى من المشرق إلى المغرب ومن الأرض إلى العرش، كما ترى الصورة في المرآة المحاذية لها، وليست الصورة منتقلة إلى جرم المرآة، وعين الناظر مقابلة جميع الكائنات كالمرآة.

واختلاف رؤيته ﷺ بأن يراه بعضهم شيخاً وآخر شاباً، وآخر ضاحكاً وآخر باكياً، يرجع إلى [حال][2] الرائين، كاختلاف الصورة

---

(١) كل ما سبق في هذا البحث عن فتح الباري بتقديم وتأخير ١٢/٣٨٣ - ٣٨٩ [المحقق].

(٢) في ط.

الواحدة في مرائي مختلفة الأشكال والمقادير، ففي الكبيرة يرى وجهه كبيراً، وفي الصغيرة صغيراً، وفي المعوجة معوجاً، وفي الطوية طويلاً، إلى غير ذلك، فالاختلاف راجع إلى اختلاف أشكال المرائي، لا إلى وجه الرائي.

كذلك الراؤون له ﷺ أحوالهم بالنسبة إليه مختلفة، فمن رآه متبسماً إليه دل على أن الرائي متمسك بسنته، والله أعلم.

وقد أجاب الشيخ بدر الدين الزركشي عن سؤال رؤية جماعة له ﷺ في آن واحد من أقطار متباعدة، مع أن رؤيته ﷺ حق: بأنه ﷺ سراج، ونور الشمس في هذا العالم، مثال نوره في العوالم كلها، وكما أن الشمس يراها كل من في المشرق والمغرب في ساعة واحدة وبصفات مختلفة فكذلك النبي ﷺ، ولله در القائل:

كالبدر من أي النواحي جئته   يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا

[رؤيته ﷺ في اليقظة؟!]

وأما رؤيته ﷺ في اليقظة بعد موته ﷺ فقال شيخنا[1]: لم يصل إلينا ذلك عن أحد من الصحابة، ولا عن من بعدهم.

وقد اشتد حزن فاطمة عليه ﷺ حتى ماتت كمداً بعده بستة أشهر ـ على الصحيح ـ وبيتها مجاور لضريحه الشريف، ولم ينقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرت عنه[2].

---

(١) أي السخاوي.

(٢) أحسن المصنف صنعاً حين بدأ هذا البحث بهذه المقدمة، فهو يؤكد أن هذا الأمر لم يحدث في الجيل الأول الذي هو خير القرون، ولم يحدث لابنته ﷺ =

وإنما حكى بعض الصالحين حكايات عن أنفسهم، كما هو في «توثيق عرى الإيمان» للبارزي و«بهجة النفوس» لأبي محمد عبدالله بن جمرة، و«روض الرياحين» للعفيف اليافعي، وغيره من تصانيفه، والشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته.

وعبارة ابن أبي جمرة: قد ذكر عن السلف والخلف إلى هلم جرا عن جماعة كانوا يصدقون بهذا الحديث يعني (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة) أنهم رأوه ﷺ في النوم فرأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متشوشين فأخبرهم بتفريجها، ونص لهم على الوجوه التي منها يكون فرجها، فجاء الأمر كذلك بلا زيادة ولا نقص.

ثم قال: والمنكر لهذا لا يخلو إما أن يكون ممن يصدق بكرامات الأولياء، أو لا، فإن كان الثاني فقد سقط البحث معه، فإنه مكذب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة، وإن كان الأول فهذه منها، لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادة في أشياء في العالمين العلوي والسفلي عديدة مع التصديق بذلك(١).

وقال الشيخ ابن أبي المنصور في رسالته، ويقال: إن الشيخ أبا

= التي هي أحب الناس إليه والتي هي أكثر الناس شوقاً له، ولذا فهي غير واردة بالنسبة لغيرهم [المحقق].

(١) أورد المصنف بعد قليل ما أورده ابن حجر ـ رحمه الله ـ في فتح الباري من الرد على ابن أبي جمرة، وبين فساد هذا الرأي.

أقول: وأما قول ابن أبي جمرة: «إن منكر ذلك يكون مكذباً لما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة» فهذا القول غير دقيق، إذ ليس من الضروري لمن آمن بكرامات الأولياء أن يصدق كل ما قيل في هذا الصدد.. بل المطلوب الإيمان بوجودها جملة، لا بأنواعها ولا بأفرادها. [المحقق].

العباس القسطلاني دخل مرة على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: أخذ الله بيدك يا أحمد.

وعن الشيخ أبي السعود قال: كنت أزور شيخنا أبا العباس وغيره من صلحاء مصر فلما انقطعت واشتغلت وفتح علي، لم يكن لي شيخ إلا النبي ﷺ، وأنه كان يصافحه عقب/ كل صلاة. ١/٢١٣

وقال الشيخ أبو العباس الحرار: دخلت على النبي ﷺ مرة فوجدته يكتب مناشير الأولياء بالولاية، قال: وكتب لأخي محمد معهم منشوراً، فقلت يا رسول الله، ما تكتب لي كأخي؟ قال: أتريد أن تكون فمهاراً. وهذه لغة أندلسية، تعني طريقاً، وفهم عنه أن له مقاماً غير هذا.

وقال حجة الإسلام الغزالي في كتابه «المنقذ من الضلال»: وهم - يعني أرباب القلوب - في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد. انتهى.

ورأيت في كتاب المنح الإلهية في مناقب السادة الوفائية عن سيدي علي بن سيدي محمد وفا أنه قال في بعض مشاهده: كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب، فأتيته يوماً فرأيت إنساناً يقرأ عليه سورة ﴿والضحى﴾ وصحبته رفيق له وهو يلوي شدقيه بالإمالة، ورفيقه يضحك إعجاباً، فرأيت النبي ﷺ يقظة لا مناماً وعليه قميص أبيض قطن، ثم رأيت القميص علي فقال لي: اقرأ فقرأت عليه سورة ﴿والضحى﴾ و﴿ألم نشرح﴾ ثم غاب عني، فلما بلغت إحدى وعشرين أحرمت بصلاة الصبح بالقرافة فرأيت النبي ﷺ قبالة وجهي فعانقني فقال لي: وأما بنعمة ربك فحدث، فأوتيت لسانه من ذلك الوقت. انتهى[1].

(١) هذا الخبر وما قبله ينطبق عليها قول «الأهدل» الذي سيذكره المصنف: =

وأما ما حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في «لطائف المنن» عن الشيخ أبي العباس المرسي، أنه كان مع الشيخ أبي الحسن الشاذلي بـالقيروان في ليلة الجمعـة سابـع عشري رمضان، فـذهب معه إلى الجامع.. الحكاية، إلى أن قال: ورأيت رسول الله ﷺ وهو يقول: يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس الخ، فيحتمل أن يكون مناماً.

وكذلك قول الشيخ قطب الدين القسطلاني: كنت أقرأ على أبي عبدالله محمد بن عمر بن يوسف القرطبي بالمدينة النبوية، فجئته يوماً في وقت خلوة، وأنا يومئذٍ حديث السن فخرج إلي وقال لي: من أدبك بهذا الأدب؟ وعاب علي، قال: فذهبت وأنا منكسر الخاطر، فدخلت المسجد وقعدت عند قبر النبي ﷺ، فبينا أنا جالس على تلك الحال، فإذا بالشيخ قد جاءني وقال: قم، فقد جاء فيك شفيع لا يرد.

ونحوه: ما حكاه السهروردي في «عوارف المعارف» عن الشيخ عبد القادر الكيلاني أنه قال: ما تزوجت حتى قال لي رسول الله ﷺ: تزوج.

وحكي عن السيد نور الدين الإيجي، والد السيد عفيف الدين، أنه في بعض زياراته للنبي ﷺ سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف: عليك السلام يا ولدي.

وقال البدر حسن بن الأهدل في مسألة الرؤية له: إن وقوعها للأولياء قد تواترت بأجناسها الأخبار، وصار العلم بذلك قوياً، انتفى عنه الشك، ومن تواترت عليه أخبارهم لم يبق له شبهة فيه، ولكن

= «... وقد يرى مناماً أو في غيبة حس، فيظنه يقظة، وقد يرى خيالاً ونوراً فيظنه الرسول، وقد يلبس عليه الشيطان، فيجب التحرز». [المحقق].

يقع لهم ذلك في بعض غيبة حسّ وغموض طرف، لورود حالة لا تكاد تضبطها العبارة. ومراتبهم في الرؤية متفاوتة، وكثيراً ما يغلط فيها رواتها، فقل ما تجد رواية متصلة صحيحة عمن يوثق به. وأما من لا يوثق به فقد يكذب، وقد يرى مناماً، أو في غيبة حس، فيظنه يقظة، وقد يرى خيالاً ونوراً فيظنه الرسول، وقد يلبس عليه الشيطان فيجب التحرز في هذا الباب.

وبالجملة:

فالقول برؤيته ﷺ بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فساده بأوائل العقول، لاستلزامه خروجه ﷺ من قبره، ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له، وخلو قبره عن جسده المقدس، فلا يبقى منه فيه/ شيء، وبحيث يزار مجرد القبر، ويسلم على غائب. ٢١٣/ب أشار إلى ذلك القرطبي في الرد على القائل: بأن الرائي له في المنام راءٍ حقيقة، ثم يراه كذلك في اليقظة.

قال: وهذه جهالات لا يقول بشيء منها من له أدنى مسكة من المعقول، وملتزم شيء من ذلك مختل مخبول.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعيني الرأس حقيقة.

وقال في فتح الباري ـ بعد أن ذكر كلام ابن أبي جمرة ـ: وهذا مشكل جداً، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة(١).

وللشيخ مسلم شيخ الطائفة المسلمية شعر:

---

(١) من قوله وبالجملة: منقول عن فتح الباري ١٢/٣٨٤ ـ ٣٨٥ [المحقق].

فمن يدعي في هذه الدار أنه يرى المصطفى حقاً فقد فاه مشتطا
ولكن بين النوم واليقظة التي يباشر هذا الأمر مرتبة وسطا

وقد جعل القاضي أبو بكر بن العربي القول بأن الرؤية في المنام بعيني الرأس غلو وحماقة، ثم حكى ما نسب لبعض المتكلمين، وهو القول بأنها مدركة بعينين في القلب، وأنه ضرب من المجاز[1]. انتهى.

فلا يمتنع من الخواص، أرباب القلوب القائمين بالمراقبة والتوجه على قدم الخوف، بحيث لا يسكنون بشيء مما يقع لهم من الكرامات، فضلاً عن التحدث بها لغير ضرورة، مع السعي في التخلص من الكدورات، والإعراض عن الدنيا وأهلها جملة، وكون الواحد منهم يود أنه يخرج من أهله وماله، وأنه يرى النبي ﷺ، كالشيخ عبد القادر الكيلاني: أن يتمثل صورته ﷺ في خاطره ويتصور في عالم سره أنه يكلمه، بشرط استقرار ذلك وعدم اضطرابه، فإن تزلزل أو اضطرب كان لمة من الشيطان، وليس ذلك خادشاً في علو مناصبهم لعدم عصمة غير الأنبياء.

فقد قال العلامة التاج ابن السبكي في جمع الجوامع ـ تبعاً لغيره ـ: وإن الإلهام ليس بحجة لعدم ثقة من ليس معصوماً بخواطره، وحينئذٍ فمن قال ـ ممن حكينا عنه أو غيرهم ـ بأن المرئي هو المثال، لا يمتنع حمله على هذا، بل حمل كل من أطلق عليه هو اللائق. وقريب منه قوله ﷺ: (إني رأيت الجنة والنار) مع مزيد استبعاده هناك أن يكون المراد بالرؤية رؤية العلم.

---

(١) أورد المصنف هذا القول وكأنه يقول: إذا قيل ذلك في رؤيا المنام فما بالك برؤية اليقظة؟!

ويحكى عن الشيخ أبي العباس المرسي أنه قال: لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين[1].

وعلى هذا فيكون معنى «فسيراني في اليقظة» أي يتصور مشاهدتي وتنزل نفسه حاضراً معي بحيث لا يخرج عن آدابه وسنته ﷺ بل يسلك منهاجه ويمشي على شريعته وطريقته. ومنه قوله ﷺ في الإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه) ويحمل العموم في «من رآني» على الموفقين، وإليه يشير قول بعض المعتمدين: أي من رآني رؤية معظم لحرمتي ومشتاق لمشاهدتي وصل إلى رؤية محبوبه وظفر بكل مطلوبه.

وقريب منه قول شارح المصابيح: أو يراه في الدنيا حالة الذوق والانسلاخ عن العوائق الجسمانية، كما نقل ذلك عن بعض الصالحين أنه رآه في حالة الذوق والشوق، وقد قال الأهدل عقب الحكاية عن الشيخ أبي العباس المرسي: وهذا فيه تجوز يقع مثله في كلام الشيوخ، وذلك أن المراد أنه لم يحجب حجاب غفلة ونسيان لدوام المراقبة واستحضارها في الأعمال والأقوال، ولم يرد أنه لم يحجب عن الروح الشخصية طرفة عين، فذلك مستحيل، والله أعلم. انتهى.

[التسمي باسمه ﷺ]

● ومما اختص به ﷺ أن التسمي باسمه ميمون ونافع في الدنيا والآخرة.

---

(١) إن صح الخبر - بغض النظر عن شرحه الذي بعده - أليس فيه من المبالغة ما فيه؟ فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يستطيعوا أن يكونوا على حال واحدة، كما ورد ذلك عن حنظلة في صحيح مسلم حيث قال له الرسول ﷺ : (ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) كتاب التوبة رقم الحديث ١٢ [م]

١/٢١٤ روينا عن/ أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما إلى الجنة فيقولان؛ ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملاً تجازينا به الجنة؟ فيقول الله تعالى: ادخلا الجنة، فإني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد[1].

وروى أبو نعيم عن نبيط بن شريط قال قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: وعزتي وجلالي، لا عذبت أحداً تسمى باسمك في النار.

وعن علي بن أبي طالب قال: ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين، رواه أبو منصور الديلمي.

وليس لأحد أن يتكنى بكنيته «أبي القاسم» سواء كان اسمه محمداً أم لا، ومنهم: من كره الجمع [بين الاسم والكنية][2]، وجوز الإفراد، ويشبه أن يكون هو الأصح.

قال النووي في هذه المسألة مذاهب: الشافعي منع مطلقاً، وجوزه مالك، والثالث: يجوز لمن ليس اسمه محمداً، ومن جوز مطلقاً خص النهي بحياته، وهو الأقرب. انتهى.

---

(١) جاء في حديث أبي أمامة مرفوعاً (من ولد له مولود فسماه محمداً حباً لي وتبركاً باسمي كان هو ومولوده في الجنة) قال السيوطي: هذا أمثل حديث ورد في هذا الباب واسناده حسن. ونازعه تلميذه الشامي فقال: وليس كذلك، ففي سنده أبو الحسين حامد بن حماد العسكري شيخ ابن بكير فيه، قال في اللسان كالميزان: خبره هذا موضوع.
وحديث أنس أخرجه أبو الطاهر السلفي، وابن بكير في جزئه من طريق حميد الطويل.

(٢) في ش.

[خصائص تتعلق بقراء الحديث]

• ومنها أنه يستحب الغسل لقراءة حديثه والتطيب، ولا ترفع عنده الأصوات، بل تخفض، كما في حياته إذا تكلم، فإن كلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه الشريف، وأن يقرأ على مكان مرتفع.

روينا عن مطرف قال: كان الناس إذا أتوا مالكاً ـ رحمه الله ـ خرجت إليهم الجارية فتقول: يقول لكم الشيخ: تريدون الحديث أو المسائل، فإن قالوا المسائل خرج إليهم في الوقت، وإن قالوا الحديث، دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثياباً جدداً وتعمم ولبس ساجه، ـ والساج: الطيلسان ـ وتلقى له منصة فيخرج ويجلس عليها، وعليه الخشوع، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ، ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث.

قال ابن أبي أويس: فقيل له في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث به إلا على طهارة متمكناً. ويقال: إنه أخذ ذلك عن سعيد بن المسيب.

وقد كره قتادة ومالك وجماعة التحديث على غير طهارة، حتى كان الأعمش إذا كان على غيرها تيمم.

ولا شك أن حرمته ﷺ وتعظيمه وتوقيره بعد مماته وعند ذكره، وذكر حديثه وسماع اسمه وسيرته كما كان في حياته، والله أعلم.

• ومنها: أنه يكره لقارئ حديثه أن يقوم لأحد، قال ابن الحاج في «المدخل»: لأنه قلة أدب مع النبي ﷺ وقلة احترام وعدم مبالاة أن يقطع حديثه لأجل غيره، فكيف لبدعة، وقد كان السلف لا يقطعون

حديثه ولا يتحركون وإن أصابهم الضر في أبدانهم ويتحملون المشقة التي تنزل بهم إذ ذاك احتراماً لحديث نبيهم ﷺ.

وحسبك ما وقع لمالك ـ رحمه الله ـ في لسع العقرب سبع عشرة مرة، وهو لم يتحرك، وتحمله للسعها توقيراً لجناب حديثه ﷺ أن يكون يقرأ وهو يتحرك لضر أصابه، مع أنه معذور فيما وقع، فكيف بالحركة والقيام إذ ذاك لا لضرورة بل للبدعة، لا سيما إذا انضاف إلى ذلك ما لا ينبغي من الكلام المعتاد. انتهى ملخصاً.

● ومنها أن قراء حديثه لا تزال وجوههم نضرة، وأن قراء حديثه اختصوا بالتلقيب بالحفاظ، وأمراء المؤمنين من بين سائر العلماء[1].

[خصائص تتعلق بصحبته ﷺ]

● ومنها أنه تثبت الصحبة لمن اجتمع به ﷺ لحظة، بخلاف التابعي مع الصحابي، فلا تثبت إلا بطول الاجتماع معه على الصحيح عند أهل الأصول، والفرق/ عظم منصب النبوة ونورها، فبمجرد ما يقع بصره على الأعرابي الجلف ينطق بالحكمة. ٢١٤/ب

● ومنها أن أصحابه كلهم عدول، لظواهر الكتاب والسنة، فلا يبحث عن عدالة أحد منهم، كما يبحث عن سائر الرواة. قال الله تعالى خطاباً للموجودين حينئذٍ: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**﴾[2] أي عدولاً، وقال ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق

---

(١) وقعت هذه الفقرة في (أ، ط) بعد التي تليها، ولكن مكانها في بقية النسخ أنسب. [المحقق].

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفـه)[1]، وقال ﷺ: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[2] في آيات كثيرة وأحاديث تقتضي القول بتعديلهم.

ولذلك: أجمع من يعتد به على ذلك، سواء في التعـديل من لابس الفتنة منهم وغيره، لوجوب حسن الظن بهم، حملاً للملابس على الاجتهاد، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، من امتثال أوامـره ﷺ، وفتحهم الأقـاليم، وتبليغهم عنه الكتـاب والسنة، وهـدايتهم الناس، ومواظبتهم على الصلوات والزكـوات وأنواع القـربات، مـع الشجاعة والبراعة والكرم والأخلاق الحميدة التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة، ولا تكون لأحد بعدهم مثلهم في ذلك. كـل ذلك بحلول نظره ﷺ.

● وأفضلهم عند أهل السنة إجماعاً: أبو بكر ثم عمر، وأمـا بعدهما: فالجمهور على أنه عثمان ثم علي. وسيأتي مزيد لذلك إن شاء الله تعالى في المقصد السابع.

[وجوب تلبية دعائه ولو في الصلاة]

● ومنها أن المصلي يخاطبه بقوله؛ السلام عليك أيها النبي، ولا يخاطب غيره.

● ومنها أنه كان يجب على من دعاه وهو في الصلاة أن يجيبه، ويشهد له حديث أبي سعيد بن المعلي: كنت أصلي في المسجد، فدعاني

(١) أخرجه الشيخان وأصحاب السنن.

(٢) رواه الشيخان وغيرهما.

رسـول الله ﷺ فلم أجبه.. الحـديث، وفيه: ألم يقـل الله تعـالى: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾[1]، فإجابته فرض، يعصي المرء بتركها.

وهل تبطل صلاته أم لا؟ صرح جماعة من أصحابنا الشافعية وغيرهم: أنها لا تبطل، وفيه بحث لاحتمال أن تكون إجابته واجبة مطلقاً، سواء كان المخاطب مصلياً أو غير مصل. أما كونه يخرج بالإجابة من الصلاة أو لا يخرج فليس في الحديث ما يستلزمه، فيحتمل أن تجب الإجابة ولو خرج المجيب من الصلاة، وإلى ذلك جنح بعض الشافعية، والله أعلم.

[الكذب عليه ليس كالكذب على غيره]

● ومنها: أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، ومن كذب عليه لم تقبل روايته أبداً وإن تاب، فيما ذكره جماعة من المحدثين.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن رجل عن سعيد بن جبير أن رجلاً كذب على النبي ﷺ، فبعث علياً والزبير وقال: إذهبا فإن أدركتماه فاقتلاه.

ولهذا حكى إمام الحرمين عن أبيه أن من تعمد الكذب على رسول الله ﷺ يكفر.

لكن لم يوافقه أحد من الأئمة على ذلك. والحق أنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر بها إلا إن استحله. وقال النووي: لم أر له في أصل المسألة دليلاً، ويجوز أن يوجه بأن ذلك جعل تغليظاً

---

(١) الحديث رواه البخاري. والآية من سورة الأنفال رقمها ٢٤.

وزجراً بليغاً عن الكذب عليه ﷺ لعظم مفسدته فإنه يصير شرعاً مستمراً إلى يوم القيامة بخلاف الكذب على غيره والشهادة، فإن مفسدتها قاصرة ليست عامة.

ثم قال: وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة ضعيف، مخالف للقواعد الشرعية. والمختار القطع بصحة توبته وقبول روايته بعدها إذا صحت توبته بشروطها المعروفة.

قال: فهذا هو الجاري على قواعد الشرع، وقد أجمعوا على صحة رواية من كان كافراً فأسلم، قال: وأجمعوا على قبول شهادته، ولا فرق بين الشهادة والرواية في هذا.

قال شيخنا: ويمكن أن يقال: فيما إذا كان كذبه في وضع حديث وحمل عنه ودوّن أن الإثم غير منفك عنه بل هو لاحق له أبداً، فإن من سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، والتوبة/ حينئذٍ متعذرة ظاهراً وإن وجد مجرد اسمها. ١/٢١٥

[العصمة من الذنوب والجنون..]

● ومنها أنه معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها، عمدها وسهوها وكذلك الأنبياء..

● ومنها أنه لا يجوز عليه الجنون لأنه نقص، ولا الإغماء الطويل الزمن، فيما ذكره الشيخ أبو حامد في تعليقه، وجزم به البلقيني في حواشي الروضة، وكذلك الأنبياء.

ونبه السبكي على أن إغماءهم يخالف إغماء غيرهم، وإنما هو غلبة الأوجاع للحواس الظاهرة دون القلب، لأنه قد ورد أنه إنما تنام

أعينهم دون قلوبهم، فإذا حفظت قلوبهم وعصمت من النوم الذي هو أخف من الإغماء، فمن الإغماء بطريق الأولى.

قال السبكي: ولا يجوز عليهم العمى، لأنه نقص، ولم يعم نبي قط. وأما ما ذكر عن شعيب أنه كان ضريراً فلم يثبت، وأما يعقوب فحصلت له غشاوة وزالت، انتهى.

قال الرازي: في قوله تعالى: ﴿**وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم**﴾[1] لما قال: ﴿**يا أسفى على يوسف**﴾ غلبه البكاء، وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين، فتصير العين كأنها ابيضت من بياض ذلك الماء، وقوله: ﴿**وابيضت عيناه من الحزن**﴾ كأنه من غلبة البكاء، والدليل على صحة هذا القول: أن تأثير الحزن في غلبة البكاء، لا في حصول العمى، فلما حملنا الابيضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسناً، ولو حملناه على العمى لم يحسن هذا التعليل، فكان ما ذكرناه أولى.

ثم قال: واختلفوا، فقال بعضهم: إنه كان قد عمي بالكلية، فالله تعالى جعله بصيرا في هذا الوقت، وقال آخرون: بل كان قد ضعف بصره من كثرة البكاء والأحزان بحيث صار يدرك إدراكاً ضعيفاً، فلما ألقوا القميص على وجهه وبشر بحياة يوسف عظم فرحه وانشرح صدره وزالت أحزانه، فعند ذلك قوى بصره وزال النقصان عنه. انتهى.

[حكم من انتقصه أو سبه]

ومنها أن من سبه ﷺ أو انتقصه قتل.

---

(١) سورة يوسف، الآية ٨٤.

واختلف هل يتحتم قتله في الحال، أو يوقف على استتابته؟ وهل الاستتابة واجبة أم لا؟

فمذهب المالكية: يقتل حداً لاردة: ولا تقبل توبته ولا عذره إن ادعى سهواً أو غلطاً، وعبارة شيخهم العلامة خليل في مختصره: وإن سب نبياً أو ملكاً، وإن عرض أو لعنه، أو عابه أو قذفه، أو استخف بحقه، أو غير صفته، أو ألحق به نقصاً وإن في دينه أو خصلته أو غض من مرتبته أو وفور علمه أو زهده أو أضاف له ما لا يجوز عليه، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو قيل له: بحق رسول الله، فلعن وقال أردت العقرب قتل ـ ولم يستتب ـ حداً، إلا أن يسلم الكافر، وإن ظهر أنه لم يرد ذمه لجهل أو سكر أو تهور.

وهذا ذكره القاضي عياض في الشفاء وغيره، واستدلوا له بالكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً**﴾[1]، واللعنة من الله هي إبعاد الملعون عن رحمته وإحلاله في وبيل عقوبته، قال القاضي عياض: وإنما يستوجب اللعن من هو كافر، وحكم الكافر القتل.

والأذى: هو الشر الخفيف، فإن زاد كان ضرراً، كذا قاله الخطابي وغيره. وإطلاق الأذى في حقه تعالى إنما هو على سبيل المجاز لتعذر الحقيقة فيه. ويشهد لذلك الحديث الإلهي (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني)[2] وهذا بخلاف جانب الرسول ﷺ.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٧.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر برقم ٥٥.

فالأذي في حقه تعالى وحق رسوله كفر بشهادة هذه الآية، لأن العذاب المهين إنما يكون للكفار، وكذلك العذاب الأليم.

وقال تعالى: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد أيمانكم﴾[1] قال القاضي عياض: قال أهل التفسير: كفرتم بقولكم في رسول الله ﷺ.

٢١٥/ب وأما السنة: / فروى أبو داود والترمذي: أن رسول الله ﷺ قال: (من لنا بابن الأشرف) وفي أخرى (من لكعب بن الأشرف) أي من ينتدب لقتله (فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا) وفي رواية (فإنه يؤذي الله ورسوله).

قال القاضي عياض: ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة، بخلاف غيره من المشركين، وعلل بأذاه له، فدل على أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى.

وفي حديث مصعب بن سعد عند أبي داود: لما كان يوم الفتح أمَّن ﷺ الناس، إلا أربعة نفر فذكرهم ثم قال: وأما ابن سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله بايع عبدالله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك وهو يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: ما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين كففت يدي عن بيعته فيقتله، فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا؟ قال: إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين.

---

(١) سورة التوبة، الآية ٦٥.

وفيه: أنه أمر بقتل عبدالله بن خطل، لأن ابن خطل كان يقول الشعر يهجو به النبي ﷺ ويأمر جاريتيه أن تغنيا به، وكذلك قتل جاريتيه[1].

قالوا: فقد ثبت أنه أمر بقتل من آذاه، ومن تنقّصه، والحق له ﷺ وهو مخير فيه، فاختار القتل لعدم الإطلاع على العفو، وليس لأمته بعده أن يسقطوا حقه ﷺ، فإنه لم يرد عنه الإذن في ذلك.

وأما الإجماع: فقال القاضي عياض: أجمعت الأمة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه، فقال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ يقتل، وممن قال ذلك: مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي، وقال الخطابي: لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلماً. وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ المنتقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر. انتهى.

ومذهب الشافعية: أن ذلك ردة، تخرج من الإسلام إلى الكفر، فهو مرتد كافر قطعاً لا نزاع في ذلك عند الجمهور من أئمتنا، والمرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

وفي الاستتابة قولان: أصحهما وجوبها، لأنه كان محترماً بالإسلام، وإنما عرضت له شبهة، فينبغي إزالتها، وقيل: تستحب لأنه غير مضمون الدم، فإن قلنا بالأول فتجب في الحال ولم يؤجل كغيره. وفي الصحيح حديث (من بدل دينه فاقتلوه)[2] وفي قول: يمهل

---

(١) قال الشارح، الصواب أن إحداهما قتلت: وأسلمت الثانية.

(٢) رواه البخاري عن ابن عباس.

ثلاثة أيام، فإن لم يتب وأصر ـ رجلاً كان أو امرأة ـ قتل، وإن أسلم صح إسلامه وترك لقوله تعالى: ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة**﴾[1] الآية.

وعن ابن عباس قال: أيما مسلم سب الله أو سب أحداً من الأنبياء فقد كذب رسول الله ﷺ وهي ردة يستتاب منها، فإن تاب وإلا قتل، وأيما معاهد سب الله أو سب أحداً من أنبيائه فقد نقض العهد فاقتلوه.

وأجيب عما تقدم من أدلة المالكية:

فأما قوله تعالى: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله**﴾ الآية فليس فيه إلا كفر مؤذيه ﷺ ، وأما كونه يقتل بعد التوبة والإسلام فلا دلالة فيه أصلاً، وأما ابن خطل فإنما قتل ولم يستتب للكفر والزيادة فيه بالأذى مع ما اجتمع فيه من موجبات القتل، ولأنه اتخذ الأذى ديدنا، فلا يقاس عليه/ من فرط منه فرطة ـ وقلنا بكفره بها ـ وتاب ورجع إلى الإسلام، فالفرق واضح. وكذلك قتل جاريتيه لأنهما جعلتا ذلك ديدنا مع ما قام بهما من صفة الكفر. ٢١٦/أ

وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط نادى: يا معشر قريش مالي أقتل من بينكم صبراً. فقال له النبي ﷺ : بكفرك وافترائك على رسول الله . فذكر له سببين في تحتم قتله، وهذا في غاية الظهور.

وأما قول الخطابي وغير: «لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلماً» فمحمول على التقييد بعدم التوبة.

وأما سياق القاضي عياض لقصة الرجل الذي كذب على رسول

---

(١) سورة التوبة، الآية ٥.

الله ﷺ ، وأنه بعث علياً والزبير ليقتلاه، فليس يفيد غرضاً في هذا المقام، لأن الظاهر أن هذا كذب، فيه إفساد وفتنة بين المؤمنين، لا سيما إن كان كافراً، فيكون من محاربي الله ورسوله، مع السعي في الأرض بالفساد، فيكون متحتم القتل، وإلا فليس مطلق الكذب عليه مما يوجب القتل.

وكذا سياقه حديث ابن عباس: هجت امرأة من خطمة[1] النبي ﷺ ، فقال: من لي بها، فقال رجل من قومها: أنا يا رسـول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «لا ينتطح فيها عنزان» أي لا يجري فيها خلف ولا نزاع، فإن في هذه الحكاية ونظائرها نـظراً واضحاً لقيام الكفر بالمحكي عنهم والزيادة منهم، وقد أخبر ﷺ أنه لا عصمة لأحد من الناس بعد دعواهم إلى الإسلام إلا بالإسلام، فكل منهم مهدر الدم إلا من عصم الله منهم بالإسلام. وإنما النافع له في مقام الاستدلال ذكر من طرأ عليه من المسلمين وصمة الارتداد بالسب على القول بكونه ردة، فرجع إلى الإسلام وتاب. هذا هو محل النزاع وموضع الاستدلال لكل من المتنازعين.

وأما ذكر كافر أصلي بلغته دعوة النبي ﷺ وامتنع من إجـابته وحاربه بيده ولسانه فلا نزاع في إهدار دمه قطعاً، لا سيما وقد نقل عن هذه المرأة الكافرة أنها كانت تعيب الإسلام، وتؤذي النبي ﷺ وتحرض عليه، فاجتمع فيها موجبات القتل إجماعاً.

فقد تبين مما ساقه القاضي عياض أن أمره ﷺ بقتل سابه إنما نقل عن الكفرة، ولم ينقل أنه ﷺ قتل مسلماً بسببه، وإنما كان ذلك في

---

(١) هي عصماء بنت مروان اليهودية نسبت إلى بني خطمة لكونها زوج يزيد بن زيد الصحابي الخطمي.

أهل الكفر والعناد، فلو نقل فلا يتعين كونه حداً، لاحتمال أن يكون قتله كفراً، وقد قال الله تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**[1] فأعلمنا أن ما وراء الشرك في حيز إمكان المغفرة، وقال تعالى: **﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾**[2].

فإن قلت: هذا بالنظر إلى ظلم النفس وحقوق الله تعالى لا بالنظر إلى حقوق العباد، لأن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة، وحقوق العباد مبنية على المشاحة. وهذا في حق النبي ﷺ وليس لنا أن نسقطه لأنه لم يرد إذنه في ذلك بخلافه هو ﷺ فإن له ذلك.

فالجواب: لا بد لنا من نص على ذلك منه ﷺ ، كأن يقول مثلاً: من سبني فاقتلوه، ولا تقبلوا له توبة ولا رجوعاً عن سبه، فإن نقل اتبعناه، ثم إنه من جهة النظر ينبغي إلحاق حقوق رسول الله ﷺ بحقوق الله، فكما أن حقوقه تعالى مبناها على المسامحة، كذلك حقوقه ﷺ ، فإنه متخلق بأخلاق الله تعالى[3].

[وجوب الدفاع عنه]

٢١٦/ب ● ومما عد من خصائصه/ أنه إذا قصده ظالم وجب على من حضره أن يبذل نفسه دونه حكاه النووي في زيادة الروضة عن جماعة من الأصحاب.

---

(١) سورة النساء، الآية ٤٨.

(٢) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٣) كما أشارت عائشة إلى ذلك بقولها: (كان خلقه القرآن).

[يخص من شاء بما شاء]

● ومن خصائصه ﷺ أنه كان ﷺ يخص من شاء بما شاء من الأحكام.

كجعله شهادة خزيمة[1] بشهادة رجلين. روى أبو داود عن عمارة ابن خزيمة بن ثابت عن عمه وكان من أصحاب رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع من أعرابي فرساً، فاستتبعه ليقبضه ثمن الفرس، فأسرع النبي ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي يساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن رسول الله ﷺ قد ابتاعه، حتى زادوا على ثمنه.. الحديث فطفق الأعرابي يقول هلمَّ شهيداً يشهد أني قد بعتك، فمن جاء من المسلمين يقول ويلك، إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا الحق، حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال: أنا أشهد أنك قد بايعته... الحديث. وفيه، قال: فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة برجلين.

وفي البخاري من حديث زيد بن ثابت قال: فوجدتها مع خزيمة الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين.

وعند الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ اشترى من أعرابي فرساً، فجحده الأعرابي، فجاء خزيمة فقال: يا أعرابي أنا أشهد عليك أنك بعته، فقال الأعرابي إذ شهد خزيمة فأعطني الثمن، فقال رسول الله ﷺ يا خزيمة إنا لم نشهدك، كيف تشهد؟ قال: أنا أصدقك على خبر السماء، ألا أصدقك على خبر ذا الأعرابي؟! فجعل رسول الله ﷺ يقول: شهادته

(١) خزيمة بن ثابت الأنصاري، من كبار الصحابة شهد بدراً وقتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين.

بشهادة رجلين، فلم يكن في الإسلام من تعدل شهادته شهادة رجلين غير خزيمة.

قال الخطابي: هذا الحديث حمله كثير من الناس على غير محمله، وتذرع به قوم من أهل البدع إلى استحلال الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق على كل شيء ادعاه، وإنما وجه الحديث أنه ﷺ حكم على الأعرابي بعلمه، وجرت شهادةخزيمة مجرى التوكيد لقوله، والاستظهار على خصمه، فصار في التقدير بشهادة اثنين في غيرها من القضايا، انتهى.

ومن ذلك ترخيصه في النياحة لأم عطية، روى مسلم عنها «قالت: لما نزلت هذه الآية ﴿**يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً... ولا يعصينك في معروف**﴾[1] قالت: كان منه النياحة، فقلت يا رسول الله إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني[2] في الجاهلية، فلا بد لي من أن أسعدهم، فقال إلا آل فلان». قال النووي: هذا محمول على الترخيص لأم عطية في آل فلان خاصة، وللشارع أن يخص من العموم ما شاء.

ومن ذلك: ترك الإحداد لأسماء بنت عميس، أخرج ابن سعد عن أسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر بن أبي طالب، قال لي رسول الله ﷺ: تسلبي[3] ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ١٢.

(٢) الإسعاد: قيام المرأة مع الأخرى في المناحة تراسلها، أي تساعدها، وهو خاص بهذا المعنى.

(٣) التسلب: امتناع المرأة من الزينة بعد موت زوجها، وفي نسخة: تسلي ـ فإن صحت ـ فالمعنى تصبري أي صبري نفسك على الإحداد.

ومن ذلك: الأضحية بالعناق[1] لأبي بردة بن نيار، رواه الشيخان من حديث البراء بن عازب قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر فقال: (من صلى صلاتنا ونسك[2] نسكنا فقد أصاب السنة، ومن نسك قبل الصلاة فتلك شاة لحم، فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، لقد نسكت قبل أن أخرج إلى الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب فتعجلت وأكلت وأطعمت أهلي وجيراني، فقال رسول الله ﷺ: تلك شاة لحم، قال: فإن عندي عناقاً جذعة هي خير من شاتي لحم فهل تجزي عني؟ قال: نعم ولن تجزي عن أحد بعدك).

١/٢١٧ و«نيار» بكسر النون/ وتخفيف المثناة التحتية وآخره راء.

وقوله «تجزي» بفتح أوله غير مهموز، أي تقضي.

و«الجذع» بالجيم والذال المعجمة.

وفي هذا الحديث تخصيص أبي بردة بإجزاء الجذع من المعز في الأضحية.

ولكن وقع في عدة أحاديث التصريح بنظير ذلك لغير أبي بردة، ففي حديث عقبة بن عامر ـ عند البيهقي ـ: ولا رخصة فيها لأحد بعدك. قال البيهقي: إن كانت هذه الزيادة محفوظة كان هذا رخصة لعقبة كما رخص لأبي بردة.

قال الحافظ ابن حجر: وفي هذا الجمع نظر، لأن في كل منهما صيغة عموم، فأيهما تقدم على الآخر اقتضى انتفاء الوقوع للثاني، ويحتمل أن تكون خصوصية الأول نسخت بثبوت الخصوصية للثاني، ولا مانع من ذلك، لأنه لم يقع في السياق استمرار المنع لغيره صريحاً.

---

(١) العناق: الأنثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول.

(٢) نسك: أي ضحى، والنسك: العبادة.

وفي كلام بعضهم: أن الذين ثبتت لهم الرخصة أربعة أو خمسة، واستشكل الجمع وليس بمشكل، فإن الأحاديث التي وردت في ذلك ليس فيها التصريح بالنفي إلا في قضية أبي بردة في الصحيح، وفي قصة عقبة بن عامر عند البيهقي، وأما ما عدا ذلك: فأخرج أبو داود وصححه ابن حبان من حديث زيد بن خالد أن النبي ﷺ أعطاه عتوداً[1] جذعاً، فقال: ضح به، فقلت إنه جذع أفأضحي به؟ قال: ضح به. وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أنه ﷺ أعطى سعد بن أبي وقاص جذعاً من المعز فأمره أن يضحي به. وأخرجه الحاكم من حديث عائشة، وفي سنده ضعف.

فلا منافاة بين ذلك وحديثي أبي بردة وعقبة، لاحتمال أن يكون ذلك في ابتداء الأمر، ثم تقرر الشرع بأن الجذع من المعز لا يجزي، واختص أبو بردة، وعقبة بالرخصة في ذلك.

وإن تعذر الجمع بين حديث أبي بردة وحديث عقبة، فحديث أبي بردة أصح مخرجاً. وإن كان حديث عقبة عند البيهقي من مخرج الصحيح والله أعلم.

ومن ذلك: انكاح ذلك الرجل بما معه من القرآن، فيما ذكره جماعة، وورد به حديث مرسل أخرجه سعيد بن منصور عن أبي النعمان الأزدي، قال: زوج رسول الله ﷺ امرأة على سورة من القرآن وقال: لا يكون لأحد بعدك مهراً.

[خصائص تتعلق بمرضه وموته وقبره]

- ومنها أنه كان يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الأجر.

---

(١) العتود: الجذع من المعز ابن خمسة أشهر.

● ومنها أن جبريل أرسل إليه ثلاثة في مرضه يسأله عن حاله، ذكره البيهقي وغيره.

● ومنها: أنه صلى عليه الناس أفواجاً أفواجاً بغير إمام، وبغير دعاء الجنازة المعروف ذكره البيهقي وابن سعد وغيرهما، وترك بلا دفن ثلاثة أيام كما سيأتي، وفرش له في لحده ﷺ قطيفة، والأمران مكروهان في حقنا، وأظلمت الأرض بعد موته كما سيأتي.

● ومنها: أنه لا يبلى جسده، وكذلك الأنبياء، رواه أبو داود وابن ماجه.

● ومنها: أنه لا يورث، فقيل لبقائه على ملكه، وقيل لمصيره صدقة، وبه قطع الروياني، ثم حكى وجهين في أنه هل يصير وقفاً على ورثته؟ وأنه إذا صار وقفاً هل هو الواقف؟ وجهان

قال النووي في زيادات الروضة: الصواب الجزم بزوال ملكه، وأن ما تركه صدقة على المسلمين، لا يختص به الورثة. انتهى.

وقال في الشرح الصغير: المشهور أنه صدقة.

وذكر الرافعي في قسم الفيء أن الخمس كان له ﷺ ينفق منه على نفسه ومصالحه، ولم يكن يملكه ولا ينتقل إلى ورثته.

وقال في باب الخصائص: إنه ملكه، ويجمع بينهما: بأن لجهة الإنفاق مادتين: مملوكة وغير مملوكة، والخلاف جار في إحداهما. انتهى والله أعلم/. ٢١٧/ب

وعلى هذا، فيباح له أن يوصي بجميع ماله للفقراء، ويمضي ذلك بعد موته بخلاف غيره فإنه لا يمضي مما أوصى به إلا الثلث بعد موته.

وكذلك الأنبياء لا يورثون، لما رواه النسائي من حديث الزبير مرفوعاً (إنا معاشر الأنبياء لا نورث) وعلى هذا فيجاب عن قوله تعالى: ﴿وورث سليمان داود﴾[1] وقوله: ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني﴾[2] بأن المراد إرث النبوة والعلم.

[حي في قبره]

ومنها: أنه حي في قبره[3]، ويصلي فيه بأذان وإقامة وكذلك الأنبياء، ولهذا قيل: لا عدة على أزواجه.

وقد حكى ابن زبالة[4]، وابن النجار أن الأذان ترك في أيام الحرة[5] ثلاثة أيام وخرج الناس، وسعيد بن المسيب في المسجد، قال سعيد: فاستوحشت فدنوت إلى القبر فلما حضرت الظهر سمعت الأذان في القبر فصليت الظهر، ثم مضى ذلك الأذان والإقامة في القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال، ورجع الناس وعاد المؤذنون فسمعت أذانهم كما سمعت الأذان في قبر النبي ﷺ، انتهى.

---

(١) سورة النمل، الآية ١٦.

(٢) سورة مريم، الآية ٦.

(٣) جاء في الحديث عند أبي يعلى والبيهقي مرفوعاً (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)، وروى أحمد ومسلم والنسائي أنه ﷺ قال: (مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره).

(٤) محمد بن الحسن بن زَبالة المخزومي، كذبوه، ومات قبل المائتين.

(٥) موقعة حصلت بظاهر المدينة بين أهل المدينة وبين عسكر يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين بسبب خلع أهل المدينة يزيد.

وفي البخاري أن هذه الفتنة لم تبق من أصحاب الحديبية أحداً.

وقد ثبت أن الأنبياء يحجون ويلبون.

فإن قلت: كيف يصلون ويحجون ويلبون وهم أموات في الدار الآخرة، وليست دار عمل؟

فالجواب: أنهم كالشهداء، بل أفضل منهم، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا، أو نقول: إن البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور، وأن المنقطع في الآخرة إنما هو التكليف، وقد تحصل الأعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها، ولهذا ورد أنهم يسبحون ويقرؤون القرآن[1]، ومن هذا سجود النبي ﷺ وقت الشفاعة.

وقد قال صاحب «التلخيص»[2]: إن ماله ﷺ بعد موته قائم على نفقته وملكه، وعده من خصائصه.

ونقل إمام الحرمين عنه أن ما خلفه بقي على ما كان في حياته، فكان ينفق منه أبو بكر على أهله وخدمه، وكان يرى أنه باق على ملك النبي ﷺ. فإن الأنبياء أحياء، وهذا يقتضي إثبات الحياة في أحكام الدنيا، وذلك زائد على حياة الشهيد.

والذي صرح به النووي: زوال ملكه ﷺ وأن ما تركه صدقة على جميع المسلمين لا يختص به ورثته.

فإن قلت: القرآن ناطق بموته ﷺ، قال الله تعالى: ﴿إنك ميت

---

(١) أي أهل الآخرة في الجنة، كما في مسلم مرفوعاً (إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس).

(٢) أي: ابن القاص.

وإنهم ميتون﴾[1]، وقال ﷺ: (إني امرؤ مقبوض)، وقال الصديق: فإن محمداً قد مات، وأجمع المسلمون على إطلاق ذلك.

فأجاب الشيخ تقي الدين السبكي، بأن ذلك الموت غير مستمر، وأنه ﷺ أحيي بعد الموت، ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطاً بالموت المستمر، وإلا فالحياة الثانية حياة أخروية، ولا شك أنها أعلى وأكمل من حياة الشهداء، وهي ثابتة للروح بلا إشكال، وقد ثبت أن أجساد الأنبياء لا تبلى، وعود الروح إلى الجسد ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلاً عن الشهداء، فضلاً عن الأنبياء، وإنما النظر في استمرارها في البدن، وفي أن البدن يصير حياً كحالته في الدنيا، أو حياً بدونها، وهي حيث شاء الله تعالى، فإن ملازمة الروح للحياة أمر عادي لا عقلي، فهذا مما يجوزه العقل، فإن صح به سمعٌ اتبع، وقد ذكره جماعة من العلماء.

ويشهد له: صلاة موسى في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء، كلها صفات الأجسام، ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها بل يكون لها حكم آخر، فليس في العقل/ ما يمنع إثبات الحياة الحقيقية لهم. ٢١٨/أ

وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم بل ولسائر الموتى، حكاه الشيخ زين الدين المراغي، وقال: إنه مما يعز وجوده وفي مثله فليتنافس المتنافسون.

---

(١) سورة الزمر، الآية ٣٠.

[تبليغه سلام أمته]

ومنها: أنه وكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين عليه. رواه أحمد والنسائي والحاكم وصححه بلفظ «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام» وعند الأصبهاني عن عمارة، «إن لله ملكاً أعطاه الله سمع العباد كلهم، فما من أحد يصلي علي إلا أبلغنيها».

وتعرض أعمال أمته عليه، ويستغفر لهم، روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب «ليس من يوم إلا وتعرض على النبي ﷺ أعمال أمته غدوة وعشياً فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم».

[المنبر النبوي على الحوض]

ومنها: أن منبره ﷺ على حوضه كما في الحديث[1] وفي رواية[2]: «ومنبري على ترعة من ترع الجنة» وأصل الترعة الروضة على المكان المرتفع خاصة، فإذا كان في المطمئن فهي روضة. ولم يختلف أحد من العلماء أنه على ظاهره وأنه حق محسوس موجود، فإن القدرة صالحة لا عجز فيها، وكل ما أخبر به الصادق ﷺ من أمور الغيب فالإيمان به واجب.

[الروضة الشريفة]

ومنها أن ما بين منبره وقبره روضة من رياض الجنة، رواه البخاري بلفظ (ما بين بيتي ومنبري) وهذا يحتمل الحقيقة والمجاز.

---

(١) أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: (ما بين بيتي ومنري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي).

(٢) عند النسائي.

أما الحقيقة: فأن يكون ما أخبر عنه ﷺ بأنه من الجنة مقتطعاً منها، كما أن الحجر الأسود منها[1]، وكذلك النيل والفرات من الجنة[2]، وكذلك الثمار الهندية من الورق التي هبط بها آدم عليه السلام من الجنة، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون في هذه الدار من مياه الجنة، ومن ترابها، ومن حجرها، ومن فواكهها، حكمة حكيم جليل.

وأما المجاز: فبأن يكون من إطلاق اسم المسبب على السبب، فإن ملازمة ذلك المكان للصلاة والعبادة سبب في نيل الجنة، قاله ابن أبي جمرة، وهو معنى قول بعضهم: لكون العبادة فيه تؤول إلى دخول العابد روضة الجنة.

وهذا فيه نظر: إذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة على غيرها.

وفي كتاب «بهجة النفوس» لابن أبي جمرة أيضاً حكاية قول: أن تلك البقعة تنقل بعينها فتكون من الجنة، يعني روضة من رياضها. قال: والأظهر الجمع بين الوجهين مما يعني احتمال كونها تنقل إلى الجنة، وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة، ويأتي مزيد لذلك إن شاء الله تعالى في فصل الزيارة من المقصد الأخير إن شاء الله تعالى.

[أول من ينشق عنه القبر]

ومنها: أنه ﷺ أول من ينشق عنه القبر. وفي رواية مسلم (أنا أول من تنشق عنه الأرض)

(١) قال ﷺ: (الحجر الأسود من الجنة) رواه أحمد والنسائي.

(٢) روى مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً (سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة).

وهو أول من يفيق من الصعقة، قال ﷺ: (أنا أول من يـرفع رأسه بعد النفخة فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور) رواه البخاري.

والظاهر أنه ﷺ لم يكن عنده علم بذلك حتى أعلمه الله تعالى، فقد أخبر عن نفسه الكريمة أنه ﷺ أول من ينشق عنه القبر.

وهو أول من يجوز[1] على الصراط، رواه البخاري من حديث أبي هريرة[2].

وأنه يحشر في سبعين ألفـاً من الملائكـة، كما روي عن كعب الأحبار: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألف ملك يحفون بقبره ﷺ يضربون بأجنحتهم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه ﷺ[3]. الحديث رواه ابن النجار في تاريخ المدينة.

وأنـه يحشر راكب الـبراق، رواه الحـافظ السلفي، كـما ذكـره الطبري.

ويكسى في الموقف أعظم الحلل من الجنة. رواه البيهقي بلفظ: فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر، ورواه كعب بن مالك بلفظ: يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل، ويكسوني ربي حلة خضراء، رواه البخاري، وهو عند ابن أبي شيبة بلفظ: يحشر الناس على تل، وأمتي على تل، وعند الطبراني أيضـاً حديث/ ابن عمـر: ٢١٨

---

(١) كذا في ط وهو كذلك أيضاً في البخاري، وفي النسخ يجيز.

(٢) هو عند البخاري برقم ٨٠٦.

(٣) قال الشارح: وهو من الكتب القديمة، أقول: ونحن في غنى عنها. [م].

فيرقى هو- يعني محمداً ﷺ - وأمته على كوم فوق الناس، وأنه يقوم عن يمين العرش، رواه ابن مسعود عنه ﷺ وفيه: لا يقومه غيره، يغبطه فيه الأولون والآخرون.

[خصائص تتعلق بالموقف يوم القيامة]

● ومنها: أنه يعطى المقام المحمود، قال مجاهد: هو جلوسه ﷺ على العرش، وعن عبدالله بن سلام، على الكرسي، ذكرهما البغوي، وسيأتي ما قيل في ذلك في ذكر تفضيله ﷺ بالمقام المحمود إن شاء الله تعالى.

● ومنها أنه يعطى الشفاعة العظمى في فصل القضاء بين أهل الموقف، حين يفزعون إليه بعد الأنبياء، والشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وفي رفع درجات ناس في الجنة.

كما جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها به. ووردت الأحاديث به في التي قبل، وسيأتي مزيد لذلك إن شاء الله تعالى في المقصد الأخير، والله المعين.

● ومنها: أنه صاحب لواء الحمد، يوم القيامة، آدم فمن دونه تحته. رواه البزار.

وأنه أول من يقرع باب الجنة. روى مسلم من حديث المختار ابن فلفل عن أنس قال: قال ﷺ: (أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة) وعنده أيضاً عن أنس قال ﷺ: (آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن، بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك)، ورواه الطبراني بزيادة فيه، قال: فيقوم الخازن فيقول: لا أفتح لأحد قبلك، ولا أقوم لأحد بعدك، وهذه خصوصية أخرى له

ﷺ وهي: أن خازن الجنة لا يقوم لأحد غيره ﷺ، فقيامه له ﷺ فيه إظهار لمزيته ومرتبته، ولا يقوم لأحد بعده، بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم، وقد أقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله حتى مشى وفتح له الباب.

● ومنها أنه ﷺ أول من يدخل الجنة، قال ﷺ: (وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر) رواه الترمذي.

● ومن خصائصه ﷺ الكوثر، نهر في الجنة يسيل من حوضه مجراه على الدر والياقوت، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج.

● ومنها الوسيلة، وهي أعلى درجة في الجنة.

[خصائص أمة محمد ﷺ]

[الحكم بشريعة الإسلام]

وأما خصائص أمته ﷺ وزادها شرفاً، فاعلم أنه لما أنشأ الله سبحانه وتعالى العالم على غاية من الإتقان، وأبرز جسد نبينا ﷺ للعيان، وظهرت عنايته بأمته الإنسانية، بحضوره وظهوره فيها، وإن كان العالم الإنساني والناري[1] كله أمته، ولكن لهؤلاء خصوص وصف، فجعلهم خير أمة أخرجت للناس، وجعلهم ورثة الأنبياء، وأعطاهم الاجتهاد في نصب الأحكام، فيحكمون بما أدى إليه اجتهادهم.

---

(١) أي عالم الجن.

وكل من دخل في زمان هذه الأمة من الأنبياء بعد نبيها، كعيسى عليه السلام، أو قدر دخوله كالخضر، فإنه لا يحكم في العالم إلا بما شرعه محمد ﷺ في هذه الأمة، فإذا نزل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فإنما يحكم بشريعة نبينا ﷺ بإلهام أو اطلاع على الروح المحمدي أو بما شاء الله تعالى، فيأخذ عنه ما شرع الله له أن يحكم به في أمته، فلا يحكم في شيء من تحريم وتحليل إلا بما كان يحكم به نبينا ﷺ ، ولا يحكم بشريعته التي أنزلت عليه في أوان رسالته ودولته، فهو عليه السلام تابع لنبينا ﷺ . وقد نبه على ذلك الترمذي الحكيم في كتاب ختم الأولياء، وأعرب عنه صاحب «عنقاء مغرب»[1]، وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح عقائد النسفي وصحح/ أنه يصلي بالناس ويؤمهم ويقتدي به المهدي لأنه أفضل منه، فإمامته أولى. انتهى.

٢١٠/أ

فهو عليه الصلاة والسلام وإن كان خليفة في الأمة المحمدية، فهو رسول ونبي كريم على حاله، لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحداً من هذه الأمة، نعم هو واحد من هذه الأمة لما ذكر من وجوب اتباعه لنبينا ﷺ والحكم بشريعته.

فإن قلت: قد ورد في صحيح مسلم[2] قوله ﷺ: (ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية) وأن الصواب في معناه: أنه لا يقبل الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام أو القتل، وهذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم، فإن

---

(١) «عنقاء مغرب» اسم كتاب ألفه الشيخ محيى الدين بن عربي الطائي الأندلسي، مات بدمشق سنة ست وثلاثين وستمائة.

(٢) وكذا رواه البخاري.

الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام، وإذا كان كذلك، فكيف يكون عيسى عليه السلام حاكماً بشريعة نبينا ﷺ ؟

فالجواب: أنه لا خلاف أن عيسى عليه السلام إنما ينزل حاكماً بهذه الشريعة المحمدية ولا ينزل نبياً برسالة مستقلة[1] وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة.

وأما حكم الجزية وما يتعلق بها فليس حكماً مستمراً إلى يوم القيامة، بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى، وقد أخبر نبينا ﷺ بنسخه، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ، بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ، فدل على أن الامتناع في ذلك الوقت من قبول الجزية هو شرع نبينا ﷺ. أشار إليه النووي في شرح مسلم.

فإن قلت: ما المعنى في تغيير حكم الشرع عند نزول عيسى عليه السلام في عدم قبول الجزية؟

فأجاب ابن بطال: بأنا إنما قبلناها نحن لاحتياجنا إلى المال[2]، وليس يحتاج عيسى عليه السلام عند خروجه إلى مال، لأنه يفيض في أيامه المال حتى لا يقبله أحد، فلا يقبل إلا القتل أو الإيمان بالله وحده. انتهى.

---

(١) كذا في ش، وفي النسخ: مستقرة.

(٢) هذا الحصر والتعليل غير صحيح، فأخذ الجزية من أهل الكتاب إنما كان تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**﴾ سورة التوبة الآية ٢٩، وليس ذلك مرتبطاً بحاجة المسلمين، وأنهم في حال عدم احتياجهم لا يأخذونها [المحقق].

وأجاب الشيخ ولي الدين ابن العراقي: بأن قبول الجزية من اليهود والنصارى لشبهة ما بأيديهم من التوراة والإنجيل. وتعلقهم بزعمهم بشرع قديم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت تلك الشبهة بحصول معاينته، فصاروا كعبدة الأوثان في انقطاع شبهتهم وانكشاف أمرهم، فعوملوا معاملتهم في أنه لا يقبل منهم إلا الإسلام، والحكم يزول بزوال علته. قال وهذا معنى حسن مناسب لم أر من تعرض له. قال: وهذا أولى مما ذكره ابن بطال. انتهى.

وكذلك من يقول من العلماء بنبوة الخضر، وأنه باق إلى اليوم، فإنه تابع لأحكام هذه الملة. وكذلك إلياس على ما صححه أبو عبدالله القرطبي أنه حي أيضاً.

وليس في الرسل من يتبعه رسول له كتاب إلا نبينا ﷺ ، وكفى بهذا شرفاً لهذه الأمة المحمدية زادها الله شرفاً.

[خير أمة أخرجت للناس]

فالحمد لله الذي خصنا بهذه الرحمة، وأسبغ علينا هذه النعمة، ومنَّ علينا بما عمنا به من الفضائل الجمة، ونوَّه بنا في كتابه العزيز بقوله: ﴿كنتم خير أمة﴾[1]، فتأمل قوله (كنتم) أي في اللوح المحفوظ، وقيل: كنتم في علم الله.

فينبغي لمن هو من هذه الأمة المحمدية أن يتخلق بالأخلاق الزكية، ليثبت له ما لهذه الأمة الشريفة من الأوصاف المرضية، ويتأهل لما لها من الخيرية.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

قال مجاهد: كنتم خير أمة أخرجت للناس إذا كنتم على الشرائط المذكورة، أي: تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.

وقيل: إنما صارت أمة محمد ﷺ خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى.

وقيل: هذا لأصحاب محمد ﷺ، كما قال ﷺ: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[1] وهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل ممن بعدها. وإلى هذا ذهب معظم العلماء.

[فضيلة الصحابة]

وأن من صحبه ﷺ ورآه ولو مرة من عمره أفضل من كل من يأتي بعده، وأن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، هذا مذهب الجمهور.

وذهب أبو عمر بن عبد البر: إلى أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة أفضل ممن كان في جملة/ الصحابة، وأن قوله ﷺ: (خير الناس قرني) ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن من الفاضل والمفضول، وقد جمع قرنه ﷺ جماعة من المنافقين المظهرين للإيمان، وأهل الكبائر الذين أقام عليهم وعلى[2] بعضهم الحدود، وقد روى أبو أمامة أنه ﷺ قال: طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وآمن بي[3].

٢١٩/ب

(١) رواه الشيخان وغيرهما.

(٢) في ط، أو على.

(٣) أخرجه أحمد والبخاري في التاريخ وابن حبان والحاكم.

وفي مسند أبي داود الطيالسي عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فقال: أتدرون أي الخلق أفضل إيماناً؟ قلنا: الملائكة، قال: وحق لهم، بل غيرهم. قلنا: الأنبياء قال: وحق لهم، بل غيرهم، ثم قال ﷺ أفضل: الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم أفضل الخلق إيماناً.

وروي أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب إلى سالم بن عبدالله أن اكتب إلي بسيرة عمر بن الخطاب لأعمل بها، فكتب إليه سالم: إن عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر، لأن زمانك ليس كزمان عمر، ولا رجالك كرجال عمر، قال: وكتب إلى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم.

قال أبو عمر: فهذه الأحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها، التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل العمل، إلا أهل بدر والحديبية. ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب، والله يؤتي فضله من يشاء. انتهى.

وإسناد حديث أبي داود الطيالسي عن عمر ضعيف فلا يحتج به، لكن روى أحمد والدارمي والطبراني عن أبي عبيدة ـ أي ابن الجراح[1] ـ: يا رسول الله، أحد خير منا[2]؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني. وإسناده حسن وصححه الحاكم.

والحق ما عليه الجمهور: أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل

---

(١) زيادة في ط.

(٢) بتقدير أداة استفهام، أي: هل أحد.

لمشاهدة رسول الله ﷺ ، والدلائل على أفضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل بذكرها وسيأتي بقية مباحث ذلك في فضل الصحابة من المقصد السابع إن شاء الله تعالى.

[من فضائل أمته ﷺ]

وقد خص الله تعالى هذه الأمة الشريفة بخصائص لم يؤتها أمة قبلهم، أبان بها فضلهم، والأخبار والآثار ناطقة بذلك.

فخرج أبو نعيم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : إن موسى ـ عليه السلام ـ لما نزلت عليه التوراة وقرأها، فوجد فيها ذكر هذه الأمة، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها ظاهراً فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة يأكلون الفيء فاجعلها أمتّي، قال تلك أمة أحمد[١]، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم[٢] يؤجرون عليها فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة يؤتون العلم الأول والعلم

(١) فقرة الفيء هذه لم ترد في (ط، ب، د) وجاءت في (ش) بعد التي تليها.
(٢) أي ما يصرفون على أنفسهم وأهاليهم.

الآخر، فيقتلون المسيح الدجال، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب فاجعلني من أمة أحمد، فأعطي عند ذلك خصلتين، فقال: يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين، قال: قد رضيت يا رب.

وروى ابن طغر بك في «النطق المفهوم» عن ابن عباس رفعه: قال موسى: يا رب، فهل في الأمم أكرم عليك من أمتي، ظللت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المنَّ والسلوى، فقال/[1]: سبحانه وتعالى: يا موسى، أما علمت أن فضل أمة محمد على سائر الأمم كفضلي على جميع خلقي؟ قال: يا رب فأرينهم، قال: لن تراهم، ولكن أسمعك كلامهم، فناداهم الله تعالى، فأجابوا كلهم بصوت واحد: لبيك اللهم لبيك، وهم في أصلاب آبائهم وبطون أمهاتهم فقال سبحانه وتعالى: صلاتي عليكم، ورحمتي سبقت غضبي، وعفوي سبق عذابي، استجيب لكم قبل أن تسألوني، فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله غفرت له ذنوبه. قال ﷺ: فأراد الله أن يمن علي بذلك فقال: ﴿**وما كنت بجانب الطور إذ نادينا**﴾[2] أي أمتك حتى أسمعنا موسى كلامهم.

٢١٨م/١

ورواه قتادة، وزاد: فقال موسى: يا رب، ما أحسن أصوات أمة محمد ﷺ أسمعني مرة أخرى.

---

(١) هنا انتهى المجلد الأول من المخطوطة (الأصل) وبه ينتهي الترقيم الجامعي ـ كما ذكرت في المقدمة ـ ويبدأ المجلد الثاني ونعتمد فيه ترقيم المخطوطة الذي يبدأ بالورقة رقم ٢١٨ ولذا فسوف يكون الرقمان ٢١٨ و٢١٩ مكررين وأشرت إلى ذلك بالحرف م [المحقق].

(٢) سورة القصص، الآية ٤٦.

وفي الحلية لأبي نعيم، عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: أوحى الله إلى موسى، نبئ بني إسرائيل أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار. قال: يا رب، ومن أحمد؟ قال: ما خلقت خلقاً أكرم علي منه، كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السماوات والأرض، إن الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وأمته، قال: ومن أمته؟ قال: الحمادون، يحمدون صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال. يشدون أوساطهم[١] ويطهرون أطرافهم، صائمون بالنهار، رهبان بالليل، أقبل منهم اليسير، وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله، قال: اجعلني نبي تلك الأمة، قال: نبيها منها، قال: اجعلني من أمة ذلك النبي، قال: استقدمت واستأخر، ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال.

وعن وهب بن منبه قال: أوحى الله إلى شعيا: إني باعث نبياً أمياً، أفتح به آذاناً صماً، وقلوباً غلقاً، وأعيناً عمياً، مولده بمكة، ومهاجره طيبة، وملكه بالشام، عبدي المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المنتخب[٢] المختار، لا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، رحيماً بالمؤمنين، يبكي للبهيمة المثقلة، ولليتيم في حجر الأرملة، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب[٣] في الأسواق، ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا، لو يمر إلى جنب السراج لم يطفئه من سكينته، ولو يمشي على القصب الرعراع[٤] لم يسمع من تحت قدميه،

---

(١) أي بالأزر.

(٢) كذا في ش، وفي النسخ: المتحبب: قال الشارح في نسخة المتحبب وأظنها تصحيفاً.

(٣) صخاب وسخاب روايتان وهما لغتان.

(٤) أي الطويل.

أبعثه مبشراً ونذيراً. . إلى أن قال: وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وتوحيداً لي، وإيماناً بي، وإخلاصاً لي، وتصديقاً لما جاءت به رسلي، وهم رعاة الشمس والقمر[1]، طوبى لتلك القلوب والوجوه والأرواح التي أخلصت لي، ألهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد، في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم، ويصفون في مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشي، هم أوليائي وأنصاري، أنتقم بهم من أعدائي عبدة الأوثان، يصلون لي قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألوفاً، ويقاتلون في سبيلي صفوفاً، أختم بكتابهم الكتب، وبشريعتهم الشرائع، وبدينهم الأديان، فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم، ويدخل في دينهم وشريعتهم فليس مني، وهو مني بريء، وأجعلهم أفضل الأمم، وأجعلهم أمة وسطاً شهداء على الناس، إذا غضبوا هللوني، وإذا تنازعوا سبحوني، يطهرون الوجوه والأطراف، ويشدون الثياب إلى الأنصاف، ويهللون على التلال والأشراف، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم في صدورهم، رهباناً بالليل ليوثاً بالنهار، طوبى لمن كان معهم، وعلى دينهم ومنهاجهم وشريعتهم، وذلك فضلي أوتيه من أشاء، وأنا ذو الفضل العظيم. رواه أبو نعيم.

وقد ذكر الإمام فخر الدين: أن من كانت معجزاته أظهر يكون ثواب أمته أقل، قال السبكي: إلا/ هذه الأمة، فإن معجزات نبيها أظهر وثوابها أكثر من سائر الأمم. ٢م/ب

[خصوصية إحلال الغنائم]

ومن خصائص هذه الأمة إحلال الغنائم، ولم تحل لأمة قبلها،

---

(١) للعبادة والذكر.

وجعلت لهم الأرض مسجداً ولم تكن الأمم تصلي إلا في البيع والكنائس، وجعل لهم ترابها طهوراً وهو التيمم. وفي رواية أبي أمامة عند البخاري: (وجعلت الأرض كلها لي ولأمتي مسجداً وطهوراً) وفي رواية مسلم من حديث حذيفة: (وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها طهوراً إذا لم نجد الماء)[1].

[خصائص تتعلق بالصلاة]

● ومن خصائص هذه الأمة الوضوء، فإنه لم يكن إلا للأنبياء دون أممهم، ذكره الحليمي، واستدل بحديث البخاري (إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء) لكن قال في فتح الباري: فيه نظر: لأنه ثبت في البخاري قصة سارة ـ عليها السلام ـ مع الملك الذي أعطاها هاجر: أن سارة لما همَّ الملك بالدنو منها قامت تتوضأ وتصلي، وفي قصة جريج الراهب أيضاً: أنه قام فتوضأ وصلى ثم كلم الغلام. فالظاهر أن الذي اختصت به هذه الأمة هو الغرة والتحجيل، لا أصل الوضوء.

وقد صرح بذلك في رواية لمسلم عن أبي هريرة مرفوعاً، قال: (لكم سيما ليست لأحد غيركم) أي علامة. وغاية التحجيل: استيعاب العضدين والساقين والغرة: غسل مقدمات الرأس وصفحة العنق مع الوجه.

● ومنها مجموع الصلوات الخمس، ولم تجمع لأحد غيرهم، أخرج الطحاوي عن عبيدالله بن محمد بن عائشة قال: إن آدم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح، وفدى إسحاق عند

---

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد برقم ٤.

الظهر، فصلى أربع ركعات فصارت الظهر، وبعث عزيراً عند العصر، فقيل له: كم لبثت قال: يوماً، فرأى الشمس فقال: أو بعض يوم فصلى أربع ركعات فصارت العصر، وغفر لداود عند المغرب، فقام يصلي أربع ركعات فجهد فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثاً. وأول من صلى العشاء الآخرة نبينا ﷺ.

وأخرج أبو داود في سننه، وابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العتمة ليلة حتى ظن الظان أنه قد صلى ثم خرج فقال: أعتموا بهذه الصلاة فإنكم فضلتم بها على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم.

● ومنها الآذان والإقامة.

● ومنها البسملة، قاله بعضهم فيما نقله الشيخ شهاب الدين الحلبي النحوي في تفسيره، قال: ولم ينزلها الله على أحد من الأمم قبلنا إلا على سليمان بن داود، فهي مما اختصت به هذه الأمة. انتهى.

● ومنها التأمين، روى الإمام أحمد من حديث عائشة قالت: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ استأذن رجل من اليهود، فذكر الحديث وفيه: أن النبي ﷺ قال: إنهم لم يحسدونا على شيء كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا الحديث غريب لا أعرفه بهذه الألفاظ إلا من هذا الوجه، لكن لبعضه متابع حسن في التأمين، أخرجه ابن ماجه وصححه ابن خزيمة كلاهما من رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ قال: ما حسدتنا اليهود على شيء ما حسدتنا على السلام والتأمين.

● ومنها الاختصاص بالركوع، عن علي رضي الله عنه قال: أول صلاة ركعنا فيها العصر، فقلت: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: بهذا أمرت. رواه البزار والطبراني في الأوسط.

ووجه الاستدلال منه: أنه ﷺ صلى قبل ذلك الظهر، وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل، فكون الصلاة السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة/ الأمم السابقة منه. قاله بعض العلماء. ٢١٩م/١

قال: وذكر جماعة من المفسرين في قوله تعالى: ﴿**واركعوا مع الراكعين**﴾[١] أن مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الأمة، وأنه لا ركوع في صلاة بني إسرائيل، ولذا أمرهم بالركوع مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا يعارضه قوله تعالى: ﴿**يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين**﴾[٢] المفسر [بأنها][٣] أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها.

قالوا: وقدم السجود قبل الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم، أو للتنبيه على أن «الواو» لا توجب الترتيب.

وقيل: المراد بالقنوت إدامة الطاعة، كقوله: ﴿**أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً**﴾[٤] وبالسجود: الصلاة، لقوله: ﴿**وأدبار السجود**﴾[٥]، وبالركوع: الخضوع والإخبات.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٤٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية ٤٣.
(٣) زيادة في ب.
(٤) سورة الزمر، الآية ٩.
(٥) سورة ق، الآية ٤٠.

• ومنها الصفوف في الصلاة، كصفوف الملائكة، رواه مسلم من حديث حذيفة.

• ومنها تحية الإسلام لحديث عائشة السابق.

[الجمعة]

• ومنها الجمعة، قال ﷺ: نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد، رواه البخاري.

• ومنها ساعة الإجابة التي في الجمعة، واختلف في تعيينها على أقوال تزيد على الثلاثين ذكرتها في «لوامع الأنوار في الأدعية والأذكار».

[خصائص تتعلق برمضان]

• ومنها: أنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً، وتتزين الجنة فيه، وخلوف أفواه الصائمين أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة في كل يوم وليلة حتى يفطروا، وإذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعاً. رواه البيهقي بإسناد لا بأس به بلفظ: أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي.. الحديث[1]، و«تستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا». رواه البزار. و«تصفد فيه مردة الشياطين» رواه أحمد والبزار.

• ومنها السحور، وتعجيل الفطر، رواه الشيخان. وإباحة

---

(١) كلمة «الحديث» في الأصل فقط.

الأكل والشرب والجماع ليلاً إلى الفجر، وكان محرماً على من قبلنا بعد النوم، وكذا كان في صدر الإسلام ثم نسخ.

● ومنها: ليلة القدر، كما قاله النووي في شرح المهذب.

وهل صيام رمضان من خصائص هذه الأمة أم لا؟ إن قلنا إن التشبيه الذي دلت عليه كاف «كما» في قوله تعالى: ﴿**كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم**﴾[1] على حقيقته فيكون رمضان كتب على من قبلنا. وذكر ابن أبي حاتم عن ابن عمر رفعه: صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم. وفي إسناده مجهول.

وإن قلنا المراد مطلق الصيام دون قدره ووقته فيكون التشبيه واقعاً على مطلق الصوم، وهو قول الجمهور.

[الاسترجاع عند المصيبة]

ومنها أن لهم الاسترجاع عند المصيبة، قال سعيد بن جبير: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثله: إنا لله وإنا إليه راجعون. ولو أعطيت الأنبياء لأعطيه يعقوب عليه الصلاة والسلام إذ قال: ﴿**يا أسفى على يوسف**﴾[2].

[خصائص اليسر ورفع الحرج]

● ومنها: أن الله تعالى رفع عنهم الإصر الذي كان على الأمم قبلهم، قال الله تعالى: ﴿**ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت**

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٣.

(٢) سورة يوسف، الآية ٨٤.

عليهم﴾[1] أي: ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة، كتعيين القصاص في العمد والخطأ[2] وقطع الأعضاء الخاطئة، وقطع موضع النجاسة[3]، وقتل النفس في التوبة[4].

وقد كان الرجل من بني إسرائيل يذنب الذنب فيصبح قد كتب على باب بيته: إن كفارته أن تنزع عينيك فينزعهما.

٢١٩م/ب

وأصل/ الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه، أي يحبسه من الحراك لثقله.

● ومنها أن الله تعالى أحل لهم كثيراً مما شدد على من قبلهم، ولم يجعل عليهم في الدين من حرج، كما قال تعالى: **﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾**[5] أي ضيق بتكليف ما اشتد القيام به عليهم، إشارة إلى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه، يعني من لم يستطع أن يصلي قائماً فليصل قاعداً، وأباح للصائم الفطر في السفر، والقصر فيه.

وقيل ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجاً، وفتح لهم باب التوبة، وشرع لهم الكفارات في حقوقه تعالى، والأروش والديات في حقوق العباد. قاله البيضاوي.

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧

(٢) في البخاري (كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية في نفس أو جرح)

(٣) في البخاري: (إن بني إسرائيل كان إذا أصاب ـ أي البول ـ ثوب أحدهم قرضه).

(٤) قال تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾ أي ليقتل البرئ منكم المجرم.

(٥) سورة الحج، الآية ٧٨.

وروي عن ابن عباس أنه قال: الحرج ما كان على بني إسرائيل من الإصر والشدائد، وضعه الله عن هذه الأمة.

وعن كعب، أعطى الله هذه الأمة ثلاثاً لم يعطهن إلا الأنبياء: جعلهم شهداء على الناس، وما جعل عليهم في الدين من حرج، وقال: ادعوني استجب لكم.

● ومنها: أن الله رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، وحديث النفس[1]، وقد كان بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا به أو أخطؤوا عجلت لهم العقوبة، فحرِّم عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب.

وقد قال ﷺ: إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، رواه أحمد وابن حبان والحاكم وابن ماجه.

[الإسلام وصف خاص بهم]

ومنها أن الإسلام وصف خاص بهم، لا يشركهم فيه غيرهم إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لقوله تعالى: ﴿**هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا**﴾[2] ﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[3] إذ لو لم يكن خاصاً بهم لم يكن في الامتنان عليهم بذلك فائدة.

وقد يجاب: بأن رضى الإسلام ديناً لهم، وتسمية إبراهيم أباهم

(١) رفع عن هذه الأمة ما يقع في نفوسهم من الشك وغيره لقوله ﷺ: (إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به) رواه الشيخان.

(٢) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣.

بذلك، لا ينفي اتصاف غيرهم به. وفائدة ذلك: الإعلام بالإنعام عليهم بما أنعم به على غيرهم من الفضائل.

وقيل: لا يختص بهم، بل يطلق على غيرهم أيضاً، وهو اسم لكل دين حق لغة وشرعاً. كما أجاب به ابن الصلاح لقوله تعالى - حكاية عن وصية يعقوب - ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[1] ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾[2] إلى غير ذلك. ولأن الإيمان أخص من الإسلام، كما هو مذهب كثير من العلماء، وليس خاصاً بهذه الأمة، بل يوصف به كل من دخل في شريعة مقراً بالله وبأنبيائه، كما قال الراغب.

[كمال شريعتهم]

ومنها: أن شريعتهم أكمل من جميع شرائع الأمم المتقدمة، وهذا لا يحتاج إلى بيانه لوضوحه. وانظر إلى شريعة موسى عليه السلام، فقد كانت شريعة جلال وقهر، أمروا بقتل نفوسهم، وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر[3] وغيرها من الطيبات، وحرمت عليهم الغنائم، عجل[4] لهم من العقوبات ما عجل، وحملوا من الآصار والأغلال ما لم يحمله غيرهم.

وكان موسى عليه السلام من أعظم خلق الله هيبة ووقاراً وأشدهم بأساً وغضباً لله، وبطشاً بأعداء الله، فكان لا يستطاع النظر إليه.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٢. (٢) سورة الذاريات، الآية ٣٦.

(٣) هو ما لم تفرق أصابعه كالإبل والنعام والطيور.

(٤) في ط: عجلت.

وعيسى عليه السلام كان في مظهر الجمال، وكانت شريعته شريعة فضل وإحسان، وكان لا يقاتل ولا يحارب، وليس في شريعته قتال ألبتة، والنصارى يحرم عليهم في دينهم القتال، وهم به عصاة، فإن الإنجيل يأمر فيه: أن من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، ومن نازعك ثوبك فأعطه رداءك، ومن سخرك ميلاً فامش معه ميلين، ونحو هذا، وليس في شريعتهم مشقة ولا إصر ولا أغلال.

وأما النصارى فابتدعوا تلك الرهبانية من قبل أنفسهم ولم تكتب عليهم.

وأما نبينا ﷺ فكان مظهر الكمال، الجامع لتلك القوة والعدل والشدة في الله، واللين والرأفة والرحمة فشريعته أكمل الشرائع، وأمته/ ١/٢٢٠ أكمل الأمم، وأحوالهم ومقاماتهم أكمل الأحوال والمقامات، ولذلك تأتي شريعته ﷺ بالعدل إيجاباً له وفرضاً، وبالفضل ندباً إليه واستحباباً، وبالشدة في موضع الشدة، وباللين في موضع اللين، ووضع السيف موضعه، ووضع الندى موضعه، فيذكر الظلم ويحرمه، والعدل ويأمر به، والفضل ويندب إليه في بعض آية، كقوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ فهذا عدل ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ فهذا فضل ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾[1] فهذا تحريم للظلم.

وقوله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ فهذا إيجاب للعدل وتحريم للظلم ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾[2] ندب إلى الفضل.

---

(١) سورة الشورى، الآية ٤٠.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٦.

وكذلك تحريم ما حرم على هذه الأمة صيانة وحمية، حرم عليهم كل خبيث وضار، وأباح لهم كل طيب ونافع، فتحريمه عليهم رحمة، وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة، كما أشرت إليه قريباً.

وهداهم لما ضلت عنه الأمم قبلهم كيوم الجمعة، كما سأذكره إن شاء الله تعالى في مقصد عباداته ﷺ، وتقدم ما يشهد له.

ووهب لهم من علمه وحلمه، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، وكمل لهم من المحاسن ما فرقه في الأمم، كما كمل لنبيهم من المحاسن ما فرقه في الأنبياء قبله، وكمل في كتابهم من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله، وكذلك في شريعته.

فهذه الأمة هم المجتبون، كما قال إلههم: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[1] وجعلهم شهداء على الناس، فأقامهم في ذلك مقام الرسل الشاهدين على أممهم، أشار إليه ابن القيم.

[فضيلة اجتماعهم وإجماعهم]

● ومنها: أنهم لا يجتمعون على ضلالة. رواه أحمد في مسنده، والطبراني في الكبير، وابن أبي خيثمة في تاريخه عن أبي بصرة الغفاري مرفوعاً في حديث (سألت ربي أن لا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها). ورواه ابن أبي عاصم والطبراني أيضاً من حديث أبي مالك الأشعري رفعه: إن الله أجاركم من ثلاث، وذكر منها (وأن لا تجتمعوا على ضلالة).

---

(١) سورة الحج، الآية ٧٨.

قال شيخنا: وبالجملة، فهو حديث مشهور المتن، ذو أسانيد كثيرة وله شواهد متعددة في المرفوع وغيره.

● ومنها: أن إجماعهم حجة وأن اختلافهم رحمة، وكان اختلاف من قبلهم عذاباً، روى البيهقي في المدخل في حديث من رواية سليمان ابن أبي كريمة، عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: واختلاف أصحابي لكم رحمة.

وجويبر: ضعيف جداً، والضحاك عن ابن عباس: منقطع.

وهو كما قال شيخ الإسلام ابن حجر: حديث مشهور على الألسنة، وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ: اختلاف أمتي رحمة للناس. قال: وكثر السؤال عنه، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له، لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطرداً، وقال: اعترض على هذا الحديث رجلان، أحدهما ماجن والآخر ملحد، وهما: إسحاق الموصلي، وعمرو بن بحر الجاحظ وقالا جميعاً: لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذاباً، قال: ثم تشاغل الخطابي برد هذا الكلام، ولم يقع في كلامه نص في عزو الحديث، ولكنه أشعر بأن له أصلاً عنده.

ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال: أهل العلم أهل توسعة، وما برح المفتون يختلفون، فيحل هذا ويحرم هذا، فلا يعيب هذا على هذا، أشار إليه شيخنا في المقاصد الحسنة.

[الإصابة بالطاعون شهادة]

ومنها أن الطاعون لهم شهادة ورحمة، وكان على الأمم عذاباً. رواه أحمد والطبراني في الكبير، من حديث أبي عسيب مولى رسول الله

ﷺ. ورجال أحمد ثقات ولفظه: (الطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجز على الكافرين).

[الشهادة بالخير توجب الجنة]

ومنها أنهم إذا شهد اثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة[1].

٢٢٠/ب وكان الأمم السالفة/ إذا شهد منهم مائة.

[قلة العمل وكثرة الأجر]

ومنها أنهم أقل الأمم عملاً، وأكثرهم أجراً وأقصرهم أعماراً، وأوتوا العلم الأول والآخر، وآخر الأمم فافتضحت الأمم عندهم ولم يفتضحوا.

[خصيصة الإسناد]

ومنها: أنهم أوتوا الإسناد، وهو خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة، وسنة بالغة من السنن المؤكدة.

وقد روينا من طريق أبي العباس الدغولي قال: سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول: إن الله قد أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد [موصول][2]، إنما هو صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي اتخذوها عن غير الثقات.

---

(١) روى أحمد والبخاري والنسائي عن عمر مرفوعاً (أيما مسلم شهد له أربعة أدخله الله الجنة، قيل: وثلاثة؟ قال: وثلاثة، قيل واثنان؟ قال: واثنان...) والمقصود الثناء عليه بخير.

(٢) في ش.

وهذه الأمة الشريفة - زادها الله شرفاً بنبيها - إنما تنص الحديث عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقصر مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجهاً وأكثر، حتى يهذبوه من الغلط والزلل، ويضبطوا حروفه ويعدوه عداً، فهذا من فضل الله على هذه الأمة، فنستودع الله تعالى شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه.

وقال أبو حاتم الرازي[1]: لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله تعالى آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة، انتهى.

● ومنها: أنهم أوتوا الأنساب والإعراب، قال أبو بكر محمد بن أحمد[2]: بلغني أن الله خص هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد والأنساب والإعراب، انتهى. وهو مروي عن أبي علي الجياني[3] أيضاً.

● ومنها: أنهم أوتوا تصنيف الكتب، ذكره بعضهم.

ولا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله. رواه الشيخان.

---

(١) محمد بن أدريس الرازي. روى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجه، قال الخطيب: كان أحد الأئمة الحفاظ الأثبات، وثقه النسائي وغيره. مات بالري سنة خمس وسبعين ومائتين.

(٢) أبو بكر محمد بن أحمد البغدادي، الحافظ الإمام القدوة، كان فاضلاً ورعاً ثقة حسن القراءة للحديث علامة في الأدب، مات سنة تسع وثمانين وأربعمائة.

(٣) الحسين بن محمد الأندلسي الجياني، الإمام الحافظ الثبت، ولد سنة سبع وثلاثين وأربعمائة أخذ عن جهابذة الحفاظ ولم يخرج من الأندلس... له تصانيف... توفي سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.

[وجود الأبدال فيهم]

ومنها: أن فيهم أقطاباً وأوتاداً ونجباء وأبدالاً[1].

عن أنس مرفوعاً: الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة، كلما مات رجل أبدل الله رجلاً مكانه، وإذا ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة[2]. رواه الخلال[3] في «كرامات الأوليا»[4].

ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ: لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن عليه السلام، فبهم يسقون وبهم ينصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر.

ورواه ابن عدي في كامله بلفظ: البدلاء أربعون، اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق، كلما مات منهم أحد أبدل الله مكانه آخر، فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم، فعند ذلك تقوم الساعة.

وكذا يروى كما عند أحمد في المسند، والخلال، من حديث عبادة

---

(١) هذه مصطلحات صوفية ننقل بعض ما قاله الشارح في بيانها.
الأقطاب جمع قطب: وهو الخليفة الباطن وسيد أهل زمانه سمي قطباً لجمعه جميع المقامات والأحوال.
والأوتاد: وهم أربعة في كل زمان، وهم العمد وهم في حكم الجبال في الأرض، ولذا سموا أوتاداً.
والنجباء: سبعون ورتبتهم فوق النقباء ودون الأبدال.
والأبدال: جمع بدل، سموا بذلك لأنه إذا مات واحد أبدل مكانه آخر.

(٢) أورده ابن الجوزي في الموضوعات، ثم سرد أحاديث الأبدال وطعن فيها واحداً واحداً وحكم بوضعها،

(٣) الحسن بن أبي طالب بن محمد بن الحسن الخلال، أبو محمد، الحافظ البغدادي، ولد سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، قال الخطيب: كان ثقة خرج المسند على الصحيحين، مات سنة تسع وثلاثين وأربعمائة.

(٤) كتاب ألفه الخلال.

ابن الصامت مرفوعاً. لا يزال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات واحد أبدل الله تعالى مكانه رجلاً.

وفي لفظ الطبراني ـ في الكبير ـ: بهم تقوم الأرض وبهم يمطرون وبهم ينصرون.

ولأبي نعيم في الحلية، عن ابن عمر رفعه: خيار أمتي في كل قرن خمسمائة، والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر، وهم في الأرض كلها.

وفي الحلية أيضاً عن ابن مسعود رفعه: لا يزال أربعون رجلاً من أمتي، قلوبهم على قلب إبراهيم، يدفع الله بهم عن أهل الأرض، يقال لهم الأبدال، إنهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة، قال: فيم أدركوها يا رسول الله؟ قال: بالسخاء والنصيحة للمسلمين.

وعن معروف الكرخي[1]: من قال اللهم ارحم أمة محمد في كل يوم كتبه الله من الأبدال. وهو في الحلية بلفظ: من قال في كل يوم عشر مرات اللهم أصلح أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد كتب من الأبدال.

١/٢٢١ وعن غيره قال: من علامة الأبدال أن لا يولد لهم/، ويروى في مرفوع معضل: علامة أبدال أمتي أنهم لا يلعنون شيئاً أبداً.

وقال يزيد بن هارون: الأبدال هم أهل العلم، وقال الإمام أحمد: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فمن هم؟

وفي تاريخ بغداد للخطيب، عن الكتاني[2] قال: النقباء

---

(١) نسبة إلى كرخ بغداد، الإمام أستاذ السري السقطي، وكان ابن حنبل وابن معين يختلفان إليه ولم يكن مثلهما في علم الظاهر. مات سنة إحدى مائتين.

(٢) الكتاني: عبد العزيز بن أحمد التميمي الدمشقي، محدث دمشق قال الذهبي: =

ثلاثمائة، والنجباء سبعون، والبدلاء أربعون، والأخيار سبعة، والعمد أربعة، والغوث واحد، فمسكن النقباء المغرب، ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض ومسكن الغوث مكة، فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد، فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث، فلا يتم مسألته حتى تجاب دعوته، انتهى[1].

[خصائص تتعلق بالحياة الآخرة]

● ومنها أنهم يدخلون قبورهم بذنوبهم، ويخرجون منها بلا ذنوب، تمحص عنهم باستغفار المؤمنين لهم. رواه الطبراني ـ في الأوسط ـ من حديث أنس، ولفظه: قال قال رسول الله ﷺ: أمتي أمة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها، وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها، تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها.

● ومنها أنهم اختصوا في الآخرة بأنهم أول من تنشق عنهم الأرض من الأمم. رواه أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: وأنا أول من تنشق الأرض عني وعن أمتي ولا فخر.

= ويحتمل أن يوصف بالحفظ في زمنه ولو وجد في زماننا لعد في الحفاظ. مات سنة تسع وثمانين وثلاثمائة.

(١) قال السخاوي: خبر الأبدال له طرق عن أنس بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة، ثم ساق ما ذكره المصنف ثم قال: وأحسن مما تقدم ما رواه أحمد من حديث شريح قال: ذكر أهل الشام عند علي وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين، قال: لا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: البدلاء يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يستسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب. رجاله من رواة الصحيح إلا شريحاً، وهو ثقة، انتهى. =

● ومنها: أنهم يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء. رواه البخاري.

والغرة: بياض في وجه الفرس. والتحجيل: بياض في قوائمه وذلك مما يكسبه حسناً وجمالاً.

فشبه ﷺ النور الذي يكون يوم القيامة في أعضاء الوضوء بالغرة والتحجيل، ليفهم أن هذا البياض في أعضاء الإنسان مما يزينه لا مما يشينه، يعني أنهم إذا دعوا على رؤوس الأشهاد نودوا بهذا الوصف، أو كانوا على هذه الصفة.

● ومنها أنهم يكونون في الموقف على مكان عال. رواه ابن جرير وابن مردويه من حديث جابر مرفوعاً بلفظ: أنا وأمتي على كوم مشرفين على الخلائق، ما من الناس أحد إلا ودَّ أنه منا، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه.

وعند ابن مردويه من حديث كعب قال: أنا وأمتي على تل.

● ومنها: أن سيماهم في وجوههم من أثر السجود. قال تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾[1]. وهل هذه العلامة في الدنيا أو في الآخرة؟ قولان:

أحدهما: أنها في الدنيا، قال ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة: السمت الحسن. وفي رواية مجاهد: ليست بالتي ترون، هي

= أقول: إذا كان في الأبدال أحاديث ضعيفة، فما بال النقباء والنجباء والأقطاب والغوث.. ما هي أدلة وجودها.. ثم ما بال هذا التوزيع الجغرافي الذي ذكره الكتاني؟! إن هذه أمور تصدق إذا وجد النص الصحيح [المحقق].

(١) سورة الفتح، الآية ٢٩.

سمت الإسلام وسيماه وخشوعه. وقيل: الصفرة في الوجه من أثر السهر[1]، فتحسبهم مرضى وما هم بمرضى.

والقول الثاني: أنه في الآخرة يعني أن مواضع السجود من وجوههم يكون أشد بياضاً يوم القيامة، يعرفون بتلك العلامة أنهم سجدوا في الدنيا. رواه العوفي عن ابن عباس. وعن شهر بن حوشب[2]: تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر، وقال عطاء الخراساني[3]: دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس.

- ومنها أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم. رواه أحمد والبزار[4].
- ومنها أن نورهم يسعى بين أيديهم. أخرجه أحمد بإسناد صحيح[5].
- ومنها: أن لهم ما سعوا، وما يسعى لهم، وليس لمن قبلهم إلا ما سعى، قاله عكرمة.

وأما قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾[6] ففيها أجوبة:

---

(١) في ش: السجود.

(٢) تابعي صدوق كثير الإرسال والأوهام مات سنة اثنتي عشرة ومائة، روى له مسلم وأصحاب السنن.

(٣) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، صدوق يهم كثيراً ويرسل ويدلس مات سنة خمس وثلاثين ومائة. روى له النسائي وابن ماجه.

(٤) في ش: رواه البزار.

(٥) عن النبي ﷺ (إني لأعرف أمتي يوم القيامة من بين الأمم، أعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم).

(٦) سورة النجم، الآية ٣٩.

أحدها: أنها منسوخة[1]، روي ذلك عن ابن عباس، نسخها قوله تعالى: ﴿واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾[2]/ فجعل الولد الطفل في ميزان أبيه، ويشفع الله الآباء في الأبناء، والأبناء في الآباء، بدليل قوله تعالى: ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾[3]. ٢٢١/ب

الثاني: أنها مخصوصة بالكافر، وأما المؤمن فله ما سعى غيره. قال القرطبي: وكثير من الأحاديث يدل على هذا القول، وأن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره. وفي الصحيح عن النبي ﷺ (من مات وعليه صيام صام عنه وليه)[4] وقال ﷺ للذي حج عن غيره (حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة)[5]، وعن عائشة أنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن وأعتقت عنه.

وقال سعد للنبي ﷺ : إن أمي توفيت أفأتصدق عنها؟ قال: نعم، قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: سقي الماء[6].

---

(١) قال ابن القيم في كتاب الروح: ذهبت طائفة إلى أنها منسوخة، وروي عن ابن عباس، وهو ضعيف، ولا يرفع حكم الآية بمجرد قول ابن عباس ولا غيره إنها منسوخة، قال: والجمع بين الآيتين غير متعذر.

(٢) سورة الطور، الآية ٢١، وقد جاءت الآية في جميع النسخ على قراءة أبي عمرو، وهي: ﴿وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾.

(٣) سورة النساء، الآية ١١.

(٤) متفق عليه من حديث عائشة.

(٥) رواه أبو داود وابن ماجه برجال ثقات، عن ابن عباس.

(٦) رواه أحمد، المسند ٧/٦

قال ابن القيم في كتاب الروح: وأفضل الصدقة ما صادف حاجة من المتصدق عليه، وكان دائماً مستمراً، ومنه قوله:(أفضل الصدقة سقي الماء) =

وفي الموطأ عن عبدالله بن أبي بكر عن عمته أنها حدثته عن جدته: أنها جعلت على نفسها مشياً إلى مسجد قباء فماتت ولم تقضه، فأفتى عبدالله بن عباس: أنها تمشي عنها.

ومن المفسرين من قال: إن «الإنسان» في الآية، أبو جهل، ومنهم من قال: عقبة بن أبي معيط، ومنهم من قال: الوليد بن المغيرة، ومنهم من قال: إخبار عن شرع من قبلنا، وقد دل شرعنا أن الإنسان له سعيه، وما سعي له، ومنهم من قال: الإنسان بسعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الأصحاب، وأسدى لهم الخير وتودد إليهم فصار ثوابهم له بعد موته من سعيه.

ومنهم من قال «الإنسان» في الآية للحي دون الميت. ومنهم من قال: لم ينف في الآية انتفاع الرجل بسعي غيره له، وإنما نفى ملكه لسعي غيره، وبين الأمرين فرق:

فقال الزمخشري في (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى): فإن قلت: أما صح في الأخبار الصدقة عن الميت والحج عنه؟ قلت: فيه جوابان.

أحدهما: أن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنياً على سعي نفسه، وهو أن يكون مؤمناً مصدقاً، كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تبعاً له، وقائماً مقامه.

والثاني: أن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه، ولكن إذا نواه له فهو في حكم الشرع كالنائب عنه، والوكيل القائم مقامه.

= وهذا في موضع يقل فيه الماء، ويكثر العطش، وإلا فسقي الماء على الأنهار والقني لا يكون أفضل من إطعام الطعام عند الحاجة.

والصحيح من الأجوبة: أن قوله: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ عام مخصوص بما تقدم من الأجوبة.

وقد اختلف العلماء في ثواب القراءة، وهل يصل للميت؟

فذهب الأكثرون إلى المنع، وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك، ونقل عن جماعة من الحنفية.

وقال كثير من الشافعية والحنفية: يصل. وبه قال أحمد بن حنبل - رحمه الله - بعد أن قال: القراءة على القبر بدعة، بل نقل عن الإمام أحمد: يصل إلى الميت كل شيء من صدقة وصلاة وحج واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك.

وذكر الشيخ شمس الدين القطان العسقلاني: أن وصول ثواب القراءة إلى الميت من قريب أو أجنبي هو الصحيح، كما تنفعه الصدقة والدعاء والاستغفار بالإجماع.

وقد أفتى القاضي حسين: بأن الاستئجار لقراءة القرآن على رأس القبر جائز، كالاستئجار للأذان وتعليم القرآن.

لكن قال الرافعي وتبعه النووي: عود المنفعة إلى المستأجر شرط في الإجارة، فيجب عود المنفعة في هذه الإجارة إلى المستأجر أو لميته، لكن المستأجر لا ينتفع بأن يقرأ الغير له، ومشهور أن الميت لا يلحقه ثواب القراءة المجردة، فالوجه تنزيل الاستئجار على صورة انتفاع الميت بالقراءة. وذكروا له طريقين:

أحدهما: أن يعقب القراءة بالدعاء للميت، فإن الدعاء يلحقه، والدعاء بعد القراءة أقرب إلى الإجابة وأكثر بركة.

والثاني: ذكر الشيخ عبد الكريم الشالوسي[1]: أنه إن نوى القارئ/ بقراءته أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه، لكن لو قرأ ثم جعل ما حصل من الأجر له، فهذا دعاء بحصول ذلك الأجر للميت فينتفع الميت.

٢٢٢/أ

قال النووي في زيادات الروضة: ظاهر كلام القاضي حسين صحة الإجارة مطلقاً وهو المختار، فإن موضع القراءة موضع بركة وتنزل الرحمة. وهذا مقصود: ينفع الميت.

وقال الرافعي وتبعه النووي في الوصية: الذي يعتاد من قراءة القرآن على رأس القبر قد ذكرنا في باب الإجارة طريقين في عودة فائدتها إلى الميت. وعن القاضي أبي الطيب طريق ثالث: وهو أن الميت كالحي الحاضر، فترجى له الرحمة ووصول البركة إذا أهدى الثواب له القارئ.

وقال الشالوسي: إذا نوى بقراءته أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه، إذ جعل ذلك قبل حصوله، وتلاوته عبادة البدن فلا تقع عن الغير، وإن قرأ ثم جعل ما حصل من الثواب للميت ينفعه، إذ قد جعل من الأجر لغيره، والميت يؤجر بدعاء الغير.

لكن إطلاق أن الدعاء ينفع الميت، اعترض عليه بعضهم بأنه موقوف على الإجابة.

ويمكن أن يقال: الدعاء للميت مستجاب ـ كما أطلقوا ـ اعتماداً على سعة فضل الله.

---

(١) فقيه عصره بآمل، ومدرسها، كان واعظاً زاهداً مات سنة خمس وستين وأربعمائة.

وقال الرافعي وتبعه النووي: يستوي في الصدقة والدعاء، الوارث والأجنبي. قال الشافعي: وفي وسع الله أن يثيب المتصدق أيضاً.

وقال الأصحاب: يستحب أن ينوي المتصدق الصدقة عن أبويه، فإن الله ينيلهما الثواب ولا ينقص من أجره شيئاً.

وذكر صاحب العدة: أنه لو أنبط عيناً أو حفر بئراً، أو غرس شجراً، أو وقف مصحفاً في حال حياته، أو فعل غيره بعد موته، يلحق الثواب بالميت.

وقال الرافعي والنووي: إن هذه الأمور إذا صدرت عن الحي فهي صدقات جارية يلحقه ثوابها بعد الموت، كما ورد في الخبر، ولا يختص الحكم بوقف المصحف، بل يلحق به كل وقف، وهذا القياس يقتضي جواز التضحية عن الميت، فإنها ضرب من الصدقة، لكن في التهذيب: أنه لا تجوز التضحية عن الغير بغير أمره، وكذا عن الميت إلا أن يكون أوصى به.

وقد روي عن علي أو غيره من الصحابة أنه كان يضحي عن النبي ﷺ بعد موته، وعن أبي محمد بن إسحاق السراج قال: ضحيت عن النبي ﷺ سبعين أضحية.

وأما إهداء القراءة إلى رسول الله ﷺ فلا يعرف فيه خبر ولا أثر، وقد أنكره جماعة منهم الشيخ برهان الدين بن الفركاح لأن الصحابة لم يفعله أحد منهم.

وحكى صاحب «الروح»: أن من الفقهاء المتأخرين من استحبه، ومنهم من رآه بدعة، قالوا: والنبي ﷺ غني عن ذلك، فإن

له أجر كل من عمل خيراً من أمته من غير أن ينقص من أجر العامل شيء.

قال الشافعي: ما من خير يعمله أحد من أمة النبي ﷺ إلا والنبي ﷺ أصل فيه.

قال في تحقيق النصرة: فجميع حسنات المسلمين وأعمالهم الصالحة في صحائف نبينا ﷺ زيادة على ما له من الأجر، مع مضاعفة لا يحصرها إلا الله تعالى، لأن كل مهتد وعامل إلى يوم القيامة يحصل له أجر، ويتجدد لشيخه مثل ذلك الأجر ولشيخ شيخه مثلاه، وللشيخ الثالث أربعة، وللرابع ثمانية وهكذا تضعيف كل مرتبة بعدد الأجور الحاصلة بعده إلى النبي ﷺ.

وبهذا يعلم تفضيل السلف على الخلف. فإذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي/ ﷺ، كان للنبي ﷺ من الأجر ألف وأربعة وعشرون، فإذا اهتدى بالعاشر حادي عشر صار أجر النبي ﷺ ألفين وثمانية وأربعون، وهكذا كلما ازداد واحد يضاعف ما كان قبله أبداً، كما قال بعض المحققين، انتهى. ولله در القائل، وهو سيدي محمد وفا:

۲۲۲/ب

فلا حسن إلا من محاسن حسنه ولا محسن إلا له حسناته

وبهذا يجاب عن استشكال دعاء القارئ له ﷺ بزيادة التشريف مع العلم بكماله عليه الصلاة والسلام في سائر أنواع الشرف. فكأن الداعي لحظ أن قبول قراءته يتضمن لمعلمه نظير أجره، وهكذا حتى يكون للمعلم الأول ـ وهو الشارع ﷺ ـ نظير جميع ذلك.

ومن ذلك ما شرع عند رؤية الكعبة من قولهم: اللهم زد هذا

البيت تشريفاً وتعظيماً، فثمرة الدعاء بذلك عائدة إلى الداعي، لاشتماله على طلب قبول القراءة، وهذا كما قالوا في الصلاة عليه ـ زاده شرفاً لديه ـ إن ثمرتها عائدة على المصلي، أشار لنحوه الحافظ ابن حجر.

● ومن خصائص هذه الأمة أنهم يدخلون الجنة قبل سائر الأمم. رواه الطبراني ـ في الأوسط ـ من حديث عمر بن الخطاب مرفوعاً: حرمت الجنة على الأنبياء حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي.

● ومنها: أنه يدخل منهم الجنة سبعون ألفاً بغير حساب رواه الشيخان، وعند الطبراني والبيهقي في الشعب: إن ربي وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً لا حساب عليهم، وإني سألت ربي المزيد فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً.

وبالجملة: فقد اختصت هذه الأمة بما لم يعطه غيرها من الأمم تكرمة لنبيها ﷺ وزيادة في شرفه، وتفصيل فضلها وخصائصها يستدعي سفراً بل أسفاراً، وذلك فضل الله، يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

تم بعونه تعالى الجزء الثاني
من المواهب اللدنية ويليه
الجزء الثالث وأوله
المقصد الخامس

فهرس الجزء الثاني من
المواهب اللدنية

المقصد الثاني
في ذكر أسمائه ﷺ وأولاده وأزواجه وغير ذلك

الفصل الأول
(في ذكر أسمائه الشريفة)

الفصل الثاني
(في ذكر أولاده الكرام)

الفصل الثالث

(في ذكر أزواجه وسراريه)

الفصل الرابع

(في أعمامه وعماته وجـداته وأخـوته من الرضاعة)

الفصل الخامس

(في خدمه وحرسه ومواليه)

الفصل السادس

(في أمرائه ورسله وكتابه وكتبه)

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

(في ذكر من وفد عليه ﷺ)

المقصد الثالث

في كمال خلقته ﷺ وعظيم أخلاقه

الفصل الأول

(في كمال خلقته وجمالها)

الفصل الثاني

(في عظيم أخلاقه)

الفصل الثالث

(في غذائه وملبسه ومنكحه)

النوع الأول: المأكل والمشرب

النوع الثاني: اللباس

النوع الثالث: نكاحه ﷺ

النوع الرابع: نومه ﷺ

المقصد الرابع
في المعجزات والخصائص

الفصل الاول
(في معجزاته ﷺ)

الفصل الثاني

(ما خص به ﷺ)

خصائص أمته ﷺ